تفسير النيسابوري من اول القران

استملكه عبد الله الحسيني
العاصي لمحروسة مصر
عفي عنه

55

MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM: H. Alipaşa
ESKİ KAYIT No: 55
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.

Mikro Film Arşivi: 2366

كذا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وان اركن الى الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض الاكبر ثبت اقدامنا فلايمي على الصدق ولا تقبضه ان نطق في بكلام سوء لحن
واجعلني بفضلك ممن لا ينظر الا اليك ولا يرغب الا فيما لديك برئني من غير ما يقة علم مني ذر تبينتني عير حق يوجب
ذلك عليك وان افتخرت فيما انعمت علي وقد امرت واما بنعمة ربك فحدث وان استغفرت فمن ما اسرفت علي نفسي
وقد قلت ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فيامن لا يوجد في جوده شوب غرض ولا علة
شرفني في الاخرة بالعزة، واحرسني في دنياي من الذلة، ولا تؤاخذني بالنقصان الا مكافي ولا تعاقبني بالنسيان
الانساني حتى يكون لك الفضل في الاخرة والاولى، والثنا في السرا والمحمدة في العقبى ادعوك دعاء البايس الفقير
المستغيث، واتضرع اليك تضرع الذليل المهين المستكين المائل بين يديك مولاه الايس بالكلية عمن سواه فاسمع
انك سميع الدعا واجب فانك قادر على ما تشا، والصلاة والسلام على عبيدك المخصوصين بنا بيديك المنزهين
عن الادناس الجسمية، المطهرين عن الاوجاس النفسية، الفايزين باشرف مراتب الانس الواصلين الى اعلام مدارج به
الانس الصاعدين في ادفى معارج القدس ولا سيما المصطفى محمد الذي اشرف في سماء النبوة بدرا، واشرق على بساط
الرسالة صدرا سيد الثقلين، وسند الخافقين، امام المتقين ورسول رب العالمين، الكاين نبيا وادم بين الماء
والطين المعفر له جباه الاملاك المشرف بلولاك لما خلقت الافلاك صلى الله عليه وعلى اله مفاتيح الجنة، واصحابه
مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا **وبعد** فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام
النيسابوري نظم الله احواله في اولاه واخراه يقول من المعلوم عند ذوي الافهام ان كلام الملوك ملوك
الكلام وبقدر البون بين واجب الذات والممكنة الذات يوجد التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام المخلوق ولا سيما
اذا لم يعلم في معرفة التحدي الذي يظهر النبي هنالك من المتبين وهذا شان القران العظيم والفرقان
الكريم الذي اخرس شقاشق المناطق وقضهم بقضيضهم واوقر مسامع المصاقع فيما بين اوجهم وحضيضهم
حتى اختاروا المقارعة بالسيوف على المعارضة بالحروف والمقاتلة بالاسنة على المقاولة بالالسنة والمكاملة
بالتهاذم على المكاملة بالتهاذم ومبارزة الاقران على الاتيان باقصر سورة من القران قال الله تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وقال ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر
سور مثله مفتريات وقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله درج لهم الامر فاوقع
التحدي على القران جملة ثم على عشر سور ثم على سورة فاضطرهم التعجيز الى ايثار الاصعب على الاسهل فتبين ان
في النظم نبئا لا صعب في نفس الامر وذلك من ادرك دليل على حقيقة المنزل وصدق المنزل عليه وكيف
فيه نبا الاولين وخبر الاخرين وحكم ما بين الخلايق اجمعين **قال** صلى الله عليه وسلم في وصفه هو
الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو

الذكر

الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا يزيغ به الاهواء ولا يلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق
عنه كثرة الرد ولا ينقضي عجايبه هو الذي لم تنته الجن اذا سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي
الى الرشد فامنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى
صراط مستقيم ولقد انتصب جم غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين
والفضلاء المحققين والايمة المتقنين • في كل عصر وحين للخوض في تيار بحاره والكشف عن استار اسراره
والفحص عن غرايبه والاطلاع على رغايبه نقلا وعقلا واخذا واجتهادا فتباعدت مطامح هممهم فتباينت
مواقع نياتهم وتشعبت مسالك اقدامهم وتفتت مقاطر اقلامهم فمن مبين وجيز او وجيز ومطنب وملغز
ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك حظ المعاني والبيان ونعم اللحاظ فشكر الله تعالى
مساعيهم وصان ازراء انقادح معاليهم ومنهم من اعرض عن التفسير واقبل على التاويل وهو عندي
ركون الى الاضاليل وسكون على شفا جرف الاباطيل الا انه عصمه الله وانه لقليل ومنهم مرج البحرين
وجمع بين الامرين فللراغب الطالب ان ياخذ العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلفظ الدر الثمين
ويسقط السبج والزجاج وان تعد وفقني الله تعالى لتحويك القلم في اكثر الفنون المنقولة والمعقولة
كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين اهل الزمان وكان علم التفسير من المعلوم بمنزلة الانسان
من العين والعين • من الانسان وكان قد رزقني الله تعالى من ابان الصبى وعنوان الشباب حفظ
لفظ القران وفهم معنى الفرقان وطالما طالبني بعض اجلة الاخوان واعزة الاخدان ممن كنت مشارا
اليه عندهم بالبنان في البيان والله المنان يجازيهم عن حسن ظنونهم ويوفقني لاسعاف سؤالهم
وانجاح مظنونهم ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا على ما وقع البنا من نقل الاثبات
واقوال الثقات من الصحابة والتابعين • ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين
والمتاخرين جعل الله تعالى سعيهم مشكورا وعملهم مبرورا واستعفت بالمعبود وشرعت
في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي ساير الفنون الكلمة هي بابه وبشعره
مفتون كيف وقد قال عز من قايل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا وكفى بالله
وكيلا ولما كان التفسير الكبير المنسوب الى الامام الافضل والهمام الامثل الحبر النحرير والبحر الغزير
الجامع بين المعقول والمنقول الفايز بالفروع والاصول افضل المتاخرين فخر الملة والحق والدين محمد
ابن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابقا للمسماه
وفيه من اللطايف والبحوث ما لا يحصى ومن الزوايد والفنون ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونقل
موجوده حتى عسر كتبته على الطالبين • واعوز تحصيله على الراغبين • حاذيت سياق مرامه
واوردت حاصل كلامه وقربت مسالك اقدامه والتقطت عقود نظامه من غير اخلال بشي من الفوايد
او اهمال لما يجري من اللطايف والفوايد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي ساير التفاسير
من اللطايف المهمات مع ما رزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة واثبت للقراة المعتبرات
والوقوف المعللات ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات مع اصلاح ما يجب اصلاحه
واتمام ما ينبغي اتمامه من الاسايل المورودة في التفسير الكبير والاعتراضات ومع حل ما يوجد في الكشاف
من المواضع المعضلات سوى الابيات المفردات فان ذلك يورد مما ظن ان تفصيح القران وغرايب
القران انما يلون بالامثال والمشتهرات كلا فان القران حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا
ان نقتصر في غرايب القران على تفسيرها بالالفاظ المشتهرات وعلى ايراد بعض المتجانسات التي تعرف منها
اصول الاشتقاقات وذكرت طرفا من الاشارات المقنعات والتاويلات الممكنات والحكايات المبكيات
والمواعظ الزاجرة عن المنهيات الباعثة على اداء الواجبات والتزمت ايراد لفظ القران الكريم اولا مع
ترجمته على وجه بديع وطريق منيع مشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتاويل المتشابهات
وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان هذا النوع من الترجمة مما يشكك فيها العبرات
ويزل المترجمون هنالك الى العثرات وقلما يفطن له الناشي الواقف على متن اللغة العربية فضلا عن الدخيل

ولياً وكفى صح

القاصر في العلوم الادبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل الرشاد ووضعت للجميع على طرف التمام ليكون الكتاب
كالبدر في التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملال ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد
نظام الكلام فخير الكلام ما قل ودل وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق
مسئول ممن بيده مفاتيح الفضل والاحسان وخزائن البر والامتنان وهذا اوان الشروع في تفسير القران
ولنقدم امام ذلك مقدمات **المقدمة الاولى** في فضل القراءة والقارئ وآداب القراءة وجواز
اختلافات القراءات وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن ابي طالب امير المومنين كرم الله وجهه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله الجنة
وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد اوجبت له النار وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم
من تعلم القران وعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب
الى الله قال الحال المرتحل وما الحال المرتحل قال يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين
عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر في القران مع السفرة الكرام البررة والذي
يقرا القران ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه
بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن
معاذ الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا القران وعمل به البس والداه تاجا يوم
القيامة ضوؤه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي الصحيحين
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القران كمثل الابل المعقلة ان عاهد
عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن
الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقران وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقراها وفي الصحاح
كلها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرا سورة الفرقان في حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرانيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقراك
هذه السورة التي سمعتك تقراها قال اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت
فان رسول الله قد اقرانيها على غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرانيها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارسله اقرا يا هشام فقرا عليه القراءة التي سمعته يقرا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي اقرا يا عمر فقرات القراءة التي اقراني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان القران انزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه اذا تقرر
ذلك فنحن نذكر في الكتاب من القراء السبعة الاربعة المنسوبة الى الايمة المختارين ونرى ان نفصل ههنا
واسامي رواتهم ليتبين ما نسب في اثناء التفسير الى كل منهم والله ولي التوفيق **ذكر القراء السبعة**
ونسميه نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات **ابو عمرو** زبان بن العلاء البصري روى عن مجاهد بن جبير
وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات سنة
اربع وخمسين ومائة رحمه الله ورواته ثلاثة ابو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمر
حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريقا الى الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وابو الفتح عامر بن صالح
الموصلي المعروف باوقية طريق ابي قبيصة حاتم بن اسحاق الموصلي وابو شعيب صالح بن زياد
السوسي طريق ابي الحرث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابراهيم بن حماد طريق ابي عيسى موسى بن عبد الله
الهاشمي رحمه الله تعالى **ابو نعيم** شجاع بن ابي نصر الخراساني روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب

طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف رحمه الله تعالى عباس بن الفضل الانصاري روى عنه ابو
عمر محمد بن رومي طريق ابي اسحق ابراهيم بن كعب الموصلي وطريق شهاب بن خليفة وهو الاصح ووافقه
طريق بن اسحق ايضا عن اوقيه رحمه الله ابن كثير هو ابو محمد عبد الله بن كثير المكي روى عن مجاهد
ابن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة وعشرين
ومائة رحمه الله ورواته اربعة ابو الحسين احمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن بزة
البزي وبينه وبين ابن كثير رجال لانه يروي عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل
ابن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى عن البزي ابو ربيعة محمد بن محمد بن اسحق بن ابي الربعي
طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق ابي بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش الموصلي وابو محمد اسحق
بن الخزاعي المالكي طريق بن شنبوذ وطريق الهاشمي وطريق ابي بكر احمد بن محمد الطرائفي وطريق
ابي الحسن علي بن ذوانه القزاز وطريق ابي بكر محمد بن عيسى بن بندار الجصاص وابو علي الحسين
ابن محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزي ابو الحسن احمد بن محمد بن عون القواس بينه وبين ابن
كثير ايضا رجال لانه روى عن ابي الاخريط وهب بن واضح عن اسمعيل بن عبد الله ومعروف
بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير روى عن القواس قنبل طريق الزينبي طريق ابي ربيعة
طريق بن مجاهد طريق ابن عون القاضي طريق بن شنبوذ وطريق ابي القسم الزبيدي عبد الله بن
فليح عن رجاله عن ابن كثير ورجاله محمد بن سبعون وداود بن شبل عن اسمعيل بن عبد الله عن ابن
كثير روى عن ابن فليح ابو علي الخلال وطريق النقاش وطريق الهاشمي وطريق الخزاعي وطريق
شعيب بن مرخ **نافع** ابن ابي نعيم المدني قرا على ابي جعفر القاري وعلى سبعون من التابعين
على بن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب على النبي عليه الصلوة والسلام وتوفي سنة تسع وستين ومائة
ورواته ثلاثة اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه ابو الزعراء وابو بكر الحسن بن علي
ابن بشار النحوي وابو جعفر احمد بن فرح الضرير قالون واسمه عيسى بن مينا النحوي روى عنه
ابي علي الحسن بن العباس الرازي طريق ابي بكر احمد بن حماد المقرئ وابو ابراهيم مصعب بن ابراهيم
الزبيري طريق ابي بكر محمد بن عبد الله فليح وابو نشيط محمد بن هارون المروزي طريق ابي حسان
محمد بن احمد الاشعث الجيزي وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريق الحسن بن العباس الرازي
وطريق ابي عون القاضي ورش واسمه عثمان بن سعيد المصري روى عنه محمد بن عبد الرحيم
الاصفهاني طريق ابي الحسن محمد بن احمد المروزي وطريق ابي القسم هبة الله بن جعفر بن محمد
ابن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق البخاري طريق ابي الاسد احمد بن ابراهيم الفقيه وطريق ابي
بكر محمد بن مرشد التميمي **عبد الله** بن عامر اليحصبي الشامي قرا على المغيرة بن شهاب المخزومي
على عثمان بن عفان رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي رحمه الله سنة ثمان
عشرة ومائة وله راويان روى عن رجاله **ابو محمد** عبد الله بن احمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي
ورجاله ايوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابن عامر روى عنه احمد بن موسى بن العباس بن
مجاهد طريق الحسن بن عبد الله المقرئ وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المفسر طريق الحسن
ايضا وابو الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعي المعروف بابن الاخرم عن الاخفش عن ابن ذكوان
هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر ورجاله ايوب بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى الحرث
روى عنه البخاري عن الحلواني عن هشام طريق احمد بن الحسين بن مهران وابو الحسين احمد بن يزيد
الحلواني الصفار طريق ابي الحسن علي بن حماد الارزق وابو اسحق ابراهيم بن يوسف الرازي البخاري
عاصم بن بهدلة الاسدي قرا عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول
الله صلى الله وسلم وقرا ايضا على عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين على علي رضي الله على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة ورواته اربعة ابو عمر حفص بن سليمان بن
المغيرة البزاز الاسدي كان شريك ابي حنيفة روى عنه ابو محمد حبيرة بن محمد السمار طريق الحنو

ابن الهيثم وطريق احمد بن علي الخزاز وابو جعفر عمر بن الصباح طريق عبد الصمد محمد بن محمد ابو بكر
شعبة بن عباس روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب البشكري وابو زكريا
يحيى بن آدم القرشي طريق ابي احمد ون المطيب بن اسمعيل وطريق شعيب بن ايوب الزريفي الصيرفي
وابو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الاعشى وله روايتان روى عنه ابو جعفر محمد بن
غالب ومحمد بن حبيب الشموني **حماد** بن ابي زياد طريق يحيى بن محمد العليمي الانصاري رحمه
الله المفضل بن محمد الضبي روى عنه جبلة بن مالك البصري طريق ابي زيد عمر بن شبة وابو
زيد سعيد بن اوس الانصاري طريق محمد بن يحيى القطعي رحمه الله **حمزة** بن حبيب الزيات
العجلي قرا على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي بن ابي
طالب وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم على النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ست
وخمسين ومائة وروايته اربعة ابو اسحاق ابراهيم بن زربي طريق ابن المستنير رجا بن عيسى بن
رجاء الجوهري عبد الرحمن قلوقا طريق ابي المستنير رضا ابو محمد عبد الله بن صالح العجلي طريق
ابي حمدون الطيب بن اسمعيل وطريق ابي اسحاق ابراهيم بن نصر بن عبد العزيز المقرئ ويروى
نصير بن عبد الله المقرئ وهو الاصح سليم بن عيسى الحنفي روى عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق
محمد بن شاذان الجوهري وطريق القسم بن يزيد الوزان وابو محمد خلف بن هشام البزاز طريق
ابي الحسن محمد بن سليمان ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق
ابي الحسن محمد بن سليمان وطريق ابي واصل احمد بن واصل وابو عمر الدوري طريق ابي الزعراء
علي بن حمزة الكسائي قرا على حمزة بن حبيب على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن
مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم توفي سنة تسع وثمانين ومائة رحمه الله وله ستة رواة ابو
عبد الرحمن قتيبة بن مهران الازاذاني روى عنه ابو الفرج محمد بن احمد بن ابراهيم المقرئ طريق ابي
الفضل العباس بن الوليد بن مرداس وابو بكر احمد بن الحسين بن مهران طريق احمد بن جعفر
ابو المنذر نصير بن يوسف النحوي روى عنه محمد بن ادريس الاشعري المعروف بالدنداني طريق
ابي علي الحسن علي بن حماد الازرق وابو عبد الله محمد بن عيسى الاصفهاني طريق ابي علي الحسن
بن عباس الرازي وابو جعفر علي احمد بن محمد بن رستم الطبري طريق بكار بن احمد المقرئ وابو
جعفر علي بن نصير النحوي طريق الازرق المذكور ابو الحارث الليث خالد طريق ابي عبد الله محمد
بن يحيى الكسائي حمدويه بن ميمون الزجاج طريق ابي العباس احمد بن يعقوب السمار ابو حمدون
الطيب بن اسمعيل طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف **ابو عمر** حفص بن عمر بن عبد العزيز
الدوري روى عنه ابو بكر الحسن بن علي بن بشار النحوي طريق ابي الفرج محمد بن احمد بن ابراهيم
وابو الزعرا طريق ابي بكر بن مجاهد وابو الحسن علي بن سليم طريق ابي القسم هبة بن جعفر
وطريق ابراهيم بن احمد الخرقي وابو جعفر احمد بن فرح الضرير طريق ابي بكر النقاش الموصلي ه
ذكر الائمة المختارين وتسمية رواتهم ابو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني
وقارة موضع من المدينة وروايته اثنان ابو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون عيسى
بن مينا النحوي ابو مسلم سليم بن مسلم الجماز الزهري طريق ابي عبد الرحمن قتيبة بن مهران
رحمهم الله ابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وقرا على
ابي المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم وابي عمرو رحمهم الله وروايته ثلاثة روح بن عبد
المؤمن طريق احمد بن يحيى المعدل ابو بكر محمد بن المتوكل اللولوي المقلب بن رويس طريق ابي بكر
محمد بن هارون وطريق ابي الحسن احمد بن يعقوب بن مقسم الفقيه ابو احمد زيد بن احمد بن اسحق
طريق المعدل ايضا وطريق محمد بن هارون ابو محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب البزاز
طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار وقرا
خلف على سليم على حمزة رحمه الله ابو حاتم سهل بن محمد عثمان السجستاني طريق ابي علي الحسن

بن تميم

ابن تميم وطريق ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق مسبح بن حاتم وقرا سهل علي يعقوب وايوب
ابن المتوكل رحمه الله اجمعين فهذا هو المعول عليه من القرات واما الشواذ فلا نتعرض منها
الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك في اثناء التفسير لا في خلال القرات والله اعلم بالصواب

المقدمة الثانية الاستعاذة المندوب اليها في قوله عز من قايل فاذا قرات
القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قراها ابو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وعاصم
غير هبيرة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وروى ابا الهاشمي عن ابن كثير اعوذ
بالله العظيم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وروى هبيرة عن حفص عن عاصم اعوذ
بالله العظيم السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وقراها ابو جعفر ونافع وابن
عامر وحمزة وعلي الكسائي وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وقد روى
عن حمزة استعيذ بالله او نستعيذ بالله مخيرا وقراها سهل اعوذ بالله السميع من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم ومنشا هذه الاختلافات انه قد جاء في سورة النحل فاذا قرات القران الاية وفي حم
السجدة فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وروى جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم حين
افتتح الصلاة قال الله اكبر كبيرا ثلاث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاث مرات ثم قال اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقي في كتاب السنن عن ابي سعيد الخدري انه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل كبر ثلاثا وقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس ان اول ما نزل جبرايل على محمد صلى الله عليه وسلم قال
قل يا محمد استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم
ربك الذي خلق ثم في المقدمة مسايل آ الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراة اذ المراد من قوله
تعالى فاذا قرات اذا اردت قراة القران كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا المراد اذا اردتم القيام
الى الصلاة والاخبار المذكورة ايضا تويد ذلك وعن النخعي وقد روى عن حمزة وابن سيرين ايضا ان
وقتها بعد القراة نظرا الى **ظ** اللفظ ولانه قد يدخل المرء اعجاب بسبب القراة حيث انها طاعة موجبة
للثواب فيناسب ان يستعيذ من ذلك **ب** الاكثرون على ان الاستعاذة مندوبة لان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلاة وزيف بان الخبر غير مشتمل
على بيان واجبات الصلاة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطا ان الاستعاذة
واجبة في كل قراة في الصلاة وغيرها لان النبي صلى الله عليه وسلم واظب عليها وقال تعالى فاتبعوه
ولان الامر في فاستعذ للوجوب وانما تجب عند كل قراة لانه قال فاذا قرات فاستعذ وذكر الحكم
عقيب الوصف المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان
ودفعه واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين وجوبها في العمر مرة واحدة وعن
مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان **ج** المستحب فيها الاسرار في الصلاة وان كانت جهرية
الحاقا لها بما قبلها من الذكر وهو دعا الاستفتاح ولان الجهر كيفية وجودية والاخفا عبارة عن عدم
تلك الكيفية والاصل هو العدم وانها يستحب في كل ركعة لما مر ان الحكم يتكرر بتكرر العلة
ولكنها اكد في الاولى **د** اعلم ان الكلام في معنى قول القايل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق
بجملة اركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ به والمستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فههنا
ابحاث **البحث الاول** معنى العوذ الالتجا والالتصاق يقال اطيب اللحم عوذه وهو
ما التصق منه بالعظم اي التجي الى رحمة الله او التصق بفضله فالبا في بالله للالصاق فكان
من في من الشيطان للابتدا ولانه ابتدا بالتبري من الشيطان والتصق رحمة الله واعانته
والاستعاذة لا تتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا من جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار
العاجلة والاجلة وان الله تعالى قادر على تحصيل المنافع ودفع المضار ولا قدرة على ذلك لاحد
سواه ويتولد عن هذا العلم في القلب حالة هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب ان

يصير العبد مريدا لان يصونه الله تعالى عن الافات ويفيض عليه الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك فيقول اعوذ بالله فالركن الاعظم في الاستعاذة هو ان يعلم العبد ان الله سبحانه عالم بكل المعلومات والا جاز ان لا يعلم حاله فيقع الاستعاذة عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا لجاز ان يكون عاجزا عن تحصيل مراد العبد وانه يعلم انه جواد مطلقا والا لجاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مرامه والا لم يكن صادق الرغبة في الاستعاذة منه والحاصل ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض الاكياس ربما يبقى في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الى ان يجي بعده من يحله ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب فلولا اعانة الله تعالى وارشاده لم يتخلص سفينة فكره عن امواج الضلالات وايضا كل احد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر ولكم من حصل مبطل في الدنيا فلا خلاص من ظلمات الشبهات الا باعانة رب الارض والسموات ولا يقع الحد الاوسط للمطالب في الذهن الا بهداية من بيده مفاتيح الخيرات وايضا البدن بيته الجحيم عليها تسعة عشر من الزبانية وهو الحق اسم الحس الظاهرة والخمسة الباطنة والقوى الطبيعية التسع الله والشهوة والغضب ومحال تفوق كل منها غير متناهية بحسب الشخص والعدد ويحصل من كل منها اثر في القلب بحره من اوج عالم الروحانيات الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور الله تعالى وايضا كما انه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخياليات وكما انه لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات يجب الرجوع الى واهب السعادات الحقيقيات وفي بعض كتب الالهية قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاقطعن امل من يومل غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولا جنبنه من قربي ولا بعدنه من وصلي ولا جعلنه متفكرا حيران يومل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهو مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في سائر الادعية والعبادات التي جعلها الله سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والاجلة للعبد وذلك انه تعالى فعال لما يريد خالق لما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه وعلى افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه اذا امرك بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع الوسواس والهواجس كما انه اذا جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فانك تاكل وتشرب ولا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب ان كان الاشباع والارواء من الله تعالى وان كان بقدرة الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبري والمعتزلة لانها تحوم حول ما اشرنا ولا يبنى على سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك البحث الثاني المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق يفتقر الى الاستعاذة به تعالى ولهذا قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم فاعطي السلام والبركات في قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف معاذ الله انه ربي احسن مثواي فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يومن بيوم الحساب فاغرق الله تعالى عدوه واورثه ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امراة عمران اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقد امر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس فوقي شر النفاثات في العقد وكفي شر الوسواس الخناس البحث الثالث المستعاذ به وانما هو الله او كلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامة اما البحث عن اسم الله فسيجي في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير مادة ومدة فكانت الارواح البشرية تستعيذ وتستغيث

دعا قنوت

نوح

استعاذه بكلمات

بالارواح

بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة وانما يحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقي في نظره التفات الى ما سوى الله واما اذا تغلغل في بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله ومن الله كما قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك واذا فني عن نفسه وفني ايضا عن فنا نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك

نفس

البحث الرابع المستعاذ منه الشيطان وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول انما اشتقاقه من شطن ويقال شطنت الدار اي بعدت والشيطان بعيد عن الرشاد والسداد وقد يسمى كل متمرد من انس او دابة شيطانا قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس وركب عمر رضي الله عنه برذونا فطفق يتبختر به فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملتموني الا على شيطان هذا احد قولي سيبويه وعلى هذا فنونه اصلية ووزنه فيعال وقد جعل سيبويه في موضع اخر النون زائدة وجعله فعلان من شاط يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد كالباطل في نفسه لانه مبطل الوجوه مصالح نفسه سمي شيطانا والرجيم معناه المرجوم كاللعين بمعنى الملعون ومعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما لانه تعالى امر الملائكة برمي الشياطين بالشهب الثواقب ثم وصف بذلك كل شرير متمرد واما من ضم الى الاستعاذة قوله ان الله هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتدا بما ورد في القران ان العبد كانه يقول يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل سر خفي انت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وانت القادر على دفعها عني بفضلك ولنتكلم في الجن والشياطين

اشتقاق الشيطان

فنقول من الناس من انكرهم لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان يراه كل من كان سليم الحس لكنا لا نراه وان كان جسما لطيفا لوجب ان يتمزق ويتفرق عند هبوب الريح العاصفة ولزم ايضا انه لا يقدر على الاعمال الشاقة التي ينسبها اليه المثبتون والجواب انه لم لا يجوز ان يكون جوهرا مجردا او بتقدير كونه جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تعالى عنه ابصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالافلاك

جسم الشيطان

الوجه الثاني قالوا الظن الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس وشوهدت منهم العداوة والصداقة وليس كذلك واهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما نسبوا اليهم ومجال المنع في هذا الوجه لا يخفى لثبوت الاختلاط والصداقة منهم بالنسبة الى كثيرين قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ومن الجن من يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم

لكل شيطان

الوجه الثالث قالوا ان اخبار الانبيا عنهم لا يفيد اثباتهم اذ على تقدير ثبوتهم يجوز ان يقال كل ما اتى به الانبيا فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز ان حنين الجذع كان لسبب نفوذ الجن في الجذع وكل فرع ادى الى ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبيا كما يجيء يدل على صدق اخبارهم ومن جملة ما اخبروا عنه وجود الجن والشياطين فصح وجودهم اعلم فان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهو الملائكة المقربون الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويليها مرتبة الارواح المتعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم ملائكة الكرسي ثم ملائكة السموات طبقة فطبقة ثم ملائكة كرة الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم ملائكة المسلطة على البحار ثم على الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد تكون مشرقة خيرة وهم من قبيل الملائكة وقد تكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظ الجن ماخوذ من الاستتار عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها

فرق بين الجن والانس

ساترة للانسان وطوايف المكلفين اربعة الملايكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشيا طين
قيل بالذاتيات كما بين الانسان والفرس وقيل بالعوارض والجن خيارهم والشياطين اشراره
والمشهور ان الجن قدرة على النفوذ على بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد في كونهم
متصرفين في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الادمي
كيف وقد ورد في القران لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وفي الحديث ان
الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ولا خلاف في ان الملايكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال صلى الله عليه وسلم
في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القران افتتخذونه وذريته اولياء من دوني واما
كيفية الوسوسة فروي ان عيسى عليه السلام دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني ادم فاراه — في كيفية وسوسة الشيطان
ذلك فاذا راسه مثل راس الحية واضع راسه على قلبه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره وضع راسه
على حبة قلبه وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا
الى ملكوت السموات وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة
فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق
بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان
ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء فمن الخواطر ما هو اصل السعادة ومنها ما هو اصل
الشقاوة وسبب اشتباه الخواطر بعضها ببعض احد اربعة اشيا اما ضعف اليقين او قلة العلم بصفات
النفس واخلاقها او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا جاهها ومالها فمن عصم من
هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلى بها فلا واتفق المحققون على ان من كان
اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين ما هو هاجس النفس ووسوسة — اكل الحرام
الشيطان بان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى
زلة فلم يجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيف امكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى ان الانسان
ساهيا ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان ذلك فيحدث له ميل ويترتب الفعل على حصول ذلك
الميل فكان الذي اتى به الشيطان من خارج ليس الا ذلك التذكير واليه الاشارة في القران حكاية
عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل لهذا التذكير وانما
يقوم الشيطان على ذلك لعلمه قابلية وقع في فطرته الاولى لحكم عرفها الله تعالى فيه والمقصود من الاستعاذة
لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان ذلك معظم المقاصد ولهذا خص بالذكر في القران العظيم ولو نوى
المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية فلا ضير نكت في الاستعاذة ا اعوذ بالله عروج من الخلق
الى الحق ومن الممكن الى الواجب لان اعوذ اشارة الى الحاجة التامة وبالله اشارة الى المعبود القادر
على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الافات ومن عرف نفسه بالضعف والقصور عرف الله بانه قادر على
كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان
عرف ربه بالوجوب ب سر الاستعاذة الالتجاء الى قادر يدفع عنك الافات وقراءة القران من
اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القران عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين فلهذا
خصت الاستعاذة بالقراءة ج عند القراءة من العدو الغدار يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
وبعد الاستقرار في حضرة الملك الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم د الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى
عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلاة الحقيقية وهي ذكر الله فيقول بسم الله العبد
مامور بمحاربة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وبمحاربة العدو الباطن ان
الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حارب العدو الظاهر كان مدده الملك يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملايكة مسومين واذا حارب العدو الباطن كان مدده الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة
العدو الباطن اولى لان العدو الظاهر ان غلب بقي الدين واليقين وكنا ماجورين وان غلب العدو الباطن

لكن

كنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا والاخلاص من
شره الا بان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقال الله تعالى يا عبدي قلبك بستاني وجنتي
بستانك فلما لم تبخل علي بستانك بلا ترك معرفتي فيه لم ابخل عليك ببستاني واترك فيها وههنا لطيفة
وهي ان الله تعالى كانه يقول للعبد انت الذي انزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك ومن اراد ان ينزل
سلطانا في حجرة نفسه يجب عليك كنس الحجرة وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من تلوث الوسوسة وقل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ز اقسم في حق ابويك انه لمن الناصحين فدليهما بغرور واقسم فبك لاغوينهم اجمعين
فاظنك بعاقبة معاملته معك فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ح انما اختص اسم الله للاستعاذة
به بين ساير الاسما لان العدو كلما كان اشد احتيج الى عدوه اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات
الكمالية انما هو الله فكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم الذي لا يرضى بشي من المنكرات
من الشيطان الرجيم ط الشيطان اسم والرجيم صفة له ثم ان الله تعالى لم يقتصر بالاسم بل ذكر صفته
تنبيها للعبد ان الشيطان بقي في الخدمة الوفا من السنين ولم يقدر على مضرتنا ومع ذلك رجمناه وطردناه
وانت لو صاحبك هذا الشيطان لحظة واحدة اخلدك في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ي يقول الله تعالى عبدي انه يراك وانت لا تراه فينفذ كيده فيك فتمسك
بما يرى الشيطان ولا يراه الشيطان وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا الالف واللام في الشيطان
للجنس ليفيد الاستعاذة من هذا الجنس مطلقا انسيا او غير مرئي ولو جعل للعهد جاز ويدخل ذريته فيه
بتغايب الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فكما ان الشيطان لا يجعله الله
قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاعرف انه لا يجعلك بعيدا حيث جعل قريبا يب انه شيطان
رجيم وانا ارحم رحيم فاحذر من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم يد الشيطان عدو وغالب
انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والله تعالى حبيب غالب والله غالب على امره فاذا قصدك
العدو الغالب فافزع الى الحبيب الغالب **المقدمة الثالثة** في مسايل مهمة المسيلة الاولى
القراات السبع متواترة لا بمعنى ان سبب تواترها اطباق القراء السبعة عليها بل بمعنى ان ثبوت التواتر
بالنسبة الى المتفق على قراءته من القراء كسبعة بالنسبة الى كل من المختلف في قراءته ولا مدخل للقاري
في ذلك الا انه حيث مباشرته لقراءته اكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراات
متواترة لانه لو لم يكن كذلك لكان بعض القران غير متواتر كملك ومالك ونحوهما اذ لا سبيل الى كون
كليهما غير متواتر فان احدهما قران بالاتفاق وتخصيص احدهما بانه متواتر دون الاخر تحكم بط استواهما
في النقل فلا اقل لو بنقل وكلاهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الادا كالمد والامالة وتخفيف الهمزة
ونحوها **الثانية** اتفقوا على انه لا يجوز في الصلاة قراءة القران بالوجوه الشاذة لان الدليل
ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القران لبلغت في الشهرة الى حد التواتر عدلنا عن الدليل
في جواز القراءة خارج الصلاة للاحتمال فوجب ان يبقى قوله نهيا في الصلاة على اصل المنع **الثالثة** السبعة احرف
التي نزل بها القران في قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا القران انزل على سبعة احرف لكل اية منها ظهر وبطن ولكل
حد مطلع عند اكثر العلما انها سبع لغات من لغات قريش لا تختلف ولا تتضاد بل هي متفقة المعنى وغير
جايز عندهم ان يكون في القران لغة لا يعرفها قريش لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم وذلك ان قريشا يجاور البيت وكانت احيا العرب تاتي اليهم بالحج فيسمعون لغاتهم ويختارون من كل
لغة احسنها فصفا كلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان سبعة الاحرف هي سبع لغات
متفقة المعنى ما روي عن ابن سيرين ان ابن مسعود قال اقروا القران على سبعة احرف وهو كقول احدكم
هلم وتعال واقبل وقال بعضهم انها سبع قبايل من العرب قريش وقيس وتميم وهذيل واسد وخزاعة
وكنانة لمجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من اي لغة كان من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني
لقوله صلى الله عليه وسلم انه قد وسع الى ان اقري كل قوم بلغتهم وقيل معناها ان تقول في صفات الرب تعالى
مكان قوله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اقروا القران على

مطلب القراء سبعة احرف

مطلب قبايل العرب

سبعة احرف ما لم تختموا مغفرة بعذاب وعذابا بمغفرة او جنة بنار ونارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة في الخبر
جاء على جهة التمثيل لانه لو جاء في كلمة الكثر من سبعة قراءات جاز ان يقراها وعن مالك بن انس انه كان يذهب
في معنى السبعة الاحرف الى انه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمات ربك وكلمة ربك وكالتذكير والتانيث
في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون
ويعرشون وكاختلاف الادوات في مثل قوله ولكن الشياطين بالتشديد ونصب ما بعدها وبالتخفيف والرفع
وكاختلاف النقط في الحروف نحو تعلمون بالتاء والياء وننشرها بالراء والزاي وكالتفخيم والامالة والمد والقصر
والهمز وتركه والاظهار والادغام ونحوهما وذهب جماعة الى حملها على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن دون
الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وامر ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده
المحققون من قبل ان الاخبار الواردة في مخاصمة الصحابة في القراءة تدل على ان اختلافهم كان في اللفظ دون
المعنى قال بعض العلماء اني تدبرت الوجوه التي تختلف بها لغات العرب فوجدتها على سبعة انحاء لا تزيد
ولا تنقص وبجميع ذلك نزل القرآن **الوجه الاول** ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس
وكالعهن المنفوش قراءة ابن مسعود كالصوف المنفوش **الثاني** ابدال حرف بحرف كالتابوت والتابوه
الثالث تقديم وتاخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما في الحروف نحو افلم ييأس
الذين امنوا وافلم يايس **الرابع** زيادة حرف او نقصانه نحو ماليه وسلطانيه وفلا تك في مرية
الخامس اختلاف حركة البناء نحو يحسبن ويحسبن بفتح السين وكسرها **السادس** اختلاف الاعراب نحو ما هذا
الابشرا وقراء ابن مسعود ما هذا بشر بالرفع **السابع** التفخيم والامالة وهذا اختلاف في اللحن والتزيين
لا في نفس اللغة والتفخيم اعلى واشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلف لغات العرب
قد انزل الله باختلافها القرآن متصرفا فيه ليعلم بذلك ان من زل عن ظاهر التلاوة بمثله او من تعمد
عليه ترك عادة لم يخرج الى نحو ما قد انزل به فليس بملوم ولا معاتب عليه وكل هذا انما اذا لم يختلف فيه المعاني
فان قيل فما قولكم في القراءات التي تختلف بها المعاني قلنا انها صحيحة منزلة من عند الله ولكن خارجة من هذه
السبعة الاحرف وليس يجوز ان يكون فيما انزل الله من الالفاظ التي تختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى
التضاد والتناقض لكن يجري التغاير الذي لا تضاد فيه ثم انها تتجه على وجوه فمنها ان تختلف بها الحكم الشرعي
على المبادلة بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا واحدى القرائتين تقتضي فرض المسح والاخرى فرض الغسل
وقد بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف في وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا الضرب هو
الذي لا يجوز القراءة الا اذا تواترت نقله وثبت من الشارع بيانه وليس يعذر من زل في مثله عما هو
المنزل حتى يراجع الصواب ويفزع الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير المبادلة لكن على الجميع
بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن من الطهر وحتى يطهرن مشددة التاء من المتطهر فان القرائتين
ههنا تقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائضة لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع
حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة في امثال هذه الا بالنقل الخ ومن زل في مثله الى ما يقتضي
امرا قد علم ثبوته ولم يقرأ به لم يكن فيه حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا لو صحف واحد فيقرا ولا تقربوا
الربا بالراء والباء من الربوا في المال فانه منهي عنه كالزنا فان كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد
فهو ملوم على ذلك واما التضاد والتنافي تعالى موجود في كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد
الزمان شرط التنافي وعند ورود الناسخ ينتهي المنسوخ ويتبين ان في علم الله حكم المنسوخ كان موصلا
الى ورود الناسخ والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم لكل اية ظهر وبطن اي ظاهر وباطن فالظاهر
ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم فنقول في ذلك كما امرنا ونكل علمه الى الله تعالى وقيل هو ان يؤمن
به باطنا كما يؤمن ظاهرا وقوله ولكل حد مطلع اي لكل طرف من حدود الله التي لو قف نفسك ولا يتجاوز عنه
من مامور او نهي او مباح مصعدا وما تي يوتي منه ويغم كما هو ومقدار من الثواب والعقاب يعاينه في الاخرة
ويطلع عليه كما قال عمر رضي الله عنه لو ان لي ما في الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعني
ما يشرف عليه من امر الله بعد الموت **المقدمة الرابعة** في كيفية جمع القرآن روي عن زيد بن ثابت

انه قال

مطلب حكم نسخ وارجلكم بالنصب والجر

مطلب اتحاد الزمان شرط للتنافي

انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة واذا عنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر
بقراءة القران يوم اليمامة واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قران كثير واني ارى ان
تامر بجمع القران قال فقلت كيف افعل شيا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي خير فلم يزل
عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له فرايت فيه الذي راى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك
مطلب جمع القران
رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القران فاجمعه فتتبعت
القران اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال فكانت الصحف عند ابي بكر حتى مات
ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة مدة الى ان ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الي بالصحف
ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك فارسلت الى عثمان الى عثمان فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى
عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فامرهم ان ينسخوا الصحف
في المصاحف من تلك ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش
فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل افق بمصحف من تلك
المصاحف وامر بما سوى ذلك من القران ان يمحوا ويحرق قال زيد بن ثابت فرايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
يقولون احسن والله عثمان وقال علي رضي الله عنه لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان رضي
الله عنه الا ان عبد الله بن مسعود ذكر ان ولي زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين اعزل
عن نسخ كتاب الله ويولاها رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يعني زيدا فكان اول من امر
بجمع القران في المصحف ابا بكر الصديق مخافة ان يضيع منه شيء غير انه لم يجمع الناس عليه وكان الناس يقرؤون
بقراءات مختلفة على سبيل ما اقراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى وقت عثمان ثم ان عثمان
جمع المصحف الناس على مصحف واحد وحرف واحد فلذلك نسب المصحف اليه وحمل ذلك اماما واعلموا ان
القران كان مجموعا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما نزلت اية الا وقد امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم من كان يكتب له ان يضعها في موضع كذا من سورة كذا وما نزلت سورة الا وقد امر الكاتب ان يضعها
بجنب سورة كذا روي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزلت عليه سورة دعا بعض
من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال جمع القران على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد قيل لانس
من ابو زيد قال احد عمومتي غير انهم لم يكن قط قد جمعوها فيما بين الدفتين ولم يلتزموا القران توالي سورها
وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم او كتبها ثم خرج سرية
فنزل في وقت مغيبه سور فانه كان اذا رجع ياخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع ما فاته
على حسب ما يتسهل له فيقع فيما يكتبه تقديم وتاخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه
فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ انسابها واشعارها بشعر اياما من غير كتابة ومنهم من كان
مطلب رسم المصحف
كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسب ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ
القران فلا يرون باكثرهم حاجة الى مصحف ينظرونه فلما ان مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبيله وجند
المهاجرين والانصار للجهاد فتفرقوا في اقطار الدنيا واستحر القتل في بعضهم كما مر خيف حينئذ ان يتطرق
اليه ضياع فامروا بجمعه في المصحف **المقدمة الخامسة** في معاني المصحف والكتاب والقران
والسورة والاية والكلمة والحروف وغير ذلك المصحف مفعل من اصحف اي جمع فيه الصحف والصحف جمع
الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه وقد يقال مصحف بكسر الميم وروي ان ابا بكر
الصديق استشار الناس بعد جمع القران في اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى
بعضها الى بعض لانه مصدر كتب اي جمع قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان حتى امنوا بجميع ما يجب
عليهم فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشي بفعل الفاعل نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق
الله والقران اسم للكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما ان التوراة اسم للكتاب المنزل
على موسى والانجيل المنزل على عيسى والزبور المنزل على داود عليه السلام والقران يهمز فلن همز وهو الاكثر

فوزنه فعلان مثل قربان والتركيب يدل على الجمع والضم ومنه القرء للحيض لاجتماع الدم في ذلك الوقت
ومنه قريت الماء في الحوض فالقران نزل شيئا بعد شيء فلما جمع بعضه الى بعض سمي قرانا لانه جمع السور
وضمها قال تعالى ان علينا جمعه وقرانه اي تاليفه وضم بعضه الى بعض وقولك قرات معناه جمعت
الحروف بعضها الى بعض ومن لم يهمز القران وهو قراءة اهل مكة فاما على تخفيف الهمزة واصله كما مر
واما على ان وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمي بذلك لانه قرن السور وما فيها بعضها الى
بعض وقيل ان القران اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتورية والانجيل ويسمى القران
فرقانا لانه يفرق بين الحق والباطل والمومن والكافر والحلال والحرام واما السورة من القران
فانها تهمز ولا تهمز وهذا اكثر وعليه القراء والسورة اسم لاي جمعت وقرنت بعضها الى بعض حتى تمت
وكملت وبلغت في الطول المقدار الذي اراد الله تعالى ثم فصل بينها وبين سورة اخرى بسم الله الرحمن الرحيم
ولا يكون السورة الا معروف الابتداء معلوم المنتهى وقيل اشتقاقها من سورة البنا والمدينة لان
السورة يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهي الى الارتفاع الذي يراد فالقران ايضا اية الى جنب اية حتى
بلغت السورة في عدد الاي المبلغ الذي اراد الله تعالى وقيل سميت سورة لانها ومنعت بالعلو
والرفعة كما ان سورة المدينة سمي سورا لارتفاعه قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك
دونها يتذبذب اي شرفا ورفعة وقيل سميت لاحاطتها بما فيها من الايات كما ان سور المدينة يحيط
بمساكنها وابنيتها وجمع سورة القران سور بفتح الواو مثل جملة وجمل وجمع سورة البنا سورا بالسكون
مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من اسارت في الانا سورا اي افضلت منه بقية ومنه
سور الدواب كانها قطعة من القران على حدة واما الاية فقد قال جمع من العلماء انها في القران عبارة عن
كلام متصل الى انقطاعه وانقطاع معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف الاية على التوقيف وقال غيرهم معناها
العلامة لانها تدل على نفسها بانفصالها عن الاية السابقة عليها والمتاخرة عنها وقيل معناها جماعة حروف
من قولهم خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم فلم يدعوا وراءهم شيئا وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لمباينتها
كلام المخلوقين من قولهم فلان اية من الايات واختلف في وزنها فقال الفرا وزنها فعلة بسكون العين واصلها
ايية فاستثقلوا التشديد فاتبعوه الفتحة التي قبله وقال الخليل واصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل
ايية قلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكسائي اصلها ايية فاعلة كضاربة فكاد يلزم
اليائين الادغام نحو دابة وخاصة ويكون مستثقلا فحذفوا احدى اليائين اما الكلمة فان تركيب ك ل م تفيد
القوة والشدة وتقاليب هذه الحروف الثلاثة بحسب اشتقاق الكبير ستة واحد مهمل والباقي
معتبرة منها ك ل م فمن الكلام لانه يقرع السمع ويوثر فيه وايضا يوثر في الذهن بواسطة
افادة المعنى ومنه الكلام للجرح وفيه شدة ومنها ك ل م لان الكامل اقوى من الناقص ومنها
ل ك م ومعنى الشدة في اللكم واضح ومنها م ك ل ومنه بئر مكول اذا قل ماؤها واذا كان
كذلك كان ورودها مكروها فيحصل نوع شدة عند ورودها وايضا انها تدل على شدة متابعها
ومنها م ل ك ملكت العجين اذا القيت عجنه ومنه ملك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد
تستعمل في اللفظ الواحدة وقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة
كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على
الكلام المركب مجازا اما من باب اطلاق الجزء على الكل واما من باب المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه
المفرد في الوحدة وافعال الله تعالى كلمات اما لانه تحدث بقوله كن او لانه تحدث في زمان قليل كما تحدث
الكلمة كذلك وعند النحويين الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وفايدة القيود تذكر في ذلك العلم والكلام
ما تضمنه كلمتين بالاسناد ومنكروا الكلام النفسي اتفقوا على ان الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلام
والاشاعرة يثبتون الكلام النفسي ويقولون ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا
وقد يسمى الكلمات والعبارات احاديث لان كل واحده منها يحدث عقيب صاحبتها قال تعالى
فلياتوا بحديث مثله وجمع الكلمة كلم والتاء في الكلمة لبيت للوحدة كاللبنة واللبن والرطبة والرطب

مطلب الكلمة

لان الرطب

لان الرطب واللبن مذكر والكلمة مونث وتصغير رطب رطيب وتصغير كلم كليمات بالرد الي كلمة ثم جمعه
بالالف والتا وقد يكون الكلام مصدرا بمعني التكليم كالسلام بمعني التسليم قال الله تعالى يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه فسره ابن عباس بتكليم الله تعالي موسي وقت المناجاة واما الحرف فهو الواحد
من حروف المعجم سمي حرفا لقلته ووقته ولذلك قيل حرف الشي لطرفه لانه اخره فالقليل
منه والحرف ايضا القراة بكمالها والقصيدة بتمامها والحرف ايضا الناقة المهزولة وقد يقال للسمينة
ايضا حرف فهو من الاضداد والحرف ايضا اللغة قال عليه الصلاة والسلام وعلى اله وصحبه وسلم
انزل القران علي سبعة احرف فالحرف ايضا احد اقسام الكلمة وذلك ان الكلمة ان احتاجت في
الدلالة علي معناها الافرادي الي ضميمة نحو من وقد فهو حرف والا فان دلت في اصل الوضع
بهيئتها التصريفية علي احد الازمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال فهو فعل نحو نصر
ينصر والا فهو اسم كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان اصلا ومثل اليوم والساعة والزمان
فان الزمان كل معناه ومثل الصبوح والغبوق لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل وضرب فان
معناه يدل علي الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب فانه لو سلم ان معناه يدل علي
الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منهما هيئة مخصوصة لكنها ليست في اصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو
عسي مما لا يدل علي زمان لان تجرده عن الزمان عرض لغرض الانشا ولا الفعل المستقبل يكون معناه
مقترنا بزماني الحال والاستقبال لان قولنا باحد الازمنة يخرج بلا دني درجات الاقتران ولو سلم
انه يجب الاقتران باحد الازمنة فقط فذلك في اصل الوضع ولا مانع لاقترانه بعد ذلك بزمان اخر بحازا

المقدمة السادسة في ذكر السبع الطول والمثاني والمايين والطواسيم والحواميم والمفصل

والمسبحات وغير ذلك فالسبع الطول مضمومة الطا مفتوحة الواو جمع الطولي كالفضلي والفضل هي
البقرة وال عمران والنسا والمايدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما نزلتا جميعا في مغازي
رسول الله صلي الله عليه وسلم وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال بعضهم
السابعة من السبع سورة يونس الانفال مع التوبة واما المثاني فسبع سورة تتلوا السبع الطول
اولها سورة يونس واخرها سورة النحل لانها تثنت الطول اي تلتها واحدها مثني مثل معني ومعاني
وقد تكون المثاني سور القران كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله
ولقد اتيناك سبعا من المثاني وقيل المثاني في هذه الاية ايات الفاتحة لانها نزلت مرتين او
لانها تثني في كل صلاة واما المايون فهي سبع اولها سورة بني اسرايل واخرها سورة المومنون لان كل
سورة منها نحو من ماية اية وقيل المايون ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد
السبع الطول هن المايون الي الحواميم وبعد الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شيت قلت هكذا
وان شيت قلت الطواسين التي قد تلت وفي الحديث واعطيت طه والطواسيم من الواح موسي واعطيت
فاتحة الكتاب واما الحواميم فان شيت قلت هكذا وان شيت قلت ال حم قال ابن عباس ان لكل شي لبابا
ولباب القران ال حم او قال الحواميم فكان من قال ال حم نسب السور كلها الي حم وهذه من
اسم الله تعالي بدليل قوله صلي الله عليه وسلم ان بيتتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمي الحواميم
عرايس القران عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدي قال قرات علي علي بن ابي طالب رضي الله عنه القران
في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت الحواميم قال لي زر بن حبيش قد بلغت عرايس القران فلما بلغت راس
العشرين من حم عسق والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاون عند ربهم
ذلك هو الفضل الكبير بكي حتي ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الي السما وقال يا زر امن علي دعايي ثم قال
اللهم اني اسيلك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقايق الايمان
والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزايم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من
النار يا زر اذا ختمت القران فادع بهولاء الدعوات فان حبيبي رسول الله صلي الله عليه وسلم امرني ان
ادعوا بهن عند ختم القران واما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الي اخر القران لكثرة الفصل فيها

قوله ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة هذا خلاف ما ذهب اليه الامام الشاطبي حيث قال ومهما تصلها او بدات براءة لتنزيلها بالسيف لست مبسملا م

بالبسملة وأما المسبحات فسور الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى لأن في فواتحهن ما يدل على التسبيح
وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها آية كألف آية وأفضل
المسبحات سبح اسم ربك الأعلى فقد كان العلماء يقرؤون هذه السورة في التهجد ويتعرفون بركتها وأما
المقشقشتان فسورة الكافرون والإخلاص لأنهما تبريان من النفاق والشرك يقال تقشقشه إذا برأه
وتقشقش المريض من علته إذا أفاق منها وبرأ وأما المعوذتان فالفلق والناس وقد يضم إليهما الإخلاص فيقال
المعوذات **المقدمة السابعة** في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف وهي في الأصل
واحدة فأول ذلك بسم الله وسبح اسم ربك ويشبه الاسم ومنه اسمه بالألف والأصل في ذلك كله واحد وهو أن
يكتب بالألف وإنما حذفت من اسم الله فقط لأنها ألف وصل ساقطة من اللفظ لكثرة استعمال الناس إياها في صدور
الكتب وفواتح السور وعند كل أمر يبتدأ به فأمنوا أن يجهل القارئ معناها وكتب فيما موصولا كل القرآن إلا في البقرة
في ما فعلن في أنفسهن بالمعروف وفيها في ما فعلن في أنفسهن من معروف وفي الأنعام في ما أوحي إلي محرما وفيها
ليبلوكم في ما آتاكم وفي الأنفال في ما أخذتم عذاب عظيم وفي الأنبياء في ما اشتهت أنفسهم وفي النور في ما أفضتم
وفي الشعراء في ما هاهنا آمنين وفي الروم في ما رزقناكم وفي الزمر في ما هم فيه يختلفون وفي الواقعة في ما
لا تعلمون فذلك اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك فموصول وكتب مما موصول كل القرآن إلا ثلاثة مواضع
في النساء فمن ما ملكت أيمانكم وفي الروم من ما ملكت أيمانكم وفي المنافقين من ما رزقناكم وكتب إنما موصولا
كل القرآن إلا في الحج وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وفي لقمان وأن ما يدعون من دونه الباطل وفيها
ولو أن ما في الأرض وكتب إنما موصولة كل القرآن إلا في الأنعام إن ما توعدون لآت وكتب لكي لا مقطوعة كل
القرآن إلا في ثلاثة مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الأحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا تأسوا
وكتب بئس ما مقطوعا حيث كان إلا في ثلاثة مواضع في البقرة بئسما يأمركم به إيمانكم وفيها ولبئس ما شروا به
أنفسهم وفي الأعراف بئسما خلفتموني وكتب أينما مقطوعا في جميع القرآن إلا أربعة مواضع في البقرة فأينما
تولوا وفي النحل أينما يوجهه وفي الشعراء أينما كنتم وفي الأحزاب أينما ثقفوا وكتب ألا موصولا كل القرآن إلا عشر
مواضع في الأعراف أن لا أقول على الله إلا الحق وفيها أن لا يقولوا على الله إلا الحق وفي التوبة أن لا ملجأ من
الله إلا إليه وفي هود أن لا تعبدوا إلا الله وفيها وأن لا إله إلا هو وفي الحج أن لا تشرك بي شيئا وفي يس أن لا تعبدوا
الشيطان وفي الدخان وأن لا تعلوا على الله وفي الممتحنة أن لا يشركن بالله شيئا وفي القلم أن لا يدخلنها
واختلف في ألا تعبدوا إلا إياه وما سواهن فهو مدغما بغير نون وكتب ألا بإسقاط النون كل القرآن كل
القرآن من غير استثناء مثل ألا تفعلوه وإلا تغفر لي وكتب ألن موصولا في كل القرآن إلا في الأنعام أن لم يكن
ربك وفي البلد أن لم يره أحد وكتب في هود فإلم يستجيبوا لكم موصولا مدغما وفي القصص فإن لم يستجيبوا
لك مقطوعا وكتب أمن موصولا كل القرآن إلا أربعة مواضع في سورة النساء أم من يكون عليهم وكيلا
وفي التوبة أم من أسس بنيانه وفي الصافات أم من خلقنا وفي حم السجدة أم من يأتي آمنا وكتب
موصولا إلا في الرعد وإما نرينك وكتب عما موصولا إلا في الأعراف عن ما نهوا عنه وكتب ألن مقطوعا
إلا ثلاثة مواضع في الكهف ألن نجعل لكم موعدا وفي المزمل ألن تحصوه وفي القيامة ألن نجمع عظامه وكتب
كلما موصولا إلا خمسة مواضع في النساء كلما ألقي فيها وفي نوح كلما دعوتهم وكتب يومهم موصولا إلا في المؤمن يوم
هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتب الرحمة في جميع القرآن بالهاء إلا سبعة مواضع في البقرة
أولئك يرجون رحمت الله وفي الأعراف إن رحمت الله قريب من المحسنين وفي هود رحمت الله وبركاته وفي مريم
ذكر رحمت ربك وفي الروم إلى آثار رحمت الله وفي الزخرف أهم يقسمون رحمت ربك وفيها ورحمت ربك فإنها
بالتاء وكتب النعمة بالهاء إلا إحدى عشر موضعا في البقرة واذكروا نعمت الله عليكم وفي آل عمران واذكروا نعمت الله
عليكم وفي المائدة اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم وفي إبراهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها وإن تعدوا نعمت الله وفي
النحل وبنعمت الله هم يكفرون وفيها يعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله وفي لقمان في البحر بنعمت الله
وفي الملائكة اذكروا نعمت الله عليكم وفي الطور بنعمت ربك بكاهن وكتب امرأة بالهاء إلا سبعة مواضع في آل عمران
إذ قالت امرأت عمران وفي يوسف امرأت العزيز تراود وفيها امرأت العزيز الآن وفي القصص وقالت امرأت فرعون

تنبيه

مطلب أن لا

ردوا إلى الفتنة أركسوا
وفي الأعراف كلما دخلت
أمة وفي سبحان
كلما خبت وفي
الملك كلما
أُلقي

وفي التحريم

وفي التحريم امراة نوح وامرات لوط وامرات فرعون وكتب سنة بالها كل القران الا خمسة مواضع في الانفال
مضت سنت الاولين وفي فاطر الاسنت الاولين فلن تجد لسنت الله تحويلا وفي المومن سنت الله التي قد
خلت وكتب معصية بالها حيث كانت الا في موضعين في المجادلة ومعصيت الرسول بالتا وكتب لعنة
بالها كل القران الا في ال عمران فنجعل لعنت الله وفي النور ان لعنت الله وكتب جنة بالها الا في الواقعة وجنت
نعيم وكتب شجرة بالها الا في الدخان ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالها الا في القصص قرت عين لي ولك
وكتب بقية الا في هود بقيت الله وكتب ثمرة بالها الا في حم السجدة من ثمرت من اكمامها وكتب كلمة بالها
الا اربعة مواضع في الانعام وتمت كلمت ربك وفي يونس حرفان كلمت ربك وفي المومن حقت كلمت ربك ه
وكتب غيابت الجب بالتا فهم على بينت منه بالتا وكتب كلما في القران من ذكر الاية بالها الا في العنكبوت
لولا انزل عليه ايت فانها بالتا وكتب فطرت الله وعزيت وافرايتم اللات ولات حين وذات بهجة
وهيهات هيهات ومريم ابنت عمران ومرضات بالتا وكتب الملا بالالف الا اربعة مواضع في المومنون
فقال الملوا الذين كفروا وفي النمل يا ايها الملوا افتوني يا ايها الملوا اني يا ايها الملوا ايكم يانيني فانها كتبت بالواو
وكتب في البقرة يبصط بالصاد وما سواه بالسين وكتب في البقرة بسطة بالسين وفي الاعراف بالصاد وكتب
في ال عمران منهم تقية بالبا وحق تقاته بالالف وكتب في اول يوسف والزخرف قرانا عربيا بغير الف وساير
القران قرانا بالالف وكتب في الاعراف ويونس بكل سحر عليم وفي الشعرا سحار عليم بالف بعد الحا وكتب
في الذاريات ساحر او مجنون بالالف وما سواه بغير الف وكتب في يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة
واختلف في قوله انا لننصر رسلنا في المومن وكتب في يونس ننج المومنين بنونين وحذف اليا وفي اخر يوسف
فنجي من نشا بنون واحدة وفي الانبيا وكذلك نجي المومنين باليا ونون واحدة وكتب جميع ما في القران
من ذكر الايد بيا واحدة الا في الذاريات والسما بنيناها بايد فانها كتبت بيايين والاصل كتبت بيا واحدة
وكتب الن بغير الف كل القران الا في الجن فمن يستمع الان فانه بالالف وكتب في حم السجدة سماوات
بالالف وما سواه كتب سموات بغير الف وكتب في اول سبا عالم الغيب بغير الف وكتب في البقرة خطيكم بحرف
واحد بين الطا والكاف وفي الاعراف خطيتكم بحرفين بينهما وكتب راء بغير يا كل القران الا في النجم لقد راى
من ايات ربه الكبرى وما كذب الفواد ما راى وكتب في يونس وما تغني الايات باليا على الاصل وفي القمر
فما تغن النذر بغير يا على اللفظ وكتب في البقرة يوتي الحكمة باليا وفي النسا سوف يوت الله بغير يا
وكتب ويمح الله الباطل بغير واو ويمحوا الله ما يشا بالواو والالف وكتب الداع بغير يا حيث كان الا قوله
اجيبوا داعي الله وكتب ثمود بالالف في حال النصب وهي في اربعة مواضع في هود والفرقان والعنكبوت
والنجم وكتب ثمود الناقة بغير الف وكتب في النمل وما انت بهادي باليا وفي الروم بهاد بغير يا والاصل
فيهما اليا وكتب في الحج ولولوا بالف وفي فاطر بغير الف وكتب في الاعراف قال ابن ام بالالف مقطوعا
وفي طه يا ابنوم بالواو موصولا وكتب في الحروف اصحاب الايكة بالالف وفي الشعرا وص ليكة بغير الف
وكتب في يوسف لذو علم لما علمناه وفي المومن ذو العرش وفي السجدة لذو مغفرة وذو عقاب
اليم وفي الجمعة ذو الفضل العظيم وفي البروج ذو العرش بغير الف في هذه المواضع وما سواه ذوا بالالف وكتب
الربوا بواو بعدها الف كل القران الا قوله وما اوتيتم من ربا فانه بغير واو وكتب لدا الباب بالف ولدى
الحناجر باليا وكتب ولا اوضعوا خلالكم ولا اذبحنه بزيادة الف وفي مصاحف الشام ولامة مومنة ه
بزيادة الف ايضا وكتب ايه المومنون وايه الساحر وايه الثقلان بغير الف وما سواها يا ايها وبابتها
بالالف وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا بالالف وفي الفرقان ام هم ضلوا السبيل وفي
الاحزاب وهو يهدي السبيل وهما راس اية وكتب في الانسان قواريرا بالالف قواريرا من فضة وكتب
في الانعام اينكم لتشهدون وفي الاعراف اينكم لتاتون الرجال وفي العنكبوت اينكم لتاتون الرجال
وفي حم السجدة اينكم لتكفرون باليا وما سواها بغير يا وكتب في الاعراف اين لنا لاجرا بغير يا وفي الشعرا
اين لنا لاجرا وكتب في النمل اينا لمخرجون باليا وكذا في الصافات اينا لتاركوا وما سواهما فهذا انا بغير
يا وكتب في الواقعة اينا باليا وفي ساير القران اذا بغير يا وكتب في هود في اموالنا ما نشاوا بالالف بعد

بالبا بعدها الالف
دواو

الواو ومثله في الانعام يانيهم انباؤا وفيها انهم فيكم شركوا وفي عسق ام لهم شركوا وفي الروم من شركايهم شفعوا
وفي ابراهيم فقال الضعفوا وفي الشعرا فسياتيهم انبوا وفيها ايضا ان يعلمه علموا وفي فاطر من عباده العلموا
وفي الصافات لهو البلوا وفي حم الاولى وما دعوا الكافرين وفي الدخان وما فيه بلوا وفي الممتحنة
انا برءوا وكتب جزاء بالرا والا في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امروا هلك ويتفيوا ظلاله ويعبوا بكم
واتوكوا عليها وتفتوا تذكر ويدروا عنها وينوا الذين وينوا الخصم وينشوا في الحلية ولا تظموا فيها
ويبدوا الخلق وما اشبههما بواو والف ليفقوا انها الهمزة المضمومة اوعلى لغة من لا يهمز ولو كتب كلها
بالواو وحدها او بالالف وحدها لجاز وكتب في الانعام من نباى المرسلين بيا بعد الهمزة وكذلك
في يونس من تلقاي نفسي وفي النحل وايتاي ذي القربى وفي طه ومن اناى الليل وفي عسق او من
وراى حجاب وكتب ما في القران من ذوات الواو بالالف مثل دعا وعفا وتلا الا دحيها وتليها وطحيها
وسجى وما زكى وذوات اليا فكتب باليا مثل هدى ورمى وقضى الا ما فاهي مضا مثل الاولين وجنا الجنتين
دان وطغا الما واقصى المدينة واحيا الناس وكل يايين اجتمعتا في كلمة مثل الدنيا والعليا حذفت الاخيرة
الفا كراهة الجمع بين اليايين الا في قوله يحيي واماتت واحيى في بعض المصاحف وكتب الركوة والحيوة ومثره
وكمشكوة وبالغدوة بالواو وكتبت الصلوة بالواو الا في الانعام وهم على صلاتهم يحافظون وصلاتي
ونسكي وفي الانفال وما كان صلاتهم وفي اول المومنين في صلاتهم خاشعون وفي الواقعة على صلاتهم داعون
وفيها على صلاتهم يحافظون وفي ارايت عن صلاتهم ساهون وكتب فاذا لا يوتون الناس نقيرا ولا يكونا
من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف والوقف عليها بالالف وكتب في البقرة واخشوني ولاتم باليا
وفي المايدة واخشون اليوم واخشون اليوم ولا بغير يا وكتب في يوسف ومن اتبعني وسبحان الله باليا وفي
ال عمران ومن اتبعن وقل بغير يا وكتب في سبحان لين اخرتن بغير يا وفي المنافقون لولا اخرتني باليا
وكتب في يوسف ما نبغي باليا وفي الكهف ما كنا نبغ بغير يا وفي هود يوم يات لا تكلم بغير يا وفي النحل
يوم تاتي كل نفس باليا وفي الدخان تاتي السما باليا وفي الانعام وقد هدان بغير يا وفي هود فكيدوني
جميعا باليا وفي هود فلا تسالن بغير يا وفي الكهف فلا تسالني باليا وفي الكهف ان يهدين ربي بغير
يا وكذا في ال عمران فاتبعوني يحببكم وفي القصص ان يهديني سوا السبيل باليا وفي طه فاتبعوني
واطيعوا امري باليا وفي الزخرف فاتبعون هذا بغير يا وكذا في المومن وفي الاعراف فهو المهتدي
باليا وفي سبحن والكهف فهو المهتد بغير يا وفي ابراهيم قل لعبادي الذين امنوا باليا وفي الزمر
فبشر عباد الذين بغير يا وكتب الذي والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب
جزاء بغيروا وهزوا وكفوا بالواو وكتب بين المرء وجزء مقسوم ويخرج الخب وملء الارض ودفء
باسقاط الهمزة ومن غرايب الهجا ونوادره ما كتب في الفرقان وعتوا عتوا كبيرا بغير الف وفي سبا
والذين سعو بغير الف وفي القلم بايكم المفتون بيايين وفي ال عمران افاين مات باليا وفي الانبيا
افاين مت بغير يا وكتب انا قتلنا ونحوه بالالف وكتب فادرهم ليس بين الدال والرا ولا بين الرا والها
الف في جميع المصاحف وكتب في الحاقة لبيان الحركة كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وفي القارعة
ماهيه باثبات الها واختلف في لم يتسنه بعد بهم اقتده ان الها فيهما لبيان الحركة اولغير ذلك وكتب
في سورة النسا فمال هولا القوم وفي الكهف مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا الرسول
وفي الواقعة فمال الذين كفروا اللام فيها مقطوعة مما بعدها واعلم ان هجا المصحف كثير وقد ذكرنا
منها ما نتوقع للقاري واكثر فايدة واما الحزبيات كلها فقد راعيناها الا ما شا الله في كتابة متن
القران من هذا الكتاب كما بلغنا عن من تقدمنا من السلف الصالحين والعلما المتقنين ورووا انهم
وجدوها في الامام كذلك وسنراها في مواضعها ان شا الله وانما كتبت هذه الحروف بعضها على خلاف
بعض وهو في الاصل واحد لان الكتابة بالوجهين كانت جايزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه
وبعضها على وجه اخر جمعا بين المذهبين على انهم كتبوا اكثرها على الاصل وكل ما كتبنا في المصحف على اصل
لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القران يلزمه لكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع المصحف سـ

في هجايه

مطلب تضمن الحروف والمصاحف

في تهجاته واجب ومن طعن في شيء من تهجاته فهو كالطاعن في تلاوته لانه بالهجاء يتلى والفايدة للقاري
في معرفته ان يكون على يقين ان الذي يقراه هو القران الذي انزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
بلا اخلال فيه من جهة من الجهات وقال جماعة من الايمة ان الواجب على القراء والعلماء والكتاب
ان يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكاتب وحيه وعلم من هذا العلم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم غيره
فما كتب شيا من ذلك الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنه راينا الا ترى انه لو كتب على
صلاتهم وان صلاتك بالالف بعد الواو وربا بالالف من غير واو ولما دل ذلك الا على وجه واحد
وقراءة واحدة وكذلك وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار كتب وسيعلم الكفر بغير الف قبل الفا ولا بعدها
ليدل على القراتين والله تعالى اعلم **المقدمة الثامنة** في اقسام الوقف قطع الكلمة

الوقف اللازم

اسما او فعلا او حرفا عما بعدها ولو فرضا وله عند اكثر الايمة خمس مراتب لازم ومطلق وجايز
ومجوز لوجه ومرخص ضرورة فاللازم من الوقف ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله
تعالى وما هم بمومنين اذ لو وصل بقوله يخادعون الله صارت الجملة صفة للمومنين فانتفى الخداع
عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هو بمومن مخادع ومراد الله جل ذكره نفي
الايمان واثبات الخداع وفي [illegible] ذلك كثيرة يوصلك المرور بها الى العثور عليها والمطلق
ما يحسن الابتدا بما بعده كالاسم المبتدا به نحو الله يجتبي اليه من يشا وكالفعل المستانف مع
السين نحو سيقول السفها سيجعل الله بعد عسر يسرا وبغير السين نحو يعبدونني لا يشركون بي
شيا الى غير ذلك من النظاير والجايز ما يتجاذب فيه طرفا الوصل والوقف مثل وما انزل من قبلك
لان واو العطف يقتضي الوصول وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون
بالاخرة والمجوز لوجه مثل اوليك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة لان الفا في قوله فلا يخفف
للتعقيب يتضمن معنى الجزا والجواب وذلك يوجب الوصل الا ان نظم الفعل على الاستيناف يري للفصل
وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغني عن سياق الكلام لان فاعله ما بعده عما قبله لكن يرخص الوقف
ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام ولا يلزمه الوصل بالعود لان ما بعده جملة مفهومة كقوله
والسماء بناء لان قوله وانزل لا يستغني عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى المصرح المذكور
قبله غير انها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق واما ما لا يجوز الوقف
عليه فهو واجبه وموقعه كثيره وسيتلى عليك مواقع الفصل والوصل في جميع القران مع علل ذلك

مطلب علامات الوقف

مفصلة ان شا الله وبعضهم قسم مراتب الوقوف الى ثلاثة التام والكافي والحسن ولا مشاحة
في الاصطلاحات بعد رعاية المعنى وليكن علامة اللازم م وعلامة المطلق ط والجايز ج
والمجوز ز والمرخص ص وما وقف عليه فعلامته لا وعلامة الاية دايرة صغيرة هكذا ٥ وانما
التزمنا ايراد هذه الوقوف لدقة مسلكها وبلوغها في الغموض الى حيث قصر والبلاغة على معرفة
الفصل والوصل الا ان ذاك بحسب الصياغة وما نحن فيه بطريق الصناعة وكلا منهما تابع لارتباط
المعنى بالمعنى وانفصاله عنه بالكل وبالبعض وسيتلى عليك تفاصيلها وبالله التوفيق
المقدمة التاسعة في تقسيمات يعرف منها اصطلاحات مهمة اللفظ اما ان يعتبر دلالته
على تمام مسماه او على لازمه الذهني اول دلالة مطابقة كدلالة البيت على مجموع الحايط والسقف
والثاني دلالة تضمن كدلالة البيت على السقف او الحايط والثالث دلالة التزام كدلالة السقف
على الحايط والدلالة الاولى وضعية صرفة والباقيتان يشاركه من الوضع والعقل تقسيم اخر
اللفظ اما ان يقصد بجزمنه دلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد
وهو المفرد ويشمل ما لا جزء له اصلا مثل ق علما وما كان له جزء لكن لا يدل على معنى اصلا نحو زيد
وما كان له جزء دال على معنى لكن لا في ذلك المسمى نحو اسد الله علما لشخص انسانى وما له جزء
دال على معنى في ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له تقسيم اخر اللفظ المفرد باعتبار

وحدته ووحدة مدلوله وتعددهما اربعة اقسام الاول اللفظ واحد والمدلول واحد الثاني مقابل
ذلك اي اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد
واللفظ كثير فالاول انه اشترك في مفهومه كثيرون بمجردا عن سبب من خارج فهو الكلي
ويقال له اسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجود او معدوم والموجود اما واحد او كثير والواحد
اما ان يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكوكب او غير متناه
كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير
فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها اولى او اولى او اشد كالموجود للخالق والمخلوق
فان وقوعه على الخالق اول واولى او اشد كالابيض على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد
فاللفظ مشكك لانه يشكك السامع في انه متواطئ نظرا الى اشتركوا الكل في اصل المعنى او مشترك
نظرا الى اختلافها في ذلك وان لم يكن في وقوعه تفاوت فمتواطئ كالانسان بالنسبة الى افراده فان
كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها وان لم يشترك في مفهومه كثيرون فهو الجزئي علم ان استقل
في الدلالة بحيث لا يحتاج الى من ينظر اليه من قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد
والاستتارة مضمر ان احتاج الى احد القرائن الثلاث الاول ومنهم ان احتاج الى شيء من الباقيين
والعلم اما اسم كابراهيم وموسى وعيسى واما ان يكون لقبا اشتهر المسمى به مدحا او ذما كاسرائيل
او كنية وتختص بما في اوله الاب او الام او البنت او الابن نحو ابي لهب وام الزبير وابنة عمران
وابن مريم وقد يكون العلم علم الجنس باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجية اولى بذلك من
بعض لكونه للحقيقة الذهنية ليس فيها معنى الاستغراق والوحدة الخارجية واذا اطلق على فرد من
الافراد الخارجية نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل المطابقة الحقيقة الذهنية لكل فرد خارجي
مطابقة كالكلي طبيعي لجزئياته فهذه تمام اقسام القسم الاول وهو ان اللفظ واحد والمعنى واحد
الثاني من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان كان اللفظ حقيقة للمتعدد من مدلولاته
بان كان موضوعا للجميع فمشترك والا فمنقول ان نقل من الموضوع الى معنى اخر لعلاقة واشتهر فيه
عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان كان العرف الخاص وشرعي ان كان الشرع والا
فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان انتقل من الملزوم الى اللازم
وكناية ان كان بالعكس وان نقل لا لعلاقة فمرتجل الرابع من الاقسام مترادفة كالليث والاسد ولا
يخفى ان القسمين الاوليين والقسم الرابع تلتئمها نصوص في معناها اما الاول فاتحاد المعنى الموجب
لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثرة اللفظ والمعنى فلانه يكون لكل معنى لفظ فيتحد
فلا يحتمل اللفظ غير ذلك واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد
والمعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر وماول لان اللفظ بالنسبة الى تلك المعاني ان كان متساوي الدلالة
فهو المجمل وبازائه المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو الماول والاول كقوله
تعالى ثلاثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو اقيموا الصلوة
فان كان الامر كما يحتمل الوجوب يحتمل الندب والصلوة كما تحتمل ذات الاركان تحتمل الدعاء الا ان الامر
بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى الهيئات المخصوصة راجحة والثالث يد الله فوق ايديهم
فان اليد تحتمل القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر
ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والماول ويشملهما المتشابه والنص يمتاز عن الظاهر
بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والماول مرجوح والتاويل
اشتقاق من آل يؤول اي رجع وفي الاصطلاح كما تقرر الظاهر على المحتمل المرجوح فيشمل التاويل
الصحيح والتاويل الفاسد فان اريد التاويل الصحيح فقط زيد في الرسم بدليل يصيره راجحا اي بحسب
ذلك الدليل وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا او عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا
عرفت الاقسام الاربعة باسرها فنقول كل واحد منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود

والضارب

والمناسب بالاضافة الى الوجود والعرب فان معنى الاشتقاق ان تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب
فترد احدهما الى الاخر وقد يكون غير مشتق ان تعد له اصل كالوجود والانسان وغير المشتق صفة ان دل
على معنى قايم بالذات كالعلم والكتابة وغير صفة ان لم يدل كالجسم مثلا **تنبيه** العلاقة المعتبرة في
المجاز انما تقع بحكم الاستقراء على اثني وعشرين وجها **منها** الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل
الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وبهذا معظم انواع المجاز لانه اطلاق اسم الملزوم على اللازم واكثر المجازات بل
جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان للصورة المنقوشة **ومنها** كونه ايلا الى ذلك
كالخمر للعصير او كاينا عليه كالعبد على من اعتق **ومنها** المجاورة مثل جرى الميزاب اذ الجاري في الحقيقة هو
الماء لا الميزاب المجاور له **ومنها** اطلاق اسم الحال على المحل مثل واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم
فيها خالدون اي في الجنة لانها محل الرحمة **ومنها** عكسه كقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضض الله فاك
اي اسنانك اذ الفم محل الاسنان **ومنها** اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله صلى الله عليه وسلم بلوا
ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها فانهم لما راوا بعض الاشيا يتصل بالندا ومنه استعاروا البل للوصل **ومنها**
عكس ذلك كقولهم للخمر انما الاثم لكون الاثم مسببا عنها **ومنها** اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في اذانهم
اي انامله ومنها العكس نحو كل شي هالك الا وجهه اي ذاته ومنها اسم المطلق على المقيد كقوله فيا ليت
كل اثنين بينهما هوى من الناس قبل اليوم يلتقيان اي قبل يوم القيامة **ومنها** العكس كقول شريح اصبحت
ونصف الخلق علي غضبان يريد المحكوم عليهم وظاهر انهم ليسوا النصف سوا ومنها اسم الخاص على العام كقوله
سبحانه وحسن اولئك رفيقا اي رفقاء **ومنها** العكس كقوله سبحانه **حكاية** عن محمد صلى الله عليه وسلم
وانا اول المسلمين لان الانبياء قبله كانوا كذلك ومنها كون المضاف محذوفا كقوله واسيل القرية ومنها كون المضاف
اليه محذوفا كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا اي انا ابن رجل جلا ومنها اطلاق اسم الة الشي عليه مثل واجعل لي
لسان صدق اي ذكرا حسنا لان اللسان الة الذكر ومنها اطلاق اسم الشي على بدله كما يقال فلان اكل الدم
اي ديته قال ياكلن كل ليلة اكافا اي ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله عز من قايل علمت نفس ما احضرت
اي كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين على الاخر مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة
ومنه قولهم قاتله الله ما احسن ما قال يريدون الدعا له **ومنها** اطلاق المعرف باللام وارادة
واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اي بابا من ابوابها وسيجي ومنها الحذف نحو يبين لكم ان تضلوا اي
لئلا تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شي **واعلم** ان المجاز بالحقيقة فرع من فروع التشبيه لانك اذا قلت
زيد اسد فكانك قلت زيد كالاسد في الجراة فيستدعي مشبها ومشبها به ووجه الشبه بينهما والمشبه والمشبه به
قد يكونان حسيين كقولك خد كالورد او عقليين كالعلم اذا شبه بالحيوة او احدهما محسوسا والاخر معقولا
كالعطر اذا شبه بخلق كريم او كالعدل اذا شبه بالقسطاس والخياليات كالشقيقة اذا شبهت باعلام ياقوت
منشرة ملزوزة في زبر الجنات والوهميات في قولك نطقت الحال بشي هو لها شبيه باللسان وانه صورة وهمية
محضة وكذا الوجدانيات كاللذة والالم والشبع والجوع ملحق بالعقليات ووجه الشبه اما ان يكون امرا
واحدا او لا وح اما ان يكونا في حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشان
وعلو الرتبة او يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط النار اذا شبه بعين الديك في الهيئة
الحاصلة من الحجم والشكل الكبري والمقدار المخصوص واما اوصافا فمقصودا من مجموعها هيية واحدة كقوله
كان مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف
بالكواكب انما المراد تشبيه الهيية الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض حال كون السيوف متصرفات فيه بالهيية
الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانب منه وتسمى هذا تشبيه المركب بالمركب ومتى كان وجه
التشبيه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل كما في قوله عز من قايل مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا الاية وسيجي تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلي اذا فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سمي
مثلا كقولك لمن تردد في امر يقدم رجلا ويؤخر اخرى تريد انك كمن تقدم رجلا وتؤخر اخرى وذلك الاستعارة
هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به والا على ذلك باثباتك

مطلب العلاقة في المجاورة

حاشية
قال الشاعر
شربت الاثم حتى ضل عقلي * كذاك الخمر تفعل بالعقول

للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام اسد وانت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فيثبت للشجاع
ما يخص المشبه به وهو اسم اعني الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه
ومشبه به فاذا افردت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان
المستعير يجوز به مثلا في قولك زيد اسد يجري في معرض المستعار منه وهو الاسد نظرا الى الدعوى وهذا
شان العارية وانما جراهم على الدعوى ما راوا بينهما من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة فالاستعارة في
نحو عندي اسد اذا لم تعقب بصفات وتفريع كلام لا تكون مجردة ولا مرشحة لفقد موضوعي التجريد والترشيح وانما
يلحقها التجريد والترشيح اذا اعقبت بذلك فمتى عقبت بصفات ملايمة للمستعار له سميت مجردة نحو شاورت
اسدا شاكي السلاح طويل القناة واذا اعقبت بصفات ملايمة للمستعار منه سميت مرشحة نحو شاورت اسدا
وافي البراثن هصورا وقد بقي من الاصطلاحات قولهم هذا عام او خاص او مطلقا ومقيد فالعام ما دل على مسميات
باعتبار امر اشتركت فيه مطلقا ضربة فقولنا ما دل ليشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعاني ايضا
حقيقة لقولهم عم المطر والخصب وكذا المعنى الكلي كالانسان لشموله الجزئيات التي تحته وقولنا على مسميات ليخرج المثنى
وليدخل المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على اشيا لخرجا بناء على انهما ليسا بشيء وقلنا باعتبار امر اشتركت تلك
المسميات فيه ليخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد النكرات فانها وان دلت على مسميات فهي احاد
لكن لا باعتبار امر اشتركت هي فيها بل باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذي اجزاء حسية او
عقلية وقولنا مطلقا ليخرج الرجل المعهود فانها بقرينة العهد وضربة احتراز من نحو رجل فانه وان دلت
على مسميات باعتبار كونه منها ذكرا من بني ادم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا يخرج نحو رجال اذا
تاملت فهذا حد العام والخاص بخلافه وهو ما دل لا على مسميات الى اخره فمن صيغ العموم اسما الشرط والاستفهام
مثل من وما والموصولات نحو الذي والتي والجموع المعرفة تعريف الجنس مثلا غلامي والغلام والنكرة في سياق النفي نحو
ما في الدار احد والتخصيص قصر العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص ايضا على قصر اللفظ على بعض ما تناوله
وان لم يكن ذلك اللفظ عاما كما يطلق عليه ايضا انه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين
المعهودين وضماير الجمع ولا يستقيم تخصيصه الا فيما يستقيم توكيده بكل لكونه ذا اجزاء يصح افتراقه حسا او حكما الا النكرة
مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاءني رجال كرماء والمخصص اربعة اشيا الاول الاستثنا بالا ونحوها
والثاني الشرط وهو ما يتوقف تاثير المؤثر عليه لا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه اقتضاء الرجم لا وجود
الزنا والثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية نحو اتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص
بالمتصل وقد يخص بالمنفصل وذلك اما العقل كقوله تعالى الله خالق كل شيء واما الحس نحو واوتيت
من كل شيء واما الدليل السمعي فكقوله عز من قائل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء خصصه
الاية الاخرى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ويوصيكم الله في اولادكم خصصه قوله صلى
الله عليه وسلم القاتل لا يرث والمطلق هو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي هي ويلزم منه تمكن المامور
من الاتيان بفرد منها اي فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا باتيان فرد منها وذلك اما في معرض
الامر مثل اعتق رقبة او مصدر الامر كقوله تعالى فتحرير رقبة او الاخبار عن المستقبل مثل ساعتق
رقبة ولا يتصور الاطلاق في معرض الخبر المتعلق بالماضي مثل رايت رجلا ضرورة تعينه باسناد
الرؤية اليه والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شايع في جنسه فيدخل فيه الدال على المعين
مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وانا وانت والدال على شايع لا في جنسه بل في افراده كالعام فهو مقيد لغة
لا اصطلاحا ويطلق المقيد على ما اخرج من شيا بوجه بان يذكر الدال على الماهية بوصف زايد عليها كرقبة مؤمنة
فانها وان كانت مطلقة في جنسها من حيث هي رقبة مؤمنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهي مطلقة
من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص العام فيجوز التقييد بالمتصل استثناء كان او صفة او شرطا او غاية
او بدل بعض وبالمنفصل عقلا كان او نقلا كتابا او سنة **تتمة** اخر التركيب المفيد اعني الكلام قسمان
احدهما الذي يحتمل ان يقال لقائله صدقت او كذبت من حيث ذلك التركيب لا من امر خارج عن ذات التركيب
ويقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال العقل تواطؤهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر الواحد

والثاني ما لا يحتمل ذلك ويقال له الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية والشرطية
والظرفية والثاني نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه امكان الحصول وهو التمني ونوع يستدعي في مطلوبه
ذلك ثم ان كان طلب فعل فامر وان كان طلب ترك فنهي وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب اقبال
فنداء ومتى امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالاستبطاء والاغراء والتعجب
والتوبيخ ونحو ذلك **تقسيم** اخر الحكم خطاب الله او من اذن له الله متعلقا بافعال المكلفين
بالاقتضاء او التخيير او الوضع اما التخيير فيراد به الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك
وهو الوجوب او مع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع الفعل وهو الحظر والتحريم او مع جوازه
وهو الكراهة واما الوضع فيراد به ما جعله الشارع بوضعه دليلا على شي كدلوك الشمس على وجوب الصلوة
او سببا للشي كالزنا لوجوب الحد او شرطا كالوضوء لصحة الصلوة واما الصحة والبطلان او الحكم بهما فامر
عقلي لا حكم شرعي لان صحة العبادات اما كون الفعل مسقطا للقضاء كالفقها واما موافقة امر الشرع كالمتكلمين
ولا شك ان العبادة اذا اشتملت على اركانها وشرايطها حكم العقل بصحتها بكل من التفسيرين سواء حكم
الشارع بها اولا والصحة في المعاملات ايضا حكم عقلي لانها فيها كون الشي بحيث يترتب عليه اثره واذا كان
البيع مشتملا على الاسباب والشرايط وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب اثره عليه سواء حكم الشرع بها او لم يحكم
وقس البطلان والفساد على ما قلنا وكل حكم ثبت على خلاف الدليل المعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر
والقصر والفطر للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والافرعية واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى
عليك المقصود من ايرادها لان معاني كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه ومنها مجمل ومبين ويندرج
فيها المنسوخ والناسخ باعتبار ولان النسخ بيان انتهاء الحكم الشرعي ومنها عام وخاص ومنها ما
مطلق ومقيد ومنها امر ونهي ومنها ظاهر ومأول ومنها حقيقة ومنها تنبيه وتمثيل ومنها كناية
وتصريح ومنها الكلي والجزئي ومنها الخبر والطلب باقسامهما ومنها الاحكام باصنافها ولا ريب
ان تصور هذه الاصطلاحات وتذكرها في علم التفسير امر مهم والله تعالى اعلم **المقدمة
العاشرة** في ان كلام الله تعالى قديم اولا ذكر قوم من الائمة ان كلام الله تعالى قديم بعد ان عنوا
بكلام هذه الحروف المنتظمة المسموعة اما ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وان احد من
المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله تعالى ومعلوم ان المسموع ليس الا هذه الحروف واما انها قديمة
فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم وايضا كل حادث متغير والتغير عن ذات
الله تعالى وصفاته محال وزعم قوم ان الكلام المولف من الحروف والاصوات يمتنع ان يكون قديما بالبديهة
وكيف لا وانها اصوات تحدث عند القاري شيا بعد شي فلو قلنا انها عين كلام الله تعالى لزمنا القول
بان الصفة الواحدة بعينها قايمة بذات الله وحالة في بدن هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم
بين المذهبين فقال للشي وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في العبارة ووجود في الكتابة
فللقران وجود عيني وهو القايم بذات الله تعالى وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شي من سمات النقص
ووجود ذهني كما لحفاظ القران ووجود في العبارة وهو على لسان القاري ووجود كتابي وهو المثبت
في المصاحف ولا ريب ان القران حيثيات في هذه الوجودات بل القران انما يطلق على المحفوظ والمتلو والمكتوب
بالمجاز من حيث انها دالة على الكلام القايم بذات الله تعالى **واعلم** انه لا برهان على ان كل صوت
فانه يقوم بجسم ولا على ان كل حرف فانما يقدر عليه ذو جارحة بل لولا ذلك في الشاهد فقط فالكلام للقديم
كما قدم نطقه واسمع وابصر ولا اله ولا جارحة كما انه ادرك وعلم من غير ما قوى وعضو ومن لم يدرك كما
ينبغي لا يدرك ادراكه لما ينبغي فلا يلومن الا نفسه كلامه كتاب وكتابه صواب وقوله فصل وحكمه عدل
نوره ظهور ووجوده شهود وعيانه بيان والكفر بما سواه ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام **المقدمة الحادية عشر** في كيفية استنباط المسايل الكثيرة من
الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا في تفسير قول القايل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فههنا مباحث
لفظية ومباحث معنوية اما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق

مطلب للمفسر اللازم

قلت قال بعض السلف العالم ان كلام الله مكتوب في مصاحفنا نقرؤه بالسنتنا محفوظ في قلوبنا غير دال فيها كان انا السامع يذكر على الالسنة ما ان الناس مكتوب على القرطاس غير حال فيها

مطلب النفس اعوذ

بعلم الاشتقاق ومنها ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعني المحسنات
اللفظية واما المعنوية فمنها ما يتعلق بالمعاني ومنها ما يتعلق بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها
ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه ومنها ما يتعلق بالفقه ومنها ما يتعلق بعلم الاحوال
اما القراءة فكما مر واما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه كذا واسم الله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا
والباء من واللام معا بينها ههنا كذا فكل واحد منها مسئلة واما الاشتقاق فان اعتبرنا الاشتقاق الكبير وقلنا
ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ هل هي مستعملة او مهملة فاصل المعنى. وكذا كلا من تراكيب ال شرط ن
او شرى ط ومن تراكيب رجم واذا كانت مستعملة فاصل المعنى في كل من المستعملات كيف يعتبر فيحصل
مسايل كثيرة وان اعتبرنا الاشتقاق الصغير فهو للعوذ معنى اخر غير الالتجاء وان كان فما به الاشتراك
بينهما اي شي هو فيحصل مسايل واما الصرف فكان يقول اعوذ فعل مضارع متكلم واصله اعوذ مثل اطلب
نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله اصله الاله كالناس اصله الاناس فعال بمعنى مفعول
نقلت الكسرة من الهمزة الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى وادغمت في الثانية
وقالوا يا الله في النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض من المحذوفة فان قلت يا اله وقيل اصله لاه لحقوا بها الالف
واللام وانشدوا الحلقة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار ولو عدّ هذه المسئلة من اللغة جاز لانه غير قياس
والشيطان فعلان او فيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول وكلاهما للمبالغة فهذه مسايل واما النحو فاعوذ فعل
فاعله ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم نحو سرت
من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان معرف مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا علم فهذه مسايل
واما البديع فان تقول انما اختير الرجيم دون اللعين او المرجوم مثلا ليوافق الفاصلة الاخرى وهو الرحيم
اذا ابتدى القاري بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثر مع ان اول القران ايضا البسملة واعتبار الاستعاذة
ههنا اولى وليكون تجنيسا خطيا وترصيعا واما المعاني فان تقول انما اختير المضارع على الماضي ليدل على الاستمرار
والدوام اي شاني اني اعوذ كقولك يشرب الخطيب وانما لم يقل انا اعوذ فانا عايذ وان كانت الجملة الاسمية تدل
على الثبوت لان المراد اني على تجدد هذا المقول مني لحظة فلحظة ثابت مستمر لا ان عوذي مستمر ويمكن ان يقال المراد اني
اعوذ في حال القراءة لقوله تعالى فاذا قرأت القران فاستعذ فتعين ايراد لفظ المضارع لانه مشترك بين الحال والاستقبال
وانما لم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما يقال في بسم الله ابتدي لان الاستعاذة ههنا اهم امتثالا للامر ولانه لا يعوذ
الا بالانقطاع عن الغير والتبري سوى الحق جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص ولانه موافق لما ورد في القران فاستعذ
بالله وانما اختير اسم الله لانه كالعلم والمقام مقام احضاره في ذهن السامع بعينه ليكون ادل على انقطاعه عما
سواه وانما ذكر الشيطان معرفا باللام الجنسي ليدل على وجود الحقيقة التي هي مادة كل شر فيشمل كل فرد منها ضرورة
وجود الحقيقة في اي فرد يفرض ولو اريد العهد ايضا جاز كما مر ولو نكرت فان قلت من شيطان رجيم لم يفد العموم وان
قلت من كل شيطان لا طلق والمقام مقام اختصار فانما وصف بالرجيم لان المقام مقام تاكيد وذم ابلغ من البعد
عن حضرة من هو منشا كل كمال ومصدر كل خير واما البيان فان قوله اعوذ معناه التصق ولا ريب ان الالتصاق بالله
محال لان ذلك من شان الاجسام فالمراد التصق برحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوي وفي نفس الالتصاق ايضا
بعد تقرير الرحمة تجوز يعود على ما لا يخفى ولو اريد بالشيطان شيطان الانس ايضا وثبت كون اللفظ موضوعا لشيطان
الجن فقط كان استعاذة واذا قدرنا الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان ايضا واما ما يتعلق
بالاستدلال فاما من جهة التصور واما من جهة التصديق اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقعة
في التركيب من مفهوم العوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم وان كلا منها كيف يعرف بالحد او الرسم
فان عرف بالحد فكيف يترتب جنسه وفصله وان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه واما معرفة الجنس والفصل واللوازم
انفسها لكل منها ففي الامور العامة واما الثاني فان قولنا اعوذ لفظه خبر ومعناه انشاء دعاء اي اللهم اعذني او انشاء نحو
بعت واشتريت واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على احدهما واستعمال
الخبر في معنى الطلب من مسايل علم المعاني ايضا واما ما يتعلق باصول الدين فان يعلم ذات الله وصفاته
من انه قادر مختار عليم سميع الى غير ذلك من الصفات التي بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار والشرور عن المستعيذ

بحيث

مطلب اعوذ اعلال

مطلب رجيم

بحيث لا يمنعه مانع ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته بنحو ما سبق في المقدمة الاولى
واما ما يتعلق باصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة في الكتاب والسنة واجبة ام لا بل مندوبة وان كانت
واجبة فيتكرر بتكرر القراءة ام لا وانها تقتضي الفور ام يحتمل التراخي واما ما يتعلق بالفقه فانها تستحب في الصلوة
ام لا وان استحبت فيجوز في المكتوبة ام لا وان جازت ففي كل ركعة ام في الاولى وحدها ويسر بها او يجهر واما ما
يتعلق بعلم الاحوال فكالنكت التي ذيلنا بها **المقدمة الثانية** وانها لا تكاد تنحصر فهكذا يجب
ان يستنبط السائل من كل كلام يراد تفسيره من غير ان يتخطى في شيء من ذلك الى ما ليس من العلم كان يقول
في قراءات الاستعاذة القراءات المشهورة سبع هو كذا وكذا ورواة كل قراءة مرهم وما منشا كل قراءة وفي
اللغة ان من هو وكيف نشات اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدته وفي الصرف انه معرفة احوال
الكلم التي ليست باعراب ومن جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناه وما دل الفعل والكلمة الى غير
ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث الحرف والصوت بل مقولة الكيف وفي النحو ان التركيب
مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف ومبني وما سبب الاعراب والبنا والصرف
ومنع الصرف وانواع الاعراب كم هي وكل منها يختص باي شيء من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ثم يختص
بكل صنف ما يختص واصناف الفعل كم هي واصناف الحرف كم هي ولا سيما حروف الجر وما معنى كل منها الى
غير ذلك وبالجملة في كل علم يوجد منه نكت مخصوصة بهذه المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما
فوق ذلك من القواعد والقوانين لزم ايراد كل العلوم او اكثرها في تفسير كلام واحد وانه محال شنيع
اذ يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وايضا لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من انواع الضلالات
والجهالات والعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة في المسيلة الانسية مثلا وغيرها او فسر بما هو مباين عنه
كانواع الافات واصناف المخافات حتى يلزم تكثير المسائل لم يخل عن التعسف والاعنات ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد
نطق بالخلف وزاغ عن الجادة وانحرف عن سواء السبيل نعم لو اورد طرف من الاصطلاحات والمسائل على سبيل
التقدير من غير اشارة الى ماخذها الاصلية ودلائلها الكلية لا نادرا اجازة لم يتجاوز حد الضرورة ومقدار الواجب
كما اشرنا اليها في المقدمات وقد بقي مما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر ابتدا الوحي وكيفية نزول القران شيئا بعد
شيء وبيان كيفية اعجاز القران ونحن رأينا الاليق بها ايرادها في مواضعها اذا افضت النوبة اليها فلنشرع الان
في المقصود وهو التفسير المسمى بغرائب القران ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مدنية سبع ايات

الا ان المكي والكوفي عد التسمية اية دون انعمت عليهم ومذهب المدني والبصري والشامي بالعكس وكلماتها خمسة
وعشرون وحروفها مائة وثلاثة وعشرون **بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

القراءة مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف الباقون ملك مالك مدغم ابو عمرو وكذلك يدغم
كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل قال لهم او مخرج واحد مثل قالت طائفة او قريبي
المخرج مثل خلقكم ولقد زحزحكم سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل انبتت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير او متحركا
فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى الادغام الكبير الا ان يكون مضاعفا نحو احل لكم ومس سقر او
منقوصا مثل وما كنت ترجوا وكنت ترابا ويعني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين او مفتوحا قبله ساكن مثل
البحر لتاكلوا والحمير لتركبوها الا في مواضع اربعة كاد تزيغ وقال رب كل القران والصلوة طرفي النهار وبعد توكيدها
او يكون الاظهار اخف من الادغام نحو انت تفتري افانت تسمع وعن يعقوب ادغام الجنسين في جميع القران
اذا التقيا من كلمتين الصراط باشمام الزاي ههنا وفي جميع القران حمزة وعن يعقوب بالسين كل القران وعن الكسائي
باشمام السين كل القران الباقون بالصاد عليهم واليهم ولديهم بضم الهاآت كل القران حمزة وسهل ويعقوب بضمة
كل ميم جمع يزيد وابن كثير ونافع غير ورش وورش بضم الميم عند الف القطع نحو اانذرتهم ام الوقوف العالمين
لاتصال الصفة بالموصوف الرحيم كذلك الدين للعدول عن الغايب الى المخاطبة نستعين لابتداء الدعاء المستقيم

لاتصال البدل منه انعمت عليهم لاتصال البدل او الصفة الضالين التفسير روي عن جندب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برايه فاصاب فقد اخطا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال في القران بغير علم فليتبوا مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القران بالراي
لا يخلوا ما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط او المراد به امر اخر وباطل ان
يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران الا بما سمعه فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القران واختلفوا
في تفسيره وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين
وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل فما فايدة تخصيصه بذلك وانما النهي يحمل على وجهين احدهما
ان يكون له في الشيء راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القران على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه
ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى لا يلوح له من القران ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بان المراد من الاية
ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الاية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي
يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برايه وهواه ولولا رايه لما كان يرجح عنده ذلك الوجه وقد يكون له غرض
صحيح فيطلب له دليل من القران ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعوا الى مجاهدة القلب القاسي
فيقول المراد بفرعون في قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير
القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرايب القران وما فيه من الالفاظ المبهمة
والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع
الغلط ثم بعد ذلك يتسع للفهم والاستنباط والغرايب التي لا يفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود
الناقة مبصرة فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد ان
الناقة كانت مبصرة ولم تكن عميا ولا يدري بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم وانفسهم وما عدا هذين الوجهين
فلا يتطرق النهي اليه ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد الاصلية والفرعية واعلم ان مقتضى الديانة
ان لا يأول المسلم شيئا من القران والحديث بالمعاني بحيث يبطلوا الاعيان التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم
والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحوض والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها لكن
يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقايق اخرى ورموزا ولطايف بحيث ما لو يشف فلا باس
فان الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وما خلق شيئا في عالم المعنى وهو الاخرة الا وله
حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب وما خلق في العالمين شيئا الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى
اعلم والتفسير اصله الكشف والاظهار وكذلك ما يرتقا ليبيه من ذلك سفرت المراة اي كشفت عن وجهها والفرس
لانه يكشف به عن وجوه الحوايج ومنه السرف لانه يكشف عن ماله ح والرفس لانه يكشف عن عنقود وانكشاف
حال الغيبة في رسفا به واضح فمن التفسير ما يتعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف والنحو والمعاني والبيان الى غير
ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في اخر المقدمة الثامنة ومنه اسباب النزول وذكر القصص والاخبار وغير ذلك
ونحن على ان نورد بعد القران مع الترجمة القراءة ثم الوقوف ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التاويل ان كان ولم
نذكره في التفسير ونذكر منه ما هو اقرب الى الامكان والله المستعان فلنشتغل بتفسير الفاتحة فنقول
في البسملة مسايل آ الجار والمجرور ههنا لا بد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدرا وانه يكون فعلا او اسما
فيه رايحة الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر متقدما او موخرا نحو ابتدا بسم الله او بسم الله ابتدي وبسم الله
ابتدائي والابتدا وتقدير الفعل اولى من تقدير الاسم لانه كان فاعل يبتدي في فعل بسم الله يكون مضمرا لما جعل
التسمية مبدا له فيكون المراد ان انشاء ذلك الفعل انما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله اقرا واتلوا
وابتدئ لان الذي يتلو التسمية مقرو ومبدو به كان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله والبركات كان
المعنى بسم الله احل وارتحل وكذا الذابح ونظيره في حذف متعلق الجار قولهم في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين اي
بالوفاق اعرست وتقدير المحذوف متاخرا اولى نحو قوله عز من قايل بسم الله مجراها ومرساها لان تقديم ذكر
الله تعالى ادخل في التعظيم ولان ما هو السابق في الوجود يستحق السبق في الذكر ولهذا قال المحققون عن قول
جنيد ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله وانهم كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب

ان يقصد

ان يفيد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتدا وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما في اياك نعبد صرح بتقديم
الاسم ارادة الاختصاص قال في الكشاف وانما قدم الفعل في قرا باسم لان تقديم الفعل هنا اوقع لانها اول سورة
نزلت فكان الامر بالقراءة اهم وقال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى قرا اوجد القراءة ثم يكون باسم ربك
متعلقا باقرا الثانية وذكر صاحب الكشاف في معنى تعلق اسم الله بالقراءة وجهين اما تعلق القلم بالكتابة في قولك

مطلب كل امر ذي بال

كتبت بالقلم كان فعله لا يجئ معتبرا به شرعا الا بعد تصديره بذكر الله قال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال
لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر واما تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن اي تبركا باسم الله اقرا كما في قوله
بالرفا والبنين اي اعرست ملتبسا بالرفا والبنين وهذا اعرب واحسن اما كونه ادخل في العربية فلانه لا يعرفه الا من له
دربة بفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه متبذل واما كونه احسن فلان حمل اسم الله كالالة خروج عن
الادب لان الالة من حيث انها الة غير مقصودة بالذات واسم الله عند الموحد اهم شي واقدمه وانه مقول على السنة
العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وكذلك الحمد لله رب العالمين الى اخره ب انهم استحبوا تفخيم

مطلب اجيب لوعي

اللام وتغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات في الذكر ولان
التفخيم مشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة يذكر بطرف اللسان والغليظة يذكر بكل اللسان فكان العمل فيه اكثر
فيكون ادخل في الثواب وهذا كما جاء في التورية احبب ربك بكل قلبك واما الثاني فلان التنقل من الكسرة الى اللام

بحرج دال وطار

الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وانما لم يغلظ بعد اللام الغليظة حرفا والرقيقة حرفا اخر كما عد الدال
حرفا والطاء حرفا اخر مع ان نسبة الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الطاء فان الدال بطرف اللسان والطاء بكل اللسان
لاطراد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة مالم يقع عقيب الكسرة وعدم اطراد الطاء مكان كل دال ج طول
الباء من بسم الله اما للدلالة على همزة الوصل المحذوفة واما لانهم ارادوا ان لا يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم
وكان عمر بن عبد العزيز يقول لكتابه طولوا الباء واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال اهل
الاشارة الباء حرف منخفض في الصورة فلما اتصل بكتبة لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا
اتصل بحضرة الله يرتفع حاله ويعلو شانه د ابقاء لام التعريف في الخط على اصله في لفظ الله كما في ساير اسماء
المعرفة واما حذف الالف قبل الهاء فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة في الصورة عند الكتابة ولانه يشبه اللات
في الكتابة قال اهل الاشارة الاصل في قولنا الله الا لاه وهو ستة احرف ويبقى بعد التصرف اربعة في اللفظ الف

في توحيد

ولامان وها فالهمزة من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق حال العبد يبتدي من
النكرة والجهالة ويترقى قليلا قليلا في مقامات العبودية حتى اذا وصل الى اخر مراتب الوسع والطاقة ودخل
في عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهي الى الفناء في بحر التوحيد كما قيل النهاية رجوع الى البداية

حذف الف رحمن

واما حذف الالف قبل النون من لفظ الرحمن فجار في الخط وكتب حسن ل الاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا
اوائلها على السكون وهو عند البصريين في الاصل سمو بدليل تكسيره على اسما وتصغيره على سمي وتصريفه

اشتقاق اسم

على سميت ونحوها فاشتقاقه من السمو العلو وهو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره
وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف في المعلومية فهو عال عليه حذفوا عجزه كما في يد ودم
فبقي حرفان اولهما متحرك والثاني ساكن فلما حرك الساكن للاعراب اسكن المتحرك للاعتدال فاحتيج الى
همزة الوصل اذ كان دابهم ان يبتدلوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من اللكنة والبشاعة ومنهم من لم
يزد الهمزة وابقى السين بحاله فيقول سم قال باسم الذي في كل سورة سمه وقد يضم السين فقال

مطلب ههنا الاسم عين

سم كان الاصل عنده سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم والسمة لان الاسم كالعلامة المعرفة
وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه اوساما ق قال بعض المتكلمين ومنهم الاشعري ان
الاسم عين المسمى وغير التسمية وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما كلفظ المعدوم والمنفي ونحو
ذلك وقد يكون بالعكس كالحقايق التي لم توضع لها اسما ولان الاسماء قد يكون كثيرة مع كون المسمى واحدا
كالاسماء المترادفة وكاسماء الله التسعة والتسعين او بالعكس كالاسماء المشتركة ولان كون الاسم للمسمى وكون
المسمى مسمى ليس من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمضافات متغايران لا محالة ولا يشكل ذلك بكون
الشخص عالما بنفسه لانهما متغايران اعتبارا ولان الاسم اصوات وحروف هي اعراض غير باقية والمسمى قد

يكون باقيا بل واجب الوجود لذاته ولانه يلزم من التلفظ بالعسل وجود الحلاوة في اللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة قالت المعتزلة الاسم نفس المسمى لقوله تعالى تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك والجواب انه كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقايص يجب تنزيه اسمه مما لا ينبغي وايضا قد يراد لفظ الاسم مجازا كقوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا قلنا المراد الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا الطلاق عليها والتسمية ايضا مغايرة للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فافترقا ز وضع الاسما والافعال سابق على وضع الحروف رابطة بينهما والظاهر ان وضع الاسما سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشي من الاشيا في زمان معين فكان الاسم مفرد والفعل مركب والمفرد سابق على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الى الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل وايضا الاسم مستغن في الافادة عن الفعل دون العكس والاظهر ان اسما الماهيات سابقة بالمرتبة على الاسما بالمرتبة على الاسماء المشتقات لان الاولى مفردة والثانية مركبة ويشبه ان يكون اسما الصفات سابقة بالمرتبة على اسماء الذوات القايمة بانفسها لانا لا نعرف الذوات الا بتوسط الصفات القايمة بها والمعرف معلوم قبل المعرف فيناسب السبق في الذكر ح اقسام الاسماء الواقعة على المسميات تسعة اولها الاسم الواقع على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشي بحسب جزء من اجزايه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية قايمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشي انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك وخامسها الواقع عليه بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية مع صفة اضافية كالعالم والقادر عند القايل بان العلم صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات وكذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شي وعالم لا يجهل شيا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية مع صفة اضافية وصفة سلبية وهذه اقسام الاسما لا تكاد تخرج اسما خارجا عنها سواء كان لله تعالى لما كانت غير مدركة للبشر فكيف يوضع له اسم مخصوص بذاته وما الفايدة في ذلك واقول لا ريب ان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة والمحاط لا يمكن ان يحيط بمحيطه ابدا وانه تعالى بكل شي محيط فلا يدركه شي مما دونه كما ينبغي الا ان يوضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه كما ينبغي وانما ينافي عدم ادراكه له مطلق فيجوز ان يقال الشي الذي لا يدرك منه هذه الاثار واللوازم على ما هو عليه فلان يوضع لذاته اسما مخصوصا لا يشاركه فيه غيره حقيقة واذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكنا فينبغي ان يكون ذلك الاسم اعظم الاسما وذلك الذكر اشرف الاذكار لان شرف العلم والذكر بشرف العلوم والمذكور فلو اتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلى معناه لم يبعد ان ينقاد له عالم الجسمانيات والروحانيات ثم القايلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية ومن البين ان حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات ومنهم من يقول ان الحي القيوم لقوله صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ما اعظم اية في كتاب الله تعالى فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال ليهنك العلم يا ابا المنذر واعترض بان الحي هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة لانه صفة واما القيوم فمعناه كونه قايما بنفسه مقوما لغيره والاول مفهوم سلبي وهو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسما الله تعالى كلها عظيمة لا ينبغي ان يفاوت بينهما ورد بما مر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا اقرب لانا سنقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه وتعالى واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة ويؤيد ذلك ما ورد ان اسما بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسالك باني اشهد

ادراك باري

مطلب الاسم الاعظم

انك انت

انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده
لقد سال الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا شك ان اسم الله في رواية والحديث
اصل والصفات مترتبة عليه هذا واما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزائه فمحال في حق الله لان
ذاته تعالى مبرا عن شائبة التركيب بوجه من الوجوه واما الاسم الدال على المسمى بحسب صفة حقيقية قايمة
بذاته المخصوصة فتلك الصفة اما ان يكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات الوجود واما ان يكون
صفة اخرى مغايرة الوجود ولكيفيات الوجود فهذه ثلاثة اقسام القسم الاول الاسما الدالة على الوجود ومنها
الشي ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند الاكثرين لقوله تعالى اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم
كل شي هالك الا وجهه اي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شي غيره ولان الشي عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه
وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شي فلو ان الله تعالى شيا لزم ان يكون خالق نفسه
ومثله وهو على كل شي قدير قلنا خص بدليل العقل قالوا الشي من صفات المدح قلنا نعم هو خير من لا شي
وان كان سائر الاشيا مشتركة معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا
وجود له ولا كرم ولا حلم بل الشي بالحقيقة هو وباقي الاشيا شيئيتها مستعارة كوجودها ومنها الموجود واطبق
المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى الموحد لا اله الا الله اي لا اله فالوجود الا الله ومنها
الذات ولا شك في جواز اطلاقه اذ يصدق على كل حقيقة انها ذات الصفات اي صاحبة الصفات القايمة بها
ويؤيد ذلك ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم لم يكذب الا في ثلاث ثنتين
في ذات الله اي في طلب مرضاته ومنها النفس قال تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال صلى الله عليه
وسلم انت كما اثنيت على نفسك اي على ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص قال صلى الله عليه وسلم لا شخص اغير من
الله ومن اجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك
بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص الحقيقة المتعينة
الممتازة عما عداها ومنها النور قال عز من قايل الله نور السموات والارض وليس المراد به ما يشبه الكيفية المبصرة
وانما المراد انه الظاهر في نفسه المظهر لغيره ولا ظهور ولا اظهار فوق ظهوره واظهاره فانه واجب الوجود لذاته
ازلا وابدا ومخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس وسوف ياتيك تمام
التحقيق اذا وصلنا صورة النور والله اعلم بحقايق الامور ومنها الصورة وقد ورد في الخبر ان الله تعالى
خلق ادم على صورته فقيل معناه خلق ادم على صورته التي كان عليها يعني ما تولد من نطفة ودم وما كان
جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة واحدة وقيل في حديث اخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى
خلق ادم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال صورة هذه المسيلة كذا اي خلقه على صفته
في كونه خليفة في الارض متصرفا في جميع الاجسام الارضية كما ان تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن ان
يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة التي ينبغي ان يكون بين كل علة ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن
النور وبالعكس وكما كتبنا في هذه الرسالة ومنها الجوهر وانه لا يطلق عليه بمعنى موجود لا في موضوع اي اذا
وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم ويستغني المحل عنه لان ذلك ينبي عن كون وجوده زايدا على
ماهيته وانما يكن ان يطلق عليه بمعنى اخر وهو كونه قايما بذاته غير مفتقر الى شي في شي اصلا لكن الاذن
الشرعي حيث علم لم يرد بذلك وجب الامتناع عنه ومنها الجسم ولا يطلق عليه الا المجسمة فان ارادوا الجوهر القابل
للابعاد الثلثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وان ارادوا معنى يليق بذاته من كونه موجودا قايما بالنفس
غنيا عن المحل فالاذن الشرعي لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية والانية اي حقيقته التي يسال عنها
بما هي وثبوته الدال عليه لفظة ولا باس باطلاقهما عليه اذا اريد بهما الحقيقة والذات المخصوصة الا من حيث الشرع
ومنها الحق وانه تعالى احق الاشيا بهذا الاسم اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله والحق
يقال بازاء الباطل والباطل يقال للمعدوم قال لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل واما بحسب ما يقال
ان هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر احق واصدق واما بحسب ما يقال هذا الاعتقاد حق فلان اعتقاد وجوده
ووجوبه اصوب الاعتقادات المطابقة القسم الثاني في الاسما الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في

مطلب الباري

شي

مطلب شخصية باري

مطلب النور

مطلب الصورة

مطلب خلق ادم

اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يرادفه الازلي ويراد بهما ما لا اول له والازلي في الطرف الماضي كالابدي في الطرف
المستقبل وكذا السرمدي واشتقاقه من السرد المتوالي والتعاقب زيدت الميم للمبالغة ويعني بالنسبة في هذه
الالفاظ انه تعالى منسوب الى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها الممتد
والمستمر ويعني بهما تلاحق الاجزاء وتعاقب الابعاض ولا يخفى ان امثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة
على الزمان والزمانيات واما في حق الله فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال تعالى كل من عليها
فان ويبقى وجه ربك وانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم ومنها الدائم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود لذاته
اي ذاته اقتضى وجوده وما بالذات لا ينفك عنه ابدا فهو ممتنع الفنا والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل حقا اي
معناه حق اي انه جاء بنفسه ومنها الكائن قال تعالى وكان الله عليما حكيما وفي بعض الادعية المأثورة
عن النبي صلى الله عليه وسلم يا كائنا قبل كل كون ويا حاضرا مع كل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون واعلم
ان لفظة كان يفيد الحصول والثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما يفيد حصول موصوفية شيء بشيء
والاول يتم باسناده الى ذلك الشيء وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما
اي حصول موصوفية زيد بالعلم وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة
للوجود وكيفيات الوجود الفلاسفة والمعتزلة انكروا قيام مثل هذه الصفات بذات الله تعالى اشد انكار لان واجب
الوجود لذاته يجب ان يكون واحدا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود لزم شريك الباري مع ان
الجمع بين الوجوب الذاتي وبين كونه صفة للغير والصفة مفتقرة الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فله علة
موجدة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها ولان ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة فيكون ذاته
بدون تلك الصفة كاملة في العلية وهو المطلوب وان لم يكن كافية لزم النقص المنافي لوجوب الوجود حجة المثبتين
ان الله العالم يجب ان يكون عالما قادرا حيا ثم انا ندرك التفرقة بين قولنا ذات الله ذات وبين قولنا ذاته عالم
قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات واذا قلنا باثبات الصفات الحقيقية فنقول العلم صفة يلزمها
كونها متعلقة بالعلوم والقدرة صفة يلزمها صحة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية العارية عن النسب والاضافات
في حقه تعالى ليست الا صفة الحيوة ان لم يقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بل يقال انها صفة باعتبارها
يصح ان يكون عالما او قادرا والتحقيق ان الحيوة عبارة عن كون الشيء بحيث يصدر عنه ما من شانه ان يصدر عنه
كما ينبغي ان يصدر عنه ولا ريب ان واجب الوجود تعالى احق الاشياء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي اتصافه
بجميع الصفات الكمالية المقتضية صدور الاشياء الممكنة منه على النحو الافضل ولهذا مدح الله به نفسه على الصفات
الاضافية فمنها التكوين وهو عند المعتزلة والاشعرية نفس المكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين
ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان يوثر على سبيل الصحة وهو القدرة لا غير او على سبيل الوجوب ويلزم كونه موجبا
بالذات لا فاعلا بالاختيار وايضا ان كانت قديمة لزم قدم الاثار وان كانت حادثة افتقرت الى تكوين اخر
وتسلسل الاخرون قالوا كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية
موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير للمعقول من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد
ومنها كونه ملحوما من كونه مسبحا محمدا فيقال يا ايها المسبح بكل لسان ويا ايها الممدوح عند كل انسان ويا ايها
المرجوع اليه في كل حين واوان ولما كان هذا النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسما الممكنة لله بحسب هذا
النوع من الصفات غير متناهية ومنها الفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا مثل الموجد ومعناه المؤثر
في الوجود والمحدث وهو اخص لانه الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد والمنشئ ومعناه
ينبئ عن التدريج والمبدع والمخترع ونفهم منها الايجاد الدفعي وكذا الفاطر ومثل الصانع ونفهم من يكلف
واما الخالق فهو التقدير وانه في حق الله تعالى يرجع الى العلم واما البارئ فهو الذي يحدثه على الوجه الموافق
للمصلحة تعالى براء القلم اذا اصلحه وخلق موافقا الغرض معين ومنها الفاظ تدل على ايجاد شيء بعينه
وانها لا تكاد تكون غير متناهية ومنها الفاظ تدل على ايجاد النوع الفلاني لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع
سمي نافعا واذا خلق الالم سمي ضارا واذا خلق الحيوة سمي محييا واذا خلق الموت سمي مميتا واذا اخصهم
بالاكرام سمي برا لطيفا واذا اخصهم بالقهر سمي قهارا جبارا واذا اقل الاعطاء سمي قابضا واذا اكثر سمي باسطا واذا

جاز الذنب

جاز الذنوب بالعقاب سمي منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمي عفوا رحيما وان حصل المنع والاعطاء في
المال سمي قابضا باسطا واذا حصل في الجاه والحشمة سمي خافضا رافعا واما الصفات السلبية فمنها ما يعود الى
الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا جسما ولا مكانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى شي غيره في ذاته وفي صفاته
وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما يعود الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات المنقص
يجب تنزيه الله تعالى عنها وذلك اما راجع الى اضداد العلم كنفي النوم لا تاخذه سنة ولا نوم وكنفي النسيان
وما كان ربك نسيا وكنفي الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض
المعلومات عن العلم بغيره لا يشغله شان عن شان واما راجع اضداد القدرة لكونه منزها في افعاله عن التعب
والنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج في فعله الى الالات وتقدم المادة والمدة انما امرنا لشي اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت في قدرته القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وانه لا ينتهي
قدرته ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفي الانداد
والاضداد ليس كمثله شي ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله او الى صفة الاستغنا وهو يطعم ولا يطعم وهو
يجير ولا يجار عليه ومنها ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين
لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى الكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يوذي من غير سابقة جرم
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم لا ينتفع بطاعة المطيعين ولا ينتقص بمعاصي المذنبين ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها ليس لاحد ان يعترض عليه في افعاله واحكامه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
لا يخلف الله الميعاد ومن اسما السلوب القدوس والسلام لانه منزه وسالم عن نقايص الامكان ومنها العزيز
وهو الذي لا يوجد له نظير او لا يغلبه شي والحليم الذي لا يعاجل العقوبة ولا يمنع ايصال الرحمة والصبور الذي لا يعاقب
على الشي مع القدرة عليه وربما يفرق بينهما بان المكلف يامن العقوبة في صفة الحليم دون صفة الصبور واما
الاسما الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك
الملك والمليك والقوي وذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشي من
علمه عالم الغيب والشهادة وهو بكل شي عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته علم الله انكم كنتم تختانون
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلم ادم الاسما كلها ولم يرد علامة وان كان يفيد المبالغة لان ذلك
يتناول الخنثى اوجماعة والخبير يقرب من العليم وكذا الشهيد اذا فسر بكونه مشاهدا لها واذا اخذ من الشهادة
كان من وصف الكلام والحكمة تشارك العلم من حيث انها ادراك حقايق الاشيا كما هي وتباينه بانها ايجاد
الاشيا منه كما ينبغي واللطيف قد يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والحقيق انه الذي ينفذ
تصرفه في جميع الاشيا ومنها ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا واذ قال
ربك ما يبدل القول لدي ومن اصدق من الله قيلا انما امره ان الله يامركم وعد الله حقا فاوحى الى عبده
ما اوحى كان الله شاكرا عليما كان سعيهم مشكورا وذلك انه اثنى على عبيده مثل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وبالاسحار هم يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما يرجع الى الارادة يريد الله بكم اليسر رضي الله عنهم
اي صار مريدا لافعالهم يحبهم ويحبونه والله يحب المطهرين يريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئه عند ربك
مكروها الاشعرية الكراهية عبارة عن ارادة عدم الفعل المعتزلة صفة اخرى غير الارادة ومنها ما يرجع
الى السمع والبصر انني معكما اسمع وارى انه هو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار واما
الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين احدهما انه سابق على غيره والثاني لا يسبق عليه
غيره وكالاخر فانه يبقى بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذي يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى
غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن اي انه ظاهر بحسب الدلايل باطن بحسب الماهية واما الاسم
الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية السلبية فالاله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ في الاسلام
على غير الله واما الله فيشبه انه اسم علم وقد نبه هنا اسما يطلقونها عليه تعالى اهل التشبيه ككونه متحيزا او
حالا في المتحيز استبعادا منهم انه كيفما يكون موجود خالي عن كلا الوصفين وهو عند اهل التقديس محال
للزوم الافتقار اليهم الا ان يقال استصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى المكان ومنها العظيم والكبير

ومما متقاربان لقوله تعالى في موضع وهو العلي العظيم وفي آخر وهو العلي الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد ان
الكبرياء ردائي والعظمة ازاري والرداء ارفع من الازار وايضا اختص تحريم الصلوة بالله اكبر دون الله اعظم
ولا ريب ان اطلاق العظم والكبر على بحسب الجثة والمقدار كالاجسام محال للزوم التبعيض والتجزية ومنها
العلي والمتعال فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله تعالى فاما ان يراد بمثل هذه الالفاظ تزيد
الرتبة والشرف على الممكنات واما ان يقال انا نطلق هذه الاسما للاذن الشرعي ونكل معانيها الى مراد
الله تعالى واما ان نستمر في ادراكها بضرب من الكشف والعيان ى في الاسما المضمرة قال عز من
قايل انني انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره هذا المذكور الا حكاية وما جاء من قول بعض اهل الكمال انا من
اهوى ومن اهوى انا انما اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفات المحبوب وفنا ارادته في
ارادته وقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ولا يصح هذا الا من العبد بشرط الحضور والمشاهدة
وقال لا اله الا هو وانما يصح هذا من الغايبين واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي
مطلب ياهو
ونقصانه فكل حاضر غايب بالنسبة الى ما فوق تلك الدرجة ورب غايب حاضر كما قيل شعر ايا غايبا حاضرا في
الفواد سلام على الغايب الحاضر وفي لفظة هو اسرار عجيبة منها ان العبد اذا قال ياهو فكانه يقول ما للتراب
ورب الارباب وما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا ينادي نداء
الغايبين ويقول ياهو ومنها انه اذا قال ياهو فقد حكم على ان كل ما سوى الله تعالى نفي محض لانه لو حصل
في الوجود شيان لكان قوله هو صالحا لهما جميعا فلا يتعين النداء ومنها اذا قال يا رحمن فكانه يتذكر رحمته
ويطلب رحمته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات فاما اذا قال ياهو فكانه استغرق في بحر العرفان
مطلب يا رحمن
وفني عما سوى الذات ومنها اذا قال ياهو فكانه يقول اجل حضرتك ان امدحك واثني عليك بسلب نقايص
المخلوقات عنك وهو صفات الجلال نحو لا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا في المحل وباسناد كمالات الممكنات اليك وهو
صفات الاكرام لكونه مرتبا للموجودات على النحو الاكمل بل لا امدحك ولا اثني عليك الا بهويتك من حيث هي ومنها
ان هذا الذكر يفيد ان المنادي بسيط محض لا طريق الى تصوره الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد كانه
دهش حتى ذهل عن كل ما يوصف به مالكه الا عن هذه الاشارة ولاختصاص هذا الذكر بهذه الاسرار ذكر
الغزالي رحمه الله لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص وذلك ان قوله لا هو معناه كل شي
هالك وقوله الا هو معناه الا وجهه ومن جملة الاذكار الشريفة ياهو يا من لا هو الا هو يا ازل يا ابد يا دهر يا ديهور
يا من هو الحي الذي لا يموت ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر ياهو يا من هو يا من لا اله الا هو يا من
مطلب عجيبة
لا هو بلا هو الا هو فالاول فنا عما سوى الله والثاني فنا في الله والثالث فنا عما سوى الذات والرابع فنا
عن الفنا عما سوى الذات يا في بقية مباحث الاسما اختلفوا في ان اسماء الله توقيفية ام لا فمال بعضهم
الى التوقيف لانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا وفقيها ومستيقنا فلولا ان اسماءه توقيفية
لوصف بمثلها وان كان على سبيل التجوز القايلون بعدم التوقيف احتجوا بان اسماء الله تعالى وصفاته مذكورة
مطلب اسماء الله توقيفية
بالفارسية والتركية وان شيا منها لم يرد في القران ولا في الاخبار مع ان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها والجواب
ان عدم التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه
بها فكل اسم دل على صفات الكمال ونعوت الجلال كان حسنا فيجوز اطلاقه والجواب انه يجوز ولكن بعد التوقيف لم
قلتم انه ليس كذلك والغزالي رحمه الله فرق بين اسم الذات وبين اسماء الصفات فمنع الاول وجوز الثاني واعلم انه
قد ورد في القران الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ
بهم والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا
ومكر الله ومنها الغضب وغضب الله عليهم ومنها التعجب بل عجبت ويسخرون فيمن قرا بضم التا والتعجب حالة للقلب
تعرض عند الجهل بسبب الشي ومنها التكبر الجبار المتكبر ومنها الحيا ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا والحيا تغير يعرض
للقلب والوجه عند فعل شي قبيح والقانون في تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل واحدة من هذه الافعال امور توجد
معها في البداية واثار توجد معها في النهاية مثال الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دمه وسخونة مزاجه والاثر
الحاصل منها في النهاية ايصال الضرر الى المغضوب عليه فالغضب في حقه تعالى محمول على الاثر الحاصل في النهاية لا الامر

الكاين

الكاين في البداية وقس على هذا فقيل ان لله تعالى اربعة الاف اسم الف منها في القران والاخبار والف في التورية
والف في الانجيل والف في الزبور وقد يقال الف اخر في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الي البشر وهذا غير مستبعد
فان اقسام صفات الله تعالى بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر وكل من كان اطلاعه على اثار حكمة الله تعالى — مطلب عدد اسماء الله
في تدبير العالم العلوي والعالم السفلي اكثر كان اطلاعه على اسماء الله اكثر وان قلنا ان بكل مخلوق اسما وكذا بكل خاصية
ومنفعة فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات والاحجار خرجت الاسما عن حيز العد والاحصاء كما قال عز من قايل
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت انا نرى في كتب العزايم اذكارا غير معلومة ورقى غير مفهومة
وقد يكون كتابتها ايضا غير معلومة فما بال تلك الاذكار والرقى قلت لا شك ان تلك الكلمات ان لم تدل
على شي اصلا لم تفد وان دلت فاحسن احوال تلك الكلمات ان يكون شيا من هذه الادعية ولا ريب ان الاذكار
المعلومة ادخل في التاثير من قراة تلك المجهولات الا ان اكثر الناس اذا قروا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم
نفوس مشرقة تجذبهم الي عالم القدس ويلوح عليهم اثر الالهيات لم يكد يظهر عليهم شروق انوارها ولهذا
قد ورد رب تالي القران والقران يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قروا تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا
منها شيا وحصلت عندهم اوهام انها كلمات عالية استولى الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب
نوع تجرد عن الجسمانيات وتوجه الروحانيات فيتاثر نفوسهم ويوثر وهذا وجه مناسب في قراءة الرقى — مطلب بين الخلق وبين اسماء الله
المجهولة واعلم ان بين الخلق وبين اسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والجنسية علة
الضم فكل اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب صاحبه على ذلك الاسم كان انتفاعه به اسرع والله الموفق
حكى ان الشيخ ابا النجيب البغدادي كان يامر المريد بالاربعين مرة او مرتين بقدر ما يرى مصلحته
فيه ثم يقرا عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر الي وجهه فان رااه عديم التاثر عند قراتها عليه قال
له اخرج الي السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان راه تاثر من اسم تاثر عند سماع
اسم خاص امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال ان ابواب المكاشفات تنفتح عليك من هذا الطريق وذلك
ان الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن احوالها الفطرية ولكنها تضعف بحيث لا تستولي على الانسان ولهذا — مطلب الناس معادن كمعادن الذهب والفضة
قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا
تمام البحث عن مطلقات الاسما باب في الابحاث المختصة باسم الله المختار عند الخليل ومتابعيه وعند الاكثر
الاصوليين والفقها ان هذا اللفظ ليس بمشتق البتة وانه اسم علم له سبحانه لانه لو كان مشتقا لكان معناه معنى
كليا لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه وح لا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد المحض فلا يدخل
الكافر بقوله اشهد ان لا اله الا الله في الاسلام كما لو قال اشهد ان لا اله الا الرحيم او الا الملك لا يدخل بذلك
في الاسلام بالاتفاق وايضا الترتيب العقلي ذكر الذات ثم تعقيبه بالصفات نحو زيد الفقيه الاصولي النحوي ثم
انا نقول الله الرحمن الرحيم العالم القادر ولا نقول بالعكس فدل ذلك على ان الله اسم علم وقراءة من قرا
الي صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض بخفض اسم الله ليست لاجل انه جعله وصفا وانما — مطلب اشتقاق اسم الله
هو للبيان فوزانه وزان قولك مررت بالعالم الفاضل الكامل زيد وايضا قال تعالى هل تعلم له سميا وليس
المراد به الصفة والا لزم خلاف الواقع فوجب ان يكون المراد اسم العلم وليس ذلك الا الله حجة القايلين باشتقاقه
قوله عز من قايل وهو الله في السموات وفي الارض فانه لا يجوز ان يقال زيد في البلد وانما يقال هو العالم في البلد
قالوا لما كانت الاشارة ممتنعة في حقه تعالى كان اسم العلم له ممتنعا وايضا العلم للتمييز ولا مشاركة فلا حاجة
الي التمييز قلنا وضع العلم لتعيين الذات المعينة ولا حاجة فيه الي الاشارة الحسية ولا يتوقف على حصول الشركة
وكان النزاع بين الفريقين لفظي لان القايلين بالاشتقاق يتفقون على ان الاله مشتق من اله بالفتح
الاهة اي عبد عبادة وانه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان
النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب
سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره وينبغي ان يكون المراد من كون الله تعالى
معبودا كونه مستحقا ومستاهلا لان يعبده كل من سواه كما يليق بحال العبد فان اللايق بحال المعبود ان لا يعبد عليه
احد من المخلوقات ولا يخفى ان الاستحقاق والاستيهال حاصل له ازلا وابدا فيكون الها ازلا وابدا وان كل ما سواه عابد

له بقدر استعداد وعلي حسب حاله حتي النبات والجماد والكافر والفاسق وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم ان كل في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدًا والعبد الصالح من يعبد الله لذاته لا لغرض رغبة في الثواب
ورهبة من العقاب حتي فرض حصول المرغوب او فقد المرهوب لم يكن عابدا ومع ذلك فينبغي ان يقطع النظر عن
عبادته ايضا وقيل اشتقاقه من اله الي فلان اي سكنت اليه فالنفوس لا تسكن الا اليه والعقول لا تقف
الا لديه لان الكمال محبوب لذاته الا بذكر الله تطمئن القلوب وقيل من اله وهو ذهاب العقول سواء فيه الواصلون
الي ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان وقيل من لاه ارتفع لانه تعالي عن مشابهة
الممكنات ومناسبة المحدثات وقيل من اله في الشي اذا تحير فيه لان العقل وقف بين اقدام علي اثبات ذاته
نظرا الي وجود مصنوعاته وبين تكذيب لنفسه لتغالبه عن ضبط وهمه وحسه فلم يبق الا انه يقر بالوجود
والكمال مع الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه الجلال والجمال فههنا شعر العجز عن درك الادراك ادراك
وقيل من لاه يلوه اذا احتجب لانه بكنه صمديته محتجب عن العقول فانا انما نستدل علي كون الشعاع مستفادًا
من الشمس بدورانه معها وجودا وعدمًا وشروقا وافولا ولو كانت الشمس ثابتة في كبد السما ما حصل اطمئنان بكون
الشعاع مستفادا منها ولما كان ذاته تعالي باقيا علي حاله وكذا الممكنات الثابعة له فربما يخطر ببال الضعفاء
ان هذه الاشيا موجودة بذواتها فلا سبب لاحتجاب نوره الا كمال ظهوره فالحق محتجب والخلق محجوب وقيل من اله
الفصيل اذا اولع بامه لان العباد مولعون بالتضرع اليه في البليات واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين
اليه هذا شان الناقصين واما الكاملون فهو جليسهم وانيسهم ابدا شكي بعض المريدين كثرة الوسواس
فقال الشيخ كنت حدادا عشر سنين وقصارا عشرا وبوابا عشرا فقيل وكيف وما رايناك منك قال القلب
كالحديد الينه بنار الخوف عشرا ثم شرعت في غسله عن الاوساخ والاوزار عشرا ثم وقفت علي باب القلب
عشرا اسل سيف لا اله الا الله فلم اترك حتي يخرج منه حب الله ويدخل فيه حب غير الله فلما خلت عرصة القلب
عن غيره وفوتت فيه محبته سقطت من بحر عالم الجلال قطرة من النور فغرق القلب فيها في تلك القطرة وفني
عن الكل ولم يبق فيه الا محض سر لا اله الا الله وقيل من اله الرجل باله اذا فزع من امر نزل به فالهه اي اجاره
والمجير للخلايق من كل المضار هو الله وهو يجير ولا يجار عليه ومن لطايف اسم الله انك اذا لم تتلفظ بالهمزة بقي
لله ولله جنود السموات والارض فان تركت من هذه البقية اللام الاولي بقيت البقية علي صورة له له ما في السموات
وما في الارض وان تركت اللام الباقية ايضا بقي الها المضمومة من هو قل هو الله احد والواو الزايدة بدليل سقوطها
في التثنية والجمع هما هم هذا بحسب اللفظ واما بحسب المعني فاذا دعوت الله به فكانك دعوته بجميع الصفات
بخلاف ساير الاسماء ولهذا صحت كلمة الشهادة به فقط والله تعالي اعلم بح فيما يتعلق بالرحمن الرحيم
الرحمن فعلان من رحم والرحيم فعيل منه واشتقاقه من الرحمة وهي ترك عقوبة من يستحقها او ارادة الخير لاهله
واصله الرقة والتعطف ومنه الرحم لرقتها وانعطافها علي ما فيها واختلف في منع صرف رحمن اذ ليس له مونث علي
فعلي كعطشي ولا علي فعلانة كندمانة ومن شرط في منع صرف فعلان صفة وجود فعلي صرفه ومن شرط فيه انتفاء
فعلانة لم يصرفه واذا تساقط الدليلان للتعارض فللصرف وجه وهو ان الاصل في الاسماء الصرف ولمنع الصرف
وجه وهو القياس علي اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وزعم قوم انهما بمعني واحد كندمان ونديم وجمع بينهما
للتاكيد والاتساع كقولهم جاد مجد قال طرفة متي ادن منه ينا عني ويبعد وقال قوم الرحمن اشد مبالغة
استدلالا بالزيادة في اللفظ علي الزيادة في المعني قالوا ولهذا جا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وربما يقال
رحمن الدنيا ورحيم الاخرة لان رحمته في الدنيا عمت المومن والكافر والبر والفاجر وفي الاخرة اختصت بالمومنين
فالرحمن خاص اللفظ عام المعني والرحيم بالعكس اما خصوص الرحمن فمن حيث لا يسمي به الا الله تعالي من
الصفات الغالبة كالدبران والعيوق واما عمومه فمن حيث انه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق
والنفع واما عموم الرحيم فاشتراك تسمية الخلق به واما خصوص فرجوعه الي اللطف بالمومنين والتوفيق
فتخالف الرحمن باهل السما حيث اسكنهم السموات وطوقهم الطاعات وانطق السنتهم بانواع التسبيحات وجنبهم
الافات وقطع عنهم المطامع واللذات والرحيم باهل الارض حيث ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب فكونه الرحمن
برحمة واحدة والرحيم بماية رحمة كما قال صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي ماية رحمة وانه انزل منها رحمة واحدة الي الارض

فقسمها

مطلب علي ان اسما الله تعالي علمها شريف لشرف الاعمال

فقسمها بين خلقه فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة ابن
المبارك الرحمن الذي اذا سئل اعطى والرحيم الذي اذا لم يسئل غضب قال صلى الله عليه وسلم من لا يسال الله
يغضب عليه الرحمن بالنعما وهو ما اعطى وحبا والرحيم بالالاء وهي ما صرف وروي الرحمن بالانقاذ من النار وكنتم
على شفا حفرة من النار فانقذكم منها والرحيم بادخالهم الجنات ادخلوها بسلام امنين الرحمن الرحيم القادر
على كشف الضر والرحيم الراحم وان لم يقدر على كشف الضر وتسمية مسيلمة الكذاب بالرحمن تعنت منهم واقتطاع
من اسماء الله تعالى قال عطاء ولذلك قرنه الله بالرحيم لان هذا المجموع لم يتسم به غيره وانما قدم الرحمن وهو الاعلى
على الرحيم والعادة التدرج من الادنى الى الاعلى لان الرحمن تناول عظايم النعم واصولها فاردفه بالرحيم كالتتمة
ليتناول ما دق منها وما لطف واعلم ان الاشيا التي انعم الله تعالى بها على الخلق اربعة اقسام الاول ما يكون
نافعا وضروريا معا وذلك في الدنيا التنفس فانه لو انقطع لحظة واحدة مات وفي الاخرة معرفة الله فانها اذا
زالت عن القلب لحظة مات القلب واستوجب عذاب الابد الثاني ان يكون نافعا لا ضروريا كالمال في الدنيا
وكساير العلوم والمعارف في الاخرة الرابع ان لا يكون نافعا ولا ضروريا كالفقر في الدنيا والعذاب في الاخرة وبالجملة
وكل نعمة او نقمة دنيوية او اخروية فانما اتصل الى العبد او يندفع عنه برحمة الله تعالى وفضله من غير شايبة
عرض ولا ضميمة علة لانه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى الا رحمة ولا يخشى الا غضبه
فوايد في نكت شريفة الاولى كل العلوم تندرج في الكتب الاربعة وعلومها في القران وعلوم القران في الفاتحة وعلوم
الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم وعلومها في الباء من بسم الله وذلك ان المقصود من كل العلوم وصول العبد الى الرب
وهذا الباء للالصاق فهو يوصل العبد الى الرب وهو نهاية المطلب واقصى الامد وقيل انما وقع ابتداء كتاب الله بالبا
دون الالف لان الالف تطاول وترفع والبا انكسر وتساقط ومن تواضع لله رفعه الله الثانية مرض موسى عليه
السلام واشتد وجع بطنه فشكا الى الله فدله على عشب في المفازة فاكله فعوفي باذن الله ثم عاوده ذلك المرض
في وقت اخر فاكل ذلك العشب فزاد مرضه فقال يا رب اكلته اولا فاشتفيت به واكلته ثانيا فضرني فقال
لانك في المرة الاولى ذهبت مني الى الكلا فحصل فيه الشفا وفي الثانية ذهبت منك الى الكلا فازداد المرض
اما علمت ان الدنيا كلها سم وترياقها اسمي الثالثة باتت رابعة ليلة في التهجد والصلوة فلما انفجر الصبح
نامت فدخل السارق دارها واخذ ثيابها وقصد الباب فلم يهتد الى الباب فوضعها فوجد الباب وفعل ذلك ثلاث
مرات فنودي من زاوية البيت ضع القماش واخرج فان نام الحبيب فالسلطان يقظان الرابعة كان بعض العارفين
يرعى غنما فحضر في غنمه الذيب ولا يضر اغنامه فمر عليه رجل وناداه متى اصطلح الغنم والذيب قال الراعي حين اصطلح
الراعي مع الله الخامسة روي ان فرعون قبل ان ادعى الالهية بنى قصرا وامر ان يكتب بسم الله على بابه الخارج فلما
ادعى الالهية وارسل اليه موسى ودعا فلم ير فرعون لموسى اثر الرشد قال الهي كم ادعوه ولا ارى به خيرا فقال
تعالى يا موسى لعلك تريد اهلاكه انت تنظر الى كفره وانا انظر الى ما كتبه على بابه والنكتة ان من كتب هذه الكلمة
على بابه الخارج صار امنا عن الهلاك وان كان كافرا فالذي كتبه على سويداء قلبه من اول عمره الى اخره كيف يكون
حاله السادسة سمى نفسه رحمانا رحيما فكيف لا يرحم روي ان سايلا وقف على باب رفيع فسال شيا فاعطي
قليلا فجاء بفاس واخذ يخرب الباب فقيل له لم تفعل قال اما ان تجعل الباب لايقا بالعطية او العطية لايقة
بالباب الهي كما اثبت في اول كتابك صفة رحمتك فلا تجعلنا محرومين من فضلك السابعة اذا اشترى العبيد
شيا من الدواب او المتاع وضعوا عليه سمة من الملك ليلا يطمع فيه العدو فالله تعالى يقول عبدي عدوك الشيطان
فاذا شرعت في عمل وطاعة فاجعل عليها سمتي وقل بسم الله الرحمن الرحيم الثامنة اجعل ذكر الله زينتك
حتى لا تفقد عندي احوالك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم دفع خاتما الى ابي بكر وقال اكتب فيه لا اله الا الله
فدفعه الى النقاش وقال اكتب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله فكتب النقاش ذلك فاتى ابو بكر بذلك الخاتم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فراى النبي فيه لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق فقال يا ابا بكر ما هذه
الزوايد فقال يا رسول الله ما رضيت ان افرق اسمك من اسم الله فما رضي الله ان يفرق اسمي عن اسمك التاسعة
ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة قال بسم الله مجراها ومرسيها فنجا بنصف هذه الكلمة فما ظنك بمن
واظب على الكلمة طول عمره العاشرة الناس ثلاثة سابق بالخيرات ومقتصد وظالم لنفسه فقال انا الله للسابقين

مطلب وصل العبد

الثالث ان يكون ضروريا لا نافعا كالافات والعلل ولا تطيب لهذا القسم في الاخرة
ح

مطلب لطيف

مطلب فضيلة بسم الله

مطلب عجيب خاتم

ونصف الاخر الرحمن الرحيم
ح

الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين الله معطي العطا الرحمن المنجا ورعن زلات الاوليا الرحيم الساتر
لعيوب الاوليا غنيا بعلم منك ما لو علمه ابوك لفارقاك ولو علمت المراة لجفتك ولو علمت الامة لا قدمت
على الفرار ولو علم الجار لسعي في تخريب الدار الله يوجب ولاية الله ولي الذين امنوا يخرجهم الرحمن سيدعي
محبته ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الرحيم يقتضي رحمته وكان بالمومنين
رحيما هو رحيم بهم في ستة مواضع في القبر وحشراته والقيامة وظلماته وقراة الكتب وفزعاته
والصراط ومخافاته والنار ودركاته والجنة ودرجاته الحادية عشر مر عيسى عليه السلام بقبر فراي
ملايكة العذاب يعذبون ميتا فلما انصرف من حاجته مر بالقبر فراي ملايكة الرحمة معهم اطباق من
نور فتعجب من ذلك فصلي ودعا الله فاوحي الله تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا وكان قد
ترك امراة حبلي فولدت وربت ولده حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم
فاستحييت من عبدي ان اعذبه بناري في بطن الارض وولده يذكر اسمي على وجه الارض الثانية عشرة
كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم فاوصي ان يجعل في كفنه فقيل له في ذلك فقال اقول يوم القيامة الهي
بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك الثالثة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
تسعة عشر حرفا والزبانية تسعة عشر فالله تعالى يدفع بليتهم بهذه الحروف التسعة عشر الرابعة
عشر اليوم بليلته اربعة وعشرون ساعة ثم فرض خمسة صلوات في خمسة ساعات فهذه التسعة
عشر حرفا تقع كفارات للذنوب الواقعة في تلك التسعة عشر الخامسة عشرة لما كانت سورة
التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم وايضا السنة ان يقال عند
الذبح بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشر مرة في الصلوة المفروضة دل
ذلك على انه ما خلقتك للقتل والعذاب وانما خلقتك للرحمة والثواب السادسة عشرة قال صلى الله عليه
وسلم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله من الصديقين
وخفف عن والديه وان كانا مشركين وعن علي رضي الله عنه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما انزلت هذه الاية على ادم قال امن ذريتي من العذاب ما داموا على قراتها
ثم رفعت فانزلت على ابراهيم صلوات الله عليه فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما
ثم رفعت بعده فما انزلت الا على سليمان وعندها قالت الملايكة الان تم والله ملكك ثم رفعت فانزلها
الله تعالى علي ثم تاتي امتي يوم القيامة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم في الميزان
ترجحت حسناتهم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال يا ابا هريرة اذا توضات فقل بسم الله
الرحمن الرحيم فان حفظتك لا يستريحون ان يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ فاذا غشيت اهلك فقل بسم الله
فان حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك الواقعة ولد كتبت له من الحسنات
بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس اعقابه ان كان له عقب حتى لا يبقي منهم احد يا ابا هريرة اذا ركبت دابة
فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة واذا ركبت سفينة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك
الحسنات حتى تخرج منها وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين اعين الجن وعورات
بني ادم اذا نزعوا ثيابهم ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم والاشارة فيه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين
اعدائك من الجن في الدنيا افلا يصير حجابا بينك وبين الزبانية في العقبي كانت لنفسي اهواء متفرقة
فاستجمعت اذ راتك النفس اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولي الورى مذ صرت
مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي هذا تمام الكلام في تفسير البسملة
واما تفسير الفاتحة ففيه ايضا مسايل آ في اسماء هذه السورة هي كثيرة وكثرة الاسماء يدل على شرف
المسمى فاول فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف وفي التعليم وفي القراءة وفي الصلوة
ولان الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القران وقيل لانها اول سورة نزلت من السما الثاني سورة الحمد
لان اولها الحمد الثالث ام الكتاب وام القران لانها اصل القران واصل كل كتاب منزل لاشتمالها على
الالهيات والمعاد واثبات القضا والقدر والنبوات ولان فيها حاصل جميع الكتب السماوية وذلك

مطلب حكاية عيسى

مطلب بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله والله اكبر ولا يقال صح

مطلب اول ما نزلت على ادم بسم الله

مطلب تسمية الفاتحة

هوالث

هو الثنا على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات اولان المقصود من جميع
العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية اولانها افضل سور القران كما ان مكة وهي ام القرى اشرف
البلدان او اصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها وكما ان الحمد سميت ام ملدم لانهم جعلوها معظم الالم وجاع
والدم الضرب • الرابع السبع المثاني لانها سبع ايات ولانها تثني في كل صلوة اولان نصفها ثنا العبد للرب
والنصف الاخر اعطاء الرب للعبد اولانها مستثناة بهذه الامة قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ما انزلت في التورية والانجيل ولا في الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثاني والقران العظيم
اولانها انزلت مرتين اولانها اثنية ومدايح الله تعالى • الخامس الوافية يجب قراءة كلها لا يجزي
بعضها في الصلوة • السادس الكافية قال صلى الله عليه وسلم ام القران عوض عن غيرها وليس
غيرها عوضا عنها • السابع الشفا والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفا من كل سقم
• الثامن الاساس لانها اول سور القران فهو كالاساس ولانها تشتمل على اساس العبادات والمطالب
قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القران واساس القران فاتحة الكتاب واساس
فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت واشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله تعالى
• التاسع الصلوة قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين
عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو من باب تسمية الشي بمعظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة
والصلوة • العاشر سورة تعليم المسئلة لان الله تعالى علم عباده فيها اداب السؤال فبدا بالثنا ثم
بالاخلاص ثم بالدعا • الحادي عشرة سورة الكنز لما روي عن علي بن ابي طالب انه قال نزلت فاتحة
الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ولهذا قال اكثر العلما انها مكية وخطا واتجاهدا في قوله انها مدنية
وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي بن كعب انها من اول ما نزل من القران
وانها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني ولا يبعد
القول بان رسول صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشرة سنة وبالمدينة اخرى وعلى هذا فانما لم تثبت
في المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضايل هذه السورة انه لم يوجد فيها الثا
وهو الثبور لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهو جهنم وان جهنم لموعدهم اجمعين
والخا وهو الخزي يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه والزاي وهو الزفير والزقوم والشين وهو
الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو اللظى كلا انها لظى والفاء وهو الفراق ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون فلما اسقط الله تعالى من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب وهي بعدد ابواب جهنم
لقوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن ان من قرا الفاتحة نجا من جهنم
ودخول ابوابها وتخلص من دركات النار وعذابها باب في المباحث اللفظية الحمد مبتدا ولله خبره
اي الحمد ثابت لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ
الله فعدل الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى فاستقراره نحو قالوا سلاما قال سلام ولهذا كان تحية ابراهيم
صلوات الرحمن عليه احسن من تحيتهم كما جاء واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها ومما يدل على ان اصله
النصب ان قوله اياك نعبد بيان الحمدهم فكانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد والاصل توافق
الجملتين واللام في الحمد لتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف كل احد من ان الحمد ما هو والاستغراق
وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق محمد ابويه مثلا لا يدخل فيه ايضا وايضا الحمد لله لا يفهم منه الاحقيقة
الحمد من حيث هي فكذا ما ناب منابه وهو الحمد لله وقرا بعضهم بكسر الدال وبعضهم بضم الدال اتباعا
الرب المالك ربه يربه فهو رب او مصدر وصف به للمبالغة كالعدل وهو مطلقا مختص بالله تعالى
ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار ارجع الى ربك وقرى بالنصب على المدح او بتقدير نحمد والعالم
اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملايكة والثقلين قال ابن عباس والاكثرون
وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر والاعراض لقوله قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات
والارض وما بينهما فعلى الاول ومشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب وعلى الثاني العلامة وجمع

مطلب فوايد الوصف الفاتحة

مطلب فاتحة الحروف

مطلب اعراب الفاتحة

ليشمل كل جنس ما سمي به وبالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء مالك يوم الدين صفة اخرى واليوم هو
المدة من طلوع نصف جرم الشمس الى غروب نصف جرمها او من ابتداء طلوعها الى غروب كلها او من طلوع الفجر
الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع ويراد به في الاية الوقت لعدم الشمس ثم والدين الجزاء بالخير والشر
كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء الظرف مجرى المفعول به مثل يا سارق
الليلة اهل الدار وانما افادت التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه انما بمعنى الماضي نحو ونادى
اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا او بمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون من ملك المفيد للاستمرار
نحو فلان يعطي ويمنع وح لا يجل فيكون الاضافة حقيقية وقرئ بنصب الكاف ورفعها منونا وبسكون
اللام مخفف ملك مكسور اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم وملك رفعا ونصبا وجرا اياك ضمير منصوب
منفصل ولا محل للكاف الخطاب نحو ارايتك وهو مذهب الاخفش والمحققين وحكاية الخليل اذا بلغ الرجل
الستين فاياه وايا الشواب شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار
منفصلا وقرئ اياك بتخفيف واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل فهياك
والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره فان قيل لم عدل عن الغيبة الى الخطاب قلنا
هذا يسمى الالتفات في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية
لنشاط السامع وقد يختص مواقعه بفوايد وستنتظم لك في سلك التقرير فايدة تخص هذا الموضع والعبادة
اقصى غاية الخضوع طريق معبد اي مذلل ثوب ذو عبدة في غاية الصفاقة وقوة النسج هدى يتعدى
باللام او بالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار
في قوله واختار موسى قومه والاصل فيه الامالة ومنه انا هدنا اليك اي ملنا والهدية لانها تمال من ملك
الى ملك والهدي للذي يساق الى الحرم اي امل قلوبنا الى الحق والصراط الجادة واصله السين من
سرط الشي ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم ومثله مسيطر ومصيطر
والسراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل صراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم وفايدته
التوكيد كقولك هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان ويكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل
من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا وقرا ابن مسعود صراط
من انعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين او صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة لان تعريف الذين كلا تعريف
كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني او لان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك
بالحركة غير السكون والفرق بين عليهم الاولى والثانية ان الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها
الرفع على انها مفعول اقيم مقام الفاعل واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه
وكل ما في القران من ذكر النعمة بكسر النون فهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش ونعمة
كانوا فيها فاكهين والغضب في اللغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب اطلاقه على الخلق وعلى الخالق واصل
الضلال الغيبوبة ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه ومنه الكافر غاب عن الحق قال تعالى ائذا ضللنا
في الارض وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز عطف احدهما على الاخر وتقول انا زيدا غير ضارب
كما تقول انا زيدا لا ضارب ويعضده ما قرئ وغير الضالين وقرا ايوب السختياني ولا الضالين بالهمزة
كما قرا عمرو بن عبيد ولا جان وامين مدا وقصرا معناه استجب كما ان رويد معناه امهل وعن ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه افعل ج في المباحث الفقهية البحث الاول اجمع الاكثرون
ومنهم الشافعي على ان قراءة الفاتحة واجبة في الصلوة فان ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم يصح صلوته
وعند ابي حنيفة رحمه الله قراءتها غير واجبة لنا انه صلى الله عليه وسلم واظب طول عمره على قراءتها في الصلوة
فيجب علينا لقوله فاتبعوه وايضا اقيموا الصلوة معناه الصلوة التي اتى بها الرسول عليه السلام لكنه كان
يقرا الفاتحة فيها فتجب وايضا روي في ذلك اخبار كثيرة مثل لا صلوة الا بفاتحة الكتاب كل صلوة لم
يقرا فيها بفاتحة فهو خداج وروى رفاعة بن مالك ان رجلا دخل المسجد وصلى فلما فرغ من صلوته
وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمني الصلوة يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اذا توجهت الى القبلة

فكبر

فكبر واقرأ فاتحة الكتاب وظاهر الامر للوجوب ولا سيما في معرض التعليم وايضا الخلفاء الراشدين واظبوا
على قراءتها طول العمر وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين وايضا المواظبة على
قراءة الفاتحة يوجب هجران سائر السور وذلك غير جايزة اذ لم يكن واجبة فثبت انها واجبة • حجة ابي حنيفة
فاقروا ما تيسر من القران قلنا الفاتحة هي المتيسر المحفوظة على جميع الالسنة ثم قال اذا قرا اية واحدة
كفت مثل السواوحم والطور وقد خالفه صاحباه ابو يوسف ومحمد لا بد من قراءة ثلاث ايات او اية واحدة
طويلة مثل اية الدين • البحث الثاني قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية
من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك
لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤها على انها اية من كل سورة وعليه الشافعي واصحابه
لما روي عن ام سلمة انها قالت قراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فعد بسم الله الرحمن الرحيم •
اية • الحمد لله رب العالمين اية • الرحمن الرحيم اية • مالك يوم الدين اية • اياك نعبد واياك نستعين • اية اهدنا
الصراط المستقيم اية • صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اية • وعن سعيد المقبري عن
ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم
وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
اخبرك باية لم تنزل على احد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى فقال باي شي تفتتح القران اذا افتتحت
الصلوة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي • وباسناده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال له كيف تقول اذا افتتحت الصلوة قال اقول الحمد لله قال قل بسم الله الرحمن الرحيم • وباسناده
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه كان اذا افتتح السورة في الصلاة يقرا بسم الله الرحمن الرحيم • وكان
يقول من ترك قراءتها فقد نقص وباسناده عن ابن عباس في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة
الكتاب فقيل لابن عباس فاين السابع فقال بسم الله الرحمن الرحيم • وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يقول سبحانه قسمت الصلوة بيني وبين عبادي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله مجدني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي • واذا قال الرحمن الرحيم •
قال الله اثنى علي عبدي • واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الي عبدي • واذا قال اياك نعبد واياك
نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي • واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا العبد ولعبدي
ما سال الى غير ذلك من الاخبار وايضا التسمية مكتوبة بخط القران في مصاحف السلف مع توصيتهم بتجريد
القران عما ليس منه ولذلك لم يثبتوا امين • وايضا قال صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ما اعظم اية في كتاب
الله قال بسم الله الرحمن الرحيم • فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انها ليست اية تامة في قوله
انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم • فيكون اية في غير هذا الموضع وايضا ان اكثر الانبياء اوجبوا على
انفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عند ركوب السفينة بسم الله مجريها ومرسيها وكتب سليمان الى بلقيس
بسم الله الرحمن الرحيم • وقوله انه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب فلما فتحت الكتاب قرات
التسمية قالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم • ولما ثبت الابتداء بالتسمية في حقهم ثبت في حق نبينا ايضا
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين
حتى نزلت بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر رضي الله عنه قال نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة
وايضا البسملة من القران في النمل ثم اناراه مكررا بخط فوجب ان يعتقد كونه من القران مثل فباي
الاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين • حجة المخالف خبر ابي هريرة ايضا في رواية اخرى قال يقول
الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني
عبدي الى اخره قال لم يذكر التسمية ولو كانت اية من الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايتان
فالترجيح للمثبت لا للنافي قالوا التنصيف انما يحصل اذا لم نعد التسمية اية حتى يحصل للرب ثلاث ايات
ونصف وللعبد ثلاث ايات ونصف من اياك نستعين الى اخر السورة اما اذا قلنا التسمية اية صار القسم
الاول اربع ايات ونصف فيحرم التنصيف قلنا نعد التسمية اية ولا نعد انعمت عليهم وهذا اولى رعاية

لتشابه المقاطع ولان غير صفة او بدل ويختل الكلام بجعله منقطعًا عما قبله لان طلب الاهتداء بصراط
المنعم عليهم لا يجوز الا بشرط كون المنعم عليه غير مغضوب عليه ولا ضالا بدليل قوله تعالى الم تر الى الذين
بدلوا نعمت الله كفرا فهذا المجموع كلام واحد وهذا بخلاف الرحمن الرحيم • فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان
الكلام مع الموصوف غير مختل النظام • قالوا روت عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلوة بالتكبير
والقراءة بالحمد لله رب العالمين • قلنا قال الشافعي لعل عايشة جعلت الحمد لله رب العالمين اسما لهذه
السورة كما يقال • قرا فلان الحمد لله الذي خلق السموات والارض قالوا لو كانت من الفاتحة لزم التكرار في
الرحمن الرحيم • قلنا التكرار للتاكيد غير عزيز في القران فان قيل اذا عد التسمية اية من كل سورة على
ما يروى عن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله فما وجه ما روي عن ابي
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في سورة الملك انها ثلثون اية وفي الكوثر انها ثلاث ايات ومع ان
العدد حاصل بدون التسمية • قلنا اما ان يعد التسمية مع ما بعدها اية وذلك غير بعيد الا ترى ان
قوله الحمد لله رب العالمين اية تامة • وفي قوله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين بعض اية واما ان يراد
ما هو خاصة الكوثر ايات فان التسمية كالشي المشترك فيه بين السور • البحث الثالث عن احمد بن حنبل
ان التسمية اية من الفاتحة ويسر بها في كل ركعة • ابو حنيفة رحمه الله ليست باية ويسر بها اية ويجهر بها
لانها بعد ثبت كونها من الفاتحة او القران لا يحتمل فرق بينه وبين باقي الفاتحة حتى يسر بهذه ويجهر بذلك
وايضا انه ثنا على الله وذكر له فوجب ان يكون الاعلان به مشروعا لقوله عز من قايل فاذكروا الله كذكركم
اباكم او اشد ذكرا وايضا الاخفاء والسر انما يليق بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة قال
صلى الله عليه وسلم طوبى ان مات ولسانه رطب من ذكر الله وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول
يا من ذكره شرف للذاكرين • وكان مذهبه الجهر بها في جميع الصلوات • وقد ثبت هذا من تواتر ومن اقتدى
به لن يضل قال صلى الله عليه وسلم اللهم ادر الحق معه حيث دار • وروى البيهقي في سننه الكبير عن ابي هريرة
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم • يجهر في الصلوة بسم الله الرحمن الرحيم • وروي عن عمر وابنه وابن
عباس وابن الزبير مثل ذلك وروى الشافعي باسناده ان معوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرا بسم الله
الرحمن الرحيم • ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معوية سرقت
من الصلوة اين بسم الله الرحمن الرحيم • اين التكبير عند الركوع والسجود ثم انه اعاد الصلاة مع التسمية والتكبير
قال وكان معوية شديد الشكيمة ذا شوكة • فلولا ان الجهر بالتسمية مقررا عند كل الصحابة لم يجروا على
ذلك حجة المخالف ما روى البخاري في صحيحه عن انس قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين وفي رواية
ولم اسمع احدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم • وفي رواية ولم يجهر احد منهم بسم الله الرحمن الرحيم • وعن
عبد بن المغفل انه قال سمعني ابي وانا اقول بسم الله الرحمن الرحيم • فقال اي بني اياك والحدث في الاسلام
قد صليت خلف ابي بكر فقال الحمد لله رب العالمين • وصليت خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين • وصليت
خلف عثمان فقال الحمد لله رب العالمين • فاذا صليت فقل الحمد لله رب العالمين • والجواب ان حديث
انس معارض بما روي عنه ايضا ان معوية لما ترك التسمية في الصلاة انكر عليه المهاجرون والانصار وروى
ايضا ابو قلابة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وابا بكر كانوا يجهرون كانوا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم
والاسرار به فقال لا ادري هذه المسيلة • واذا اضطربت الروايات عنه وجب الرجوع الى سائر الدلايل
وايضا ففيها تهمة اخرى وهو ان عليا رضي الله عنه كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما كان زمن بني امية
بالغوا في المنع عن الجهر سعيا في ابطال اثار علي بن ابي طالب رضي الله فلعل انسا خاف منهم فلهذا
اضطربت اقواله وايضا من المعلوم ان النبي عليه السلام كان يقدم اولي الاحلام والنهى • والاكابر والعلماء
على غيرهم ولا شك ان عليا وابن عباس وابن عمر كانوا اجل حالا من انس وابن المغفل واقرب موقفا انه
صلى الله عليه وسلم ما كان يبالغ في الجهر لقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا
فلهذا لم يسمعا ورواية المثبت اولى من النافي والدلايل العقلية معاضدة بها عمل علي بن ابي طالب كرم

البحث الرابع

البحث الرابع تقديم التسمية على الوضوء سنة عند عامة العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض اهل الظاهر حيث قالوا
لو تركها عمدا او سهوا لم تصح صلوته لنا قوله صلى الله عليه وسلم توضأ كما امرك الله والتسمية غير مذكورة في اية الوضوء
والصحيح عندنا ان الجنب والحايض لا يقولها بقصد القراءة والتسمية عند الذبح وعند الرمي الى الصيد وعند
ارسال الكلب مستحبة فلو تركها عامدا او ناسيا لم تحرم الذبيحة عند الشافعي ولكن تركها عمدا مكروه وعند
ابي حنيفة رحمه الله ان ترك التسمية عمدا لم يحل وان نسي حل والعلماء اجمعوا على انه يستحب ان لا يشرع في عمل
من الاعمال الا ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم فاذا نام قال بسم الله واذا انتبه قال بسم الله واذا قام من المقام
قال بسم الله واذا اكل او شرب او اعطى او اخذ قال بسم الله ويستحب للقابلة اذا اخذت الولد من الام
ان تقول بسم الله وهذا اول احواله من الدنيا واذا مات واذا دخل القبر قيل بسم الله وهذا اخر احواله من
الدنيا واذا قام من القبر قال بسم الله واذا حضر الموقف قال بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله
البحث الخامس قال الشافعي ترجمة القران لا تكفي في صحة الصلوة لا في حق من يحسن القراءة ولا في حق من
لا يحسنها وقال ابو حنيفة انها كافية في حق القادر والعاجز وقال ابي يوسف ومحمد كافية في حق العاجز لا القادر
لنا انه صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرؤا في الصلوة الا هذا القران العربي فوجب علينا
اتباعهم وكيف يجوز لعاقل قيام الترجمة باي لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر قالوا روي
عن عبد الله بن مسعود انه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام الفاجر
ثم قال الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطاء في القران ان يقرا مكان العليم الحكيم بل ان يضع اية الرحمة مكان اية
العذاب قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك قالوا وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم
وموسى ولا ريب ان القران بهذا اللفظ ما كان في زبر الاولين لكن بالعبرية والسريانية قلنا ان القصص
والمواعظ موجودة لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك ان يكون الموجود فيها قرانا فان النظم المعجز من
ماهية القران والكل بدون الجزء مستحيل البحث السادس الشافعي في القول الجديد قال يجب
قراءة الفاتحة على المقتدي سواء اسر الامام او جهر بها وفي القديم يجب اذا اسر الامام ولا يجب اذا جهر وهو قول
مالك واحمد ابو حنيفة يكره القراءة خلف الامام بكل حال لنا قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القران وقوله
صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب يشمل المنفرد والمقتدي وايضا روى الترمذي في جامعه باسناده
عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني
اراكم تقرؤن خلف امامكم قلنا اي والله قال لا تفعلوا الا بام القران فانه لا صلوة لمن لم يقراها قال
وهذا حديث حسن وايضا قراءتها لا تبطل الصلوة عندهم ولكن يجوز ويبطلها عدم القراءة عندنا فالاحوط
قراءتها احتج المخالف بقوله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا وباخبار روى ضعفها البيهقي في
كتابه ونحن نقول اما القران فمخصوص بغير الفاتحة لما مر واما الاخبار فهب انها صحيحة الا ان الترجيح معنا
لان الاشتغال بقراءة القران من اعظم الطاعات ولانه احوط البحث السابع مذهب الشافعي ان
الفاتحة واجبة في كل ركعة فان تركها في ركعة بطلت صلوته وبه قال ابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود ومعظم
الصحابة لانه صلى الله عليه وسلم كان يقراها في كل ركعة ولانه قال للاعرابي الذي علمه الصلوة وكذلك
فافعل في كل ركعة وعن ابي سعيد الخدري انه قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نقرا فاتحة الكتاب
في كل ركعة فريضة كانت او نافلة وايضا القراءة في كل ركعة احوط فيجب المصير اليها وقيل غير واجبة
اصلا وقيل يجب في كل ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند ابي حنيفة
القراءة تجب في الركعتين الاوليين لقول عايشة رضي الله عنها فرضت الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت
في السفر وزيدت في الحضر فهما اصل والزايد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين
وتكره في الاخريين وعند مالك يجب في اكثر الركعات وفي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنين وفي الرباعية
في ثلاث البحث الثامن اذا ثبت ان القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا بطلت
صلوته وكذا سهوا على الجديد ومما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلى المغرب فترك القراءة فقيل
له تركت قال كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال فلا باس معارض بما روى الشعبي عنه انه

مطلب فرضت الصلوة ركعتين

اعاد الصلوة وايضا العلة ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة • البحث التاسع رعاية الترتيب في اجزاء الفاتحة
وما وقع في غير مرتب فغير محسوب • البحث العاشر ان لم تحفظ شيا من الفاتحة قرا بقدرها من غيرها من
القران ثم من ذكر من الاذكار ثم عليه وقفه بقدرها فان لم تعلم قرا ما لم يفرغ منه البحث الحادي عشر
ما نقل عن ابن عباس وابن مسعود انه كان الفاتحة والمعوذتان ك فيما يختص بتفسير الحمد لله من الفوايد
الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤة والياقوتة الثمينة والحمد للحي فقط
والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه
قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين والحمد مامور به مطلقا قال عليه الصلوة والسلام
من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع من انواع الفضايل باختياره
وبغير اختياره والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة معينة وهو فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولا بد ان
يكون على جهة التفضيل لا على سبيل التهكم والاستهزا والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان
وقد يكون بالقلب والجوارح قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده
فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس
الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثنا على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح
لخفا عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد
نقيض الذم ولهذا قيل الشعير يوكل ويذم والمدح نقيض الهجا والشكر نقيض الكفران اذا عرفت ذلك فنقول
لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لما مران المدح قد يكون لغير المختار • ولو قال
الشكر لله كان ثنا بسبب انعام وصل الى ذلك القايل واذا قال الحمد لله فكانه يقول سواء اعطيتني اولم
تعطني فانعامك واصل الى كل العالمين وانت مستحق للحمد العظيم ولا ريب ان هذا اولى وقيل الحمد لله على ما دفع من
البلاء والشكر لله على ما اعطى من النعماء والنعمة في الاعطاء اكثر من النعمة في دفع البلاء فكانه يقول انا شاكر لادنى
النعمتين فكيف باعلاهما ويمكن ان يقال ان المنع غير متناه والاعطا متناه والابتدا بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له
اولى وايضا دفع الضرر اهم من جلب النفع فتقديمه احرى الثانية لو قال احمد الله افاد كون ذلك القايل على حمده واذا
قال الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد لله معناه ان مطلق الحمد والثنا حق
الله وملكه كما ينبي اللام الجنسي واللام الجارة وذلك بسبب كثرة الايه وانواع الايه على عبيده واما يه ولا يخفى ان هذا
اولى من ان يحمده شخص واحد فقط ولهذا لو سيلت هل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن حمدا ضعيفا
ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلايق كان اكمل • فان قيل اليس ان المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاذ
يستحق الحمد من التلميذ والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال عليه السلام من لم يحمد الناس لم يحمد
الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذلك المنعم بعد ان خلق النعمة وسلط المنعم عليها
ومكن المنعم عليه من الانتفاع وامنه من فوات الانقطاع ولهذا قال عز من قايل وما بكم من نعمة فمن الله وايضا
كل مخلوق ينعم على غيره فانه يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا او ثنا او تحصيل خلق او تخليصا من رذيلة
البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد في الحقيقة اما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته
لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال وكان عطاوه جودا محضا فثبت ان لا مستحق للحمد الا الله تعالى الثالثة
انما لم يقل احمد والله لان الانسان عاجز عن الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف فوق ما يستطيعه وذلك
ان نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على
الشكر والثنا اللايق بها وايضا انما يمكنه القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره الله على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه
داعية ذلك وازال عنه العوايق والصوارف وكل ذلك انعام من الله فيتسلسل وايضا الاشتغال بالحمد والشكر
معناه ان المنعم عليه يقابل النعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعمة الله فقد اشرك وهذا
معنى قول الواسطي الشكر شرك اما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كل الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على
الاتيان به اولم يقدروا ونقل ان داود عليه السلام قال كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك على
وهو ان توفقني لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكرك فقد شكرتني بحسب قدرتك

الحمد رفع بالابتدا ولله خفض باللام ومن نصب الدال نصبه على المصدر وكسرها للمجاورة كسر اللام نحو لله وضم الدال في الحمد نحو لله الحمد ومن فتح النصب على المدح هـ

وطاقتك

وطاقتك. الرابعة عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد فيقول الحمد لله يقول الله انظروا الى عبدي
اعطيته ما لا قدر له فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه ان ما انعم الله على العبد شيء واذا قال الحمد لله ومعناه المحامد
التي بها الاولين والاخرون من الملايكة والثقلين لله تعالى. وكذا المحامد التي سيذكرونها الى وقت قوله
دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين. والى ابد الابدين
ودهر الداهرين. فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهي من غير المتناهي بقي غير المتناهي فالذي
بقي للعبد طاعات غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي
والخير السرمدي. الخامسة لا شك ان الوجود خير من العدم وان وجود كل ما سوى الله تعالى فانه حصل
بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه واذا قال العبد الحمد لله فكانه قال الحمد لله
على كل مخلوق خلقه وعلى كل محدث احدثه من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي
وذات وصفة وجسم وعرض من ازل الازال الى ابد الاباد وانا اشهد انها باسرها لك لا شركة لاحد
فيها معك. السادسة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقال سبحان الله والحمد لله فما السبب في وقوع البداية
بالتحميد والجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرا في ذاته
وصفاته عن النقايص. والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون محسنا اليهم. الا اذا كان عالما بجميع
المعلومات ليعلم مواقع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليها والا
اذا كان غنيا في نفسه والا شغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه منزها
عن النقايص والافات. السابعة الحمد له تعلق بالماضي وهو وقوعه شكرا عن النعم السابقة وتعلق بالمستقبل
وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم فبالاول يغلق ابواب النيران وبالثاني يفتح لك ابواب
الجنان فان الحمد لله ثمانية احرف كعدد ابواب الجنة. الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكن يجب ان يذكر في موضعها
ليحصل المقصود. قال السري منذ ثلاثين سنة استغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق
في بغداد واحرقت دكاكين الناس فاخبر واحد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروة ان
لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلثين سنة. فالحمد على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا على اعمال
القلوب اولى من الحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث عطية النعم اولى من الحمد عليها من حيث هي نعم
فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللايق به. التاسعة اول ما بلغ الروح الى سرة
ادم عطس فقال الحمد لله رب العالمين واخر دعوي اهل الجنة الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية على
الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد ان يكون اول اعمالك واخرها مقرونا بكلمة الحمد. العاشرة لا يحسن
عندنا ان يقدر قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الولد اذا قال لولده اعمل كذا وكذا ولم
يمتثل كان عاقا ان يكون الامر الفلاني ينبغي ان يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يجيبه ويطيعه وان
كان عاقا كان اثمه اقل فكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه اقل
بخلاف ما لو قدر قولوا الحمد لله. الحادية عشرة شنعت الجبرية على المعتزلة ومن يجري مجراه بانكم
تثبتون للعبد فعلا واختيارا واستحقاق في الحمد انما يكون على اشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان
بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الايمان باختيار العبد لكن الاختيار ايضا مستند
الى الله تعالى فاستحق الحمد لذلك وشنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا
لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبح في فعله ولا جور في قضيته وعندكم لا قبيح الا وهو فعله
ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبت ان لو امكن تصور الفعل المخصوص احسن واتم
مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة الى المحل
المخصوص. الثانية عشر اختلفوا في ان شكر المنعم واجب عقلا او شرعا فمنهم من قال عقلا
ومن جملة ادلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وابطلوا عليهم بقوله
رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك
على ان استحقاقه للحمد ثابت بكونه ربا للعالمين قبل مجي الشرع وبعده والجواب ان استحقاقه لمثل

مطلب سري

هذا الحمد عرفنا من قبل الشرع واعلم ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار والعبادات في انها انما يوتي بها لالان
الله تعالي مستحق لها ولا لانه تعالي يجازي بها ولكنها للتحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان الله حسبي
ك في فوايد قوله رب العالمين الاولي الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه وتعالي فقط واما ممكن لذاته
وهو كل ما سواه ويسمي العالم كما مر وذلك اما متحيز او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا
للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد والجسم اما علوي او سفلي والعلوي كالسماويات ويندرج فيها العرش
والكرسي وسدرة المنتهي واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض بما
عليها وفيها الماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه في القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار
وكرة النسيم ومنه الهواء الصافي والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان علي تباين انواعها
واصنافها القسم الثاني الاعراض باجناسها وانواعها القسم الثالث الارواح فهي اما سفلية خيرة كالجن
او شريرة كالشياطين واما علوية متعلقة بالاجسام كملايكة السموات قال صلي الله عليه وسلم ما في السموات
موضع شبر الا وفيه ملك قايم او قاعد او غير متعلق وهو الملايكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان
كل موجود سوي الواجب محتاج الواجب في الوجود وفي البقا ايضا فهو اله العالمين من حيث انه اخرجها من
العدم الي الوجود ورب العالمين من حيث انه يبقيها حال استمرارها فكل من كان اكثر احاطة باحوال الموجودات
وتفاصيلها كان اكثر وقوفا علي تفسير قوله رب العالمين. الثانية المربي قسمان احدهما ان يربي ليربح عليهم
والثاني ان يربي ليربحوا عليه والاول شان المخلوقين الذين غرضهم من التربية اما ثواب او ثنا او تعصب
او غير ذلك والثاني داب الحق سبحانه وتعالي كما قال خلقتكم لتربحوا علي لا لاربح عليكم وكيف لا يكون
عليه وانه متعال عن الاستكمال منزه عن ان يحدث في خزاينه بسبب التربية والافادة والافاضة
اختلال يجيب الملحين في الدعا يزيد في الخلق ما يشا يكفي علمه عن المقال ويغني كرمه عن السوال
وسع كل شي رحمة وعلما وربي كل حي كرما وحلما ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين. فلينظر الانسان الي طعامه انا
صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا
وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم
سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا
وانزلنا من المعصرات ما ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا. الثالثة لما كان الله احسن
الاسما عقبه باكمل الصفات وهو رب العالمين اذ معناه ان وجود ما سواه فايض عن تربيته واحسانه
وجوده وامتنانه فالاول يدل علي التمام والثاني علي انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم انه يربيك
كانه ليس له عبد سواك وهو الله الواحد الصمد وانت تخدمه كانك لك اربابا غيره فما انصفك يا ايها الانسان
قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن خلقت لعبادة الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الادمي بنيان
الرب ملعون من هدم بنيان الرب ق في فوايد قوله الرحمن الرحيم الاولي الرحمن بما لا يتصور صدوره
من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا الرحمن لانك تسلم الي نطفة مذرة فاسلمها اليك صورة حسنة
انا الرحيم لانك تسلم الي طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة. الثانية ذهب بعضهم الي ملك فقال
جيتك لمهم يسير فقال اطلب المهم اليسير من الرجل اليسير فكان الله تعالي يقول لو اقتصرت علي الرحمن
لاحتشمت مني وليتعذر عليك سوالي الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم
لتطلب مني شراك نعلك وملح قدرك. الثالثة الوالد اذا اهمل حال ولده ولم يوديه ظن ان ذلك
رحمة وهو في الحقيقة عذاب من لم يودبه الابوان ادبه الملوان وعكسه حال من يقطع يده لاكلة فيها
او يضرب لتعليم حرفة والتاديب بخصلة شريفة وكل من في العالم من محنة وبلية فهو في الحقيقة رحمة ونعمة
عسي ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسي ان تحبوا شيا وهو شر لكم. وقصة موسي مع الخضر كما يجي في موضعها
توكد ما ذكرنا والحكيم المحقق هو الذي يبني الامور علي الحقايق لا علي الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر

القليل

القليل شركثير • الرابعة اعطي مريم عليها السلام رحمة ولنجعله اية للناس ورحمة منا فصارت سببًا
لنجاتها من توبيخ الكفار والفجار واعطانا رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا ننجو بسببه من
عذاب النار • الخامسة وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة فكان من حاله انه لما كسر اسنانه قال
اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون والله يقول يوم القيامة امتي امتي فلما وصف نفسه بكونه رحمانا
رحيما الينا فكانه يقول الرحمة الواحدة لا يكفي لصلاح المخلوقات فذرني وعبيدي فاني انا الرحمن
الرحيم رحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية والمتناهي لا يدرك غير المتناهي فسيغرق معصيتهم
في بحار رحمتي ولسوف يعطيك فترضى • السادسة حكي عن ابراهيم بن ادهم انه قال
كنت ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال
فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب ذلك الرغيف على وجهه وعن ذي النون قال
كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرايت عقربا
قويا يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر فقفز العقرب عليه واخذ الضفدع يسبح
فركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع الى الطرف الاخر نزل العقرب على ظهره واخذ يعدو
فتبعته فرايت شابا نائما تحت شجرة وعنده افعى يقصده فلما قرب الافعى من ذلك الشاب وصل
العقرب الى الافعى ولدغها والافعى ايضا لدغته وماتا معا وفي ادعية العرب يا رازق النعاب في عشه وحكايته
ان ولد الغراب لما يخرج من البيضة يكون كانه قطعة لحم فتهجره امه تنفر منه حتى اذا جرح ريشه عادت
اليه فيبعث الله تعالى اليه في تلك المدة ذبابا يغتذي به • وروي ان فتى قرب وفاته
واعتقل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم واخبروه فقام ودخل عليه
وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال عليه السلام اما كان يصلي اما كان يزكي اما كان يصوم
فقالوا بلى فقال هل عق والدته قالوا نعم فقال هاتوا بامه فاتي بعجوزة عوراء فقال النبي عليه
السلام هل عفوت عنه فقالت لا اعفو لانه لطمني ففقا عيني فقال عليه السلام هاتوا بالحطب والنار
فقالت وما تصنع بالنار فقال عليه السلام احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت عفوت
النار حملته تسعة اشهر النار ارضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد
ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت رحيمة فقط ولم يجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق واظب
على ذكر الرحمن الرحيم سبعين سنة • قال عليه الصلوة والسلام ان لله تعالى مائة رحمة انزل
منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون • واخر تسعا
وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته
بلا نهاية • في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى من قضية العدالة الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع
والعاصي والمخالف لا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى
يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
روي انه يجاء برجل يوم القيامة فينظر في احوال نفسه ولا يرى لنفسه حسنة البتة فيأتيه
النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت فيقول الله الست لما كنت نائما تقلب من
جنب الى جنب ليلة كذا قلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم في الحال فنسيت اما انا فلا تاخذني سنة
ولا نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل ويوزن حسناته وسيئاته فيخف حسناته فيأتيه بطاقة فتثقل ميزانه
فاذا فيه شهادة ان لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره • واعلم ان حقوق الله تعالى على
المسامحة لانه تعالى غني عن العالمين واما حقوق العباد فهي اولى بالاحتراز عنها روي عن ابي هريرة قال
• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال
ان المفلس من ياتي يوم القيامة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال
هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ
من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار الثانية من فوائد مالك احتج بوجوه الاول ان فيه حرفا

مطلب حكاية عجيبة

مطلب ما يتعلق بحقوق العباد

زايدا فيكون ثوابه اكثر • الثاني في القيامة ملوك ولا مالك الا الله • الثالث المالكية سبب لاطلاق
التصرف والملكية ليست كذلك • الرابع العبد اذ ولدت حالا من الرعية فيكون التصرف في المالكية اكثر منه
• الخامس الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونه رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك • السادس
الملك يجب عليه رعاية حال الرعية كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما المملوك
فيجب عليه خدمة مالكه وان لا يستقل في امر الا باذنه حتى لا يصح منه القضا والامامة والشهادة ويصير
مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة حجة من قرا مالك ان كل واحد من اهل البلد يكون
مالكا والملك لا يكون الا اعلاهم شانا وايضا قل اعوذ برب الناس ملك الناس لم يقرا فيه غير ملك فتعين
وايضا الملك اقصر ومالك يلزمه تطويل الامل فانه يمكن ان يدركه الموت قبل تمام التلفظ به واجيب ان
العزم يقوم مقام الفعل لو مات قبل الاتمام كما لو نوى بعد غروب الشمس يجب صومه بخلاف ما لو
نوى في النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القرائتين احكام اما المتفرعة على الاولى • فقراءة المالك ارجى
من قراءة الملك لان اقصى ما يرجى من الملك العدل والانصاف وان ينجو الانسان منه راسا براس والمالك
يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والانعام يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم
يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم الملك يطمع فيك والمالك انت تطمع فيه الملك لا يختار
من العسكر الا القوي ويترك من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه الملك رهبة
وسياسة والمالك له رافة ورحمة واحتياجنا الى الرافة والرحمة اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما
المتفرعة على الثانية فانه في الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشا وتنزع الملك
ممن تشا وفي الاخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ملكه لا يشبه ملك المخلوقين
لانهم اذا بذلوا قلت خزائنهم ونفذت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان اكثر عطا كان اوسع ملكا فان اعطاك
عشرة اولاد زاد في ملكه عشرة اعبد من لوازم ملكه كمال الرحمة فلذا قرن بقوله ملك يوم الدين قوله رب
العالمين الرحمن الرحيم ومثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف
بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه انه ظل الله في الارض الكفر سبب لخراب العالم تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة تقتضي صلاح المعاش
والمعاد من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف
نفسه بانه مالك يوم الدين اظهر للعالمين كمال عدله بنفي الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل
اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا خلة للملك اعم نفعا واتم وتعاطي ان يكون عادلا ومن
هنا يظهر البركة في العالم او ترتفع ان كان السلطان عادلا او جائرا حكي ان انوشروان خرج
يوما الى الصيد وانقطع من عسكره واستولى عليه العطش وراى بستانا فيه رمان فلما دخله قال
لصبي فيه اعطني رمانة فعصرها واخرج منها ماء كثيرا فشربه واعجبه ذلك فعزم على ان ياخذ ذلك البستان
من مالكه ثم قال لذلك الصبي اعطني رمانة اخرى فاعطاه فعصرها فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده
عفصا فقال ايها الصبي لم صار الرمان هكذا فقال الصبي فلعل ملك البلد عزم على الظلم فلشوم ظلمه
صار هكذا فتاب انوشروان في قلبه واناب فقال للصبي اعطني رمانة اخرى فعصرها فوجدها اطيب
من الاولى فقال للصبي لم بدلت هذه الحالة فقال لعل الملك تاب عن ظلمه فلما وجد انوشروان مقالة
الصبي مطابقة لاحواله في قلبه تاب بالكلية فكان منهيا من عدله انه ورد في حقه قول نبينا عليه السلام
ولدت في زمن الملك العادل الثالثة كونه مالكا وملكا معناه انه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات
على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من غير مانع ولا منازع وعلى قضية الحكمة والعدالة
فهو الملك الحق وانه مالك يوم الدين ايضا لان القدرة على احياء الخلق بعد اماتتهم والعلم بتلك الاجزاء المتفرقة
من ابدان الناس لا يختص به احد غيره فاذا كان الحشر والنشور لا يتاتى الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات
وقدرة ينفذ في كل الممكنات فلا مالك ليوم الدين الا الله فان قيل لا يكون مالكا الا اذا كان المملوك

حكاية انوشروان

مطلب ولدت

موجود ١٥

مطلب تهديد

موجود لكن الغنيمة غير موجودة فينبغي ان يقال مالك يوم الدين بالتنوين بدليل انه لو قال انا قاتل زيد
كان اقرارا ولو قال انا قاتل زيدا كان تهديدا قلنا لما كان قيام القيامة امرا حقا لا يجوز الاخلال به في الحكمة
جعل وجوده كالشيء القايم في الحال ولو قيل ربما تنفد قامت قيامته زال السؤال • الرابعة قالت القدرية
ان كان الكل من الله فثواب الرجل على ما لم يعمله عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم فيبطل كونه مالكا ليوم الدين
قلنا خلق الجنة وخلق اهلا لها وخلق النار وخلق اهلا لها وذلك ان عز له صفة لطف وصفة قهر كما ينبغي لكل
ملك فخلق لكل صفة مظهرا ولا يسال عما يفعل لان كل سول يتقلب فهو باطل • الخامسة في هذه السورة

مطلب من نكات

من اسما الله تعالى خمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك كانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك
باصناف النعم فانا الرب ثم عصيت فسترت عليك فانا الرحمن ثم تبت فغفرت لك فانا الرحيم ثم اجازيك

مطلب اسما الله خمسة

بما عملت فانا مالك يوم الدين وذكر الرحمن الرحيم مرة في التسمية ومرة في السورة دليل على ان العناية
بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين كيلا يغتروا بها ونظيره غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب • السادسة الحمد والمدح والتعظيم فيما بين الناس اما لكونه كاملا
في ذاته وان لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء وطمعا في المستقبل واما خوفا ورهبة
فكانه سبحانه يقول ان كنتم تعظمون للكمال الذاتي فاحمدوني فاني انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السالف
فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فانا الرحمن الرحيم وان كنتم تعظمون رهبة عن
العقاب فانا مالك يوم الدين ح في فوايد قوله اياك نعبد الاولى لا شك ان تقديم المفعول مفيد
للاختصاص اي لا نعبد احدا سواك والحاكم فيه الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر
لان العبادة عن نهاية التعظيم فلا يليق الا لمن صدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا
ثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما فاوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وكان
ميتا فاحياه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اسمعه وابصره
واعقله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو اله بهذه المعاني واما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه
افتقاره غير محصورة من اول العمر الى اخره مع انفتاح ابواب التقصير والخلاع ربقة الطاعة فهو رب
رحمن رحيم من هذه الوجوه واما المستقبل فامور المتعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه
الحيثية فلا منزع للعبد في شيء من احواله الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وايضا ثبت بالدلايل
القاطعة وجوب كونه تعالى قادرا عالما جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك من الصفات الكمالية واما كون غيره
من الفلكيات والطبايع والنفوس كذلك فمشكوك فيه ان لم يجزم بانه لا تاثير لها فوجب طرح المشكوك
والاخذ باليقين فلا معبود بالحق الا الله سبحانه وايضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف واعلى
كانت العبودية اهنأ وامرأ ولما كان الله تعالى اشرف الموجودات واعلاها واولاها بالصفات
العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني ممكن فقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة
غيره فدافع الحاجات هو الله فلا يستحق العبادة الا هو وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه • الثانية
تقديم ذكره الله تعالى يورث الخشية والهيبة حتى لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس

حكي

ان واحدا من الصالحين الاستاد بين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرع الاستاد
مرارا فقيل له فلان الاستاد فانصرع في الحال وما ذاك الا الاحتشام بعد عرفانه وايضا ذكره تعالى

اياك نعبد

اولا يورث قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه كما ان من اراد حمل ثقيل يقدم عليه
دواء او غذاء يعينه على ذلك وكما ان العاشق يسهل عليه جميع الالام عند حضور معشوقه وايضا
ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طايف الشيطان
من الكسل والبطالة طلع له جلال الله من مشرق اياك نعبد فتغير مبصرة مستعدة لاداء حق العبودية
وايضا ان بدأ بالعبادة ايضا يعني ابليس تلبيسه ان المعبود من هو فيلغ في نفسه وسلواس اما اذا
عبر هذا الترتيب وقال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته
متقدم في الوجود فيناسب ان يكون متقدما في الذكر وايضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة

وعلى المنعم لاعلى النعمة **ولهذا قيل** لبني اسرايل اذكروا نعمتي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود عندهم
اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في قوله نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله تعالى للعبد حيث
لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم والتكريم كقوله تعالى **حكاية** عن نفسه نحن نقص عليك احسن القصص
كانه قال لما اظهرت عبوديتي ولم يستنكف ان يكون عبدا لي جعلناك امة ان ابراهيم كان امة ومنها انه لو قال
اياك اعبد كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك
ولا ريب ان الثاني ادخل في الادب والتواضع ومنها ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة اولى قال
عليه السلام التكبيرة الاولى في صلوة الجماعة خير من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهي ان الانسان اذا اكل الثوم
والبصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتاذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يفي بهذا القدر من الايذاء
فكيف يفي بما هو اكثر من ذلك ايذاء للمسلمين من الغيبة والنميمة والسعاية وساير انواع الظلم **ومنها**
ان يكون المراد اعبدك والملايكة معي والحاضرون بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان المومنين اخوة فكان
الله تعالى قال لما اثنيت علي بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
ارتفع منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك السعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك
نستعين **ومنها** ان العبد يقول الهي عباداتي مخلوطة بالتقصير واني اخلطها جميع العابدين فلا يليق
بكرمك ان تميز بين العبادات وان ترد الكل وفيها عبادة الانبيا والاوليا بل الملايكة المقربين وهذا كما اذا رجل
اذا باع من غيره عشر اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد الكل وليس له ان يقبل البعض دون البعض في تلك
الصفقة الرابعة من عرف فوايد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها لان الكمال
محبوب لذاته واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جماله
ولهذا قد ورد من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان واداء الامانة
واجبة عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واداء الامانات من احد الجانبين سبب لاداء ها
من الجانب الاخر **قال** بعض الصحابة اتى اعرابي باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل
المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي اديت امانتك
فاين امانتي **قال** الراوي فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاءه رجل على ناقته وقد قطع يده وسلم
الناقة اليه وقال عليه السلام لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال
بالعبادة انتقال من عالم الغرور الى دار السرور وركون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة
يحكى عن ابي حنيفة رحمه الله ان حية سقطت من السقف وتفرق الناس وهو في الصلاة ولم
يشعر به ووقعت الاكلة في بعض اعضاء عبد الله بن الزبير واحتاجوا الى قطع ذلك العضو فقطع وهو في
الصلاة فلم يشعر به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين يشرع في الصلاة كانوا يسمعون من صدره
ازيزا كازيز المرجل ومن استبعد فليقرا قوله فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن فاذا كان بجمال البشر مثل هذا
التاثير فكيف جلال الله وعظمته اذا تجلى على قلب الموحد العابد وقد تحدث الحيرة والدهشة عند
روية بعض السلاطين فكيف اذا كان الوقوف بين يدي رب العالمين **واعلم** ان العبادة لها
ثلاث درجات لانه اما ان يعبد الله تعالى رغبة في ثوابه او رهبة عن عقابه ويختص باسم الزاهد حيث
يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو اشرف منها وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما ان يعبد
الله تعالى تشرفا بعبادته او بقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة وتسمى بالعبودية واما
ان يعبد الله تعالى لكونه الها ولكونه عبدا له والالهية توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخضوع والذلة
وهذه اعلى درجات وتسمى بالعبودة واليها الاشارة بقول المصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله او هربا من عقابه
فسدت صلوته **يحكى** ان عابدا في بني اسرايل اعتزل وعبد الله تعالى سبعين سنة فارسل اليه ملكا
ان عبادتك غير مقبولة فلا تشق على نفسك ولا تجاهد فاجاب العابد بان الذي علي هو العبودية واني لا ازال
افعل ما علي فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال الله بم اجاب العابد فقال

مطلب صلوة فاسدة

انه

انت اعلم يارب انه قال كذا وكذا فقال الله تعالى ارجع اليه وقل له قبلنا طاعتك بسبب نيتك والتحقيق
ان اثبات نسبة الامكان هو قصارى مجهود العابدين ونهاية مطامح ابصار العارفين وفي العبادة انشراح
صدور المومنين وانها عاقبة حال المتقين قال عز من قايل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولان العبودية اشرف المقامات مدح الله
تعالى به نبيه في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وافتتح عيسى بذلك اول ما نطق فقال اني عبد الله
وكان علي رحمه الله يقول كفى لي فخرا ان اكون لك عبدا وكفى لي شرفا ان تكون لي ربا اللهم اني وجدتك
الها كما اردت فاجعلني عبدا كما اردت ومنهم من قال العبودية اشرف من الرسالة لان بالعبودية ينصرف
من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن التصرفات وبالرسالة يقبل
على التصرفات ولهذا قال شرف المتقدم في قول الموحد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون ط في فوايد قوله واياك
نستعين الاولى لا شك ان للعبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان
ذلك المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بد ان ينتهي الى الله تعالى وايضا كل الخلايق يطلبون طريق
الحق مع استوايهم في التدرج والعقل والجد والطلب ولا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وايضا
قد يطلب الانسان حاجة من غيره ويبذل فيه مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالقا تلك الداعية في القلب ليس الا من
الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فايدة
الاستعانة في انه ربما جعل الله تعالى ذلك واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل الطعام
ونحوه فيسقط اعتراض الجبري والقدري فافهم الثانية لقايل ان يقول الاستعانة على العمل انما يحسن
قبل الشروع فيه لا بعده فهلا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة والجواب كانه يقول
شرعت في العبادة فاستعين بك في اتمامها حتى لا يمنعني مانع ولا يعارضني صارف فان قلب المومن
بين اصبعين من اصابع الرحمن وايضا ان فعل الاستعانة مطلقة يتناول كل مستعان فيه فذكر العبادة
كالوسيلة الى طلب الاعانة على الحوايج وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا اريد بالاعانة غيرك
اقتداء بالخليل عليه السلام حيث قيده نمرود بيديه ورجليه ورماه الى النار فجاء جبراييل وقال هل لك
حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل الله قال حسبي من سوالي علمه بحالي وههنا نكتة وهو ان المومن
في الصلوة مقيد رجلاه عن المشي ويداه عن البطش ولسانه عن القراءة والذكر فكما ان الله تعالى قال
يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فكذلك يقول لنار جهنم جز يا مومن فقد طفى نورك لهبي الرابعة
لا استعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فانا اقطع الواسطة ولا انظر الا الى اعانتك
الخامسة اياك نعبد يورث العجب بالعبادة فاردفه بقوله واياك نستعين لازالة ذلك السادسة
ههنا مقامات معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله اوفوا
بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكمالها مذكور في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين فانتقال العبد من العدم الى السابق الى الوجود يدل على كونه الها وحصول الفوايد
للعبد حال وجوده يدل على كونه ربا رحمانا رحيما واحوال معاده يدل على انه مالك يوم الدين واما
معرفة العبودية فمبداها اياك نعبد وكمالها اياك نستعين في جميع المطالب واذا تم الوفا ههنا
بالعهدين ترتبت عليه الثمرة وهو قوله اهدنا اه وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه السابعة
في التفات الوارد في السورة وجوه منها ان المصلي كان اجنبيا عند الشروع في الصلاة فلا جرم اثنى
على الله بالفاظ المغايبة الى قوله مالك يوم الدين ثم ان الله تعالى كانه يقول حمدتني واقررت
باني اله رب رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت يا عبد رفعنا الحجاب وابدلنا البعد بالقرب
فتكلم بالمخاطبة وقل اياك نعبد ومنها انه لما ذكر الحقيقة بالحمد واجرى عليه تلك الصفات
العظام من كونه ربا لا يخرج شي من ملكوته منعما على الخلق بانواع جلايلها ودقايقها مالكا للامر
كله في العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب

واياك نستعين

مطلب اقتداء ابراهيم

ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات **فقيل** اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة ليكون
الخطاب اول على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به ومنها ان الدعا بالحضور اولى كما ان
الثنا في الغيبة اوقع واحرى وهكذا فعل الانبيا عليهم السلام ربنا ظلمنا انفسنا • رب هب لي حكما • رب
زدني علما • رب ارني • رب لا تذرني فردا **ومنها** اذا شرع في الصلوة نوى القربة فاثنى على الله بما هو
اهله فاستجاب الله دعاءه في تحصيل تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة الثانية
اعلم ان المشركين طوايف منهم من اتخذ الالهة من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب والفضة والنحاس
ومنهم من اتخذ من النبات كالشجر المعينة ومنهم من اتخذ كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذ البسيطة اما
السفلية كعبدة النار وهم المجوس او العلوية كعبدة الشمس والقمر وساير الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم
نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملايكة عبارة الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح
الفلكية يدبره **وكذا** لكل نوع من انواع هذا العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها
وهم عبدة الملايكة ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والاخر شرير وهو ابليس اذا
عرفت ذلك فنقول قد مر ان الحمد لله يتضمن التسبيح له وساير الصفات منبية عن سبب اثبات جميع انواع
الحمد له واياك نعبد تدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله وان الله اكبر من جميع
المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة الا بالله
فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة لا هنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **ي** في فوايد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل
ان طلب الهداية من المومنين وهو مهتدي تحصيل للحاصل **واجيب** بان المراد صراط
الاولين في تحمل المشاق العظيم لاجل مرضات الله تعالى يحكى ان نوحا عليه السلام كان يضرب في كل يوم
مرات بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وايضا ان في كل خلق من الاخلاق
طرفي افراط و تفريط هما مذمومان والحق هو الوسط والصواب فالمومن بعد ان عرف الله بالدليل
صار مهتديا لكن لا بد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين الطرفين
ومستقيم بين المنحرفين وفي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان
والوسط هو استعمالها في موضعها على قضية العدالة والشريعة محمود وفي القوة النفسانية الجربزة والبله
مذمومان والوسط وهو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من توسط استعمال القوة الشهوية الحيا والرفق
والصبر والقناعة والورع والحرية والسخا ومن توابع السخا الكرم والايثار والعفو والمروة والمسامحة ويلزم
من توسط استعمال القوة الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والسكون والتحمل والتواضع والحمية
والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفا الذهن وسهولة التعلم وحسن التعقل
والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلث كمال العدالة ويتبعها الصدقة والالفة
والوفا والشفقة وصلة الرحم والمكافاة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود وملايكته
وانبيايه واولي الامر والانقياد لاوامرهم ونواهيهم والتقوى تكمل هذه المعاني وتتممها ولان القوة النطقية
ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق البدني فكمال التوسط في النطقية
ان يستعملها بحيث لا يمكن ازيد منها وكمال التوسط في الاخريين ان يستعملها بحيث لا يمكن اقل من ذلك
ليفضي الى تحصيل سعادة الدارين وايضا العلم النظري يقبل الزيادة بمعنى تواصلا وثانيه وتخللة
الفترات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فلا موجود من اقسام الممكنات الا وفيه
دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته ورحمته وحكمته وربما يصح دين الانسان بالدليل الواحد ويبقى
غافلا عن ساير الادلة فكانه يقول عرفنا الينا ما في كل شي من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك
وعلمك وقدرتك وايضا قد يراد بالصراط المستقيم الاقتدا بالانبيا وهو ان يكون الانسان معرضا
عما سوى الله مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو امر بذبح ولده لاطاع كالخليل ولو امر
ان يذبح انقاد كاسماعيل ولو امر بالقا نفسه في البحر امتثل كيونس ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه بعد

انواع المشركين

اهدنا

بلوغه اعلى منصب ابتر كونه مع الخضر وعن خباب قال شكونا الى رسول الله عليه السلام وهو
متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل
فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل بنصفين ويمشط بامشاط الحديد
ما دون عظمه ولحمه ما يصده ذلك عن دينه وايضا كان العبد يقول الاحباب يدعونني والاعداء الى طريق
ثان والشيطان الى ثالث وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات والاراء والعقل ضعيف والعمر
قصير والقضاء عسير فاهدني الطريق السوي الذي لا ازيغ به حكي عن ابراهيم بن ادهم انه
كان يسير الى بيت الله فاذا اعرابي على ناقة له فقال يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال
كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال ابراهيم ولكنك لا تراها قال وما هي
قال اذا نزلت علي بلية ركبت مركب الصبر واذا استديت الى نعمة ركبت مركب الشكر واذا المرني القضاء
ركبت مركب الرضاء واذا ادعتني النفس الى شي علمت ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال
الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وانا الراجل وقيل الصراط القران او الاسلام وليس بشي
اذ يصير المعنى اهدنا صراط المتقدمين مع انه لم يكن لهم قران ولا اسلام اللهم الا ان يراد اصول
هذه الشريعة وفوايدها كما قال فبهديهم اقتده وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على
الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم زل ومهتد بخل وفي اختيار لفظ الصراط
دون الطريق والسبيل تذكير للصراط الذي هو الجسر الممدود بين طرفي جهنم سهل الله علينا وروده
وعبوره الثانية انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء متى كان اعم كان الى الاجابة اقرب ولهذا قال
بعض العلماء لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك وعن جماعة المسلمين فاياك وان تنسى في
في قولك وعن جماعة المسلمين فان ذلك اوقع عندي من قولك رضي الله عنك لان هذا تخصيص
بالدعاء ويجوز ان لا يقبل واما قولك وعن المسلمين فانه ارجى لانه لا بد ان يكون في المسلمين من يستحق
الاجابة واذا اجاب الله دعاءه في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن هنا ورد في السنة
ان نصلي على النبي عليه السلام قبل كل دعاء وبعده لان الدعاء في الطرفين مستجاب البتة لانه في حق
النبي فيستجاب الوسط بتبعيته ذلك لا محالة وايضا قال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله بالسنة
ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت
بلسانه وهو ما عصي بلسانك وايضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة
الجميع واياك نستعين لاستعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين
جميعا في قوله صراط الذين انعمت عليهم والفرار عن غير الصالحين جميعا في قوله غير المغضوب عليهم
ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا رجي ان يكون كذلك في الاخرة ومن يطع الله والرسول فاولئك
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الثالثة
الخط المستقيم اقرب خط يصل بين نقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم وايضا
المستقيم واحد وما سواه معوجة يشبه بعضها بعضا في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص
وايضا ميل الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سئل الصراط المستقيم قا في فوايد قوله
صراط الذين انعمت عليهم الاولى حد النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد
الفاعل منفعة نفسه او لا على جهة الاحسان لم يكن نعمة فلا يستحق الشكر ثم نقول كل ما يصل الى الخلق
من نفع او دفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله ينتهي اليه
ايضا لانه الخالق لتلك النعمة ولذلك المنعم ودواعيه ذلك الانعام فيه والنعمة الواصلة الينا بطاعتنا
هي ايضا من الله تعالى لانه بتوفيقه واعانته بان اتاح الاسباب وازاح الاعذار واول نعمة من الله
تعالى على عبيده نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن المضار قال تعالى كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم عقب ذلك بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الثانية هل لله تعالى
على الكافر نعمة ام لا انكر ذلك بعض اصحابنا لوجوه منها قوله صراط الذين انعمت عليهم فانه لو كان لله على الكفار

مطلب في استجابة الدعاء

نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه وهو الصراط المستقيم في حكم المنحى **والجواب**
ان قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يدفع ذلك ومنها قوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرا
لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما **والجواب** انه لا يلزم من ان لا يكون الاملاء خيرا ونعمة
لهم ان لا يكون اصل الحياة وساير اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تاخير النعمة بعد ثبوت استحقاقها فا
في هذه الحالة لا يكون كذلك على ان نفس الاملاء ايضا نعمة حالية قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره
الى عذاب النار وليس هذا كمن جعل السم في الحلواء على طبق وانما هو كمن ناول شخصا حلواء لذيذة غير
مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه او لاستغراقه الحلواء لا كما ينبغي افسد مزاج الحلواء ايضا وصير
كالسم القاتل بالنسبة اليه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكيف لا نعم نعم الله
تعالى وقد قال على العموم يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي
جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء وقال كنتم امواتا فاحياكم كل ذلك في معرض الامتنان
وشرح النعم وقال وقليل من عبادي الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين والشكر لا يكون الا بعد النعمة **الثالثة**
ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم **قلنا** يتناول كل من كان لله عليه نعمة دينية ودنيوية
ثم انه يخرج بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دنيوية فقط ويبقى الذين انعم
الله عليهم في الدنيا والاخرة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكان اصل النعم الدنيوية
هو الحياة المستتبعة لكل المنافع فكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات مطلب النزاع لفظي في الاصلح
وكان كمال البدن بالحيوة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من
في القبور وكان حيوة البدن من الله فكذا الايمان منه وبتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة
الاثر الى القابل وبذلك القبول يستاهل الثواب والمومن لا يبقى مخلدا في النار فان من شرفه الله تعالى
باعظم الانعام ان يعاقبه باشد الالام فما الانعام الا بالتمام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله تعالى
واجبا لم يكن ذلك انعاما لان اداء الواجب لا يسمى انعاما قلنا النزاع لفظي لان الاصلح لا بد ان يصدر
عنه ولا يليق بحكمته وكماله خلاف ذلك ثم ما سميت قسم **ب** في فوايد غير المغضوب عليهم
ولا الضالين **الاولى** من المغضوب عليهم ومن الضالون قلت المغضوب عليهم المايلون في كل خلق
او اعتقاد الى طريق التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المايلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى غير المغضوب
وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان الغضب يلزم من البعد والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه
غير مجد بطايل فهو بعيد عن ذلك واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوزه حد الاعتدال فغاب عن المقصود
وسمي بالحيران الذي استهوته الشياطين في الارض حيران فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوه
واذوه حتى قالوا بعد ان نجاهم الله من عدوهم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قايل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما
قالوا والنصارى افرطوا وقالوا المسيح ابن الله ان الله ثالث ثلثة روي عدي بن حاتم ان رسول
الله عليه السلام قال غير المغضوب عليهم اليهود الضالين النصارى وتصديق ذلك من كتاب الله حيث والضالون هم
قال في اليهود وباؤا بغضب من الله وفي النصارى وضلوا عن سواء السبيل وهذا شان الفريقين
واما المومنون فطلبوا الوسط بين الفرقتين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وكذلك
جعلناكم امة وسطا كنتم خير امة اخرجت للناس وخير الامور اوسطها **الثانية** الاية تدل على ان احدا
من الملايكة والانبياء ما اقدم على عمل او اعتقاد يخالف الحق والا كان ضالا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا
الضلال ولم يصلح للاقتداء به والاهتداء بطريقه **الثالثة** ما الفايدة في ان عدل من ان يقول
هذا صراط الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل **قلت**
الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المومن ورجاؤه لاعتدلا
فقوله صراط الذين انعمت عليهم يدل على الرجاء وباقي الاية يدل على الخوف فيكمل الايمان بطرفيه
وركنيه في تفسير السورة مجموعة فيه مناهج النهج الاول نسبة عالم الغيب الى عالم الشهادة نسبة

الاصل

الاصل الي الفرع والنور الي الظل فكل شاهد فله في الغايب اصل والا كان كسراب زايل في خيال باطل
وكل غايب فله في الشاهد مثال والا كان كشجرة بلا ثمرة ومدلول بلا دليل وكل شريف فهو بالنسبة الي
ما دونه مطاع كما قال عز من قايل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ولكل مطاع
في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات والمطاع في عالم الارواح هو المصدر والمطاع في عالم
الاجسام هو المظهر ولابد من ان يكون بينهما ملاقات ومجانسة وبها يتم سعادة الدارين لانهما يدعون
الي الله بالرسالة وحاصل الدعوة امور سبعة تشتمل عليها خواتم سورة البقرة اربعة منها يتعلق بالمبداء
وهو معرفة الربوبية اعني معرفة الله وملايكته وكتبه ورسله امن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله واثنان منها يتعلق بالوسط
احدهما مبدا العبودية وقالوا سمعنا واطعنا والثاني كمال العبودية وهو الالتجا الي الله وطلب المغفرة
منه غفرانك ربنا والثالث يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الي حضرة الملك الوهاب واليك
المصير وتتفرع على هذه المراتب سبع مراتب في الدعا والتضرع اولها ربنا لا تواخذنا ان نسينا او
اخطانا فضد النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم
وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ودفع الاصر والثقل يوجب الحمد الحمد لله رب
العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الي كمال رحمته الرحمن الرحيم ورابعها واعف
عنا لانك انت المالك للقضا والحكومة في يوم الدين مالك يوم الدين وخامسها واغفر لنا لان التجانا بكليتنا
اليك وتوكلنا في جميع الامور عليك اياك نعبد واياك نستعين وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية
منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهذه المراتب ذكرها محمد صلى الله عليه وسلم
في عالم الروحانيات عند صعوده الي المعراج فلما نزل من المعراج فاض اثر المصدر على المظهر فوقع التعبير
عنها بسورة الفاتحة فمن قراها في صلوته صعدت هذه الانوار من المظهر الي المصدر كما نزلت في عهد محمد
صلي الله عليه وسلم من المصدر الي المظهر فلهذا السبب قال عليه السلام الصلوة معراج المومن المنهج
الثاني المداخل التي ياتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلاثة الشهوة والغضب والهوي الشهوة بهيمية
والغضب سبعية والهوي شيطانية فالشهوة افة لكن الغضب اعظم منها والغضب افة لكن الهوي
اعظم منه قال تعالي وينهي عن الفحشاء الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوي فالشهوة يصير
الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوي لربه ولهذا قال عليه السلام الظلم ثلاثة
فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسي الله ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي
لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسي الله ان يتركه هو ظلم الانسان نفسه
ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوي الكفر والبدعة
ويحصل من اجتماع هذه السبعة في بني ادم خصلة ثامنة هو الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة
كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله تعالي مجامع الشرور
الانسانية بالحسد في قوله ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبايث الشيطانية بالوسوسة
في قوله يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس • روي ان ابليس اتي باب فرعون وقرع الباب
فقال فرعون من هذا قال ابليس ولو كنت الها ما جهلت فلما قال فرعون انا ربكم في الارض
شرامني ومنك قال نعم الحسد وبالحسد وقعت فيما وقعت ثم نقول الاسما الثلاثة في التسمية
دافعة للاخلاق الثلاثة الاصلية والايات السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة بيان ذلك
من عرف الله تباعد عنه شيطان الهوي افرايت من اتخذ الهه هويه يا موسي خالف هواك فاني ما خلقت
خلقا نازعني في ملكي الا هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشا الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن
الملك يوميذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالافعال البهيمية
واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفي بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين

مطلب اتي ابليس الي فرعون

زال حرصه فبما لم يجد وبخله فيما وُجد ومن عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم
زال غضبه ومن قال اياك نعبد واياك نستعين زال كبره بالاول وعجبه بالثاني واذا قال
اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم زال عنه كفره
واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته وازالت عنه الاخلاق اندفع عنه الحسد ثم
ان جلة القران كالنتايج والشعب من الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتايج والشعب من تلك
السبعة فلاجرم الفاتحة كلها كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة وههنا دقيقة تتعلق بالرب والملك والاله
وبسببها ختم القران عليها كانه قال اذا اتاك الشيطان من قبل الشهوة فقل اعوذ برب الناس وان اتاك
الغضب فقل ملك الناس وان اتاك من قبل الهوى فقل اله الناس **المنهج** الثالث في ان سورة الفاتحة
جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان في معرفة المبداء والوسط والمعاد الحمد لله اشارة الى اثبات الصانع المختار
العليم الحكيم المستحق للحمد والثنا والتعظيم رب العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين
ملكه وملكه وليس في العالم اله سواه **ولهذا** جاء في القران ان الاستدلال بخلق الخلايق كثيرا
قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت الذي خلقني فهو يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه
ثم هدى ربكم ورب ابايكم الاولين اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرأ باسم ربك الذي
خلق خلق الانسان من علق وهذه الحالة كما انها في نفسها دالة على وجود الرب فكذلك هي انعام عظيم
وذلك ان تولد الاعضا المختلفة الطبايع والصور من النطفة المتشابهة الاجزا لا يمكن الا اذا قصد الخالق
ايجاد تلك الاعضا على تلك الصورة والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب وموافق للغرض كما يشهد به علم تشريح
الابدان فلا احق بالحمد والثنا من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الذي شمل احسانه قبل الموت وعند
الموت وبعد الموت مالك يوم الدين يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يتدبر بعد هذا اليوم يوما
اخر يظهر فيه تمييز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت معرفة الربوبية ثم من قوله
اياك نعبد الاشارة الى الامور التي لابد من معرفتها في تقرير العبودية وهو نوعان الاعمال والاثار
المتفرعة على الاعمال والاعمال لها ركنان احدهما الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه
لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك نستعين **واما** الاثار المتفرعة على الاعمال
فهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين
اهدنا الصراط المستقيم **اه** وفي قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار ارباب
الكمال حلة محموده وسنة مرضية هم القوم لا يشقى بهم جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى ان التجنب عن مرافقة اصحاب البدع والاهوا واجب
عن المرء لا تسئل واسئل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي، والجمر يوضع في الرماد فيخمد **المنهج**
الرابع قال صلى الله عليه وسلم **حكاية** عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي فاذا
قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول
الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول
الله مجدني عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد يقول عبدني عبدي واذا قال
واياك نستعين يقول الله توكل علي عبدي وفي رواية واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله هذا
بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل قوله
قسمت الصلوة بيني وبين عبدي اشارة الى ان اهم مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية
ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم فلاجرم انزل الله تعالى هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد في الوفا
وقوله واذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسبا لقوله فاذكروني اذكركم
انا جليس من ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه والذكر
مقام عال شريف ذكر الله تعالى في القران كثيرا يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك في نفسك

مطلب استعاذة الاخلاق الذميمة

وفي رواية صح

مطلب ذكر النفس

تضرعا

تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به فقوله
ذكرني عبدي يدل على ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان الله
اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى
من مقام الذكر لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
واخر كلام في الجنة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ولان التفكر في ذات الله غير ممكن تفكروا
في آلاء الله ولا تتفكروا في الله وكل من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله
واحسانه اكثر فيحمد الله تعالى اكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله تعالى على وقوف العبد
بعقله وفكره على وجود فضله وانعامه في ترتيب العالم وتربية العالمين وانه اقر بقلبه ولسانه بكرمه
واحسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي فذلك ذلك على ان الاله الكامل المكمل
المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا شك
ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تقدير معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم
لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي اي نزهني وقدسني عن الظلم وعن
شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي والضعيف
ايحسب الظالم في ظلمه اهمل القادر ام امهلا ما اهملوه بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وقوله واذا
قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على
التزام العبد على الطاعة والعبادة ولا يتم ذلك الا باعانة الله بخلق داعية فيه خالصة عن العارض فان العبد
غير مستقل بالاتيان وبدلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا قال اهدنا الصراط المستقيم
يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سال تقريره ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية
او اكثرها وفي المعاد والنبوات وغيرها ليس الا بهداية الله تعالى وارشاده كما قالت الملائكة سبحانك لا علم
لنا الا ما علمتنا وقال ابراهيم صلوات الرحمن عليه لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال
موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي امري **المنهج** الخامس ايات الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة
ايضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه والسجود الاول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة فهذه
الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح وانما يحصل الكمال عند اتصال
الروح بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا ترى ان الباء في بسم الله لما اتصل باسم الله حصل
قائما مرتفعا وايضا التسمية لبداية الامور كل امر ذي بال لم يبدا فيه ببسم الله فهو ابتر والقيام ايضا اول
الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظرا الى الحق والمنعم والنعمة
لان الثناء على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما ان
الركوع متوسط بين القيام والسجود وايضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فينحني وقوله الرحمن الرحيم
مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله بالركوع فاللائق برحمته ان يرده الى الانتصاب **ولهذا**
قال عليه السلام اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب
للسجدة الاولى لدلالته على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع
وقوله اياك نعبد واياك نستعين مناسب للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة
التي تقدمت واياك نستعين استعانة بالله في ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم
سوال لاهم الاشياء فيليق به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الخ
مناسب للقعود لان العبد لما اتى بنهاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه **وح** يقرا
التحيات لله كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم قراءها في معراجه فالصلوة معراج المومن **المنهج** السادس
ايات الفاتحة سبع واعمال الصلوة المحسوسة سبع كما تقرر ومراتب خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فنور ايات الفاتحة يسري الى الاعمال

مطلب نهي التفكر في ذات الله تعالى

السبعة يسري الي هذه المراتب فيحصل في القلب نور على نور ينعكس الي وجه المومن من كثرة صلاته بالليل
حسن وجهه بالنهار **المنهج** السابع انه كان لرسول الله عليه السلام معراجان من المسجد الحرام
الي المسجد الاقصى ثم من المسجد الاقصى الي عالم الملكوت هذا في عالم الحس واما في عالم الارواح فمن الشهادة الي
الغيب ثم من الغيب الي الغيب وهذ بمنزلة قوسين متلاصقين فتخطاهما محمد صلي الله عليه وسلم فكان قاب
قوسين وقوله او ادنى اشارة الي فنائه في نفسه والمراد بعالم الشهادة كل ما يتعلق بالجسم والجسمانيات
وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بسماء سماء الي الملايكة الحافين من حول
العرش ثم الي حملة العرش ومن عبد الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثنا عليه
ولذتهم في خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهكذا ابتصاعد
الي ان ينتهي الي نور النور وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها الا الله او من ارتضاه والمقصود ان نبينا عليه السلام
لما عرج واراد ان يعرج قال رب العزة المسافر اذا عاد وطنه اتحف اصحابه وان تحفة امتك الصلوة
الجامعة بين المراجين الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار فليكن المصلي ثوبه طاهرا لانه بالواد
المقدس طوى وايضا عنده ملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل
وحلم وطيش وقناعة وحرص وساير الاخلاق المتضادة والصفات المتناهية فلينظر ايهما يختار فانه اذا
استحكمت المرافقة تعذر المفارقة اختار الصديق صحبة محمد صلي الله عليه وسلم فلم يفارقه في الدنيا وفي
القبر ويكون معه يوم القيامة وفي الجنة وصحب كلب اصحاب الكهف فلزمهم في الدنيا وفي الاخرة قال
تعالي يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا تطهر فليرفع يديه اشارة الي توديع الدنيا
والاخرة وليوجه قلبه وروحه وسره الي الله تعالي ثم ليقل الله اكبر اي من كل الموجودات بل هو اكبر من ان
يقاس عليه غيره بانه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وفي هذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل
تبارك اسمك اشارة الي الدوام المنزه عن الافنا والاعدام ليطالع حقيقة الازل في التقدم وحقيقة الابد في البقاء
فيتجلى له نور الازل والابد ثم ليقل وتعالي جدك اشارة الي انه اعلي واعظم من ان يكون صفات جلاله ونعوت
كماله محصورة في القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الي ان كل الجلال وصفات الكمال له لا لغيره فهو
الكامل الذي لا كامل الا هو وفي الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل اللسان ويدهش الالباب ثم عد بها المصلي
الي نفسك وحالك وقل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقوله سبحانك اللهم معراج الملايكة المقربين
حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو ايضا معراج محمد صلي الله عليه وسلم لانه معراج مفتتح بقوله
سبحانك اللهم وبحمدك وقولك وجهت وجهي معراج الخليل عليه وسلم وقولك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
معراج الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم وتدرج المصلي بين معراج الملايكة المقربين ومعراج عظماء الانبيا والمرسلين
ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لتدفع العجب عن نفسك وفي هذا المقام يفتح لك
احد ابواب الجنة وهو باب المعرفة بقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين
يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجاء وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك
نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية وبقوله اهدنا الصراط
المستقيم يفتح باب الدعا والتضرع ادعوني استجب لكم وبقوله صراط الذين انعمت عليهم الي اه يفتح باب
الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتدا بانوارهم فجنات المعارف الربانية انفتحت لك ابوابها الثمانية بهذه
المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحاني في الصلوة واما الجسماني فاولي المراتب ان يقوم بين يدي
الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام اهل القيامة يوم يقوم الناس
لرب العالمين ثم اقرا وسبحانك اللهم وبحمدك ثم وجهت وجهي ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القران واجتهد
في ان ينظر من الله الي عبادتك حتي تستحقرها واياك وان ينظر من عبادتك الي الله فانك ان فعلت ذلك
صرت من الهالكين وهذا سر قولك اياك نعبد واياك نستعين **واعلم** ان نفسك الي الان جارية
يجري خشية عرضها على نار خوف الجلال فلانت فاجعلها منحنية بالركوع ثم اتركها لتستقيم مرة اخري فان هذا الدين
متين فاوغل برفق ولا تبغض طاعة الله الي نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقي فاذا عادت الي استقامتها

مطلب معراج

سبحانك

فاخور

فانحدر الي الارض بغاية التواضع واذكر ربك بغاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل
لك ثلاثة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تنجو من عقبة الشهوات وبالسجود الاول من عقبة الغضب
الذي هو رئيس المؤذيات وبالسجود تنجو من عقبة الهوى الداعي الي كل المضلات فاذا تجاوزت هذه الصفات
وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الي الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات وانتهيت الي عقبة
جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوة بالاركان والطيبات
بالجنان وقوة الايمان لله فيصعد نور روحك وينزل روح محمد صلى الله عليه وسلم فيتلاقى الروحان ويحصل
هناك الروح والريحان فقل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم
سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل لك بم نلت هذه الكرامات فقل بقولي اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله فيقيل لك ان محمدا الذي هداك اي شي هدية تبك له فقل اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد فيقيل لك ان ابراهيم هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤك له فقل كما صليت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم فيقال لك ان هذه الخيرات من محمد وابراهيم او من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد
ثم ان العبد اذا ذكر الله تعالى بهذه الاثنية والمدايح ذكر الله تعالى في محافل الملائكة اذا ذكرني في ملاء
ذكرته في ملاء خير من ملايه فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله تعالى ان الملائكة اشتاقوا
الي زيارتك وقد جاوك زائرين فابدا بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلاجرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار **المنهج** الثامن اعظم المخلوقات جلالة ومهابة المكان
والزمان والمكان فضاء لا نهاية له وخلاء لا غاية له والزمان امتداد وهمي شبه بنهر خرج من قعر جبل
الازل فامتد ودخل في قعر الابد فلا يعرف لانفجاره مبداء ولا لاستقراره منزل فالاول والاخر صفة الزمان
والظاهر والباطن صفة المكان وكال هذه الاربعة الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع
الزمان اولا واخرا وهو منزه عن الافتقار الي المكان والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي
وسع كرسيه السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لان جري الزمان يشبه جري الماء
فالعلو صفة الكرسي وسع كرسيه والعظمة صفة العرش رب العرش العظيم والعلو والعظمة درجتان من درجات
الكمال الا ان العظمة اقوى وفوق الكل درجة الكبرياء والكبرياء ردائي والعظمة ازاري ولا تخفي ان الردا اعظم
من الازار وفوق جميع الصفات صفة الجلال وهو تقدسه في هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات وبه استحق
الالهية **ولهذا** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يبتغي وجه الله فالداخل على السلطان يجب ان يتطهر من الادناس
والانجاس والارجاس واولى المراتب التطهر من دنس الذنوب توبوا الى الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها
وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا والاخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الي اعماله وهو مقام الاخلاص
ثم من الالتفات الي عدم الالتفات وهو مقام الحسنى ثم من الالتفات الي كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين
ثم قائما فاقم وجهك للدين حنيفا واستحضر في نفسك جميع اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات فقل
الله اكبر اي من الكل كما مر او من ان لا يراني ولا يسمع كلامي كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك او اكبر من ان يصل اليه عقول الخلق على قضاء حق عبوديته فاذا قلت
الله اكبر فاجل طرف عقلك في ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الى
عالم الامر والتكليف واجعل سورة الفاتحة مراة لك تبصر فيها عجايب الدنيا والاخرة وتطلع منها على انوار اسماء
الحسنى وصفاته العلى والاديان السالفة والكتب الالهية والشرايع النبوية فتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة
ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودرجات الناقصين **فاذا قلت** بسم الله الرحمن الرحيم
ابصرت بالدنيا فاسمه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين ابصرت به الاخرة فبالحمد
قامت الاخرة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين واذا قلت الرحمن الرحيم ابصرت به عالم الجمال المشتمل
على اصول النعم وفروع النوال واذا قلت مالك يوم الدين ابصرت عالم الجلال وما يحصل هنالك من الاحوال

مطلب العظمة والكبرياء

مطلب الله اكبر

مطلب الاحسان

والاهوال واذا قلت اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين ابصرت به عالم الطريقة
واذا قلت اهدنا الصراط المستقيم ابصرت عالم الحقيقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم ابصرت درجات
ارباب السعادات واصحاب الكرامات واذا قلت غير المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات اهل
التفريط والافراط فاذا انكشفت هذه المقامات فلا تظن انك قد بلغت الغايات بل عد الي الاقرار للحق بالكبريا
ولنفسك بالهوان وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبريا الي العظمة وقل سبحان ربي العظيم ثم انتصب ثانيا
لغيرك وجدتها لنفسك فالله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم ولا تكبير في هذا المقام لان التكبير
من الكبريا الهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الي التكبير واخرر به الي غاية العلو وقل سبحان ربي
الاعلي لان السجود اكثر تواضعا روي ان لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحي اليه ايها الملك طر
فطار ثلثين الف سنة ثم ثلثين ثم ثلثين فلم يبلغ من حد طرف العرش الي الثاني فاوحي الله تعالي اليه لو طرت
الي نفخ الصور لم تبلغ الي الطرف الثاني من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان ربي الاعلي امثا
فوايد السجدتين فالاولي الازل والثانية الابد والقعدة بينهما هي الدنيا فنعرف بالاولي انه لا اول له
فنسجد له وبالثانية انه لا اخر فنسجد له ثانيا وايضا الاولي فناء الدنيا في الاخرة والثانية فنا الاخرة في جلال
الله تعالي وايضا الاولي فنا الكل في انفسها والثانية بقاؤها ببقائه وايضا الاولي انقياد عالم الشهادة لقدرته
والثانية انقياد عالم الارواح لعزته الا له الخلق والامر وايضا الاولي سجدة الشكر بمقدار ما اعطانا من
معرفة ذاته وصفاته والثانية سجدة الموقف مما فاتنا من اداء حقوق كبريائه وايضا صلوة القاعد علي النصف
من صلوة القايم فتواضعا السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد وايضا ليكونا شاهدين للعبد علي اداء العبادة
وايضا ليناسب الوجود الاخذ من الوحدة الي الكثرة ومن الفردية الي الزوجية وايضا الانتصاب صفة الانسان
والانحنا صفة الانعام والجثوم صفة النبات ففي الركوع هضم للنفس بمرتبة واحدة وفي السجود بمرتبتين ولعل
ما فاتنا من الفوايد اكثر مما ادركنا **المنهج** التاسع في اللطايف عن النبي عليه الصلاة والسلام ان ابراهيم
عليه السلام سال ربه فقال ما جزاء من حمدك فقال تعالي الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته فقال اهل التحقيق
من هنا جعلنا الله فاتحة كتابه وخاتمة كلامه احبابه في جنته واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وعن علي
رضي الله عنه ان اول ما خلق الله العقل من نور مكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب وعزتي وجلالي
ما خلقت اعز علي منك ونقل ادم عليه السلام لما عطس قال الحمد لله فاول كلام الفاتحة المحدثات الحمد واول كلام
لخاتمة المحدثات الحمد فلا جرم جعلها الله تعالي فاتحة كتابه وايضا اول كلام الله الحمد لله الحمد واخر انبيائه
محمد رسول الله وبين الاول مناسبة فجعل الحمد لله اول اية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك وضع
لمحمد رسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد واحمد وعند هذا قال صلي الله عليه وسلم انا في السماء احمد وفي
الارض محمد فاهل السماء في تحميد الله ورسول الله احمدهم والله تعالي في تحميد اهل الارض كما قال فاوليك
كان سعيهم مشكورا ورسول الله محمد هو اخر الحمد لا يحصل الا عند الفوز بالرحمة والنعمة فلما كان الحمد اول
الكلمات وجب ان يكون النعمة والرحمة اول الا فعال فلهذا قال سبقت رحمتي غضبي اخري ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم اسمه احمد اي اكثر الحامدين حمدا فوجب ان يكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جاء
رحمة للعالمين اخري ان من اسماء الرسول سوي محمد واحمد الحامد والمحمود علي ما جاء في الروايات وكلها
تدل علي الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة وقال تعالي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم فقوله نبئ اشارة الي
محمد وهو مذكور قبل العباد والياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في اني وانا والغفور الرحيم صفتان لله
فالعبد يمشي يوم القيامة قدام الرسول صلي الله عليه وسلم مع خمسة اسماء تدل علي الرحمة وخلفه خمسة الفاظ من
اسماء الله تدل علي الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ورحمة الله غير متناهية ورحمتي وسعت
كل شي فكيف يضيع المذنب فيما بين هذه الاصناف من الرحمة اخري في الفاتحة عشرة اشيا خمسة من صفات
الربوبية الله الرب الرحمن الرحيم المالك وخمسة من صفات العبودية العبادة والاستعانة طلب الهداية
طلب النعمة في قوله انعمت عليهم وكانه قيل اياك نعبد لانك انت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن
وارزقنا الاستقامة يا رحيم وافض علينا سبحانك فضلك يا مالك اخري الانسان مركب من خمسة اشيا

مطلب القنوت

مطلب سبحان ربي الاعلي

انا ع

بين

مطلب النفوس

بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فتجلي اسم الله للجوهر الملكي فاطمان اليه
الا بذكر الله تطمين القلوب وتجلي للنفس الشيطانية باسم الرب فلان وانقاد لطاعة الربان رب اعوذ بك
من همزات الشياطين وتجلي للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ
الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان وتجلي للنفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فترك المعصيات
وتجلي للابدان بصفة القهر والمالكية لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الي قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار فوان فلما كان هذه التجليات انغلقت له ابواب النيران وفتحت عليه ابواب الجنان ورجع القهقري
كما جاء فلطاعة الابدان قال ـــ اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال واياك نستعين علي ترك
اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلي دينك ثبتنا ولطاعة النفس
الشيطانية طلب الاستقامة فقال اهدنا الصراط المستقيم وجوهر العقل الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة
لا المدنسة فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اخري بني الاسلام علي خمس
شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت فشهادة لا اله الا الله من تجلي
نور اسم الله واقام الصلوة من تجلي نور اسم الرب لان الرب من التربية والعبد ربي امانة عمر والصلاة وايتاء
الزكوة من تجلي اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة علي الفقراء وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم لان الصائم اذا
جاع يذكر جوع الفقراء فيعطيهم **عجيب** ان يوسف عليه السلام حين تمكن من مصر كان لا يشبع فقيل
له في ذلك فقال اخاف ان اشبع فانسي الجياع وايضا الصائم يرحم نفسه لانه اذا جاع حصل له فطام عن الالتذاذ
بالمحسوسات فعند الموت يسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلي اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجران الوطن
ومفارقة الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيمة وايضا الحاج يكون عاريا حافيا حاسرا وهو يشبه احوال القيامة
اخري الحواس خمس ولكل ادب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغي فاعتبروا يا اولي الابصار وادب السمع الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وادب الذوق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب الشم اني لاجد ريح يوسف
وادب اللمس والذين هم لفروجهم حافظون الا علي ازواجهم او ما ملكت فاستعن بانوار الاسماء الخمسة الله
الرب الرحمن الرحيم المالك علي تاديب هذه الحواس الخمسة اخري السطر الاول من الفاتحة مشتمل
علي الاسماء الخمسة فيفيض انوارها علي الاسرار والسطر الثاني مشتمل علي الصفات الخمس العبد فيصعد منها
اسرار الي تلك الانوار ويحصل للعبد معراج في قراته وتقرير الاسرار ان حاجة العبد اما لدفع الضر او جلب خير

مطلب التجلي

وكل منهما اما في الدنيا واما في الاخرة فهذه اربعة وههنا قسم خامس وهو الاشرف وذلك الاقبال علي طاعة
الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة فان شاهدت نور اسم الله لم يطلب من الله شيئا سوي الله وان طالعت
نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت نور الرحيم طلبت منه
العصمة عن مضار الاخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه العصمة عن افات الدنيا الموقعة في عذاب
الاخرة اعاذنا الله تعالي منها اخري للتجلي ثلث مراتب تجلي الذات قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا
العظماء الانبياء والملايكة المقربين وهذه نهاية الاحوال ويدل عليه اسم الله تعالي وتجلي الصفات وهو في اواسط
الاحوال ويكون للاولياء واولي الالباب الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ويدل
عليه اسم الرحمن وتجلي الافعال والايات وهو في بداية الاحوال ويكون لعامة العباد الذي جعل لكم الارض مهادا
وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتي كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات
لاولي النهي ويدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما اخري في الفاتحة كلمتان ممنا قات
بسم الله ذكر الحمد لله شكر بسم الله استحق الرحمة رحمن الدنيا وبالحمد لله يستحق رحمة اخري رحيم الاخرة
وكلمتان اضيف اليهما اسمان رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية لبداية حالهم الست بربكم قالوا بلي
والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما اسمان مطلقان لوسط حالهم الراحمون يرحمهم
الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء **المنهج** العاشر للخلق خمس احوال اولها الايجاد والتكوين
والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربية في مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب وثالثها التربية في معرفة
المبدا ويدل عليه اسم الرحمن والعها في معرفة المعاد وتدل عليه اسم الرحيم كي يتقدم علي ما ينبغي ويحجم عما لا ينبغي

وخامسها نقل الارواح من عالم الاجسام الي المعاد ويدل عليه مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا انتفع بجميع الاستبصار من اهل المشاهدة فقال اياك نعبد لانك انت الله الخالق واياك نستعين لانك انت الرب الرازق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك واياك نستعين لانك المالك اياك نعبد لانا ننتقل من دار الشرور الي دار السرور ولا بد من زاد وخير الزاد العبادة واياك نستعين لان الذي نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد باعانتك فالمشقة شاسعة والطرق كثيرة فلا طريق الي ان يطلب الطريق ممن هو با رشاد السالكين حقيق اهدنا الصراط المستقيم ثم انه لا بد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم فالانبياء ادلا والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب لتسمان ناريته هي الدنيا عاجبها وهي ما سواها اللهم ادفع عنا كل ما يحجب بينك وبيننا انك رب العالمين ومالك يوم الدين

سورة البقرة ونذكر بها السورة التي يذكر فيها

البقرة مدنية غير اية نزلت يوم عرفة بمنى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله حروفها ٥٥ع ح م كلماتها ٦ م ١ ع ١ اياتها عند اهل الكوفة ع ٨ ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ۞ الذين يؤمنون
ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ۞ والذين يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون ۞ اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ۞

بالغيب صح

القراءة

لا ريبه بالمد خلف والعجلي عن حمزة وخلف لنفسه وكذا قوله تعالى لا خير ولا جرم وذلك لاجتماع النفقة مع الالف او التاكيد معنى النفي للجنس فهو ابن الكثير وكذلك كلها كنا بها في جميع القراء ت هدى للمتقين موغما من غير غنة حمزة وعلي وخلف ويزيد وورش من طريق النجاري والهاشمي عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين في الراء حيث وقعت ابو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها والباقون باظهار الغنة ولا خلاف بين القراء في ادغام اصل النون والتنوين في اللام والواو والراء والياء والميم انما الخلاف بينهم في اظهار الغنة واسقاطها وهو صوت من الخيشوم يومنون غير مهموز ابو عمرو ويزيد وورش والاعشى وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبههما من الافعال الا فا حرف يسيرة تذكر في مواضعها والباقون بالهمز

باب

المد بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين مد الكلمة والكلمتين وكذلك روي ورش عن نافع الباقون يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون بين الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف في اختياره والاعشى ومدهم بمنزلة اربع الفات واوسطهم مدا علي وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى واقصرهم مدا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد الف ساكنة علي قدر فتحة قبلها فتمدها تاما وبالاخرة بترك الهمزة ونقلها الي الساكن الذي قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة في الوقف فان مذهبه ان يقف علي كل كلمة مهموزة بغير همزة

باب

السكتة روي عن حمزة وحماد والشموني انهم يسكتون علي كل حرف ساكن بعده همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا امنا واشباه ذلك والسبب فيه التمكين والمبالغة في تحقيقها لان الهمزة بعد السكتة كالمبدا بها والاختيار في الكلمة الواحدة ان لا تسكت علي ساكن غير لام التعريف احترازا عن قطع الكلمة الوقوف الم ه ج للاختلاف لا ريب ج علي حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه ثم يستانف هدى ومن وصل جعل فيه خبر لا او وصف ريب وحذف خبر لا تقديره لا ريب فيه عند المومنين والوقف علي التقديرين علي ما فيه وهدى خبر محذوف اي هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب باعمال معنى الاشارة في ذلك علي تقدير اشير الي الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين لا لان الذين صفتهم ينفقون لا للعطف ليدخل عبد الله بن سلام واصحابه في المتقين فان القران لهم هدى وليدخل الصحابة المومنون بالغيب في ثنا الهوى ووعد الفلاح ولو ابتداء والذين كان اولئك علي هدى خبرهم مختصا بهم واختص هدى القران واسم التقوي بالذين يومنون بالغيب من قبلك لاختلاف النظم

بتقويم

بتقديم المفعول يوقنون ط لان اوليك مبتدا وليس بخبر عما قبله وكذا على كل اية وقف الا ما علم بعلامة
المفلحون التفسير وفيه ابحاث **البحث** الاول في الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها في قولهم
الف با تا ثا اسما مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الصاد مثلا لفظ دال بالتوطي
على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون
لفظ الصاد اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالامالة نحو با تا و بالتفخيم نحو با تا و بالتعريف والتنكير والجمع
والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضافة وقولهم با تا ثا متهجاة مقصورة نحوها ثم قولهم كتبت ياء بالمد
نحو كتبت لاء لا يدل على انها حرف مثل لا فانهم انما قالوا كذلك في المتهجي لكثرة الاستعمال واستدعا بها
التخفيف والذي رواه ابن مسعود ان النبي عليه السلام قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة
بعشر امثالها لا اقول الم حرفا بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وايضا ما وقع في عبادات المتقدمين انها حروف
التهجي خليق بان يصرف الى التسامح والتجوز لانه اسم للحرف وهما متلازمان للحرف وهما متلازمان او لان الحرف
قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع **ويحكى** عن الخليل انه سال اصحابه كيف تنطقون
بالبا التي في ضرب والكاف التي في لك فقالوا نقول با كاف فقال انما جيتم بالاسم لا الحرف **وقال**
اقول ب ك ثم انهم راعوا في هذه التسمية لطيفة وهو انهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم
استعادوا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى البسملة
والحيعلة والتهليل ونحوها وحكم هذه الاسما سكون الاعجاز ما لم تلها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا
عليها كالعد فتنفي الاعراب نحو واحد اثنان ثلثة دار ثوب جارية فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب تلحق
هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الالف والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها
حذو كيف واين وهولاء ولم صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين وللناس في المر وما يجري مجراه
من فواتح السور قولان احدهما ان هذا علم محجوب وسر مستور استاثر الله به والتخاطب بالحروف المفردة سنة
الاحباب في سنن المحاب فهو سر الحبيب مع الحبيبة بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر بين المحبين سر ليس يفشيه
قول ولا قلم للخلق يحكيه عن ابي بكر الصديق رضه في كل كتاب سر وسره في القران اوايل السور حروف التهجي ه
وقال بعض العارفين العلم كبحر اجري منه واد ثم اجري من الوادي نهر ثم اجري من النهر
جدول ثم اجري من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل البحر والنهر لا يحتمل الوادي ولهذا قال عز من قايل
انزل من السما ما فسالت اودية بقدرها فبحور العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اودية ثم اعطى
الرسل من اوديتهم انهارا الى العلما ثم اعطى العلما الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت
العامة سواقي الى اهاليهم بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد في الخبر للعلماء سر وللخلفا سر وللانبيا
سر وللملايكة سر ولله تعالى من بعد ذلك سر فلو اطلع الجهال على سر العلما لابادوهم اي قتلوهم ولو اطلع
العلما على سر الخلفا لنابذوهم ولو اطلع الخلفا على سر الانبيا لخالفوهم ولو اطلع الانبيا على سر الملايكة
لاتهموهم ولو اطلع الملايكة على سر الله لطاحوا خايرين وبادوا بايرين والسبب في ذلك ان العقول
الضعيفة لا يحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخنافيس **وسيل** الشعبي عن هذه الحروف
فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس انه قال عجزت العلما عن ادراكها وقيل هو من المتشابه ويزيف
هذا القول بنحو قوله تعالى افلا يتدبرون القران تبيانا لكل شي هدى للمتقين وانما يكون التدبر ويكون
تبيانا وهدى اذا كان مفهوما وبقوله عليه السلام اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب
وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وايضا لا يخاطب المكلف بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي بالعجمي ولا يحسن
التحدي بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والوقوف ههنا لان الراسخين لو كانوا
عالمين بتاويله كان الايمان به كالايمان بالمحكم فلا يكون في الايمان مزيد مدح ولا يكون في قوله كل من عند ربنا
فايدة على ما لا يخفى وبقوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد روي
عن اكابر الصحابة ما رويناه وايضا الافعال التي كلفنا بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فان فيها تواضعا
للمعبود والصوم فيه كسر الشهوة والزكوة فيها سد خلة المساكين ومنها ما لا يظهر فيه الحكمة كلكثير من افعال

الحج ويحين من الله تعالى الامر بالنوعين لظهور الامتثال بهما بل كمال الانقياد في النوع الثاني يظهر اكثر لانه
تعبد محض فلا يجوز ان يكون في الاقوال ايضا مثل ذلك مع ان فيه فايدة اخرى هو اشتغال النفس بذكر الله
تعالى والتفكر في كلامه **القول** الثاني في ان المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه
الاول انها اسما للسور وهو اكثر قول المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن
لام الطاي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت نون وسيجود تمام الكلام في هذا القول
الثاني انها اسماء الله روي عن علي رضي الله عنه انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ويقرب
منه ما روي عن سعيد بن جبير انها ابعاض اسماء الله فان الر وحم ون مجموعها اسم الرحمن لكنا لا نقدر
على كيفية تركيبها في الجميع الثالث انها اسما الله تعالى او صفة من صفاته فالالف اشارة الى انه احد اول
اخر ازلي ابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه مجيد ملك منان وفي كهيعص كاف لعباده
والياء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق والكاف محمول على الكبير والكريم والياء على انه
يجي والعين على العزيز والعدل وروي هذا عن ابن عباس وعنه ايضا في الم انا الله اعلم وفي المص
انا الله اعلم وافصل وفي الر انا الله ارى الخامس صفات الافعال الالف الاوه واللام لطفه والميم
مجده قال محمد بن كعب القرظي السادس الالف من الله واللام من جبرايل والميم من محمد اي انزل الكتاب
بواسطة جبرايل على محمد السابع الالف انا واللام لي والميم مني قاله بعض الصوفية الثامن ان ورودها
مسرودة هكذا على نمط التعديد ليكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقران اي ان هذا المتلو عليهم
وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر
البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجم غفير التاسع كانه تعالى يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا او
ردت عليكم مولفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك وهذا على طريقة تعليم الصبيان قاله عبد العزيز بن يحيى
العاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه انزل الله تعالى هذه الاحرف رغبة في اصغايهم
ليهجم عليهم القران من حيث لا يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادي عشر قول ابي العالية انه حساب على ما روي
ابن عباس انه مر ابو ياسر بن اخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب
ثم اتى اخوه حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف فسالوا عن الم وقالوا نشهد والله الذي لا اله الا هو احق
انها اتتك من السماء فقال عليه السلام نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا اني لاعلم اجل هذه الامة
من السنين ثم قال كيف يدخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى مدته احدى وسبعون
سنة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حيي مائة واحدى
وستون فهل غير هذا فقال نعم الر فقال حيي نشهد ان كنت صادقا ما ملكت امتك الا مائتين واحدى
وثلثين سنة فهل غير هذا قال نعم المر قال حيي لا ندري باي اقوالك ناخذ فقال ابو ياسر اما انا فا
شهد ان انبيانا قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يوقتوا انها كم يكون فان كان محمد صادقا فيما يقوله
اني لاراه يستجمع له هذه كله فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا امرك فانزل الله تعالى هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الثاني عشر تدل على انقطاع كلام واستيناف
كلام اخر الثالث عشر قول الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات
بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه واقتصروا على البعض والمراد الكل كما تقول قرات الحمد وتريد السورة كلها
اقسم الله بها ان هذا الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ الرابع عشر ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية
الاقدام الاميون واهل الخط والكتاب بخلاف النطق واسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا فلما اخبر
الرسول صلى الله عليه وسلم بها من غير تعلم خط وقراءة كان ذلك دليلا على استفادة ذلك من قبل الوحي الخامس
عشر قال القاضي الماوردي معناه الم بكم ذلك الكتاب اي نزل عليكم هذا لا يتاتى في كل فاتحة السادس
عشر الالف اشارة الى ما لا بد منه من الاستقامة على الشريعة في اول الامر ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهو رعاية الطريق والذين جاهدوا فينا والميم اشارة
الى صيرورة العبد في مقام المحبة كالدايرة التي يكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفنا في الله بالكلية وهو الحقيقة

القران وهو قول الكلبي والسدي الرابع كل واحدة من الحروف دال على اسم من اسماء الله صح

فرالله

قل الله ثم ذرهم السابع عشر الالف من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم
من الشفة وهو اخر المخارج اي اول ذكر العبد ووسطه واخره لا ينبغي الا الله الثامن عشر سمعت بعض الشيعة
يقول هذه الفواتح اذا حذف من المكررات بقي ما يمكن ان يركب منه علي صراط نمسكه وهذا غريب مع انه
متكلف فلهذا اوردته واعلم ان الباقية من الفواتح بعد حذف المكرر اربعة عشر نصف حروف المعجم وقد
اورد الله الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على انصاف اجناس الحروف
من المهموسة نصفها الصاد والكاف والها والسين والحا ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين
والطاء والقاف واليا والنون ومن الشديدة نصفها اكت طق ومن الرخوة نصفها الم ر ص ه ع س ي ن ومن
المطبقة نصفها ص ط ومن المنفتحة نصفها الم ر ك ه ع س ح ق ي ن ومن المستعلية نصفها ق ص ط
ومن المنخفضة نصفها ال م ر ك ه ي ع س ح ن ومن الحروف القلقلة ق ط واكثر الفاظ القران
من هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم تبكيتا
لهم واظهارا لعجزهم كما مر في الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعها جاءتا
في معظم هذه الفواتح مكررتين والله اعلم التاسع عشر قيل معناه الست بربكم الالف
واللام والميم من اخر وان اخذت منكم كتاب العهد يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند الاكثرين
القول بانها اسما السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت في التسمية
بالم وحم والمقصود من العلم رفع الاشتباه الثاني لو كانت اسما لاشتهرت وتواترت الثالث
لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين نحو معدي كرب وبعلبك ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسما واربعة
وخمسة فالقول بانها اسما السور خروج عن لغتهم الرابع لو كانت اسما لاشتهرت السورة بها لكنها
اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وال عمران الخامس هذه الالفاظ داخلة في السور وجزء الشي متقدم
على الشي بالرتبة واسم الشي متاخر عن الشي فلزم ان يكون متقدما متاخرا معا وهو محال وليس هذا كتسمية
صاد بالحرف الاول منه فان هذا كتسمية بالمولف فلا يلزم الا تاخر المركب عن المفرد بوجهين وهذا تسمية المولف
بالمفرد ويلزم المحال المذكور واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام المشتركة من انها
ليست بوضع واحد مع انه لا يبعد ان يجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الاخر بعلامة اخرى لحكمة خفية وعن الثاني بان
تسمية السورة بلفظ معينة ليست من الامور العظام التي يتوفر الدواعي على نقلها وعن الثالث بان التسمية
بثلاثة اسما خروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا فاما منثورة نثر اسما العدد فلا استنكار لانها
من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية نحو برق نحره وكما لو سمي ببيت شعر او بطائفة من اسما
حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب اشهر من الاسم وعن الخامس ان تاخرها هو متقدم باعتبار
اخر غير مستحيل وفي لسان الصوفية ان هيات الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام
واللام الى الركوع والميم الى السجود اي من قرا فاتحة الكتاب في الصلاة التي هي معراج المومن شرفه الله بالهداية
في قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسما
ضربان احدهما ما لا ياتي فيه الاعراب نحو كهيعص المر وثانيهما ما ياتي فيه الاعراب لكونه اسما فردا كصاد
وقاف ونون او اسما عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وكذلك طسم
اذا فتح نونها صار كدار بجرد فالنوع الاول ملكي ليس الا والثاني فيه امران الاعراب والحكاية فاذا اعرب
منع الصرف للعلمية والتانيث قال يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم والحكاية ان يجي
بالقول بعد نقله محلي استبقاء صورته نحو قولك بدات بالحمد لله قال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون
غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا واما من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات فيفعل مضمر نحو اذكر او حركت
لالتقا الساكنين واستكره جعلها مقسما بها على طريقة قولهم نعم الله لافعلن على حذف الجر واعمال فعل
القسم لان القران والقلم بعدها محلوف بهما واستكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد ولهذا قال
الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى واو العطف لا القسم نحو وحياتي ثم حياتك
لافعلن ولو كانت القسمي قسم بالاول على شي لجاز ان يستعمل كلاما اخر نحو بالله لافعلن تالله لاخرجن ولاسيل

فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم الا ان يقدر مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واما من قرا صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه الفواتح جارت في المصحف مكتوبة على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها لان المالوف انه اذا قيل للكاتب اكتب صاد مثلا فانه يكتب مسماها وايضا اشتهار امرها ان المراد بها الاسامي لا المسميات امن وقوع اللبس فيها وايضا خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لان المعتبر فيه ذلك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح اسما للسور فلا محل لها عنده كما لا محل للجمل المبتداة والمفردات المعدودة ومن جعلها اسما للسور فتخبرك عن تاليفها مع ما بعدها الله حسبي

البحث الثاني في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد لانه وقعت الاشارة بذلك الى الم بعد ما سبق المتكلم به والمنقضي في حكم المتباعد ولهذا يحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا او لانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك او لانه وان كان حاضرا نظرا الى الناظر لكنه غائب نظرا الى اسراره وحقائقه او لانه على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي او لانه اشارة الى ما نزلت بمكة قبل سورة البقرة وقد يسمى بعض القران قرانا او لانه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او لانه اشارة الى ما اخبر به الانبياء ان الله سينزله على النبي المبعوث من ولد اسماعيل والمراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مونث وهو السورة في بعض الوجوه نظرا الى صفته وهو الكتاب كقولك هند ذلك الانسان قال الذبياني نبيت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري وان جعلت الكتاب خبرا فنظرا الى ان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك الثالثة للقران اسماء كثيرة منها الكتاب والقران وقد تقدم ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقا في بيف وعشرين سنة او لانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكرى والذكر وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وانه لذكر لك ولقومك اي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفهم او شرف وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث شبهه بما يتحدث به فان الله تعالى خاطب به المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك انزلناه حكما عربيا حكمة بالغة يس والقران الحكيم كتاب احكمت اياته ومنها الشفا والرحمة وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة ومنها الهدى والهادي هدى للمتقين ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطي مستقيما ومنها حبل الله واعتصموا بحبل الله جميعا ومنها الروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لانه سبب لحياة الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبيانا لكل شيء تلك ايات الكتاب المبين ومنها البصاير هذا بصاير من ربكم ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم بمواقع النجوم لانه نزل نجما نجما ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لانه ثني فيه القصص والاخبار ومنها النعمة واما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس اي القران ومنها البرهان قد جاءكم برهان من ربكم ومنها البشير والنذير قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ومنها القيم قيما لينذر باسا شديدا ومنها المهيمن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ومنها النور واتبعوا النور الذي انزل معه ومنها الحق وانه لحق اليقين ومنها العزيز وانه لكتاب عزيز ومنها الكريم انه لقران كريم ومنها العظيم ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ومنها المبارك كتاب انزلناه اليك مبارك فهذه جملة الاسما وسيجي تفسيرها في مواضعها الرابعة في تاليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدا وذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول اي هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية وكقولهم هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفته ومعناه

مطلب اسم القران

هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم يكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان
الكتاب صفته وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى
وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او
الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفي قراءة
عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب **البحث** الثالث في قوله لا ريب فيه الريب مصدر
رابني وحقيقته قلق النفس روى الحسن بن علي رضي الله عنه عن النبي عليه السلام دع ما يريبك الى
ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة اي كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحا
صادقا مما تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة وفي الحديث ان النبي عليه الصلوة والسلام مر بظبي
حاقف اي معوج منضجع وهم محرمون فقال لا يريبه احد بشيء اي لا يزعجه واصل الريب شك وزيادة
ظن سوء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من شقي مرتاب فيه قلت ما نفي
ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان — مطلب الريب
بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه ومثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ولم يقل واذا
قلتم مع وقوع الشك منهم في الواقع دلالة على ان الشك فيه مما لا ينبغي ان يوجد الا على سبيل الفرض والتقدير
ولو فرض وجوده لزال بان يحرزوا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل يتم لهما رضيهم ام تتضائل دونها فان قلت
هلا قدم الظرف على الريب كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول قلنا لان المقصود ههنا ليس الا نفي الريب عنه واثبات انه
انه حق وصدق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس بمراد ولا بصادق في نفس الامر وهو التعريض بان ريبا في غيره من
الكتب كما ان في قوله لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا تغتال العقول **وقرأ** ابو الشعثاء لا ريب
فيه بالرفع قيل والفرق بينهما وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال
كلاهما توجب الاستغراق الا ان الاول بطريق نفي الماهية والثاني لا لان قوله لا ريب **جواب**
قول القائل ريب فيه وهذا يفيد ثبوت فرد واحد فنقيضه يكون سلب جميع الافراد **البحث**
الرابع في قوله هدى للمتقين وفيه مسائل الاولى في الحقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى وهو على الاصح
عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصولة الى البغية بدليل وقوعه في مقابلة الضلالة اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدي في معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدى فلم يهتدي لم يكن مدحا ولان
مطاوعه اهتدى فيلزمه **واجيب** بان مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا
مهدي انما افاد المدح لانه من المعلوم ان الوسيلة اذا لم يفض الى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من ان اهتدى
لازم هدى لزوما كليا اذ يصح في العرف ان يقال هديته فلم يهتد قال عز من قائل واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى وقال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم مطلقا فخطا لوقوعه صفة للقرآن
وان زعم حينا فصحيح لوقوعه في مقابلة الضلالة الثانية المتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية
فرط الصيانة وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابها طلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يتقي حافره ان — مطلب التقوى
يصيبه اذى بشيء وهو في الشرع المؤتمر للمامورات المجتنب عن المحظورات واختلف في المتغاير بينه
اذا لم يبينها فهل يستحق هذا الاسم وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى
يدع ما لا باس به حذرا مما به باس فحقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا وقد يراد بها
الايمان والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد وقد يراد التوبة ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا اي تابوا وقد يراد
الطاعة ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله وقد
يراد الاخلاص فانها من تقوى القلوب اي من اخلاصها والتقوى مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا
فان خير الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي عليه السلام قال
من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب
ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وقال علي بن ابي طالب التقوى ترك
الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابراهيم بن ادهم ان لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة

المعربون في افعالك عيبا ولا ملك العرش في شركه عيبا الوا فدى ان تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك
للخلق وقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القايل ، خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى ،
كن مثل ماش في طريق الشوك يحذر ما يرى ، لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى ، وفي قوله هدى للمتقين
ثم في موضع اخر شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس دليل على ان الناس محصورون في المتقين
والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم اختص كون القران هدى للمتقين وايضا المتقي مهتد فكيف
يهتدي ثانيا **والجواب** ان المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا بالذكر
مدحا لهم كقوله انما انت منذر من يخشاها انما تنذر الذكر مع انه صلى الله عليه وسلم منذر لكل الناس وايضا
قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة واستدامة ما هو ثابت فيه
وبوجه اخر سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه فهذا مجاز من
باب تسمية الشيء بما هو ايل اليه واللطف فيه انه لو قال هدى للصايرين الى التقوى بعد الضلال كان اطنابا
في غير موضعه فان تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القران واول المثاني بذكر اولياء الله
والمرتضين من عباده هو اللايق بالمقام فاختص الكلام باجرايه على الطريقة التي ذكرنا فان قيل كيف
وصف القران بان كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدي فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى
في ذلك للعقل لا للقران ومما يوكد ما قلنا ما نقل عن علي انه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى
الخوارج لا تحتج عليهم بالقران فانه خصم ذو وجهين ولهذا فان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل
يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد معه على التعيين عقلا كان او سمعا صار كله هدى
فان قيل كلما يتوقف صحة كون القران على صحة كمعرفة الله وصفاته وكمعرفة النبوة فالقران ليس هدى
فيه فكيف جعل هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرايع والمطلق لا يلزم العموم
او كونه هدى في تاكيد ما في المعقول ايضا فيه الرابعة محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف
او خبر لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينصب على الحال والعامل
فيه معنى الاشارة والظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال الم جملة برأسها او طايفة
من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة
وفقد العاطف بينها لمجيئها متاخية اخذا بعضها بحجز بعض لانه نبه اولا على ان الكلام المتحدى
ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفى عنه ان يتشبث
به طرف من الريب فكان شهادة لكماله فلا كمال اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين
فقرر بذلك يقينا لا يحوم الشك حوله ثم في كل من الجملة نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز
الى الغرض بالطف وجه وارشقه كما مر في الوجه الثامن وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة
اي الكتاب الذي يتساهل ان يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين

البحث الخامس في قوله تعالى الذين يومنون الاية وفيه مسايل الاولى الذين
يومنون اما موصول بالمتقين صفة او نصب على المدح او رفع كذلك بتقدير اعني الذين او هم الذين
او مرفوع بالابتداء مخبر عنه باوليك على هدى الثانية الذين يومنون على كونه صفة يكون اما واردة
بيانا وكشفا وذلك اذا فسر المتقي بانه الذي يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان اساس
الحسنات والصلوة ام العبادات البدنية قال عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين وبين العبد
وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة افضل العبادات المالية قال عليه السلام الزكوة قنطرة الاسلام
فاختصر الكلام اختصارا بذكر ما هو كالعنوان لساير الطاعات وكالاصول لبواقي الحسنات ويندرج فيهما
اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله عز من قايل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر واما مسرودة
مع المتقين مفيدة غير فايدتها وذلك اذا فسر المتقي بالمجتنب عن المعاصي فقط ثم انه يكون قد
وصف بالايمان وهو فعل القلب وباداء الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب

مطلب الصلوة ام العبادة

لأن

لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقايد الحقة والاخلاق الحميدة واما
معدودة عدا على سبيل المدح والثنا وذلك اذا فرض المتقي موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات
غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات الله الجارية عليه تعالى تمجيدا او تعظيما الثالثة الايمان
افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة
وتعديته بالبا لتضمينه معنى اقر واعترف او وثق به قال في التفسير الكبير اختلفوا اهل القبلة في
مسمى الايمان على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية واهل الحديث انه اسم لافعال
القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا الايمان اذا عدي بالبا فمعناه التصديق على تضمين الاقرار
والوثوق كما هو من حيث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى اخر وهو ان يعتقد الحق ويعرب عنه
بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل
فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن عطا والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبادة عن فعل كل الطاعات سواء
كانت واجبة او مندوبة او من باب الاقوال او الافعال او الاعتقادات وبعضهم كابي علي وهاشم انه
عبادة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبادة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل
ان يكون من الكباير ما لم يرد فيه الوعيد فالمومن عند الله من اجتنب كل الكباير والمومن عندنا من اجتنب
كل ما ورد فيه الوعيد والخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا
عقليا او نقليا من الكتاب والسنة ويتناول طاعة الله في جميع ما امر به من الافعال والتروك صغيرا كان
او كبيرا فمجموع هذه الاشيا هو الايمان وترك خصلة من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول
ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون شي منها ايمانا
الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حدة
ولم يجعل شيا من الطاعات ايمانا ما لم يوجد المعرفة والاقرار ولا شيا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار
الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فريضة او نافلة الا انه اذا ترك فريضة انتقص ايمانه وان ترك نافلة
لم ينتقص ومنهم من قال الايمان اسم للفرايض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان بالقلب
واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابو
حنيفة وعامة الفقها ثم اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من قال هو الاعتقاد الجازم
سواء كان اعتقادا تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم
ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا
قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق
في صفات الله تعالى فلا جرم اقدام كل طايفة على تكفير من عداه من الطوايف والانصاف ان المعتبر هو العلم
بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته
ومرئيا او غير مرئي لا يكون داخلا في مسمى الايمان المذهب الثاني ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان
معا وهو مذهب ابي الحسن الاشعري وبشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القايم بالنفس المذهب
الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص بالقلب القول الثالث قول من قال
الايمان عبارة عن عمل القلب فقط فمن هولاء من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان من عرف
الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مومن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان
وزعم ان معرفة الكتب والرسل واليوم الاخر غير داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه
ان الايمان معرفة الله مع كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال
الايمان مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم من
قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا الى هذا الشرط ايضا بل المنافق
مومن الظاهر كافر السريرة فيثبت له حكم المومنين في الدنيا وحكم الكافرين في الاخرة وهذا قول
الكرامية ثم قال الامام رحمه الله عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه

مطلب الايمان

مطلب نقص الايمان

من دين محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فههنا فوائد الاولى ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك ان
الايمان اكثر الالفاظ دورانا على السنة المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقل
هذا النقل وليس كذلك وايضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن اضافه الى القلب وقلبه مطمئن بالايمان
كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان
لزم التكرار وايضا قرن الايمان بالمعاصي الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
والذين امنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في ترك الهجرة قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص فيما يجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك يدخل في الخطاب ثم قال فمن عفي له
من اخيه شيء وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان انما المؤمنون اخوة قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة هذا
لا يليق الا بالمؤمن الفائدة الثانية ان الايمان ليس عبارة عن تصديق اللسان لقوله تعالى ومن الناس من
يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين الفائدة الثالثة ليس عبارة عن مطلق التصديق لان من صدق
بالجبت والطاغوت لا يسمى مؤمنا الفائدة الرابعة لا يشترط التصديق بجميع صفات الله تعالى لقوله عليه السلام
اعتقها فانها مؤمنة بعد قوله عليه السلام لها اين الله قالت في السما ويعلم مما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل
وكان تم الايمان مات او وجد منه الوقت ما امكنه ان يتلفظ بكلمة الشهادة لكن لم يتلفظ بها كان مؤمنا
وكان الامتناع عن النطق جاريا مجرى المعاصي التي يؤتى بها مع الايمان وبه صرح الغزالي له قلت
وبالله التوفيق التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان ووجودا في العبادة
ولا ريب ان الوجود العيني لكل شيء هو الاصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود العيني للايمان هو
النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وهذا النور قابل للقوة والضعف والاشتداد
والنقص كسائر الانوار واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا كلما ارتفع حجاب ازداد نور فيتقوى الايمان
ويتكامل الى ان ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشيا ويتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب
ويعرف كل شيء في موضعه فيظهر له صدق الانبيا عليهم السلام ولا سيما محمدا خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم
في جميع ما اخبروا عنه اجمالا وتفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية
العمل بكل مامور والاجتناب عن كل محذور فينضاف نور معرفته الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره من يشا واما الوجود الذهني فملاحظة
المومن لهذا النور ومطالعته له ولمواقعه واما الوجود اللفظي فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولا يخفى ان مجرد التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله من غير
النور المذكور لا يفيد للعطشان التلفظ بالماء الزلال دون المرتوي به الا ان التعبير عما في الضمير لما لم يتيسر
الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل مشتبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها
مدخل عظيم في الحكم بايمان المرء وكفره فصح جعل ذلك وما ينخرط في سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار
وشد الزنار دليلا عليهما وتفويض امر الباطن الى عالم الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب صلة للايمان اي يعترفون او يثقون به وعلى
هذا يكون الغيب بمعنى الغائب اما تسميته بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى
عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا واما ان يكون مخففا فيعل والمراد به الخفي الذي
لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز
ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور
والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان يكون بالغيب حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفا اي يؤمنون
غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب نحو الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه
بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين حيث ان باطنهم يخالف ظاهرهم وغيبتهم تنافي حضورهم واذا لقوا الذين

امنوا

امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدي
المنتظر الذي وعد الله في القران وورد في الخبر وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من امتي يواطي اسمه اسمي وكنيته
كنيتي يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة الصلوة احد ثلاثة اشيا اما تعديل
اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها بالمحافظة
والذين هم على صلوتهم دايمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال
الاسدي اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا غزالة اسم امراة شبيب الخارجي قتله الحجاج
بحاربته سنة ثامنة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا اي كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت
كالشي النافق الذي يتوجه اليه الرغبات واما التجلد والتشمر لادايها وان لا يكون في موديها فتور عنها ولا توان
من قولهم قام بالامر وخلافه تقاعد عنه فعبر عن الادا بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر بالقنوت
والقنوت القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع فلولا انه كان من
المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة بجميع هذه المعاني يستحق المدح والثنا السادسة الصلوة في عرف
الشرع عبادة عن الهيات والاقوال المخصوصة التي مفتتحها التحريم ومختتمها التسليم فرضا كانت او
نفلا الا انه يحتمل ان يكون المراد بها في الاية الفرض لان الفلاح قد ينيط بها في قوله عليه السلام للاعرابي
افلح وابيه ان صدق بعد قول الاعرابي والله لا ازيد على هذا ولا انقص اي على الصلوة المفروضة واشتقاقها
لغة اما من الصلوة بمعنى الدعا قال الاعشى وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم اي ودعا
عليها الروم وهو الخاتم واما من قوله صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها قال فلا تعجل بامرك واستدم
فما صلى عصاك كمستديم فالمصلي يسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذي يعرض على النار
واما قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا اي ملازما للسابق لان راسه عند صلاه والصلوان ما عن يمين الذنب
وشماله فالمصلي ملازم لفعله من حين شروعه الى اوان فراغه والصلوة اسم وضع موضع المصدر يقال
صليت صلوة ولا يقال تصلية قال في الكشاف فعلة من صلى كالزكوة من زكى
وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقته صلى الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه
من التعسف السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشتمل الحلال والحرام والماكول وغيره والمملوك وغيره
والمعتزلة ومن يجري مجريهم زادوا قيدا اخر وهو ان لا يكون ممنوعا من الانتفاع به وعلى هذا لا يكون
الحرام عندهم رزقا قال في الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي
يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف
والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال
بالتصدق به والحق ان التمكين من الانتفاع بالمرزوق ليس مسندا الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل نفوس
الان مذهب المعتزلة الا الادب اقرب ولا سيما في هذا المقام ليستحقوا المدح بالانفاق من الثامنة انفق
الشي وانفذه اخوان وكل ما فاوه نون وعينه فا يدل على معنى الخروج والذهاب وما قرب منه ويدخل
في هذا الانفاق الواجب من الزكوة التي هي اخت الصلوة وشقيقتها ومن الانفاق في الجهاد ويمكن ان يتناول
كل منفق في سبيل الخير للاطلاق قال تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت والمراد
به الصدق لقوله فاصدق واكن من الصالحين البحث السادس في قوله تعالى والذين
يومنون الاية وفيه مسايل الاولى يحتمل ان يراد بهولاء مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله سالف ومترقب سبيله سبيل السالف لكونه
معقودا بعضه ببعض ومربوطا انيه بماضيه وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه
لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وان اهل الجنة لا يتلذذون
الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون المعطوف غير المعطوف عليه اما معنا في
المباينة وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن ابتدا بمحمد صلى الله عليه وسلم من غير ايمان قبل ذلك بموسى

وعيسى عليهما السلام واما مغايرة الخاص والعام وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم سواء كان قبل ذلك مومنا بموسى وعيسى عليهما السلام او لم يكن ويكون السبب في ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرف لهم وترغيبا لامثالهم في الدين ويحتمل ان يراد بهولاء الاولون ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم بالالف زيادة للحرث الصابح فالغانم فالايب الثانية قال في التفسير الكبير المراد من انزل الوحي ان جبرائيل سمع في السما كلام الله تعالى فنزل على الرسول كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يسمع الرسالة في علو فينزل فيودي في سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل ويودي بلفظ نفسه قال فان قيل كيف سمع جبرائيل كلام الله وكلامه ليس حروفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا للكلام ثم اقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز ان يكون خلق الله في اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص فقراه جبرائيل فحفظه ويجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص فيتلقفه جبرائيل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المودية لمعنى ذلك الكلام واقول انك اذا تاملت ما اشرت اليه في المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب انكشف لك الغطا عن هذه المسئلة الثالثة الايمان بجميع الكتب السماوية اعني التصديق بها واجب لان الفلاح منوط بذلك ويجب تحصيل العلم بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل التفصيل لتقوم بواجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية لقوله تعالى وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين الاية فاما المنزل على الانبيا المتقدمين فالايمان به واجب لان الله تعالى ما تعبدنا الان به حتى يلزمنا معرفته مفصلة لكنا ان عرفنا شيا من تفاصيله فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الاخرة صفة الدار تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة تانيث الاخر نقيض الاول وكذلك الدنيا تانيث الادنى لانها اقرب واليقين هو العلم بالشي ضرورة او استدلالا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه متيقن ولا يقال تيقنت ان السماء فوقي او اني موجود وفي تقديم الاخرة وبنا يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات الاخرة على خلاف حقيقته ومن غير ايقان وان المتقين ما عليه من امن بما انزل على محمد وعلى غيره من الانبيا وعلى هذا في معرض المدح ومعلوم انه لا يمدح بتيقن الاخرة فقط بل به وبما يتبعه من الحساب والسوال وادخال المومنين الجنة والكافرين النار عن النبي عليه السلام يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشاة الاولى ثم ينكر النشاة الثانية وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى يعني النوم واليقظة وعجبا ممن يومن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة

البحث السابع في قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم الاية وفيه مسايل الاولى في كيفية تعلق هذه الاية قبلها وجوه احدها ان ينوى الابتداء بالذين يومنون بالغيب على سبيل الاستيناف واولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين فخص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسايل ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هولاء عقايدهم واعمالهم احقا بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستيناف يجي تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة كما في الاية احسن وابلغ لانطوايها على بيان الموجب وتلخيصه وثانيها ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل اولئك الموصوفون غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا بالفلاح اجلا وثالثها ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين ويرجع الثاني على الابتدا واولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يومنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم يفلحون عند الله تعالى والفضل من هذه الوجوه لا ولها لان الكلام المبني على السوال والجواب اكثر فايدة ولان

مطلب كلام الباري

مطلب روية الباري بروية سواى

الاستيناف باعادة الصفة ابلغ ولان السوال على الوجه الاخير كالضايع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علمت
وايضا انه بجعل الموصولين تابعا والوجه الاول بجعل الموصول الاول ركنا من الكلام الثانية الاستعلاء في قوله
على هدى مثل لتمكنهم من الهدى كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد يصرح بذلك فيقال جعل الغواية
مركبا وامتطى الحق واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي ممنوح من عنده واوتوه من قبله وهو اما
اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على الاعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل واما الارشاد الى الدليل
الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة اي هدى لا يبلغ
كنهه قال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم اي لحم واي لحم وارب بالمكان
اذا اقام به والارب مقيم للاستعظام اذ الكنى انما يكون للاشراف كان الاقسام بالطير ايضا لاستعظامهن لوقوعهن
على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الله كثير ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السماء
يبصرها البصرا ولا يهتدي بها الا العلما الثالثة في تكرار اوليك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى
ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما
بخلاف قوله اوليك كالانعام بل هم اضل اوليك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شي
واحد الرابعة هم فصل وفايدته بعد الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة التوكيد وايجاب ان فايدة المسند
ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اوليك الخامسة المفلح الفايز
بالبغية والمفلج بالجيم مثله كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وكذلك اخواته في الفا والعين يدل على معنى الشق
والفتح نحو فلق وفلذ ومنه سمي الزراع فلاحا ومعنى التعريف في المفلحون اما العهد اي المتقون هم الناس
الذين بلغك انهم يفلحون في الاخرة او الجنس على معنى انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فهم لا يعدون
تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف
كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة فان
ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم وتكرير اسم
الاشارة وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت
بذكرهم اولى الزهراوين وقد ورد في الخبر يحشر الناس يوم القيامة ثم يقول الله عز وجل لهم طالما كنتم
تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم اني رفعت نسبا وابيتم الا انسابكم قلت
ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم
ارفع نسبي واضع انسابكم سيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم اين المتقون فليحذر العاقل بحكمة
الله تعالى وهو نوط الثواب وتعليق العقاب بالعمل الصالح والسيء لا بما هو غير مضبوط من عفوه عن
بعض المذنبين ورده طاعة بعض المطيعين كما ان حكمته لما اقتضت ترتب التشبع والري على الاكل والشرب
لم يتمهد الاتكال على ما يمكن ان يقع بالنسبة الى قدرته من اشباع شخص او اروائه من غير تناول
طعام وشراب او بالعكس وهذه نكتة شريفة ينتفع بها من وفق لها ان شاء الله تعالى

ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
ولهم عذاب عظيم **القراءة** ءانذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي
وخلف وابن ذكوان ويروى الحلواني عن هشام ءاانذرتهم بهمزتين بينهما مدة الباقون يهمزون الاولى
ويلينون الثانية والتليين جعل الهمزة بين بين اي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة وعلى
ابصارهم بامالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمر وكذلك
قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفجار والغار ومن انصار وانصارا واشياعا رها واشباه ذلك حيث كان يقع
اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها را مكسورة في موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية
غشاوة المفضل وقرا حمزة في رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن
احمد عن ابي الحرث عن علي وورش من طريق البخاري مدة عند النون والتنوين في الواو في جميع القران

عظيم بالاشمام في الوقف وكذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف وهو الاختيار عندنا
الوقوف لا يؤمنون على سمعهم لان الواو للاستيناف غشاوة لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى
بيان وصف موجود الثانية اثبات عذاب موعود عظيم **التفسير** وفيه مسائل
الاولى فيما يتعلق بان اما عمله من نصب الاسم ورفع الخبر فمعلوم من علم النحو واما فائدته فما ذكر
المبرد في جواب الكندي من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب
عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يفيد
اليه القسم ايضا نحو والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس شعر عليك باليأس من الناس
ان غنى نفسك في اليأس حسن موقع ان لان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجيء اذا ظن
المتكلم في الذي وجد انه لا يوجد كقولك انه كان مني اليه احسان فقابلني بالسوء فكانك ترد على
نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطأ فيما توهمت كقوله تعالى **حكاية** عن ام مريم قالت
رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح رب ان قومي كذبون الثانية
لما تقدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لمدحه اياهم عقب ذلك بذكر اضدادهم وهم
المردة من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى وسواء عليهم الانذار وعدمه وانما فقد العاطف بين القصتين
خلاف ما في نحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين الجملتين ههنا في الغرض والاسلوب
اذ الاولى مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذلك اذا
جعلت الذين يؤمنون مبتدأ واولئك خبره لان الكلام المبتدأ على سبيل الاستيناف مبني على تقدير سؤال
وذلك ادراج له في حكم المتقين وتبيين له تبعا له في المعنى فحكمه حكم الاول وكذلك اذا جعلت الموصول
الثاني مبتدأ واولئك خبره لان الجملة برأسها من متعلقات هدى للمتقين لارتباط بينهما من حيث المعنى
الثالثة التعريف في الذين اما ان يراد به ناس معهودون باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن مغيرة
واضرابهم واما ان يراد به الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده فقط دون من عداهم من الكفار
الذين اسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه
باختلاف تعريف الايمان وقد تقدم واصل الكفر الستر والتغطية ومن الكافر لانه يستر الحق ويجحده
والزراع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شيء والكافر الذي كفر درعه بثوب اي غطى
ولبسه فوقه قال في التفسير الكبير كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون المخبر عنه
متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذا على ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون
مسبوقا بالغير قلت التحقيق في هذا وامثاله ان كلامه تعالى ازلي الا الحكمة في باب التفهيم والتعلم
اقتضت ان يكون كلام على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم مترتبين فكل ما هو متقدم على
زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ المستقبل نحو لتدخلن المسجد سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هذا يعلم ان قوله سنلقي ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل
مقصودا بالنسبة الى المخاطبين وانما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الاية فافهم
الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر فقالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة
ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الفاعل
اي مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون أأنذرتهم
ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه
مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب
اللبن وان كان ظاهر اللفظ على خلافه لا يصح من عطف الاسم فان ان مع الفعل في تقدير المصدر على الفعل وهو
النهي وقد جردت الهمزة وام بمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا **قال**
سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا اجري على صورة الاستفهام ولا
استفهام كما ان ذاك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء في الداخل عليهما الهمزة وام استواؤهما

يعلم

في علم المستفهم لانه قد علم ان احد الامرين كائن لكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين وفائدة
العدول من العبارة الاصلية وهي سواء عليهم الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول الياس
عنهم انما حصل بعد اصرارهم وكان قبل ذلك مرجوا عنهم الايمان لا في علم الله بل في علمنا فنزلت الاية
بحسب ما يليق بحالنا في باب التقرير والتنوير والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن
المعاصي وانما ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام المبالغة وتاثير الانذار في الفعل والترك اقوى
لان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقوله لا يؤمنون اما جملة موكدة للتي قبلها او خبر لان والجملة قبلها
اعتراض السادسة الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتماله وتغطية
لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل عليه
كالعصابة والعمامة والقلب يراد به تارة اللحم الصنوبري المودع في التجويف الايسر من الصدر وهو محل
الروح الحيواني الذي هو منشا الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء الاوردة
والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الانسانية التي بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال
الاوامر والنواهي والقيام بموجب التكاليف ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وهي من عالم
الامر الذي لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون كما ان اللحم الصنوبري من عالم الخلق الذي هو نقيض ذلك الا له الخلق والامر
وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وبالروح قل الروح من امر ربي
ونفخت فيه من روحي والسمع قوة مرتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ تدرك ما يتادى اليه بتموج
الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتادى
الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس امواج تلك العصبة فتسمع فقال ابن سينا
ولعل هذا في الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما
ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادية في الاجسام الشفافة بالفعل
الى سطوح الاجسام الصقيلة وزعم غيره ان البصر يخرج منه شيء فيلاقي المبصر وياخذ صورته من خارج
ويكون ذلك ابصارا وفي الاكثر الامر يسمون ذلك شعاعا والحق عندي ان نسبة البصر الى العين نسبة
البصيرة الى القلب ولكل من العين والقلب نور اما نور العين فمنطبع فيها لانه من عالم الخلق فهو نور جزئي
ومدركه جزئي واما نور القلب فمفارق لانه من عالم الامر وهو نور كلي ومدركه كلي وادراك كل منهما
عبارة عن وقوع مدركه في ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهي اليه بحسب شدته
وضعفه ويتدرج في الضعف بحسب تباعد المرائي حتى لا يدركه او يدركه اصغر مما هو عليه ولا يبعد من قوتنا
ان للبصر نورا يقع فيه المرائي ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة في موضع واحد قياسا على انوار الكواكب
والسرج فان ذلك الانضمام من خواص الانوار المحسوسة والملازمات المختلفة لا تستدعي الاشتراك
في اللوازم وهذا القدر من التحقيق في تفسير القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان
يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية الا ان الاولى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم
على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفي تكرير الجار استبداد باستقلال
الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها امن اللبس كما في قول الشاعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا
فان زمانكم زمن خميص اذ لا يلتبس ان لكل واحد بطنا ولهذا لم يومن في فرسهم وتوهم المراد والجمع رفعهم
ومنها ان السمع في الاصل مصدر والمصادر لا تجمع فلمح الاصل ولهذا جمع الاذن في قوله وفي اذاننا وقر
ومنها ان يقدر مضاف محذوف اي على حواس سمعهم ومنها الاستدلال بما قبله وبما بعده على ان المراد
الجمع مثل عن اليمين وعن الشمال يخرجهم من الظلمات الى النور السابعة من الناس من قال السمع افضل
من البصر لتقدمه في اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسول اصم بخلاف البصر فمن الانبياء من كان مبتلى
بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف ونتايج العقول الى الفهم والبصر سبب وصول المحسوسات الى المبصر ولان
السمع يتصرف في الجهات الستة دون البصر ولان فاقد السمع في الاصل فاقد النطق بخلاف فاقد البصر ومنهم من

فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق السمع الريح والحق ان من فقد حسا فقد فقد علما وهو
المتوقف على ذلك الحس ولا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر والارشاد والتعليم على
الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس في موضعه ضروري وتفضيل البعض على البعض طويل بلا طايل فسبحان
من دقت في كل مصنوع حكمته واحسن كل شي خلقه الثامنة الاية الاولى فيها الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون
والانذار وعدمه عليهم سيان والاية الثانية فيها بيان السبب الذي لاجله لم يؤمنوا وهو الختم والتغشية
فاحتج اهل السنة بالايتين وبنظايرهما على تكليف ما لا يطاق وعلى ان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية
الموجبة للكفر وختم على قلوبهم ومنعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسال عما يفعل واما المعتزلة
وامثالهم فيقولون كيف يبتلي فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم لبس الحق والباطل ثم يقول
لم تلبسون الحق بالباطل ونحو ذلك من الايات الدالة على ان الكفر باختيار العبد وقدرته قطعا ولو الاية
على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا او مفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه او على انها
تمثيل الحال قلوبهم بما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى دخلوا في زمرة
الانعام لا تعي شيا ولا تفقه كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي
ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته
بحال من طارت به العنقاء او الشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي
اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة او انهم لما ترامى امرهم في
التصميم على الكفر الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله تعالى ولم يلجيهم لئلا
ينتقض الغرض في التكليف عبر عن تركه القسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولونه تهكما بهم
من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب **ويحكى**
ان الامام ابا القاسم الانصاري سيل عن تكفير المعتزلة في هذه المسيلة فقال لا لانهم نزهوه عما يشبه
الظلم والقبيح ولا يليق بالحكمة وسيل عن اهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة
وتاثير وايجاد وزعم الامام فخر الدين ان اثبات الاله يلجي الى القول بالجبر لان الفاعلية لو لم تتوقف على
الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجي الى القول بالقدر لانه لو لم يقدر
العبد على الفعل فاي فايدة في بعثة الرسول وانزال الكتب ونقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة
وجدنا انه لما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الاخر الا المرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد
تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وذلك يقتضي
مذهب الاعتزال فلذلك بقيت هذه المسيلة في حيز الاشكال **قلت** وبالله التوفيق عندي
ان المسيلة في غاية الاستنارة والسطوع اذا لوحظت المبادي وترتبت المقدمات فان مبدا الكل لو لم يكن قادرا
على كل الممكنات وخرج شي من الاشيا عن علمه وقدرته وتاثيره وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح
لمبدايية الكل فالهداية والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات كلها
مستندة ومنتهية الى قدرته وتاثيره وعلمه وارادته والايات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى
ولو شا لهداكم اجمعين ولو شينا لاتينا كل نفس هداها قل كل من عند الله كثيرة وكذا الاحاديث
اعملوا فكل ميسر لما خلق له كل شي بقدر حتى العجز والكيس **احتج** ادم وموسى عند ربهما فحج ادم
موسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل والنقل **في الجواب** عن اعتراضات المخالف
اما حكاية التنزيه عن الظلم والقبايح فاقول لا ريب انه تعالى منزه عن جميع القبايح ولكن لا بالوجه الذي
يذكره المخالف اذ يلزم منه النقص من جهة اخرى وهو الخلل في مبدايية الكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه
ان يقال ان الله تعالى صفة لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك ولا سيما ملك الملوك
كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام الاخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولا بد لكل من الوصفين
من مظهر فالملايكة ومن اضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين ومن والاهم من الاشرار مظاهر
القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر القهر هم اهل النار والافعال المعقبة اياها

وعليهما

مطلب في بيان الدليل على تكليف ما لا يطاق

مطلب في بيان الاحتجاج على تكليف ما لا يطاق على مذهب اهل السنة

وههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار انما يصح وجود كل منهما بوجود الاخر فلولا القهر
لم يتحقق اللطف ولولا النار لم يثبت الجنة كما انه لولا الالم لم يتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يظهر الشبع
والري ولله در القايل وبضدها تتبين الاشيا فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون بعمل اهل الجنة وللنار
خلقا يعملون بعمل اهل النار والاعتراض لاحد عليه في تخصيص كل من الفريقين بما خصصه به فانه لو عكس
الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا يظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد الاية وقال
صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون
مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي ام سعيد الحديث واذا
توسلوا فيما قلت ظهر انه لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبايح اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز
من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل الصريح ولاسيما عند المخالف القايل بالتحسين والتقبيح العقليين
وليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعضا من تحت تصرفه وزيرا قريبا وبعضهم كناسا
بعيدا لان كلا منهما من ضرورات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص به مع ان كلا
منهم مرضي في مقامه فهذا القايل يحكم بما حكمته تعالى ويدعي انه يحفظه فافسد حيث اصلح واما قوله
اي فايدة في بعثة الرسل وانزال الكتب ففي غاية السخافة لانا لما بينا ان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم
ما يريد فكيف يبقى للمعترض ان يقول لم جعل الله تعالى الشي الفلاني سببا وواسطة للشي الفلاني كما انه
ليس له ان يقول مثلا لم جعل الشمس سببا لانارة الارض غاية ما في الباب ان يقول اذا علم الله تعالى
ان الكافر لا يومن فلم يامره بالايمان ويبعث اليه النبي فاقول فايدة بعث الانبيا وانزال الكتب
بالحقيقة ترجع الى المومنين الذين جعل الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدايهم انما انت
منذر من يخشاها كما ان فايدة نور الشمس تعود الى اصحاب العيون الصحاح واما فايدة ذلك بالنسبة
الى المختوم على قلوبهم فكفايدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمه واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى
رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة النعي عليهم
بانهم في اصل الخلقة ناقصون اشقيا وهذا المعنى ربما لا يظهر لهم لغاية نقصانهم كما ان الاكمه ربما لا يعرف
البصراء ولا يعرف ان التقصير والنقصان منه فان ساير الشرايط من محاذاة المرئي وظهور النير موجودة
فانما يعرف نقصانهم ارباب الابصار واما حديث التفرقة الضرورية بين الحركات الاختيارية والحركات
الاضطرارية كالرعشة مثلا فاقول لا ريب ان للانسان ارادة وقوى بها يتم له حصول
الملايم واجتناب المنافر الا ان تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فكانه لا اختيار والتفرقة
المذكورة سببها ان في الرعشة نقصت واسطة في الداعية وفي الحركة المسماة بالاختيارية زادت واسطة
فافهم هذه الحقايق والارشادات واستعن بها في ساير ما يقرع سمعك من هذا القبيل فلعلنا لا نكررها
في كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستغن بمصباح لم يستغن باصباح والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
التاسعة العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشي اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه
العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن
نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير
نقيض الصغير ويستعملان في الاعيان والمعاني جميعا يقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى
التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطا التعامي عن ايات الله تعالى
ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله منه العاشرة اتفق المسلمون
على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفسروا قوله ولهم عذاب عظيم
وكذا كل وعيد ورد في القران بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب عليه العفو **وذكروا**
ايضا دلايل عقلية مبنية على الحسن والقبح كقولهم التعذيب ضرر خال عن المنفعة لان الله تعالى منزه
عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به لكن الله قادر على ايصال النفع اليه من غير توسيط ذلك

وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع السفها الا روى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة وكذلك ما اشبههما
مما اختلف الهمزتان فيهما الا ان يكون الاولى منهما مفتوحة مثل شهداء بل وجاء ومنه واشباه ذلك
مشهورون بترك المد في الحالين زيد واتفق حمزة في الوقف فكذلك ما اشبهها وعن حمزة في الوقف وجهان
الحذف و اللين شبه الياء والواو طغيانهم حيث كان بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو بالهدى وما اشبههما من
الاسما والافعال من ذوات اليا بالامالة حمزة وعلي وخلف وقرا اهل المدينة بين الفتح والكسر والى
الفتح اقرب وكذلك كل كلمة يجوز الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم الوقوف يؤمنون لما مر في الغرسنة
الثامنة امنوا له لعطف الجملتين المتفقتين مع ابتداء النفي يشعرون للاية وانقطاع النظم والمعنى
فان تعلق الجار بما بعده مرض لان الفا للجزاء نكان تاكيد المانع قلوبهم مرضا لعطف الجملتين المختلفتين
يكذبون في الارض لان قالوا جواب ــــ اذا وعامله مصلحون لا يشعرون كما امن السفها للابتداء
بكلمة التنبيه ومن وصل فليجعل رد السنة عليهم لا يعلمون امنا لتبدل وجه الكلام مع ان الوصل اولى
لبيان حالهم المتناقضين وهو المقصود شياطينهم لان قالوا جواب ــــ اذا معكم نحن زاعم
قول ما له يقوله مستهزؤن وان جاز الابتداء باعنا مستهزؤن يعمهون بالهدى لانقطاع النفس ولا يلزم
العود لان ما بعده بدون ما قبله مفهوم مهتدين **التفسير وفيه مباحث**
البحث الاول في قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية وفيه مسايل الاولى
عن مجاهد قال اربع ايات من اول هذه السورة نزلت في المومنين وايتان بعدها نزلت في الكافرين
وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين فاقول احوال القلب اربع الاعتقاد المطابق عن الدليل
وهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد المحق والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل
وخلو القلب عن كل ذلك واحوال اللسان ثلاثة الاقرار والانكار والسكوت كل منها بالاختيار وبالاضطرار
فيحصل من التراكيب اربعة وعشرون قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر
النوع الاول العرفان القلبي ان انضم اليه الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مومن حقا
بالاتفاق واضطرارا فهو منافق لانه لخوف ولما اقر فهو بقلبه منكر مكذب وجوب الاقرار وان انضم
اليه الانكار اضطرارا فهو مسلم لقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان واختيارا فهو كافر
معاند وان انضم اليه السكوت اضطرارا فمسلم حقا لانه خاف او كما عرف مات فجاة فيكون معذورا
اختيارا فمسلم ايضا عند الغزالي وعند كثير من الايمة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من
كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان **النوع الثاني** الاعتقاد التقليدي ان من وجد معه الاقرار
اختيارا فهو المسيلة المشهورة من ان المقلد مومن ام لا والاكثرون على ايمانه واضطرارا فمنافق
بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا فلا شك في كفره واضطرارا
فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على الاسلام المقلد ه
واختيارا فكافر معاند **النوع الثالث** الانكار القلبي مع الاقرار اللساني اضطرارا نفاق
وكذا اختيارا لانه اظهر خلاف ما اضمر ومع الانكار اللساني كفر كيف كان وكذا مع السكوت **النوع
الرابع** القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختياريا فان كان صاحبه
في مهلة النظر لم يلزمه كفر لكنه فعل ما لا يجوز له حيث اخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه ام لا
وان كان لا في مهلة النظر ففيه نظر انما اذا كان اضطراريا فلا يكفر صاحبه لاتوقفه اذا كان في مهلة
النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الاقرار لم يكن عمله قبيحا والقلب الخالي مع الانكار اللساني كيف
كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في مهلة النظر فذلك هو الواجب وان كان خارجا
عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم ان المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره
باطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره او كان باطنه خاليا عما يشعر به ظاهره ومنه النافقا
احدى جحري اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتي من قبل القاصعا ضرب النافقا براسه فانتفق اي
خرج الثانية زعم قوم ان الكفر الاصلي اقبح من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان

العذاب والضرر الخالي عن المنافع قبيح بالبديهة وكقولهم علم ان الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه امر متى حصل ترتب عليه العذاب وما كان مستعقبا للضرر من غير نفع كان قبيحا فلم يبق الا ان يقال لم يوجد هذا التكليف او وجد لكنه لا يستعقب العقاب وكقولهم انه سبحانه هو الخالق لداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم ان العبد لو واظب على الكفر طول عمره فاذا تاب عفا الله عنه ابرى هذا الكرم العظيم ما بقي في الآخرة او سلبت عقول اولئك المعذبين فلا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا لم لا يقبل الله منهم توبتهم ولما كان في الدنيا بحيث قال ادعوني استجب لكم وفي الآخرة بحيث لا يجيب عن دعائهم الا بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون **واجيب** بان تعذيبهم نقل الينا بالتواتر عن النبي عليه الصلوة والسلام فلا مصير الى نكاره والشبه التي تمسكتم بها تنهدم بانهدام قاعدة الحسن والقبح وأقول قد ثبت بالبرهان النيري والسبيلة الثامنة ان الله وقوع فريق في طريق القهر من ربي في حكمته تعالى وكلما تقتضيه حكمته وكماله كان حسنا ومن ظن انه قبيح كان لخلل في عقله وقصوره في فهم فلا قبيح في النظر الا وهو حسن من جهات اخرى لا يعلمها الا منشيها وموجدها وهل يستقبح احد وقوع بعض الاحجار للملوك تيجانا وبعضها للحشوش جدرانا او وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلده الناس وبعضه نعلا يطاها الافراس حيث يرى كلا منهما في مصالح الوجود ضروريا ثم العذاب وهو بالحقيقة البعد من الله تعالى لازم للكفر والعصيان والملزوم لا ينفك من اللازم واما سبب عدم انتفاع الكافر والعاصي بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك ان محل الكسب هو الدنيا والتكليف بامتثال الاوامر والنواهي انما وقع فيها فليس لاحد ان يؤخر الامتثال الى الآخرة الا ترى انه لو قال طبيب حاذق لمريض اشرب الدواء الفلاني في اليوم الفلاني فقصر واخر حتى اذا مضى وقته واشرف على الهلاك فقال اني اشرب الان لم ينفعه ذلك الدواء ولا ينجيه الا الهلاك وكذا لو قال افعل الامر الفلاني في هذا الوقت ففعله في وقت اخر لم يعد ممتثلا ولا ينفعه الاتيان به لان غرض الامتثال قد فات ولا سيما انما فعل بعد ان يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ∴

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ∴ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ∴ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ∴
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ∴
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ∴ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ∴ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ∴
اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ∴ أُولَئِكَ الَّذِينَ
اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ∴

القراءة ومن الناس ممالة فراء قتيبة ونصير كل الوان مما كان مكسورا من يقول مدغمة النون والتنوين في الباحث وتعد حمزة وعلي وخلف وورش من طريق النجاري يومنين غير مهموز ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف وكذا ما اشبههما من الاسماء وما يخادعون ابو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم الله وبابه مما كان ماضيا بالامالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق ابن مجاهد والنقاش بن الاخرم ههنا بالامالة فقط يكذبون خفيف عاصم وحمزة وعلي وخلف قيل وغيض وجيء بالاشمام علي وهشام ورويس السفهاء الا بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر السفهاء ولا ابو عمرو

وحمل دبعوث

والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الاخرون المنافق ايضا كاذب باللسان لانه يخبر عن
على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه قال عز من قايل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وايضا
انه قصد التلبيس والكافر الاصلي لا يقصد ذلك وايضا الكافر الاصلي على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخناثي
وايضا الكافر الاصلي ما رضي لنفسه بالكذب بل استنكف منه والمنافق رضي بالكذب وايضا المنافق ضم
الى الكفر الاستهزا والخداع دون الكافر الاصلي ولغلظ كفر المنافق قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار ووصف حال الكفار في اية **بنين** وحال المنافقين في ثلاث عشر اية نعى عليهم فيها
خبثهم ونكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزا بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم
ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة الثالثة قصة المنافقين عن اخرها معطوفة
على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة واصل ناس اناس بدليل انسان وانس واناسي حذفت الهمزة
تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا قليل
ونوس من المصغر الاني على خلاف مكبره كما سموا بذلك لظهورهم وانهم يونسون اي يبصرون
كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول يقال ورزق افعل وهو اسم الجمع
كرخال للانثى من اولاد الضان واما الذي مفرده رخل بكسر الخاء فرخال بكسر الراء ومن في من يقول
موصوفة ان جعلت اللام في الناس للجنس كقوله من المومنين رجال ليكون معنى الكلام ان في جنس الانس
طايفة كيت كيت فيعود فايدة الكلام الى الوصف وان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطايفة الموصوفة
يكون لا محالة من الناس ولا يجوز ان يكون موصولة ح لان الصلة يكون جملة معلومة الانتساب الى
الموصول فيبطل فايدة الوصف ايضا فيبقى الكلام غير مفيد راسا وان جعلت اللام للعهد فمن تكون موصولة
نحو ومنهم الذين **يوذون** النبي ويكون اللام اشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم ولا يجوز ان يكون من موصوفة
اذ ذاك لان فايدة الكلام تعود الى الوصف ايضا ولكن لا يجاوبه نظم الكلام اذ يصير المعنى ان من المختوم على قلوبهم
طايفة يقولون كيت كيت وما هم بمومنين ومن البين ان مدلوله قوله وما هم بمومنين معلوم من حال
المطبوع على قلوبهم فيمتنع ذكره ضايعا والضمير العايد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك
وجعلنا على قلوبهم اكنة ومجموعا اخرى باعتبار المعنى مثل ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في
الاية في يقول وامنا وانما اختص بالذكر الايمان بالله واليوم الاخر لانهما قطرا الايمان ومن احاط بهما حاز
الايمان بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام **فان
قلت** ان كان هولاء المنافقون من المشركين فظاهر عدم ايمانهم بالله واليوم الاخر
وان كانوا من اليهود فكيف يصح ذلك قلت ايمان اليهود ليس بايمان لقوله عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم
الاخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فقولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم فهو كفر لا ايمان
فاذا قالوه على وجه النفاق وخديعة واستهزاء وتخيلا للمسلمين انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان
خبثا الى خبث وكفرا الى كفر والمراد باليوم الاخر اما طرف الابد الذي لا ينقطع لانه متاخر عن الاوقات
المنقضية او الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات
المحدودة الذي لا حد للوقت بعده **فان قلت** كيف طابق قوله وما هم بمومنين قولهم
امنا والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني بالعكس قلت لما اتوا بالجملة الفعلية ليكون معناها
احدثنا الدخول في الايمان فتروج دعويهم الكاذبة جيء بالجملة الاسمية ليفيد نفي ما انتحلوا اثباته لانسام
على سبيل البت والقطع وانهم ليس لهم استيهال ان يكونوا طايفة من طوايف المومنين فكان بعد الاوكد والابلغ من ان
يقال انهم لم يومنوا ونظيره الاية قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ثم ان قوله
وما هم بمومنين يحتمل ان يكون مقيدا او ترك لدلالة التقييد في اسناد ويحتمل الاطلاق ايمانهم ليسوا من
الايمان في شي قط لا من بالله واليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما **المبحث**
الثاني في قوله يخادعون الله الى يكذبون اعلم ان الله تعالى ذكر من افعال المنافقين اربعة
اشيا احدها المخادعة واصلها الاخفا ومنه سميت خزنة المخدع والاخدعان عرقان في العنق خفيان

وخو

وخدع الضب خدعا اذا توارى في جحره فلم يظهر الا قليلا والخديعة مذمومة لانها اظهار ما يوهم السداد
والسلامة وابطان ما يقتضي الاضرار بالغير او التخلص منه فهي بمنزلة النفاق في الكفر والرياء في الافعال
الحسنة فان قيل مخادعة الله والمومنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي
لا يفعل القبيح لا يخدع والمومنون وان جاز ان يخدعوا لا قال ذو الرمة تلك الفتاة التي علقتها عرضا
ان الحليم وذو الاسلام تختلب لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم
كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده
اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المومنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم
فاجروا احكامهم عليهم ويحتمل ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله تعالى ممن يصح خداعه لان
من كان ادعاء الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله
مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم ويحتمل ان يذكر الله ويراد
الرسول لانه خليفته والناطق باوامره ونواهيه مع عباده ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل
ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة
قوة الاختصاص ولما كان المومنون من الله بمكان سلك بهم هذا المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه
ان الذين يوذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا الغرض ذكر الاحاطة بفضل زيد لان زيدا
كان معلوما له قديما كانه قيل اعلمت فضل زيد ولكن ذكره توطية وتمهيد ووجه الاختصار يخادعت
على واحدان تيال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة والمبارات
والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة
الداعي اليه ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين فقيل
يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن انفسهم احكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين
اياهم واعطاهم الحظوظ من المغانم واطلاعهم على اسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي يذكر هنا
من انه تعالى لم ابقى المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر امره حتى لا يصل من اغراض الخداع الى ما وصل
وارد على استبقاء الكفار وسائر اعداء الدين بل على استبقاء ابليس وذريته ويجل المعترف في الجميع بما سلف
لنا من الحقائق ولا سيما في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقراءة من قرأ وما يخادعون الا انفسهم
وما يعاملون تلك المعاملة المشابهة لمعاملة المخادعين الا انفسهم لان مكرها عائد بهم ودائرتها تدور عليهم
لان الله يدفع ضرر الخداع عن المومنين ويصرفه اليهم كقوله ان المنافقين يخادعون وهو خادعهم ويحتمل
ان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام
لقوله تعالى تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق
ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له والمرض حالة توجب وقوع الخلل في الافعال
الصادرة عن موضعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة بان يراد الالم كما تقول في جوفه
مرض ومجازا بان يستعار لبعض اغراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي فان صدورهم
كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين غلا وحنقا واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعيد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه
بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر شبه التاج اي يجعلوه ملكا فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك شرق
بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لانهم كانوا يطمعون ان ريح الاسلام تهب حينا ثم
تركد فكانت تقوي قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق وما قذف الله في
قلوبهم من الرعب ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي
فسمعوا به ازدادوا كفرا ككفرهم فاسند الفعل الى المسبب له كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم
وهذا كما قال الحكيم البدن غير النقي كلما غذوته زدته شرا وكلما زاد رسوله نصرة وتبسطا ازدادوا

مطلب النفس

حسدا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع ويحتمل ان يقال الغل والحسد وقد يفضي الى تغير مزاج
القلب ويؤدي الى تلف صاحبه كقوله اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله • النار تاكل بعضها ان لم تجد
ما تاكله • فافضى صاحبه الى الهلاك هو المعنى بزيادة والاليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم
جد جده والالم بالحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وفي ترتيب
الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وسماجته وما روي عن ابراهيم صلوات الرحمن عليه انه كذب ثلث
كذبات احدها قوله اني سقيم وثانيها قوله لسارة حين اراد ان يغصبها ظالم انها اختي • وثالثها
قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض الذي في المعاريض لمندوحة عن الكذب ولكن لما كانت صورته صورة
الكذب سمي به والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر بكون المخبر عنه مخالفا
للخبر والصدق نقيضه وقراءة من قرا يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذي هو نقيض صدقه واما
من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق نحو بان الشيء وبين ومنه قولهم قد بين
الصبح لذي عينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف
لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره مذبذب بين ذلك • وقال عليه السلام
مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا
مصدرية اي بكذبهم وكان مقحمة لتفيد الثبوت والدوام اي بسبب ان هذا شانهم وديدنهم

البحث الثالث

في قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع
الثاني من قبايح افعال المنافقين فقوله واذا قيل اما معطوف على ما كانوا يكذبون اي ولهم عذاب
اليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا اذا قيل لهم كذا واما على يقول اي ومن الناس من اذا قيل لهم ويحتمل
ان يقال الواو للاستيناف واسناد قيل الى لا تفسدوا وامنوا ليس من اسناد الفعل الى الفعل فانه
لا يصح ولكنه اسناد الى لفظ الفعل اي واذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا عليه الكذب والقايل لهم **اما**
النبي عليه الصلاة والسلام اذا بلغه عنهم النفاق ولم يقطع بذلك نصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم
في الصلاح واما من بعض من كانوا يلقون اليه الفساد وكان لا يقبل منهم بعضهم واما بعض المؤمنين ولا يجوز
ان يكون القايل من لا يختص بالدين والفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو
الحصول على الحالة المستقيمة النافعة وعن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي ان المراد بالفساد المنهي عنه
اظهار معصية الله تعالى فان الشرايع سنن موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان
ولزم كل احد شانه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج فكان ذلك صلاح الارض واهلها
اما اذا اهملت الشريعة فاقدم كل واحد على ما يهواه واستحكمت نوايب الفتن من كل جانب وحدثت
المفاسد وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم اياه لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم في الظ
مؤمنون اوهم ذلك ضعف امر النبي عليه السلام واصحابه فيصير سببا لطمع الكفار في المؤمنين فيهيج الفتن
والحروب وقيل كانوا يدعون في السر الى تكذيبه ويلقون الشبه ويفشون اسرار المؤمنين ولما
نهوا عن الفساد في الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابلة له فههنا احتمالات احدها انهم اعتقدوا
في دينهم انه هو الصواب وكان سعيهم لاجل تقوية ذلك الدين فزعموا انهم مصلحون وثانيها اذا فسرنا الافساد
بموالاتهم الكافرين ان يكون مرادهم ان الغرض من تلك الموالاة هو الاصلاح بينهم وبين المسلم كقولهم
فيما **حكى** عنهم الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد انكار اذاعة
اسرار المسلمين ونسبة انفسهم الى الاستقامة والسداد وجيء باداة القصر دلالة على ان صفة المسلمين
خلصت لهم وتمحضت اي حالنا مقصورة على الاصلاح لا تتعداه الى غيره والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف
النفي لتفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله اليس ذلك بقادر ولانها للتحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها
الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلايعها قال اما والذي
ابكى واضحك والذي امات واحيى والذي امره الامر رد الله ما ادعوه من الانتظام في زمرة المصلحين
ابلغ رد من جهة الاستيناف فان ادعاءهم ذلك مع توغلهم في الفساد مما يشوق ان يعرف ما حكم الله عليهم

فمكان ورده

فكان وروده بدون الواو هو المطابق ومن جهة ما في الا وفي ان من التاكيد ومن قبل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون

المبحث الرابع

في قوله واذا قيل لهم امنوا الاية

هذا هو النوع الثالث من قبايح افعال المنافقين وذلك ان المؤمنين انو هم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه مما يجر الى الفساد والفتنة والثاني دعوتهم الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وبعبادة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما ينبغي لان كمال حال الانسان في هاتين فكان من جوابهم فيما بينهم او للقائل ان سفهوهم لتمادي سفههم وفي هذه تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل وما في كما يجوز ان يكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولك يكتب زيد كما يكتب عمرو او زيد صديقي كما عمرو اخي ويجوز ان تكون مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما امن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم ناس معهودون اي ليكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هؤلاء ثابت او ليحصل ايمانكم كحصول ايمان هؤلاء او امنوا كما امن عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم اي كما امن اصحابكم ويحتمل ان يكون للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية من الاقرار اللساني الناشي عن الاعتقاد القلبي او جعل المؤمنون كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس في عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك او قد فعل السفيه او للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرف الناس في السفه وهو ضد الحلم واصله الخفة والحركة تقال تسفهت الريح الشجر اذا مالت به قال ذو الرمة جرين كما اهتزت رياح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق ولانهم كانوا في رياسة وثروة وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا وارادوا عبد الله ابن سلام واشياعه لما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم عن انس انه سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله عليه السلام وهو في ارض يخترف فاتى النبي عليه السلام فقال اني سائلك عن ثلاثة لا يعلمهن الا نبي فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال اخبرني جبرائيل بهن انفا اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد واذا سبق ماء المراة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسالهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله بن سلام قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله ثم ان الله قلب عليهم هذا اللقب مقرونا بالمؤكدات التي بيناها في قوله الا انهم هم المفسدون وذلك ان من اعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع اخرته بدنياه قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وايضا من السفه معاداة المجد ومن يريدون ان يطفيوا نور الله بافواههم كالطود يغفر نطحة الاوعال وانما فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل امر عقلي نظري واما النفاق وما يؤول اليه من الفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات وخصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان العلم معه احسن طباقا فتامله

المبحث الخامس

واذا لقوا الاية هذا هو النوع الرابع من قبايح افعالهم والفرق بين هذه الاية وبين قوله ومن الناس من يقول امنا ان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم عن ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي انظروا

كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فذهب واخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله عليه السلام في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني
عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله عليه السلام ثم اخذ بيد علي فقال
مرحبا يا ابن عم رسول الله عليه السلام وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله
لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاذا رايتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي عليه السلام
واخبروه بذلك فنزلت لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون
من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية من خلوت به اذا سخرت به وهو من
قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما
تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك اي انهي اليك حمدي لفلان او ذمي وعن ابن عباس الى احمد اليك غسل
الاحليل اي اعلمكم انه امر محمود وشياطينهم رؤساؤهم واكابرهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اكابر
المنافقين فالقائلون انا معكم اي مصاحبوكم وموافقوكم على امرد بنكم اصاغرهم واما اكابر الكافرين فالقائلون
يحتمل ان يكون جميع المنافقين وانما فسرنا الشياطين بالرؤساء لانهم هم القادرون على الافساد في الارض وانما
خاطبوا المؤمنين باضعف الجملتين وهي الفعلية وشياطينهم باقواهما اعني الاسمية المحققة بان لانهم في ادعاء
حدوث الايمان الناشي عن صحيح القلب لا ادعائهم انهم احدثوا في الايمان كاملون اما لان انفسهم لا تساعدهم
عليه وهكذا الكلام لم يصدر عن صدق رغبة وباعث داخلي واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد
وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار والقائلون ربنا امنا واما مخاطبة اخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة
وتحقيق القبول والرواج فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وانما فقد العاطف بين قوله انا معكم وبين
قوله انما نحن مستهزءون لان اول معناه الثبات على الكفر والثاني رد للاسلام لان المستهزئ بالشي
منكر له دافع ودفع نقيض الشي اثبات وتأكيد للشي ولان الثاني بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم
الكفر او لانه استيناف كانه قيل لهم ما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون
والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم ان الله تعالى اجابهم باشياء
احدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استيناف في غاية الجزالة والفخامة كانه سئل ما مصير امرهم وعقبى
حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفي الالتفات من الحكاية الى المظهر ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء
الابلغ الذي استهزاؤهم وهو بالنسبة الى ذلك كالعدم وفي تخصيص الله بالذكر مع قرينة ان المؤمنين الذين
استهزءوا بهم دلالة على ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنون ان يعارضوهم
باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما
معنى استهزاء الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد الاقصى للمستهزئ استهزاء مثل
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او عاملهم الله تعالى معاملة المستهزئ في الدنيا لانه كان يطلع الرسول
على اسرارهم مع كونهم مبالغين في اخفائها وفي الاخرة على ما روي عن ابن عباس انهم اذا دخل المؤمنون الجنة
والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم في الموضع الذي هو مسكن المنافقين فاذا راى المنافقون
الباب مفتوحا اخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة واهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب
الجنة فهناك يغلق دونهم الباب فذلك قوله فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون
فهذا هو الاستهزاء فان قلت لم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون لان المراد
تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الايات في شانهم اولا يرون
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل
استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم في طغيانهم وهو من مد الجيش وامده اذا زاده
والحقه به ما يقويه وكذلك مد الدواة والسراج واد لهما ما يصلحهما وانما قلنا انه من المدد لا من
المد في العمر والامهال **القراءة نافع** في موضع اخر واخوانهم يمدونهم في الغي بحال ان الذي بمعنى
الامهال انما هو مد له مع اللام كاملى له قال في الكشاف هو مخالف لنقل الجوهري بعده

في غيهم

في غيه اي امهلهم والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو ومعنى مد الله تعالى اياهم في
الطغيان ان يعرف من تفسير ختم الله على قلوبهم وقد توجه بانه لما منعهم لطافه التي لمنحها المؤمنون
بقيت قلوبهم تتراكب الرين والظلمة فيها تراكب الانشراح والنور في صدور المؤمنين فسمى ذلك
التراكب مددا او بانه لم يقسرهم او بانه اسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره ولا يخفى
ما في هذا التوجيه من التكلف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ومن هذا القبيل ما قيل ان النكتة في اضافة
الطغيان اليهم هي ان يعلم ان التمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم وان الله بريء منه فان
الانتهاء الى الله تعالى لما كان ضروريا فكيف يتبرأ من ذلك ويعمهون في موضع الحال والعمه كالعمى الا ان العمى
في البصر وفي الراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه وثالثها قوله
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروها عليه واستبدلوها به وهذه استعارة لان حقيقة
الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر قال ابو النجم اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا حيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا **وعن وهب** قال
الله تعالى فيما يعيب به بني اسرائيل تتفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون
الدنيا بعمل الاخرة جعلوا لتمكنهم من الهدى بحسب الفطرة الانسانية لا الشخصية كانه في ايديهم
فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهي الجور عن القصد وفقد الاهتداء وفي المثل ضل دريص نفقه اي
جحره والدرص ولد الفارة ونحوها يضرب لمن يعيى بامره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب
في الدين والربح الفضل على راس المال والتجارة مصدر وانما اسند الخسران اليها وهو لصاحبها اسنادا
مجازيا لملابسة التجارة بالمشترين ونظائره ربح عبدك وخسرت جاريتك مجاز اذا دلت الحال ولما
ولما ذكر الله سبحانه وتعالى شري الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ما يشاكله ويواخيه
من الربح والتجارة ليكون استعارة مرشحة كقوله ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش
له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة لان مطلوب التاجر في تصرفاته شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا
الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة والضلالة امر عدمي فلا عوض
ولا معوض ولا ربح ولا راس المال وهكذا حال من يدعي الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين
مقاصده ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عشرة الكفار وصحبة المسلمين والمكانة عند ما نفق
عليه درهم واذا اقبل الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا يعوذ بالله من الغواية ونسال الثبات
بعصمتنا من الضلالة بعد الهداية مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ
مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ
بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ
وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ
مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ
لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ۝ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

القراآت آذانهم وبابه بالامالة نصير وابو عمرو وقتيبة ويعقوب غير روح شاء الله حيث كان
بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان الوقوف نارا ج لان جواب لما منتظر لما فيها من معنى الشرط
مع دخول فاء التعقيب لا يبصرون لا يرجعون للعطف باو وهو للتخيير ومعنى التخيير لا يبقى
مع الفصل ومن جعل او بمعنى الواو جاز وقفه للعطف بين الجملتين مع انهما ذواتا اسرانة ولكن
اعترضت بينهما آية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق ج الموت ط بالكافرين ط ابصارهم ط لان
كلما استئناف فيه لان تمام المقصود بيان الحال المضاد للحال الاول قاموا ط وابصارهم ط قدير ع

التفسير لما جاء بتحقيق صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان

ولضرب الامثال شان ليس بالخفي في رفع الاستار عن الحقايق حتى يبرز المتخيل في معرض اليقين
والغايب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد ولامر ما اكثر الله تعالى في كتبه امثاله وتلك الامثال نضربها
للناس وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ظلك ان طلبته تباعد وان تركته
تتابع مثل الجليس الصالح كمثل العطار وامثال العرب اكثر من ان تحصى حتى صنف فيها كتب مشهورة والمثل في اصل
كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر المشبه مضربه بمورده مثل ولا يخلوا عن غرابة ومن ثمة
حفظ عن التغيير واما هاهنا فاستعير المثل للحال والصفة او القصة التي فيها غرابة ولها شان فشبهت
حالهم العجيبة الشان من حيث انه نوضيا من الهدى بحسب الفطرة ولما نطقت به السنتهم من كلمة الاسلام
فحقنوا دماءهم واموالهم عاجلا ثم لم يتوصلوا بذلك الى نعيم الابد باستبطانهم الكفر فبولت حالهم الى انواع الحسرات
واصناف العقوبات بحال الذي استوقد نارا في توجه الطمع الى تسني تسهل مطلوب بسبب مباشرة اسبابه
القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب والمراد بالذي استوقد اما جمع كقوله وخضتم كالذي خاضوا
وحذف النون لاستطالته بصلته او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا ولولا
عود الضمير الى الذي مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة اذ يمكن ان يشبه قصة
جماعة بقصة شخص واخر نحو مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ووقود النار سطوعها
وارتفاع لهبها واوقدتها انا واستوقدتها وصوء كل نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندة
الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة
او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة والعام حول لانه يدور
وجواب لما ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى الذي استوقد نظرا الى المعنى كان الضمير في حوله رجع اليه
من حيث اللفظ والاولى ان يقال جوابه محذوف مثل فلما ذهبوا به لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة
التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من الذكر في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله كان ما كان من
حصولهم خابطين في ظلام متحيرين خايبين بعد الكدح في اخبار النار ثم ان سايلا كان يقول ما بالهم
قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم اي بنور المنافقين ويمكن ان يكون بدلا
من جملة التمثيل على سبيل البيان اي مثلهم كمثل الذي استوقد كمثل الذي ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد
الفعل الى الله تعالى انه اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفأها الله وذهب بنور المستوقد
او يكون المستوقد مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام
وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها وامتدادها فما فيها الا نويرة قليل البقا وللباطل صولة ثم يضمحل
ولريح الضلالة عصفة ثم تخمت ونار العرفج مثل للنزوة كل طماح كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله واما
نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويتهدوا بها في طرق العيث
فاطفأها الله وخيب امانيهم وانما لم يقل اذهب الله ضوءهم على سياق فلما اضاءت لان ذكر النور ابلغ
في الغرض وهو ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا فان الضوء شدة النور وزيادته ورد الى الاصل
يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله
ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بالداخن وامسكه وما يمسك الله
فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد واذا علق بشيئين كان
مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقوله عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله
وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور وقيل بيانا في ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل
كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد الروية وتمنع الطلبة وفي جمع الظلمة وتنكيرها واتباعها ما يدل على انها
ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون دلالة على ان الظلمة بلغ مبلغا يبهت معها الواصفون
وكذا في اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى احضاره بالبال

لامن قبيل

لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا والمحال لا يبصرون اما حال صفة الظلمات اي لا يبصرون فيها شيئا وانما
نصب مفعولا اخر ثانيا او حالا من هم مثل وتركهم في طغيانهم يعمهون اي حال كونهم ليسوا من اهل الابصار
عن سعيد بن جبير نزلت الاية في اليهود وانتظارهم لخروج النبي عليه الصلاة والسلام واستفتاحهم به
على مشركي العرب فلما خرج كفروا به فكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال
ذلك النور ثم انه كان من المعلوم من حالهم انهم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا اعن ابعث
مشاعرهم فقيل هم صم بكم عمي حيث صدوا عن الاصاخة الى الحق سماع معهم وابوا ان ينطق به السنتهم
وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم وانما قلت ان في الاية تشبيه لا استعارة مع المشبه مطوي ذكره
كما هو حق الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به والا بقي الخبر بلا مبتدا ومعنى لا يرجعون لا يعودون الى الهدى
بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها شبه حبسها عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين
لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون وقف الهوى الى حيث انت فليس
الى متاخر عنه ولا متقدم ومثله حال مريد الطريقة الذي له بداية ولازم خلوة وصحبة حتى تشرف له من
صفاء القلب شوارق الشوق ويرقت له من انوار الروح بوارق الذوق فطرقته الهواجس وازعجته الوساوس
فرجع قهقرى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة فغابت شمسه واظلمت نفسه وفضل يومه امسه
ثم ان الله تعالى ضرب للمنافقين مثلا اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا عقب ايضاح لان المقام مقام
تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنافقين كمثل المستوقدين او كمثل ذوي صيب على معنى ان
قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما فانت مخير في التشبيه
بايهما شئت وبهما جميعا كجالس الحسن او ابن سيرين والتمثيلان جميعا من جملة التمثيلات المركبة
دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه بل يراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وهو انهم
في المقام الحج في حصول المطالب ونجح المارب لا يحصلون الا بضد المطلوب فيه من مجرد مقاسات الاهوال
وشدة الاحوال والتمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك
اخر تدرجا من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا او كمثل ذوي صيب مع انه
لا يلزم في التشبيه المركب ان يلي حرف مفرد يتاتى التشبيه به الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا
كماء كيف ولي الماء الكاف اذ التشبيه مركب لان الضمير في يجعلون لا بد له من راجع هذا هو التحقيق وقد
يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب يحيى به حيوة الارض بالمطر وما يحوم حوله من شبه
الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا
والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا يكون تقدير المضاف ضروريا ليصح تشبيه المنافقين بهم
ويكون المعنى مثلهم كمثل الذين قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا ويكون ذكر
المشبهات مطويا على سنن الاستعارة والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع للسحاب صيب ايضا وتنكير
صيب للدلالة على انه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول والسما هذه المظلة
والفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء من السما معرفة تنفي ان ينصب من سماء
اي من افق واحد من بين سائر الافاق ولكنه غمام مطبق اخذ بافاق السماء وكما جاء بصيب وفيه
مبالغات من جهة التركيب من صوب والبناء على فيعل والتنكير ايد ذلك بان جعله مطبقا واعلم
انه اذا وقعت القوى الفلكية في العناصر باذن الله تعالى بحركتها وخلطتها حصل من اختلاطها موجودات
شتى فاذا هيج الفلك باسخان الحرارة بخارا من الاجسام المائية ودخانا من الاجسام الارضية واثار
شيئا من البخار والدخان من الاجسام المائية والارضية اما الدخان فانه قد يتعدى صعوده حيز الهواء
الى ان يبلغ تخوم النار فيشتعل وربما يبقى فيه الاشتعال فراه كان كوكبا تقذف به وربما لم يشتعل
بل احترق وثبت فيه الاحتراق فراى العلامات الهائلة الحمر والسود واما البخار الصاعد فمنه
ما يلطف ويرتفع جدا فيتراكم ويكثر مدده في اقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فينقط
فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا وينزل كما وافيه

مطلب الرعد

مطلب الدخان

برد الليل قبل أن يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي اعني مادة الطل فنزل وكان صقيعا وهو ما يسقط بالليل من السما شبيها بالثلج وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات ماء فكان بردا وانما يكون جموده في الشتا وقد فارق السحاب وفي الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ما لاجتماع شدة البرودة وربما تكاثف الهوا نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا واما الجواهر البخارية الدخانية المركبة من مادتي الرطوبة واليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فيكون منها الرياح واذا تصعدت فتميز البخار من الدخان فانعقد البخار سحابا فبرد وتقلقل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فحصل من تقلقله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما احدث ذلك التقلقل الكثير وحصول المواد ويكون على السحاب اكثف لان البرد هناك اشد ويكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع الى اسفل وقد اشتعلت بالحاكة والحركة نارا تبرق تشق السحاب شعلة تحمر يطفى فيسمع من ذلك ضرب من الرعد وان كان قويا شديدا غليظ المادة كان صاعقة وربما وجد منه قطعة فيه سهل الانشقاق فيخرج بالارعد والاشتعال فهذا القدر من الخائف في هذا المقام لا يضيف في معرفتنا بعد ان يعتقد انتهاء اسبابها الى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ارتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق بين سيبويه والاخفش والاعتماد على موصوف والصيب ان كان سحابا فظلماته سحمته وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان مطرا فكونهما ملتبسين به في الجملة سوغ ذلك وانما لم يجمع الرعد والبرد والبرق ظ كما قال البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات لانهما في الاصل مصدران فروعي حكم الاصل ويمكن ان يراد بهما الحدث كانه قيل وارعاد وابراق ونكرت هذه الاشيا لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب لانه في حكم المذكور قال حسان يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل ذكر يصفق لان المعني ماء بردى وهي وادي بدمشق والبريص نهر من انهارها ويصفق اي يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم سئل فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم ثم يسأل فكيف حالهم مع ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما لم يقل اناملهم مع انها هي التي تجعل في الاذن في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا ايديهم والمراد الى الرسغ وليس بعض الاصابع كالمسبحة مثلا لجعلها في الاذن اولى من بعض حتى يقال لم ذكر العام والمراد الخاص تولد من الصواعق اي من اجل الصواعق نحو سقاه من العيمة وقد يحصل مما ذكرنا ان الصاعقة قصفة رعد تنقض معها شعلة من نار تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهو نار لطيفة حديدة لا تمر بشي الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريع الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد والرعد والتا للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض معاقب للحيوة لا يصح معه احساس والله محيط بالكافرين مجازا اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من افعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودا ومكادة وضعت لمقاربة الشي فعل او لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفي الفعل ومقرونه بالجحد ينبئ عن وقوع الفعل عن وما كادوا يفعلون وخبر كاد فعل مضارع بغير ان وهو ههنا يخطف والبرق اسمه والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم استئناف ثالث كانه قيل كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وفتوره واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة وفوقها السعي وفوقها العدو واظلم اما لازم وهو الظاهر واما متعد منقول من ظلم الليل اي اظلم البرق الطريق عليهم بان فتر عن لمعانه ومعنى

قاموا

قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد وانها قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على
وجود ما همهم به مقصود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها فخطوا خطوات يسيرة
وليس كذلك التوقف. والتجنس ولو شاء الله لذهب في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم
ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها وهذا
الحذف في شاء واراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الا في شيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته
عليه ولكن ساحة الصبر اوسع قال عز من قايل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الثاني
لانتفاء الاول وقد تجيء للمبالغة كقوله عليه السلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه والمراد ان
عدم العصيان ثابت على كل حال لانه على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى تقدير الخوف اولى والشيء اعم العام
كما ان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل
العقل فمن الاشياء ما لا تتعلق به القادر كالمستحيل والواجب وجوده واما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا
ايجاده وابقاؤه على وجوده جميع ذلك بقدرة القادر فلا يستغني آنا من الآنات ولحظة من اللحظات عن تأثير
القادر وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته ونقيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه وتعالى.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝

القراءة خلقكم مدغما ابو عمرو وكذا كل من كان قبلها متحرك وزاد عباس
كل ما كان قبلها ساكن مثل خلقكم وصيبهم ونبيكم ويورثكم وميثاقكم واشباه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها
باظهار صوت القاف وقال غيره وهو ابن مهران لا يظهر ذلك ولكل صواب الوقوف تتقون لان الذي صفة
الرب تعالى بناء ص لعطف الجملتين المتفقتين لكم ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون ۝

التفسير لما قدم الله احكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر
صفاتهم ومجاري امورهم عاجلا واجلا اقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذي يورث الكلام
رونقا وبهاء ويزيد السامع هزة ونشاطا ومن لطائف المقام انه تعالى كان يقول جعلت الرسول
واسطة بيني وبينك اولا والان ازيد في اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك
من التنبيه على الادلة شرف المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل بالعبودية
زاد قربا وحضورا وايضا الايات المتقدمة **حكايات** احوالهم وهذه امر وتكليف
وفيه كلفة ومشقة فلابد من راحة وهو ان يرفع ملك الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته
ليستطاب التكليف ويسهل هذا وقد صح الاسناد عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي
ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة بحسب هذا النقل وان كان
من الجائز ان يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف
وضع لاجل التخفيف مقام انادي الانشائية لا الاخبارية وههنا نكتة وهي انه اقوى المراتب
الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا ياتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه
وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء فقيل لهم قد ياتلف الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والنداء
ادعوني استجب لكم واذا سالك عبادي عني فاني قريب فاذكروني اذكركم ويا وضع في اصله لنداء البعيد
حقيقة او تقديرا لكونه ساهيا او غافلا او نائما او بتبعيد المنادي نفسه عن ساحة عزة المنادي
هضما واستقصارا كقول الداعي في جواره يا رب يا الله مع انه اقرب اليه من حبل الوريد لتحقيق الاجابة
بمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم وقد ينادي القريب المفاطن في غير هذه الصورة بيا ويكون المراد
به ان الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا نحو يا ايها الذين امنوا يا عبادي يا ايها النبي لانما يعقبها امور

عظام وخطوب جسام الاوامر والنواهي والعظات تحملهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصايرهم اليها واي
وصلة الي نداء ما فيه الالف واللام ونحوه اسم مبهم يوصف باسم جنس ليصح المقصود بالندا مع ضرب من التاكيد
المستفاد من الابهام ثم التوضيح وفي حرف التنبيه المقحم فايدتان معاضدة حرف الندا بتاكيد معناه ووقوعه
عوضا مما يستحقه اي من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان الجمع المفرد باللام
يفيد العموم بدليل صحة تاكيده بكل واجمعون في مثل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وبدليل
صحة الاستثنا فالاقرب انه لا يتناول الا الموجود من في ذلك العصر واما تبيينا ولوك الذين
سيوجدون بدليل منفصل هو ما عرف بالتواتر من دين محمد عليه الصلاة والسلام ان حكم الموجودين
في عصره حكم من سيوجد الي قيام الساعة **وان قلنا** ان الخطاب لمشركي مكة فيدخل
ساير الناس بالتبعية علي قياس ما قلنا والمراد من قوله اعبدوا وصححوا نية العبادة وذلك
بان من عرف نفسه بالامكان ليعرف ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالمملوكية ليعرف ربه بالمالكية
ويعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية ويعرف نفسه بالمامورية
والذل ليعرف ربه بالامرية والعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس هذه القضايا فلا يري لنفسه
نفعا بوجه من الوجوه ولا قدرة بنوع من الانواع وانما يكون عبدا ذليلا مايلا بين يدي مولاه طايعا
له بكلما يامره وينهاه لانه اذا تصور كونه عبدا فلابد ان يطلب لنفسه سيدا واذا وجد السيد فلا محالة
يوطن نفسه لطاعته وانقياده ولا يري مخالفته في شي اصلا اذ قال له اسلم قال اسلمت لرب العالمين والا لم
ينفع نسبة عبوديته عن الاصمعي انه اتي بغلام ليشتريه فقال له ما اسمك قال ما تسميني قال
ايش تاكل قال ما تطعمني قال ما تشرب قال ما تسقيني قال تريد ان اشتريك قال العبد لا يكون
له ارادة فالامر بالعبادة بهذا المعني يشمل الكافر والمومن وكل من له اهلية الخطاب ويندرج فيه
المبادي والنهايات والاصول والفروع ثم انه تعالي لما علم القصور البشرية وضعف قواهم النظرية
والفكرية ارشدهم اليه ونبههم عليه بقوله ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم **واعلم** ان الطريق
الي معرفة الواحد سبحانه وتعالي بعد ما قلنا من الرجوع الي النفس والتنبه لسمة العبودية اما الامكان
او الحدوث او مجموعهما كل منها في الجواهر او في الاعراض اما الامكان باستدلال بامكان الذوات فاليه
الاشارة بقوله تعالي والله الغني وانتم الفقراء وان الي ربك المنتهي واما الاستدلال بامكان
الصفات خلق الله السموات والارض الذي جعل لكم الارض فراشا وبحدوث الاجسام قول ابراهيم
صلوات الرحمن عليه اني لا احب الافلين وبحدوث الاعراض ولا بد الا نفس ودلايل الافاق فان كل
احد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك والموجود بعد العدم له موجد وليس هو نفسه ولا
الابوان ولا ساير الناس لعجز الكل ولا طبايع الفصول ولا فلك الافلاك في افق الامكان فهو شي غير
متسم بسمة الحدوث والنقصان وهذا الطريق اقرب الطرق الي الافهام فلهذا اورده الله تعالي في فاتحة
كتابه لينتفع به الخاص والعام مع ان فيه تذكير النعمة السابقة وعظيمة السابغة عليهم وعلي ابايهم
وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الي الانصاف وترك الجدال واما قوله لعلكم تتقون ففيه
بحثان الاول كلمة لعل للترجي والاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعاقبة وهو علي الله محال
والجواب ان الترجي راجع الي العباد لا الي الله تعالي كقوله لعله يتذكر
او يخشي اي اذهبا انتما علي رجايكما وطمعكما في ايمانه ثم الله عالم بما يوول اليه امره وايضا فمن
ديدن الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم لا يجاذها علي ان يقولوا عسي ولعل وح
لا ينبغي لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب او جاء علي طريق الاطماع دون التحقيق
لئلا يتكل العباد مثل توبوا الي الله توبة نصوحا عسي ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم او وقع لعل موقع
المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات
وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين واراد منهم الخير والتقوي فهم في صورة المرجو
منهم ان يتقوا الترجيح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المترجي بين ان

بجعل

يفعل وبين ان لا يفعل ونظيره ليبلوكم ايكم احسن عملا وهذا الجواب مبني على ان قوله لعلكم تتقون
متعلق بخلقكم مثل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي الا ليعبدوا وقيل لعل بمعنى كي ووجه بانها للاطماع
والكريم الرحيم اذا اطمع فعل يجري اطماعه مجرى وعده المحتوم فلهذا قيل بمعنى كي قال القفال في
لعل معنى التكرير والتاكيد اذ اللام للابتداء نحو لعلقد ولقولهم علك ان تفعل كذا ولعل يفيد التكرير ومنه
العلل بعد النهل فقول القايل افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فان فعلك له يوكد طلبك له ويقويك
عليه **البحث** الثاني اذا كانت العبادة تقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا
ربكم لعلكم تعبدون او اتقوا ربكم لعلكم تتقون والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما وخصوصا على ما فسرنا
اذ المعنى يعود الى قولنا صححوا نسبة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى وهي الاجتناب عن المعاصي فقط
او هو مع الاتيان بالاوامر واما قوله الذي جعل لكم الارض فراشا الاية فنقول فيه لفظ الذي مع
صلته اما ان يكون في محل النصب بدلا من الذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على المدح ايضا
اي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للاشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جعل لكم
الارض فراشا قضية معلومة فادخل عليها الذي كي ينبهوا للجاعل ويعترفوا به والحاصل انه تعالى
عد في هذا المقام عليهم خمسة دلايل اثنين من الانفس وهما خلقهم وخلقوا اصولهم وثلاثة من
الافاق جعل الارض فراشا والسما بناء والامور الحاصلة من مجموعهما وهو انزال الما من السما واخراج
الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لان اقرب الاشيا الى الانسان نفسه ثم ما منه منشاؤه
واصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم
على فراشه ثم السما التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج
بين المقلة والمظلة من انزال الما منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان
الوان الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني ادم وايضا خلق المكلفين احياء قادرين اصل لجميع النعم واما
خلق الارض والسما فذلك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحياة والقدرة والشهوة وذكر
الاصول مقدم على ذكر الفروع وايضا كما ان في السما والارض من الدلايل على وجود الصانع فهو حاصل
في الانسان بزيادة الحيوة والقدرة والشهوة والعقل ولما كانت وجوه الدلالة فيه اتم كان تقديمه
في الذكر اهم ولنرتب هنا مسايل الاولى في منافع الارض الفراش اسم لما يفرش كالمهاد لما يمهد والبساط لما
يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحها مستويا كالفرش على ما ظن فسواء كانت
كذلك او على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها وتباعد اطرافها ولكنه
لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع
تميل الى تحت كما ان الخفيف وبالطبع تميل الى فوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء والتحت
ما يلي المركز وكما انه يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السما فليستبعد هبوطها في مقابلة ذلك
لان ذلك الهبوط صعود ايضا الى السما فاذن لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها
الى علاقة من فوقها والى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما اعطاها خالقها وركز فيها من
الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومما من
الله تعالى به على عباده في خلق الارض انه لم يجعلها في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين
والانغمار كالما ليسهل النوم والمشي عليها وامكنت الزراعة واتخاذ الابنية منها وتاتى حفر الابار واجراء
الانهار ومنها انه لم تخلق في غاية اللطافة والشفيف ليستقر الانوار عليها وتتسخن منها فيمكن جوارها
ومنها ان جعلت بارزة بعضها من الما مع ان طبعها الغوص لتصلح لتعيش الحيوانات البرية
عليها وسبب انكشاف ما برز منها وهو قريب من ربعها انه لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت
هي والما بحيث اذا انجذب الما بطبعه الى المواضع الغايرة والمنخفضة منها بقي شي منها مكشوفا
وصار مجموع الارض والما بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب
وغروبها للمشرقيين على طلوعها وغروبها للمغربيين وفي ما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع

القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب وتركيب الاختلافين
لمن يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاعراض الحاصلة بالاستدارة فيستوي في ذلك راكب
البر وراكب البحر ونتو الجبال وان شمخت لا تخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة
الكرة لا في استدارتها ومنها الاشيا المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والاثار العلوية والسفلية
ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها ان يتخر الرطب به فيحصل التماسك في ابدان المركبات ومنها
اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات وفي الارض
قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها
انصداعها بالنبات والارض ذات الصدع ومنها خزنها الما المنزل وانزل من السما ما بقدر فاسكناه
في الارض ومنها العيون والانهار العظام التي فيها والارض مددناها ومنها ان لها طبع الكرم والسماحة
تاخذ واحدة وترد سبعماية كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة ومنها حيوتها وموتها
واية لهم الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النباتات المتنوعة
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعامها ولذة واختلاف روايحها دلالة
فمنها قوت البشر ومنها قوت البهايم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام ومنها الادام ومنها الدوا ومنها
الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها
الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار مع كثرته وانظر الى
الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك كالحجر وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى
فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة ثم تامل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنايع الجليلة
واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من اوج الهوا لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب
فيه ان معظم فايدتها ترجع الى الثمنية وهذه الفايدة لا تحصل الا عند العزة والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه
الحكمة فلذلك ضرب الله دونها بابا مسدودا ومن هنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيميا افلس
ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبنا والسقف والحطب وما اشتد اليه الحاجة
في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا من المنافع اكثر مما عددنا فاذا تامل العاقل في هذه الغرايب والعجايب اعترف
بمدبر حكيم ومقدر عليم ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر الثانية في منافع السما البنا مصدر سمي
المبني بيتا كان او قبة او خبا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا
عليها خبا جديدا ثم ان الله تعالى زين السما بالمصابيح ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل
القمر فيهن نورا وبالشمس وجعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات
والارض وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا
وذكر ان خلقها مشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السما والارض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعا ومحل
الضيا والصفا وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير
ونجومها رجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البحر والبر وقيض للشمس طلوعا يسهل معه التقلب
لقضاء الاوطار في الاطراف وغروبا يصلح معه الهدو والقرار في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث
القوة الباطنة وتنفيذ الغذا الى الاعضا ولو طال الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة والكثافة
وافضت الى خمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من
حيوان ونبات فهي بمنزلة سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور
والظلمة على تضادهما متناصرين على ما فيه صلاح قطان الارض وههنا نكتة كان الله تعالى يقول
لو وقفت الشمس في جانب من السما فالغني قد يرفع بناءه على كوة الفقير فلا يصل النور الى الفقير لكني ادير الفلك
واسيرها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه اما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعل الله تعالى سبب
الاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويستنظف الهوا

فيكثر

فيكثر السحاب والمطر وتقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع يتحرك الطباع ويظهر المواد المتولدة في الشتاء ويثور الشجر ويهيج الحيوان للفساد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار ويتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس فيدرك الثمار ويستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب ويضبط المواقيت الشرعية ومنه يحصل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة **يحكى** ان اعرابيا نام عن جلة فافتقده فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر وقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا اساله لك ولئن اهتديت الى سرورا فقد اهدى الله اليك نورا ثم انشا يقول

• ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر • وقد كفيتني التفصيل والجملا •

• ان قلت مرفوعا فانت كذا • او قلت زانك ربي فهو قد فعلا •

وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يدرك الهارب ويهتك العاشق ويبلي الكتان ويهرم الشاب وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني الحين وكيفية ارتباط القمر وساير الكواكب بالشمس وكيفية حركاتها وبيان اختلافات اوضاعها وعلل كل منها فن براسه لا يحتمل ايرادها ههنا قال الجاحظ اذا تاملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مبسوطة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيات للمنافعة وضروب الحيوان متصرفة في مصالحه فهذه جملة واضحة دالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية الثانية في ان السماء افضل ام الارض قال بعضهم السماء افضل لانه متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصي الله فيها ولما اتى ادم عليه السلام بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال الله لا يسكن جواري من عصاني وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وورد في الاكثر ذكر السماء متقدما على ذكر الارض والسماويات مؤثرة والارضيات متاثرة والمؤثر اشرف من المتاثر **وقال** اخرون بل الارض افضل لانه تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وفي البقعة المباركة الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض الشام ووصف جملة الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فان قيل واي بركة في المفاوز المهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن خلق لا يعلمهم الا الله تعالى فلهذه البركات قال وفي الارض ايات للموقنين تشريفا لهم لانهم هم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وخلق الانبياء من الارض منها خلقناكم واودعهم فيها وفيها نعيدكم واكرم نبيه المصطفى فجعل الارض له كلها مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض وكانت كالصدفة والدرة المودعة فيها ادم واولاده ثم علم الله اصناف حاجاتهم قال يا ادم لا احوجك الى شي غير هذه الارض التي هي لك كالام فقال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدي ان اعز الاشيا عندك الذهب والفضة ولو اني خلقت الارض منها هل كان يحصل منها هذه المنافع ثم اني جعلت هذه الاشيا في الدنيا مع انها سجن لك فكيف الحال في الجنة فالحاصل ان الارض امك بل اشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك الوانا من الاطعمة ثم قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم معناه نردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه وذلك لان مقامك من الام التي ولدتك اضيق من مقامك من الارض انك كنت في بطن الام تسعة اشهر فما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام الكبرى ولكن الشرط ان تدخل بطن الام الكبرى كما كنت في بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان تكون كبيرة بل كنت مطيعا لله فحيث دعاك مرة بالخروج الى الدنيا خرجت اليها بالراس طاعة منك لربك واليوم يدعوك

سبعين مرة الى العلوة فلا تجبر رجلك الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته
ومشيته انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد وهو قادر على انشاء الاشياء بلا
اسباب ومواد كما انشاء نفوس الاسباب والمواد ولكن له في هذا التدريج والتسبيب حكما يتمن بها
من يتبصر ويتفطن لها من يعتبر ومن في من الثمرات للتبعيض لانه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى
البعضية لانه في سياق الاثبات فكانه قيل وانزلنا من السما بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السما كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل
الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا ثم ان كانت من للتبعيض
كان انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق ان
اريد به العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم واما قيل الثمرات على نقط القلة وان
كان الثمر المخرج بماء السما كثيرا لانه قصد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه
تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة او لان القلة وضعت موضع الكثرة نحو ثلاثة قروء او تنبيها
على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الاخرة الخامسة قوله فلا تجعلوا اما ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا
تجعلوا لله اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ندا ولا شريكا او بلعل فينتصب
تجعلوا بعده مثل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع في رواية حفص عن عاصم او بالذي جعل لكم اذا
رفعته على الابتدا اي هو الذي نصب لكم هذه الادلة القاطعة والايات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا
له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي من ناددت الرجل خالفته ونافرته وندندود ذا
اذا انفرد ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه وقوله وانتم تعلمون
بترك المفعول معناه وانتم من اهل العلم والمعرفة بدقايق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب
خصوصا قطان الحرم من قريش وكنانة لا يشق غبارهم في الدهاء والفطنة والتوبيخ فيه آكد اي انتم
العارفون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية
سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت
او انتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واعلم انه
ليس في العالم احد يثبت لله شريكا يساويه في الوجوب والعلم والقدرة والحكمة لكن الثنوية يثبتون
الهين حكيم يفعل الخير وسفيه يفعل الشر اما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين اليه كثرة الفريق
الاول عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعالى خلق هذه الكواكب وهي المدبرات
في العالم فيجب علينا ان نعبد الكواكب والكواكب يعبد الله تعالى والفريق الثاني عبدة المسيح عليه
السلام والفريق الثالث عبدة الاوثان تنقول لا دين اقدم من دين عبدة الاوثان لان اقدم الانبياء
الذين نقل الينا تاريخهم هو نوح عليه السلام وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق الى الان والدين الذي هذا شانه يستحيل ان
يعرف فساده بالضرورة ولكن العلم بان هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني
وخلق السما والارض علم ضروري فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض اخر سوى
ذلك والعلما ذكروا فيه وجوها احدها ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي ان كثيرا من اهل
الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون انه جسم ذو صورة كاحسن ما يكون
من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسما وان الواجب عليهم ان يصوغوا تماثيل انيقة
المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعتكفون على عبادتها قاصدين
به طلب الزلفى الى الله تعالى وملائكته فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد التشبيه
وثانيها ما ذكره اكثر الحكما وهو انهم لما راوا تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب
واعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس بالغوا في تعظيمها فمنهم
من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة

لله

مطلب اسماء الاصنام

لله الاكبر لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسايط بين الله والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما راوا الكواكب مستترة في الاوقات عن الابصار اتخذوا لها اصناما واقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغايبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب وتجردوا لعبادة تلك التماثيل فهولاء في الحقيقة عبدة الكواكب وثالثها ان اصحاب الاحكام كانوا يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الافات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم نسوا مبدا الامر لتطاول المدة واشتغلوا بعبادتها ورابعها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته وعبدوه على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيامة عند الله تعالى ويقولون هولاء شفعاونا عند الله تعالى وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة لصلواتهم وطاعتهم ويسجدون اليها لا لها كانا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها وسادسها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التاويل فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث نعلم بطلانه بالضرورة فان قيل المرجع حاصل مذاهب عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع عنها **قلنا** لما تقربوا اليها وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الالهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط ولا بعيد في طريق عبادته الا الحنيفية والاخلاص ورفع الوسايط من البين **واعلم** ان اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة باسماء القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهي عندهم الامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصورة مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا مربعا وهيكل الشمس مربعا وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيلا وهيكل القمر مثمنا **وزعم اصحاب التاريخ** ان عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على طبقاتهم وولي امر البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى قوما يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا هذه اوثان نستنصرها فننصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان ياتوا بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في اول ملك شابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان ومنها نوبهار الذي بناه منوجهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبايل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسرا بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطايف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة واساف ونايلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول

اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين

القراءة ما يتعلق بها من ضم ميم الجمع ومن امالة الناس يعرف بما مر والوقوف من مثله من صادقين
والحجارة ح على تقدير وهي اعدت للكافرين وللوصل اجوزه لان قوله اعدت بدل الجملة الاولى
في كونها صلة التي للكافرين التفسير لما نبه بالايتين السابقتين على طريق
الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته اعقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة
ما نزل عليه وقد ذكر في كون القران معجزا طريقان الاول اما ان يكون مساويا لكلام سائر الفصحاء
او زايدا عليه بما ينقض العادة او بما لا ينقضها والاولان باطلان لانهم وهم زعماء الحوار وملوك الكلام
اتحدوا بسورة منه مجتمعين او منفردين ثم لم ياتوا بها مع انهم كانوا متهالكين في ابطال امره
حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا في الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق
كيف الباطل فتعين القسم الثالث الطريق الثاني ان يقال ان بلغت السورة المتحدى بها في الفصاحة
الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين امره
معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل وما يدريك انه لن تعارض في مستانف
الزمان وان لم يعارض الى الان قلت لانه لا احتياج الى المعارضة اشد من وقت التحدي والا لزم
تقرير المبطل المشبهة للحق وحيث لم يقع المعارضة وقتئذ علم ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه
بقوله ولن تفعلوا كما يجي واعلم ان شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن
تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة فمدرك الاعجاز عجيب هو الذوق ومن فسر الاعجاز بانه صرف الله تعالى
البشر عن معارضته او بانه هو كون اسلوبه مخالفا لاساليب الكلام وبانه هو كونه مبرءا عن التناقض
او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب وعما يجري في سلك هذه الاراء فقد كذب ابن اخت خالته فانا
نقطع ان الاستغراب من سماع القران انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر في القلوب تاثيرا لا يمكن انكاره
لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولان صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال احد
معجزتي ان اضع الساعة يدي على راسي وتعجزون عن ذلك عليكم وكان كما قال جاء الاستغراب من
التعذر لا من نفس الفعل وايضا تسمية كل اسلوب غريب معجزا باطلا وكذا تسمية كل كلام مبرا عن
التناقض او مشتمل على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف يعتقد اعجاز القران
ان يعتقد بحيث يعجز عنه الثقلان فقط والزايد غير معلوم الحال او بحيث يعجز عن المخلوقات باسرها
قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثاني الا ان التحدي لم يقع الا بالقدر الاول وبه ثبت صحة النبوة لكن
النبي صادق وقد اخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم انه كلام صفته وصفته يجب ان تكون في غاية الكمال
ونهاية الجلال فالقران اذن في غاية البلاغة وغاية الفصاحة والبلاغة هو بلوغ المتكلم في تادية المعاني
حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وهو فينا
كانها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علم المعاني والبيان والفصاحة اما معنوية وهو خلوص
الكلام عن التعقيد والتعقيد ان يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر
مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك فلا تدري من اين تتوصل وباي طريق معناه يتحصل
واما لفظية وهو ان يكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من العرب
الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر وان تكون اجرى على قوانين اللغة العربية وان تكون
سليمة عن التنافر بعيدة عن العقد كانت سلسة على الاسلات والحاكم في ذلك هو الذوق السليم والطبع
المستقيم فقلما يخرج هنالك الا ذلك ثم انه قد اجتمع في القران وجوه كثيرة يقتضي نقصان الفصاحة
ومع ذلك فانه بلغ في الفصاحة النهاية التي لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة
العرب اكثرها في وصف المشاهدات كبعير او فرس او جارية او ملك او ضربة او طعنة او وصف
حرب او وصف غارة وليس في القران من هذه الاشياء مقدار كثير ومنها انه تعالى راعى طريق الصدق
وتنزه عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه ولهذا قال لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت مطلب احسن الشعر
لما اسلما وتركا سلوك سبيل الكذب والتخييل ركّ شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح انما يتفق في بيت
او بيتين

مطلب اسما الفصحا

او يتبين من تفسيره والقرآن كله فصيح لكل جزء منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلامه لم يكن الثاني
في الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر في القرآن فهو في نهاية الفصاحة وغاية الملاحة اعد ذكر نعمات
اعدان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات
والحث على مكارم الاخلاق والزهد في الدنيا والاقبال على الاخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة في هذه
المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر
الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجا والقرآن جاء فصيحا في كل فن
من فنون الكلام فانظر في الترغيب الى قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الترهيب
وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت وفي الزجر فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من
اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وفي الوعظ افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم
ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وفي الالهيات الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض
الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ومنها ان القرآن اصل
العلوم كلها كعلم الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان وعلم
الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فانه كما قال الاشياء ما قصر سورة
منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق طاقة البشر فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح وانما قيل
وان كنتم دون اذ كنتم لما عرفت في تفسير لا ريب فيه وانما اختير نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال
لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون
لو انزله الله لانزله جملة واحدة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة اي على خلاف
ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيئا فشيئا وحينا فحينا حيث ما يعن
لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة فقيل لهم ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل
وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه اصغر سورة وهو الكوثر ومعنى السورة
مذكور في المقدمة الرابعة وانما قيل على عبدنا دون ان يقال مثلا على محمد
كقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد تشريفا له عليه الصلوة والسلام واعلاما
بانه في صحيح نسبة العبودية المامور بها في قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم واضافة العبد الى الضمير
ايضا تؤيد ذلك كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وفيه السعادة كل السعادة في نسبة
العبدية فهي التي توصل الى العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر انا عند المنكسرة قلوبهم
لاجلي وكمال العبودية في كمال الحرية عما سوى الله واما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فمن
ذلك ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل الانواع على الاصناف كان اولى واولى من صاحبه اجيز
ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول ونحوها ومنها ان القارئ اذا ختم سورة
او بابا من الكتاب ثم اخذ في اخر كان انشط كالمسافر اذا قطع ميلا وطوى فرسخا ومن ثم جزءا
القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ
من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل في نفسه ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرأ البقرة
وال عمران جد فينا ولهذا كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومن مثله متعلق بمحذوف
اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد
معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب والنظم الانيق او فاتوا ممن هو على حاله من
كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير معيب ولكنه كقول من قال للحجاج
وقد توعده بقوله لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير
من السلطان والقدرة وبسط اليد ولم يقصد احدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه وعليه
المحققون فيروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لان ذلك مطابق للايات الاخر فاتوا بسورة

مثله فأتوا بعشر سور مثله ولأن البحث انما وقع في المنزل لا في المنزل عليه اذ المعنى وان ارتبتم
ان القرآن منزل من عند الله فأتوا انتم شيئا مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول اقتضى
الترتيب ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فأتوا بسورة ممن يماثله وايضا لو كان عائدا
الى القرآن اقتضى ان يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله مجتمعين او متفرقين اميين او قارئين
ولو عاد الى النبي عليه السلام اقتضى ان يكون الشخص الواحد الامي الذي هو مثله عاجزا ولا شك ان الاعجاز
على الوجه الاول اقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثاني تقرير نقص للنبي صلى الله عليه وسلم لانها ثم
الاتيان بالقرآن عمن يكون قارئا ممكن وايضا الاول هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان
المراد فليأت واحد آخر امي بنحو ما اتى به الواحد لم يحتج ان يستظهر بالشهداء وهو جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القائم بالشهادة والمراد بها اما آلهتهم كانه قيل ان كان الامر كما تقولون من انها تستحق العبادة لما
انها تنفع وتضر فقد دفعتم في منازعتكم محمدا الى فاقة شديدة فتنجلوا الاستعانة بها والا فاعلموا
انكم مبطلون فيكون في الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال كونها آلهة ومن جهة ما انكروه من
اعجاز القرآن واما اكابرهم ورؤساؤهم اي ادعوهم ليعينوكم على المعارضة وليحكموا لكم او عليكم ومعنى
دون ادنى مكان بين الشيء ومن الشيء الدون وهو الخسيس ودون الكتب اذا جمعها لتقليل المسافة
بينهما ويقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اي خذه من دونك اي من
ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم
ومنه قول من قال لعدوه وقد كان يثني عليه رياء انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع
فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزون ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق
بشهداءكم او بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلاثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم
انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدي الله من
قول الاعشى تريك القذى من دونها وهو دونها اي تريك القذى قدام الزجاجة والحال ان الخمر قدام
القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز
بفصاحته غاية التهكم بهم وادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين
ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم
فرسان البلاغة تأبى عليهم الطباع ويجمح بهم الانسانية وانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد
وعلى الثاني يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداء يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله
يشهد ان ما ندعيه حق كما يقول العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس
الذين شهادتهم ظاهرة تفلح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم
وان الحجة قد بهرتهم ولم يبق لهم متشبث غير قولهم الله يشهد انا صادقون سئل بعض
العرب عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او المراد
بالشهداء الا الله تعالى وكل من له اهلية الحضور من الجن والانس فكانه قيل لهم ادعوا غير الله من
الجن والانس من ادم ثم كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما استثنى الله لانه القادر وحده
على ان يأتي بمثله دون كل شاهد واعلم ان التحقيق في التحدي هو ان النبي عليه السلام يقول
اني مخصوص من الله تعالى بمزية الكرامة والنور وجعلني واسطة بينكم وبين هداكم فاتبعون
اهدكم سبيل الخير والرشاد وان كنتم في ريب مما اقول فانظروا الى هذا القدر عليه باظهار الله تعالى
اياه على يدي وانتم لا تقدرون عليه لعدم اقداره لتعرفوا اني خصصت بمزيد فضل من عنده واني صادق
فيما اقول فان انفقوا من انفسهم بمشيئة الله تعالى ونور هداه الله اتبعوه واهتدوا والا بقوا في
الضلالة خائبين وكل هذا من عالم الاسباب التي ربط الله تعالى بها الحوادث والوقائع حيث ما اراد
ولا يلزم من هذا ان يكون للعبد قدرة مستقلة يقع التحدي عليها بل الله يهدي من يشاء وكل

بقدر وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فأتوا او لقوله وادعوا المعطوف عليه ويجوز ان يكون
قيد القوله وادعوا لان قوله فاتوا مقيد بقوله وان كنتم **وجواب** الشرط الثاني
محذوف لدلالة ما قبله وهو مثله عليه التقدير وان كنتم في ريب فاتوا وان كنتم صادقين في ان
اصنامكم يعينكم او في ان القرآن غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء
لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام ولهذا لم يلزم الغاني في قولك انت مكرم ان
جئتني وانما يتقدم ما يدل عليه ومثل هذا في القرآن كثير فاعتبر في كل موضع واما قوله فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا الاية فنقول اولا انها تدل على اعجاز القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من
وجوه احدها انا نعلم بالتواتر ان العرب كانوا يعادونه اشد المعاداة ويتهالكون في ابطال امره
وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم اقوى مما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل
هذا التقريع وهو قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر
كونه معجزا وثانيها انه عليه السلام ان كان متهما عندهم فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال
في وفور العقل فلو خاف عاقبة امره لتهمة فيه حاشاه عن ذلك لم يبالغ في التحدي الى هذه الغاية
وثالثها انه لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور
لا يقطع في الكلام قطعا وحيث جزم دل على صدقه ورابعها ان قوله ولن تفعلوا نفي تاكيد بليغ في
نفي المستقبل اخبار بالغيب وقد وقع كما قال لانهم لو عارضوه لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه
عادة لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه وانما جيء بان الذي للشك دون اذا الذي
للوجوب والقطع مع ان انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بنا على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين
بالعجز عن المعارضة لاتكالهم على بلاغتهم وايضا فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من
نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وانما اختير قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
على قوله فان لم تاتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال وحرف معمول
فعل كثير دون معمول اي هو جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا تغنيك عن طول المكني عنه
كالوقلت اتيت فلانا واعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلته وقوله ولن تفعلوا جملة
معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستيناف والمعترضة تجيء بالواو وبدون الواو وقد
اجتمعتا في قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما قيل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر
لان اتقاء النار لصيقه وضميمة ترك العناد فوضع موضعه من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار
ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني
وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز وهو من حلية القرآن وتهويل
شان العناد بانه الموجب للنار ولهذا اشيع بتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار وانما المصدر
مضموم وقد جاء فيه الفتح فان قيل صلة الذي والتي يجب ان يكون قصة معلومة للمخاطب فكيف
علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة **قلنا** لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع
من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل
نزول هذه بالمدينة وذلك في سورة التحريم قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة
ولهذا عرفت ههنا مشارا بها الى ما عرفوه اولا والمعنى اتقوا نارا ممتازة عن غيرها من النيران
بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة او بانها توقد بنفس ما يراد احراقه واحاوه او بانها لافراط حرها اذا
اتصلت بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها ولعل الكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها
الشياطين جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب والحجارة قيل هي حجارة الكبريت وقيل ما نحتوها
اصناما لكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانهم لما اعتقدوا فيها انها شفعاؤهم عند الله
وانهم ينتفعون بها ويرفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم الا اغياظا لايلامهم وتوبيخا
لنقيض مطلوبهم ونحو ما يفعل بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله اي

يمنعون حتوفها حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والثاني الحجارة للتأكيد النابتة في الحجارة نحو صفوان وقد يدور في الخلال من هذه الآية ومن قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة ومن قوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ان المراد بالحجارة هو الافئدة او وقودها الناس وقلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف الاعضاء واولى بالاحراق اذ كان مقصرا في درك ما خلق الله لاجله ومعنى اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وانما فقد العاطف لانها بدل من الصلة او استيناف كانه قيل لمن اعدت هذه النار فقيل اعدت للكافرين ❁ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ **الوقوف** الانهار رزقا لان قالوا جواب كلما متشابها خالدون **التفسير انه سبحانه** لما ذكر دلايل التوحيد والنبوة واخر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المومنين جريا على سنته المعهود من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد والجنة والنار وهل هما الان مخلوقتان ام لا ظاهر الايات من نحو قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين والاحاديث كقوله عليه السلام في حديث صلوة الخسوف اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار فلم ار كاليوم منظرا قط تدل على وجودهما وكذا اسكني ادم وحوى الجنة وقد جمع الله تعالى في الاية جوامع اللذات من المسكن وهو الجنات ومن المطعم وهو الثمرات ومن المنكح وهو الازواج المطهرات ثم ازال عنهم نقص الزوال بقوله وهم فيها خالدون اتماما للنعمة والحبور وتكميلا للبهجة والسرور والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولهذا **قال العلماء** اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوايل ضوءه واما قوله فبشرهم بعذاب اليم فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي انما المعتمد بالعطف عطف عليه قلنا ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المومنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق وذلك ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم **وقال بعض المحققين** انه معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس فان تقدير القول في القران مع وجود القرينة غير عزيز كقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا اي يقولان ربنا ثم المامور في قوله وبشر اما الرسول عليه السلام واما كل من له استيهال ان يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من ال لام بظهر الغيب تاتيني واللام للجنس والمراد بالصالحات لجملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المومن في مواجب التكليف واستدل بهذه الاية من قال ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم ان الايمان هو الجميع ان يقول عطف بعض الاجزاء على الكل جايز لغرض من الاغراض كقوله وملايكته ورسله وجبريل وميكايل ثم ههنا مذاهب منهم من قال ان العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا استحقاقا عقليا واجبا وهو قول اهل السنة ولا يرد عليه اشكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكباير وبالندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية بدليل قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وانما طوى ذكر هذا الشرط في الاية للعلم به فانه قد ركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وهذا قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من احال القول بالاحباط لان من امن وعمل صالحا استحق الثواب الدايم فلو فرض احباط يلزم ان يستحق العقاب الدايم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل اهل النار وانه من اهل الجنة ويعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم

والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على معنى الستر كأنه فعلة من جنه اذا ستره وسميت دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فلهذا نكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي لان الجاري هو الماء وكذا من تحتها اي من تحت اشجارها وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطرده ولولاها كانت كتماثيل الارواح فيها وصور لا حيوة لها وانما عرفت الانهار لان المراد بها الجنس كما يقول لفلان بستان فيه الماء الجاري واللبن والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة مثل واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن الاية كلما رزقوا الخ صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف اي كلما رزقوا او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله ومن في منها وفي ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقني فلان فيقال من اين فيقول من بستانه فيقال من اي ثمرة فيقول من الرمان فالرزق قد ابتدأ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفردة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق كما ان نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف ابتداء الرزق من الجنات فان ذلك انما يكون بنوع التفاح اولا وبالذات وبشخصه ثانيا وبالعرض لان الشخص امر زائد على حقيقة الشيء فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذي اي مثل هذا الذي رزقنا من قبل نحو ابو يوسف ابو حنيفة لان ذات الذي رزقوه في الجنة لا يكون هي ذات الذي رزقوه في الدنيا والضمير في قوله واتوا به يرجع الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحت ذكر ما رزقوه في الدارين والغرض في تشابه ثمر الدنيا وثمر الاخرة ان الانسان بالمالوف انس والى المعهود اميل ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة افرط ابتهاجه وطال استعجابه وتبين كنه النعمة فيه فاذا ابصر الرمانة والنبقة في الدنيا وحجمهما ثم ابصر رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة كقلال هجر كما يرون الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر في ظهور المزية وكمال الاستغراب في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنتا عشر ذراع ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا في نفسه اما لتساوي ثوابهم في كل الاوقات في القدر والدرجة حتى لا يزيد ولا ينقص واما لان الانسان اذا التذ بشيء واعجب به لا يتعلق نفسه الا بمثله فاذا جاءوه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية اللذة **وعن الحسن** ان الاشتباه في اللون فقط فان يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف **وعن النبي صلى الله عليه وسلم** والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والبنية هيئتها الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة ليس الا في معرفة ذات الله تعالى وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل في الدنيا ولكن لا يحصلها كمال

الالتذاذ والابتهاج لمكان العلايق البدنية فاذا ازال العلايق بعد الموت وشاهد تلك المعارف
قال هذه هي التي كانت حاصلة لي في الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور **وقال**
اهل التحقيق الجنة جنة الوصول واشجارها هي الملكات الحميدة والاخلاق الفاضلة والثمرات
ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشارات والالهامات وغيرها من المواهب وانهم
يشاهدون احوال الاشيا في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا
المشاهد هو الذي شاهدته قبل هذا فيكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة اخرى كما ان موسى
شاهد نور الهداية في صورة نار فيكون تارة تلك النار صفة غضبه كما ان لموسى اشتد غضبه اشتعلت
قلنسوته نارا وتارة تكون نار المحبة تقع في محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة
التي تطلع على الافيدة فتحترق عليهم بيت وجودهم فافهم وايضا كل شي له صورة في الدنيا فله في الاخرة
معنى اخر غيبي كقوله عليه الصلوة والسلام في دما الشهدا اللون لون الدم والريح ريح المسك
فاعلم وقوله وانوابه متشابها جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك فلان احسن الى
فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والادناس لا سيما التي تختص بالنسا
وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات السوء وهما لغتان فصيحتان النسا فعلت وهن فاعلة
والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وليس ذلك الا ان الله عز وجل اراد بعباده ان يخولهم كل مزية فما عد
لهم وههنا نكتة وهي المراة اذا حاضت فان الله تعالى يمنع من مباشرتها قال فاعتزلوا النسا
في المحيض مع انها معذورة في تنجسها فاذا كانت اللواتي في الجنة مطهرات فلان يمنعك عنهن اذا كنت
نجسا بالمعاصي مع انك غير معذور فيها كان اولى وايضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع الدخول
في المسجد الذي يدخل فيه كل بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التي لا يسكنها
الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج ادم منها بسبب الزلة الصادرة عنه وايضا من كان على ثوبه ذرة
من النجاسة لا يجوز صلوته او يستنكره فكيف لمن صلى وعلى قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصي والخلد
عند المعتزلة الثبات الدايم والبقا اللازم الذي لا ينقطع بدليل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
فنفي الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ومنكم من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة هو الثبات الطويل دام
او لم يدم ولو كان التابيد داخلا في مفهوم الخلد كان قوله خالدين فيها ابدا تكرارا ويقال في العرف حبسه
حبسا مخلدا ووقف وقفا مخلدا والحق انه لا خوف الانقطاع بنقص النعمة وذلك لا يليق باكرم الاكرمين
وهو اعلم ∴ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيِي اَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً
فَمَا فَوْقَهَا فَاَمَّا الَّذِينَ اٰمَنُوا فَيَعْلَمُونَ ∴ اَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَاَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا اَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ
كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ اِلَّا الْفَاسِقِينَ ∴ الَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا اَمَرَ اللّٰهُ بِهِ
اَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْاَرْضِ اُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ∴
الوقوف فما فوقها من ربهم لان الجملتين وان اتفقتا فكلمة اما للتفصيل بين الجمل
مثلا **م** لانه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما هو ابتدا اخبار من الله عن وجه
جوابا لهم ويهدي به كثيرا الفاسقين لان الذين صفتهم ميثاقه لعطف المتفقين في الارض الخاسرون
التفسير لما بين كون القران معجزا اورد شبهة اوردها الكفار قدحا في ذلك واجاب
عنها عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعني قوله مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا وقوله او كصيب من السما قالوا الله اجل واعلى من ان يضرب الامثال فانزل الله هذه

مطلب نار موسى

الاية وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت
اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون
الامثال بالبهايم والطيور واحناش الارض وهذه امثال العرب بين ايديهم
مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشيا فقالوا اجرا من الذباب واضعف من بعوضة
وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشيا المحقرة كالزوان وحب يخالط البر وكحبة
خردل والنخل والحصاة والارضة والدود والزنابير فقال مثل ملكوت السما كمثل رجل زرع في قريته
حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع واشتد
غلب عليه الزوان فقال عبيد الزارع يا سيدنا اليس حنطة جيدة نقية زرعت في قريتك فقال
بلى قالوا فمن اين هذا الزوان قال لعلكم ان ذهبتم ان تقطعوا الزوان تقطعوا معه حنطة دعوهما
يتربيان جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلتقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما ثم يحرق
بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين وافسر لكم ذلك الرجل الذي زرع الحنطة الجيدة هو ابو البشر
والقرية هو العالم والحنطة الجيدة النقية هو ابنا الملكوت الذين يعملون بطاعة الله والعدو الذي
زرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصي التي زرعها ابليس واصحابه والحصادون هم الملايكة
يتركون الناس حتى تدفعوا اجالهم فيحصدون اهل الخير الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية وكما ان
الزوان يلتقط ويحرق بالنار فكذلك رسول الله وملايكته يلتقطون من ملكوته المتكاسلين
وجميع عمال الاثم فيلقونهم في اتون الهاوية فيكون هنالك البكا وصريف الانسان ويكون الابرار هنالك
في ملكوت ربهم من كانت له اذن تسمع فليسمع واضرب لكم مثلا اخر يشبه ملكوت السما رجلا اخذ
حبة الخردل وهي اصغر الحبوب فزرعها في قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول
وجاءها طير السما فعششت في فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه ضاعف الله اجره وعظمه ورفع
ذكره ونجا من اهتدى به وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الطيب ويمسك النخالة كذلكم انتم تخرج
الحكمة من افواهكم وتبقون الغل في صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التي لا تنضجها النار ولا يلينها الما
ولا ينسفها الرياح وقال لا تدخروا ذخايركم عباد الله تحت فيجد دواب عليها الباسها وهنالك
رزقها وهن لا يزرعن ولا يحصدن ومنهن ما هو في جوف الحجر الاصم وفي جوف العود من ياتيهن بلباسهن
وارزاقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تثيروا الزنابير فتلدغكم كذلك
لا تخاطبوا السفها فيشتموكم في هذا ونحن نرى ان الانسان اذا ذكر معنى فلا يلوح كما ينبغي فاذا ذكر
المثال اتضح وانكشف وذلك ان من طبع الخيال حب المحاكات فاذا ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن
مع منازعة الخيال واذا ذكر التشبيه معه ادركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك ان الثاني يكون
اكمل واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره في الكتاب الذي انزل تبيانا لكل
شي ثم ان الله تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمته في كل ما خلق وبرا عامة بالغة وليس الصغير
احب الى الله من الكبير ولا الكبير الى الله اصعب عليه من الصغير فالمعتبر اذا ما يليق بالقصة فاذا كان اللايق
بها الذباب والعنكبوت لحسنه ضرب المثل وهذه فكيف يضرب بالفيل وبشي مستحكم النسج
والصفاقة وهو مما لا يخفى على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحرف دفع الواضح وانكار المستقيم
السقيم وكم من عايب قولا صحيحا وافته من الفهم والحيا تغير وانكسار يعتري الانسان من
تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا
اشتكى النسا والحشا فكان الحي صار منتقص القوة منتكس الحيوة وقد عرفت في الاسما الحسنى ان
امثال هذه الصفات انما يجوز ان يطلق على الله تعالى بعد التاويل الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار
المبادي وحديث سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد
يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على سبيل التمثيل لانه مثل تركه تخييب العبد وترك
من يترك رد المحتاج اليه حيا منه ومعنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة

تركه من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد
ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق وهو فن بديع قال ابو تمام
من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل فلولا بنا الدار لم يصح بنا الجار وقد الحياء
فيما لا يصح فيه اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في انا من الورد بحيث كثيرة مياه
الامطار في طريقه وانه انما ذهب راي الشافكانه يعرض نفسه على النوق فتستحيي فتكرع فيه مشافر
كانها السبت وهو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبه الارض وفيها الماء وحواليه الازهار ربانا من الورد وفيه
لغتان استحيت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن
وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله عليه السلام خاتما من ذهب وما هذه ابهامية اقترنت
باسم نكرة زادته شيا عاوعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد ابهامية اي كتاب كان او صلة للتاكيد
كالتي في قوله فبما نقضهم اي مثلا حقا والبتة وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا وذلك ما يضرب
به المثل قد يسمى مثلا كابخل حاتم مثل في الجود او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليها او انتصبا
بمفعولين بجري ضرب مجرى جعل والبعوض في اصله صفة على فعول من البعض القطع فغلبت ومنه بعض الشيء
لانه قطعة منه وفي معناه البقض والعضب ومن غرايب خلقته انه مع صغره اعطي كل ما اعطي الفيل مع كبره
ففيه اشارة الى ان خلق احدهما ليس باصعب من خلق الاخر واشارة الى حالة الانسان وكمال استعداده
كما قال عليه السلام **ان الله خلق ادم على صورته** اي على صفته
من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا ليشاهد في مرآة نفسه جمال صفات ربه ومن العجايبات
خرطومه في غاية الصغر مع ذلك مجوف ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيول
على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه في الخبيص وذلك لما ركب الله في راس خرطومه من السم وقوله فما فوقها
اي اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم انكروا تمثل الله بكل هذه الاشياء
واراد فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضرب به صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وهذا اولى لان الاية
في بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير **فيجب** ان يكون المذكور ثانيا
احقر من الاول والفاء ههنا تفيد الترتيب في الذكر لانه يذكر في هذا المقام الاخس فالاخس كقوله
يا دارمية بالعلياء فالسند لانه يذكر في تعريف الامكنة الاخص بعد الاعم فكان العلياء موضع وسيع يشتمل على
مواضع منها السند واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفايدته التوكيد تقول زيد ذاهب
فاذا قصدت التوكيد وانه لا محالة منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب وكذلك **قال**
سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وليس مراده من هذا التفسير ان
اما بمعنى مهما كيف وهذه حرف ومهما اسم بل قصده الى المعنى البحت اي ان لم يكن في الدنيا شيء يوجد ذهاب
زيد فحينئذ لجزم بوقوع ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول اي شيء في الدنيا وما
دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول شيء فيها ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين
امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق له
ونعي على الكافرين منهم بالكلمة الحمقا والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره حق الامر ثبت ووجب والضمير
في انه الحق للمثل او لان يضرب وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين
ما مبتدا وخبره ذا مع صلته وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما فيكون منصوب المحل في حكم
ما وحده لو قلت ما اراد الله وجوابه على الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب وقد يجي على العكس
كما تقول في جواب من قال ما رايت خير اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رايت خيرا اي رايت
خيرا والارادة نقيض الكراهة **قال الامام** الرازي الارادة ماهية يجدها
العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته والمه ولذته فالمتكلمون
انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي الجائزين على الاخر لا في الوقوع بل في الايقاع واحترز بهذا القيد
الاخير عن القدرة واختلفوا في كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين على اطلاق هذا اللفظ على الله

تعالى

تعالى فزعم النجار انه معنى سلبي ومعناه انه غير ساه ولا مكره ومنهم من قال انه ثبوتي ثم
اختلفوا فالجاحظ والكعبي وابو الحسين البصري معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة
او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي والصارف والاشاعرة وابو علي وابو هاشم واتباعهما انه
صفة زائدة على العلم ثم القسمة في تلك الصفة انها اما ان يكون ذاتية وهو القول الاخر للنجار
واما ان يكون معنوية وذلك المعنى اما ان يكون قديما وهو قول الاشعري او محدثا وذلك المحدث
اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية او بجسم اخر ولم يقل به احد او موجودا لا في محل
وهو قول ابي علي وابي هاشم واتباعهما وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار
كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص حين افتى بنقض
ذوايب النساء في الاغتسال يا عجبا لابن عمرو وهذا يحتمل له ومثلا نصب على التمييز كقولك
لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف ينتفع بهذا سلاحا
او على الحال نحو هذه ناقة الله لكم اية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير
والبيان للجملتين المصدرتين باما وان اهل الهدى كثير في انفسهم وحيث يوصفون بالقلة وقليل
من عبادي الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان المهديين
في الحقيقة كثير وان قلوا في الصورة ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قالوا وان كثروا واسناد
الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب المثل ازداد به المومنون
نورا الى نورهم فتسبب لهديهم وزادت الكفرة رجسا الى رجسهم فتسبب لضلالهم عن الحق والفسق
الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا يذهبن في نجد وغورا غائرا والفاسق
في الشريعة الخارج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وهو عند اهل السنة من اهل الايمان الا انه
عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لان حكمه حكم المومن في انه يناكح ويوارث
ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد
عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان
الصلوة لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمال لانه في كتاب
الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يعني اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون والنقض
الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على
سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار
فتنبه بالاعتراف على العالم بانه بحر تسكت عن المستعار لانك رمزت اليه بذكر شيء من روادفه
والعهد الموثق عهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد بالناقضين اما كل من ضل وكفر
لانهم نقضوا عهد الله الذي هو الادلة المركوزة في عقولهم من اقامة
البينة على الصانع وعلى توحيده وعلى حقيقة شرائعه والميثاق في الكتب المنزلة وازالة الشبهات
واما قوم من اهل الكتاب قد اخذ عليهم العهد بعد ازاحة العلل وازالة الشبهات واما قوم
من اهل الكتاب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وبين لهم امره وامر امته فنقضوا
ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الذي
اخذه على جميع ذرية ادم واذ اخذ ربك الاية وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا
الدين ولا يتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اما مصدر
بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة او اسم لما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه
انفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من اياته
وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل انما قطيعة ما بينهم وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم من القرابة والرحم او قطعهم موالاة المومنين الى موالاة الكافرين او قطعهم ما بين

مطلب العهود

الانبيا من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن
هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه
شبه بامر يامر به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به والامر حرف واحد وهو
اللام الجازم نحو ليفعل او صيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل ونزال وصه وقد يستعمل في الدعا والالتماس
بمعونة القرينة وظاهره للوجوب وغيره من الندب او الاباحة يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل
بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذي ينبغي ان يعاد مقدر تقديره بان يوصل اي يوصله
والافساد في الارض اما اظهار المعاصي واما التنازع واثارة الفتن اولئك هم الخاسرون لانهم استبدلوا
النقض بالوفا والقطع بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور بثوابها ان الانسان
لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصلحات الاية ∴ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ∴
هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ
فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ∴ **القراءة** فاحياكم
وبابه بالامالة علي ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم كل القران يعقوب وهو وبابه بسكون الها
ابو جعفر ونافع غير ورش وعلي وابو عمرو والوقوف فاحياكم للعدل اي ثم يميتكم مع اتحاد مقصود
الكلام ترجعون سموات عليهم **التفسير هذه الاية** مسوقة للبيان
التعجيب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراوه على اصله فيتولد بمعونة
قراين الاحوال ان يكونوا على احد الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالثة فاذا قيل
كيف تكفرون بالله من المعلوم كيف للسوال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص من بين ساير احوال
الكافر بالعلم بالصانع وبالجهل به لانه لا يمكن تصور كفر الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما
بالله او جاهلا به بخلاف ساير احواله المتقابلة كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور
كفره مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما لا ينفك من العلم بالصانع او الجهل
في الوجود توجه الاستفهام الى ذلك الذي له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام افي حال العلم
بالله تكفرون ام في حال الجهل لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال علم بهذه القصة وهو انهم
كانوا امواتا فصاروا احيا وسيكونون كذا وكذا من الاماتة ثم الاحياء ثم الرجع اليه فينبغي ان يكون الحال
حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الكفر فصدور الفعل عمن له صورة اختيار في الترك مع الصارف
القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ وكانه قيل ما اعجب كفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة
وهو ان كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابايكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة وهذه مما لا يشك فيها
لانها عن المشاهدة ثم يحييكم حين ينفخ في الصور او حين تسالون في القبور ثم اليه اي الى حكمه
ترجعون اي بعد الحشر للثواب والعقاب او من قبوركم وهذه القضايا ايضا مما لا يشك فيها لنصب
الادلة واخذ العلة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة
ميتا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان الارواح والاحساس ويحتمل ان يكون المراد به خمول
الذكر كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا **قال**
ابو نخيلة السعدي واحييت لي ذكري وما كنت خاملا ولكن بعض الذكر انبه
من بعض ولا يخفى ان الاية بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم ثلث مرات فاماته الله
مائة عام ثم بعثه فقال لهم موتوا ثم احياهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك بعثناهم
ليتسالوا بينهم واتيناه اهله ومثلهم معهم **واعلم ان هذه الاية**
دالة على امور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العالم الحي السميع البصير الغني عما سواه

ومنها

ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل العقلي الدال عليه لان الاعادة اهون
من الابتدا ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجود الزهد في الدنيا
لانه قال فاحياكم اي بتعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضا مهلة الحيوة
ثم بين انه لا يترك على هذا الموت بل لا بد من حيوة ثانية للسؤال او للحشر ثم من الرجوع اليه للثواب
او العقاب فبين سبحانه بعدما كان نطفة فانه احياه وصوره احسن صورة وجعله بشرا سويا
واكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور والقصور ثم انه تعالى
يزيل كل ذلك عنه بان يميته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى في الدنيا منه اثر ولا عين ويبقى مدة
مديدة في اللحد ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون ينادي فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم
لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون ٭ يمر اقاربي بجداء قبري كان اقاربي لم يعرفوني٭
الهي اذا قمنا من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار
ظهورنا بادية لاهل القيامة سوأتنا فلا تضعف مصايبنا باعراضك عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين
بالرحمة **ولما ذكر الله تعالى** في الاية الاولى اصل جميع النعم وهو الاحياء
الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر اعقبها ذكر ما هو كالاصل لساير النعم وهو خلق الارض بما فيها
وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجايب الصنع
الدالة على الصانع القادر الحكيم ومن التذكير في الاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة
من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والالم
من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وظاهر الاية لا يتناول الا على خلق
ما في الارض لاجلهم دون الارض فان اريد بالارض الجهات السفلية دون الغبرا كما تذكر السماء ويراد
بها الجهات العلوية جاز ان يكون المراد خلق لكم الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول
الثاني وهو ما اي مجموعة والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وانه لم يجعل كالشي الواحد ويندرج
فيها جميع البسايط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع الصنايع
والحرف وبعضهم يستدل بهذا على ان الاصل في الاشيا الاباحة عقلا لكل احد ان ينتفع بها ولنا ان ينتفع
بها ويمكن ان يقال يحتمل ان الاية والا كان تصرفا في ملك الغير من غير اذنه ولا يلزم من انه تعالى
خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بغرض وان كان لا يخلو من فايدة وغاية والا كان
عبثا لانه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية ان يكون تلك الغاية علة لعليته فاعله لان هذا فيما اذا كان
فاعليته ناقصة تستكمل بتلك الغاية اما اذا كانت فاعليته تامة فانه يوجد الشي ذا الغاية من غير ان تكون
تلك الغاية حاصلة لديه قبل ذلك وهذا فرق دقيق ينتبه له من تيسر عليه قيل انه تعالى خلق الكل
للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشي اصلا قلنا قابل الكل بالكل فتقتضي مقابلة الفرد بالفرد والتعيين يستفاد
من دليل منفصل والاستوا بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك
وايضا ثم يقتضي التراخي فلو كان المراد بهذا الاستوا العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا ازلا ولم يكن
متاخرا عن خلق ما في الارض فيجب التاويل وتقريره انه يقال استوى العود اذا اعتدل
ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شي ومنه استعير
قوله ثم استوى الى السما اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما
بين ذلك خلق شي اخر والمراد بالسما جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق ونظيره كقولك
لاخر اعمل هذا الثوب وانما معه غزل على انها كانت دخانا ثم سواهن سبع سموات وثم ههنا اما للتراخي
في الوقت والمراد انه حين قصد الى السما لم يحدث فيما بين ذلك اي في نفسها عقيب القصد اليها خلقا اخر
كما قلنا اي للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات على خلق الارض كقوله فكسونا العظام لحما
ثم انشاناه خلقا اخر وكقوله ثم كان من الذين امنوا **وتفسير هذه الاية**
في قوله قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين

وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين يعني بتقدير الارض
في يومين وتقدير الاقوات في يومين كما تقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون والى مكة ثلاثون
يريد ان جميع ذلك هذا القدر ثم استوى الى السماء في يومين اخريين ومجموع ذلك ستة ايام كما
قال خلق السموات والارض في ستة ايام **فان قيل** اما يناقض هذا قوله والارض
بعد ذلك دحيها **قلت** اجاب في الكشاف لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها
فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها
ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا
وهو الالتزاق وزيف بان الارض جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وايضا قول الله خلق
لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء يدل على ان خلق الارض وخلق ما فيها مقدم على خلق
السماء لكن خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة **وقال** بعض العلماء في دفع
التناقض قوله والارض بعد ذلك دحاها يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي ان يكون
تسوية السماء مقدمة على خلق الارض وزيف ايضا بان قوله أانتم اشد خلقا ام السماء بناها
رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان يكون خلق
السماء وتسويتها مقدما على تدحية الارض بل على خلقها لانهما متلازمان **وح** يعود التناقض
والمنقول عند بعضهم في دفعه ان يقال ثم للترتيب ههنا وانما هو على جهة تعديد النعم مثاله ان يقال
لغيرك اليس قد اعطيتك نعما عظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما اخرته
في الذكر مقدم في الوقوع **قلت وهذا صحيح** معقول من حيث ابتداء
الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف ان ساعده النقل والا فلا احالة في انه تعالى خلق
الارض اولا في غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات ثم استوى الى السماء
فسواهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها اعظم مما كانت عليه كهيئتها الان والله تعالى اعلم
والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره نحو ربه رجلا وفائدته الابهام اولا ثم البيان
ثانيا ان الكلام هكذا اوقع في النفس لان الحصول بعد الطلب اعز من المنساق بلا تعب وقيل
الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى
تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور واتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم
فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب الحاجات وكذا المصالح
ومقتضى الحكمة والتدبير وهذا عام لم يدخله التخصيص فطوله يهدم بنيان من زعم انه غير عالم بالجزئيات
لانه لو لم يعرف تفاصيلها لم يكن مخلوقاته في غاية الاتقان والاحكام فسبحانه من خبير لعلم الذرة في الاجواف
والدرة في الاصداف والقطرة في البحر والخطرة في النحر وعلى هذا يدور نظام العالم وبه يحصل قوام
مناهج بني ادم ثم ان النقل قد دل على وجود سبع سموات وتخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد فان
اهل الارصاد اثبتوا تسعة افلاك على ما استقر عليه رايهم اولها من الجانب الاعلى للحركة اليومية لان هذه
الحركة تشتمل جميع الاجرام فيجب ان يكون فلكها حاويا للكل وثانيها للثوابت جميعا تحديدا لادنى الدرجات
لاتحاد الحركات وان كان كونها على افلاك شتى جائزا والسبعة الباقية للسيارات السبعة جميع ذلك بوجود
اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب خسف بعضها بعضا وذلك مما يلهمنا العقل وفوقه لعطارد ثم للزهرة
ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشتري ثم لزحل ونازعهم بعض الناس في زيادة الفلكين الثامن والتاسع فقال
من المحتمل ان يتصل نفس بمجموع السبعة فتحركها حركة الكل ثم يكون لكل فلك نفس على حدة تحركه حركته
الخاصة به ويكون الثوابت على محدب ممثل زحل مثلا وبالجملة فلم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية
اعداد السموات على ما هي عليه لا عقلا ولا سمعا وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر

وَاذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا

من يفسد

مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ
لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ **القراءة**

خليفة واشباههما بالامالة عند الوقف ابو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي الا ان يكون
قبلها من حروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطا والظاء والغين والخاء والقاف نحو خاصة
وقبضة وحطة وغلظة وصبغة وصاقة وشقة واما الغين والحاء والراء فعلى الاختلاف
عن اهل المدينة فاسدهم اما الا حمزة وعلي فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر
والى الفتح اقرب الجاعل بفتح اليا ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف خليفة بناء على ان
عامل اذ محذوف اي اذكر ومن جعل قالوا عاملا لاذ وصل الدما لان ابتداء الاستفهام على قوله
ويسفك الدماء يقتضي الفصل واحتمال الواو بمعنى الحال في قوله ونحن نسبح يقتضي الوصل ونقدس
لك ما لا تعلمون ۝ **التفسير** هذا ابتداء الاخبار عن كيفية ادم عليه السلام وعن كيفية
تعظيمه اياه فينخرط في سلك تقدمه من النعم فان النعمة على الاجداد نعمة على الابنا واذ ههنا لمجرد
معنى الظرفية اي اذكر وقت قول ربك كقوله واذكر اخا عاد اذ انذر اي وقت انذاره على انه بدل
من اخا عاد لان الذكر في ذلك الوقت ممتنع والخطاب للنبي عليه السلام او لكل واحد من بني ادم ويجوز
ان ينتصب بقالوا فيكون للمجازاة والملائكة جمع ملاك واصله ما لك بتقديم الهمزة من الالوكة وهي الرسالة
ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملاك وجمع على فعائل مثل شمال وشمايل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال
والقيت حركتها على اللام والحاق التا لتانيث الجمع نحو حجارة وقد لا تلحق واعلم ان الملك قبل النبي بالشرف
والعلية وان كان بعدهم في عقولنا واذهاننا وقد جعله الله واسطة بينه وبين رسله في تبليغ الوحي ۝
والشريعة وقدم ذكر الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبيا والمومنون كل امن بالله وملائكته
وكتبه ورسله والاختلاف بين العقلا في ان شرف العلم العلوي بالملائكة كان شرف العلم السفلي بوجود الانبياء
فيه والناس في حقيقة الملائكة مذاهب منهم من زعم انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال
مختلفة مسكنها السموات وهو قول اكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هي هذه
الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس وانها احيا ناطقة فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات
ملائكة العذاب ومنهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان
مختاران قادران متضادة النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب
الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا يبلي وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء
وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكم من الحكيم والضوء من المضي وجوهر الظلمة يولد الاعداء
وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة اختلفوا فقال بعضهم
وهم طوائف من النصارى انها هي النفوس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة
وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين **وقال آخرون** وهم الفلاسفة انها مخالفة
لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل واكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية نسبة الشمس الى الضوء
فمنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت انواعا من الملائكة وهي الارضية المدبرة لاحوال
العالم السفلي خير الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلايل على ما ذهب اليه يطول ذكرها ههنا
وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة المكاشفة واصحاب الحاجات والضرورات من جهة مشاهدة
الاثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة وتركيب المعجونات واستخراج صنعة الترياقات كما
يحكى انه كان لجالينوس وجع في الكبد فراى في المنام كان امرا يامره ان يفصد الشريان الذي على
ظهر الكف اليمنى بين السبابة والابهام ففعل فعوفي ومما يدل على ذلك حال الرويا الصادقة والتزاع البتة بين
الانبيا عليهم الصلاة والسلام في اثبات الملائكة وذلك كالامر المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال عليه
السلام اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع **وروي ان بني ادم**

عشر الجن والجن وبنوادم عشر حيوانات البر وهولاء كلهم عشر الطيور وهولاء كلهم عشر حيوانات البحر وكلهم عشر
عشر ملايكة الارض الموكلين وكل هولاء عشر ملايكة السماء الدنيا وكل هولاء عشر ملايكة السماء الثانية وعلى
هذا الترتيب الى ملايكة السابعة ثم كل في مقابلة ملايكة الكرسي نزر قليل ثم كل هولاء عشر ملايكة
السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستماية الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه
اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما فانها كلها يكون شيا يسيرا او قدرا قليلا وما مقدار موضع قدم
الا وفيه ملك ساجد او راكع او قايم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هولاء في مقابلة الملايكة الذين يحومون
حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم الا الله ثم مع هولاء ملايكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام
والملايكة الذين هم جنود جبرايل عليه السلام وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون عن عبادته
ولا يسامون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم اكابر الملايكة
جبرايل صاحب الوحي والعلم وميكايل صاحب الرزق والغذا واسرافيل صاحب الصور وعزرايل ملك الموت
ومنهم ملايكة الجنة والملايكة يدخلون عليهم من كل باب ومنهم ملايكة النار عليها تسعة عشر ومنهم
الموكلون باحوال هذا العالم والصافات صفا وانا لنحن الصافون فكما **قال امير
المومنين علي رضي الله عنه** منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون
لا يتزايلون ومسبحون لا يسامون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان
ومنهم امنا على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضايه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة
لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة
من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوايم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم
مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه
صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظاير ثم انه روى الضحاك عن ابن عباس انه
سبحانه انما قال هذا القول واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم الاية للملايكة الذين كانوا يحاربون مع ابليس لان
الله تعالى لما اسكن الجن الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند
من الملايكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزاير البحر فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة ٥ ٥ ٥
وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملايكة
من غير تخصيص لان لفظ الملايكة يفيد العموم والتخصيص خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان
معناه مصير في الارض خليفة وانما لم يقل اني خالق كما قال اني خالق بشرا من طين لانه باعتبار الخلافة
من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد يروى عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان الارض ههنا ارض مكة التي دحيت الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم
مقامه لا يصلح للواحد والجمع والمذكر والمونث وجمعه خلايف مثل كريمة وكرايم وجا خلفا لانهم جمعوه
على اسقاط الها مثل ظريف وظرفا والمراد به ادم عليه السلام اما لانه صار خليفة لاوليك الجن الذين
تقدموا وروي ذلك عن ابن عباس واما لانه خليفة الله في الحكم بين خليقته كقوله يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو المروي عن ابن مسعود والسدي وعن الحسن ان المراد
بالخليفة ابناء ادم لانه يخلف بعضهم بعضا ويويده قوله وهو الذي جعلكم خلايف الارض وانما وحد
بناويل من يخلف او خلقا يخلف وبالحقيقة الانسان يخلف المكونات من الروحانيات والجسمانيات له
السماويات والارضيات ولا يخلفه شي منها اذ لم يجتمع في شي منها ما اجتمع فيه وليس للعالم مصباح
الا في زجاجة القلب والزجاجة في مشكاة الجسد وفي زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضي ومن
ضوء العقل ولو لم تمسسه نار النور وفي مصباح البشر فتيلة الخفي فاذا استنار مصباحه بنار نور
الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل والاحسان والرافة والرحمة
واللطف والقهر ولا يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك فاعلم والفايدة في اخبار الملايكة
بذلك اما تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك واما التبيا لو اذكت

السؤال

السؤال ويجابوا بما اجيب واعلم ان الجمهور من علما الدين على ان الملايكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب
كقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يومرون فلا شي من المامورات بل ومن المنهيات لان المنهي
مامور بتركه الا ويدخل فيه ابدليل صحة الاستثنا وايضا لقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى غير ذلك من الايات فطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا
اتجعل والاعتراض على الله من اعظم الذنوب وايضا نسبوا بني ادم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهو من الكباير
وايضا مدحوا انفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا والعذر دليل
الذنب وايضا قوله ان كنتم صادقين يدل على انهم كاذبين كانوا مرتابين في انه تعالى عالم بكل المعلومات وايضا
علمهم بالفساد فيما قالوه وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض يدل على انهم كانوا مرتابين
في انه تعالى عالم بكل المعلومات وايضا علمهم بالفساد وسفك الدما اما بالوحي وهو بالوحي بعيد
والا لم يكن لاعادة الكلام فايدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي ولا تقف ما ليس لك به علم وايضا
قصة هاروت وماروت وان ابليس كان من الملايكة المقربين ثم عصى وكفر **والجواب**
عن اعتراضهم على الله تعالى ان غرضهم من ذلك السوال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه الله على شي لا يعلمه
فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان قاطعا بحكمة غيره ثم راه
يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الانسان الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكانه قالوا اعطا
هذه النعم العظام من يفسد ويسفك لا تهتدي العقول الا لوجه دقيق وسر غامض فما ابلغ حكمتك ومنها ان
ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكانه قيل الهنا انت الحكيم الذي لا تفعل السفه البتة وتمكين
السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا به على ان
الملايكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى فكانوا على مذهب العدل قالوا ومما يوكد ذلك انهم
اضافوا الفساد وسفك الدما الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح والتسبيح تنزيه
ذاته عن صفة الاجسام ونقدس والتقديس تنزيه افعاله عن صفة الذم ونعت السفه ومنها ان الخير
في هذا العالم غالب على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملايكة نظروا الى الشرور
فاجابهم الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لاجل الشرور
القليل **وهذا جواب** الحكيم ومنها ان سوالهم كان على وجه
المبالغة في اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه ومنها
ان قولهم اتجعل مسالة منهم ان يجعل الارض او بعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى اتهلكنا
بما فعل السفها اي لا تهلكنا فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم وصلوح هولاء فبين ان
الاختيار لهم السما ولهولا الارض لا يرضي كل فريق بما اختاره الله له ومنها ان هذا الاستفهام
خارج مخرج الايجاب كقول جرير الستم خير من ركب المطايا اي انتم كذلك والا لم يكن مدحا
فكانهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب
والحكمة فقال الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل وانا
اعلم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي تقتضي ايجادهم او فيدان استحقاق ملك
الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه سابق العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين كما انه لا يتضرر
بمعصية المذنبين **والجواب** عن الغيبة ان من اراد ايراد السوال
وجب ان يتعرض لمحل الاشكال ولذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب ان مدح النفس
غير ممنوع منه مطلقا وانما يمتنع ذلك تحدثا فكانه قالوا انما سال الملك للفرح في حكمتك يارب فانا نعرف
لك بالالهية والحكمة بل لطلب وجه الحكمة وعن الاعتذار انه لم يكن للذنب بل لان ترك السوال كان
اولى وروي عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق ادم همست الملايكة فيما بينهم وقالوا ليخلق
ربنا ما شا ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا اعظم منه واكرم عليه فلما خلق ادم عليه السلام وفضله عليهم
وعلمه الاسما كلها قال انبوني باسما هولاء ان كنتم صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه

فنزعوا الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد
والسفك وجوها منها انهم قالوا ذلك ظنا اما لانهم قاسوه على حال الجن الذين كانوا قبل ادم عليه السلام
في الارض وهو مروي عن ابن عباس رض والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة
والاخلاط المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد والغضب الذي منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا
ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود وناس من الصحابة وذلك ان الله تعالى لما قال للملائكة اني
جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون
ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والله تعالى كان قد علم
الملائكة انه اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء وانه لما كتب القلم في اللوح ما هو
كائن الى يوم القيامة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك او لان معنى الخليفة اذا كان النائب لله والحكم والقضاء
والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد
والشر بطريق الالتزام **وقيل لما خلق الله النار** اي جهنم خافت الملائكة
خوفا شديدا فقالوا لما خلقت هذه النار قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم
يكن في الارض خلق البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية منهم تظهر واما قصة
ابليس وهاروت وماروت فسيجي الكلام فيها واختلف الناس في ان الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشرور
ام لا فالفلاسفة وكثير من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم والمعتزلة اثبتوا لهم قدرة على
الامرين لان قولهم اتجعل اما معصية او ترك الاولى وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وايضا قال
تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم مزجورين وقال
لا يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار وبحكم التزامهم
الثواب عندهم واجب على الله فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب والواو في ونحن
نسبح للحال كقولك احسن الى فلان وانا احق بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذا
التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيهما وابعد والتبعيد عن السوء اما في الذات ويجب
نفي الامكان المستلزم لنفي الكثرة المستلزم لنفي الجسمية والعرضية والضد والند واما في الصفات
بان يكون مبرا عن العجز والجهل والتغير ان يحيط بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات واما في
الافعال بان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى انا المنزه عن النظير والشريك
سبحانه هو الله الواحد القهار انا المدبر للسموات والارض سبحان رب السموات والارض انا الرؤوف بكل العالمين
سبحان الله رب العالمين انا المنزه عن قول الظالمين سبحان رب العزة عما يصفون انا الغني عن
الكل سبحانه هو الغني انا الذي كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة والولد سبحانه ان يكون له ولد انا الذي اخلق الولد من غير اب
سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون انا الذي سخرت الانعام القوية للبشر الضعيف سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين انا اعلم لا بتعليم المعلمين ولا بارشاد المرشدين سبحانك لا علم
لنا الا ما علمتنا انا الذي اغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان
اردت رضوان الله فسبح ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وان اردت الخلاص عن
فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان اردت الفرج عن البلاء فسبح لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين ايها العبد واظب على تسبيحي وسبحوه بكرة واصيلا والا فالفقر يعود اليك فان استكبروا
فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يسبح لي الحجر والمدر والرمال والجبال والشجر
والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان
والارواح والاجسام سبح لله ما في السموات والارض وان من شيء الا يسبح بحمده ايها العبد انا الغني
عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح ولا اضيع
ثواب هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بي وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا لكني اوصل ثواب

هذه الاشيا ليعرف ادم ان اجتهد في خدمتي اجعل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من في السموات
ومن في الارض والحيتان في جوف الما ايها العبد اذكرني بالعبودية تستمتع بذلك انا سبحان ربك رب العزة ه
فانك اذا ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الفلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما ارضني وان كنت انا الغني حتى ارد الواجب عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا بينا عند لكم
لا حاجة الى العسكر ولو شا الله لانتصر منهم ولكن اذا نصرتني نصرتك ان تنصروا الله ينصركم احوجني يا ايها
الناس اعبدوا ربكم لا لاني احتاج الى خدمتكم فاني انا الملك ولله ملك السموات والارض ولكن اصرف في خدمتي
عن قصير النشاة مذاكرا او خيرا كثيرا وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار ه
خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم قوله بحمدك
في موضع الحال اي نسبحك متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل فقال ما اصطفاه الله لملايكته سبحان الله وبحمده وروي ان اهل
السماء الدنيا سجود الى يوم القيامة يقولون سبحان ذي الملك والملكوت واهل السما الثانية قيام الى يوم
القيامة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واهل السما الثالثة ركوع الى يوم القيامة يقولون سبحان
الحي الذي لا يموت وعن ابن عباس وابن مسعود نسبح اي نصلي والتسبيح الصلوة وعن مجاهد نقدس
لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغا مرضاتك وقيل فطهر قلوبنا عن الالتفات الى غير ذلك
حتى تصير مستغرقة في انوار معرفتك اني اعلم ما لا تعلمون معناه لا تعجبوا ولا تعتقدوا ان فيهم من
يفسد ويسفك فاني اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره واعلم ان معلم ابليس ومن في
قلبه من الحسد والكبر والنفاق وما فيه او انكم لما وصفتم انفسكم بهذه المدايح فانتم في تسبيح انفسكم
لا في تسبيحي اصبروا حتى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبدني ثم يخشونني بود ودحق العبادات ثم لا يتكلمون
على تلك الطاعات انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين هم من خشية ربهم مشفقون
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين او اعلم من المصالح في ذلك
ما هو خفي عليكم ولكم في هذه الاجمال ما يغنيكم عن التفصيل فان افعالي كلها حكمة ومصلحة وان خفي
عليكم وجه كل واحد واحد على انه قد بين لهم بعض ذلك في قوله ٭ وَعَلَّمَ ادَمَ الاَسْمَاءَ

كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلَائِكَةِ فَقَالَ اَنْبِئُونِي بِاَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ
اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٭ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا
اِنَّكَ اَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ٭ قَالَ يَا ادَمُ اَنْبِئْهُمْ بِاَسْمَائِهِمْ
فَلَمَّا اَنْبَاَهُمْ بِاَسْمَائِهِمْ قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ اِنِّي اَعْلَمُ غَيْبَ
السَّمَوَاتِ وَالاَرْضِ وَاَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٭

القراءة انبوني وكذلك خاطون وخاطين وصابون ونحن المستهزون وليطفوا وليواطوا
ومتكين وقل استهزوا ومنكا ويستنبونك وبابه ربا وبربيون وبابه وكهية واشباه ذلك بن كثير وجعفر
ونافع وابو عمرو هولاء ان بغير مد اولا بالمد يزيد ويعقوب داود فيه وعن قالون قال ابو اسحاق
تما كلمتان لا يمدها ويمد اولا هولاء ان بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وقرا ابو عمرو والبزي من
طريق النايبي بترك الهمزة الاولى واثبات الثانية وكذلك في المفتوحتين الهمزة الاولى وتليين الثانية
وكذلك في المفتوحتين والمضمومتين وقرا يزيد وورش والقواس وسهل ويعقوب باثبات الهمزة الاولى
وتليين الثانية وكذلك المفتوحتين والمضمومتين وعن نافع تليين الاولى واثبات الثانية وكذلك

المضمومتين واما في المفتوحتين فكابي عمرو وابنهم من ابن عامر برد الياء مهموزة مكسورة الياء مهموزة مكسورة
الياء والباقون مهموزة مضمومة الوقوف صادقين علمتنا الحكيم انبئهم باسمائهم لمكان فالتعقيب باسمائهم لانه قالوا
جواب فلما تكتمون **التفسير وفيه** ابحاث الاول الاشعري والجبائي والكعبي على ان اللغات
كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الالفاظ وتلك المعاني وبان تلك الالفاظ
موضوعة لتلك المعاني بدليل قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها لا علم لنا الا ما علمتنا وهذا يدل على ان الملائكة
وادم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم اصحاب ابي هاشم الذاهبين بان اللغات اصطلاحية وضعها
البشر واحدا وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقراين كالاطفال فقالوا المراد الالهام وبعث داعية
على الوضع مثل وعلمناه صنعة لبوس لكم اي الهمناه او المراد علمه ما سبق من اصطلاحات قوم كانوا قبل ادم
واجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل على ان المراد بالاسماء
المسميات قلنا تعليم المسميات غير معقول فاذن المراد اسماء المسميات وعوض الالف واللام عن المضاف
اليه كما في قوله واشتعل الراس اي علمه اسماء كل ما خلق من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم
بها ولده اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد ادم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق
ولده في نواحي العالم تكلم واحد منهم بلغة معينة من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون نسوا سائر
اللغات ثم لا يبعد بل ينبغي ان يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق
بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة او من السمو فان كان من السمة فالاسم
هو العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشيء كالمرتفع
على ذلك الشيء فان العلم بالدليل قبل العلم بالمدلول وانما قلنا ينبغي ذلك لان الفضيلة في معرفة حقائق
الاشياء اكثر من الفضيلة في معرفة اسمائها ثم من الحقائق ما يتوقف ادراكها على الة تدرك بها كالمبصرات
والمسموعات وغيرها فاذا كان لادم تلك الالات وقد عرفها بها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وايضا
العربي لا يحسن منه ان يقول لغيره تكلم بلغتي لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل ان حصل التعليم
حصل العلم والا فلا انما المعلم بحقائق الاشياء فالعقل يتمكن من تحصيله فصح وقوع التحدي به وانما
قيل ثم عرضهم بلفظ المذكور لان في جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فـ
تغليب الكامل على الناقص والتذكير على التانيث ومن الناس من تمسك بقوله انبئوني باسماء هؤلاء على
جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف لانه انما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله ان كنتم
صادقين اي في اني لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منهم **وقيل** اي في قولكم انه لا شيء مما
يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له وتقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل اعلموني باسماء هؤلاء
ان علمتم انكم تكونون صادقين في ذلك الاعلام وقيل اخبروني لا تقولوا الا حقا وصدقا فيكون الغرض
منه التوكيد لما نبه عليه من القصور لانه متى تمكن في انفسهم العلم بانهم ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا
لهم اليه سبيل لم يجترؤا على الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم اتجعل قالوا انهم
لما عرفوا خطاءهم تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والذين انكروا معصيتهم قالوا انهم قالوا
ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كانهم قالوا لا نعلم الا ما علمتنا فاذا لم تعلمنا ذلك فكيف نعلمه
وانهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لان الله تعالى اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك علمتنا انهم يفسدون
في الارض فقلنا لك اتجعل واما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك نسبحك تسبيحا
اي ننزهك تنزيها وهو مصدر غير منصرف لا تستعمل الا محذوف الفعل منصوبا على المصدرية واذا استعمل
غير مضاف كان سبحانه علما للتسبيح فان العلمية لا تجري في الاعيان تجري في المعاني **قال**
المعتزلة ههنا المراد انه لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الادلة وقال الاشاعرة بل
الجميع التعليم في وجود العلم هو ذات الدليل بل النظر في الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى
وتسهيله ثم احتج اهل الاسلام بالاية على انه لا سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله وانه لا يمكن
التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة وللمنجم ان يقول للمعتزلي اذا فسرت التعليم بوضع الدليل فعندي

حركات

مطلب معنى سبحانك

حركات النجوم دلايل خلقها الله تعالى على احوال هذا العالم فيكون جملة ما علمه الله انك انت العليم بكل
المعلومات فامكنك تعليم ادم الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه وعن ابن عباس ان مراد الملايكة
من الحكيم الله هو الذي حكم بجعل ادم خليفة في الارض وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه البسط والشرح فيندرج فيه علمه باحوال
ادم قبل ان خلقه وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشيا قبل حدوثها فيبطل مذهب هشام بن عبد
الحكم انه لا يعلم الاشيا الا عند وقوعها وقد روي الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود انه يريد بقوله
ما تبدون قوله اتجعل من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون ما اسر ابليس في نفسه من الكبر والكبر

مطلب عجيبة

وان لا يسجد وقيل لما خلق ادم رات الملايكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا
خلقا الا كنا اكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموه ويجوز ان يكون هذا القول سرا اسروه منهم فابداه بعضهم
لبعض واسروه عن غيرهم فكان في هذا الفعل الواحد ابدا وكتمان والظاهر انه عام كقوله انه يعلم
الجهر وما يخفى من القول ويعلم ما تكتمون انه يعلم الجهر وما يخفى البحث الثاني **قالت**
المعتزلة ما ظهر من ادم معجز دل على نبوته في ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حوى او الى من توجه
التحدي اليهم لانهم وان كانوا رسلا فقد يجوز الارسال الى الرسل كبعثة ابراهيم الى لوط عليهما
السلام واحتجوا بان حصول ذلك العلم ناقض للعادة ومنع بان حصول العلم بالاسما لمن
علمه الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وايضا انهم علموا ان تلك الاسما موضوعة
لتلك المسميات اولا فان علموا فقد قدروا على المعارضة والا فكيف عرفوا ان ادم اصاب فيما ذكر
اللهم الا ان يقال ان لكل صنف منهم لغة من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف حضروا وان ادم
عرض عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا ويقال انه لعلهم عرفهم قبل ان سمعوا من ادم تلك الاسما
فاستدلوا به على صدق ادم والظاهر انهم عرفوا صدقه بتصديق الله تعالى اياه ولعل الله اظهر
منه فعل خارق للعادة ثم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات ومن باب الارهاص وفيما
عندنا اجاب القاطعون بانه عليه السلام ما كان نبيا في ذلك الوقت قالوا صدرت الكبيرة منه بعد
ذلك والاقدام عليها يوجب الطرد والتحقير فوجب ان يكون النبوة متاخرة عنها كيف وقد قال
عز من قايل ثم اجتباه ربه والرسالة هي اجتباء فتكون بعد الزلة وايضا لو كان رسولا فان لم يكن مبعوثا
الى احد فلا فايدة وان كان مبعوثا فاما الى الملايكة وهم افضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز
جعل الادون رسولا الى الاشرف وان المرا الى قبول القول ممن هو من جنسه اسكن ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا واما الى الانس واما الى حوا وانها عرفت التكليف بواسطة ادم بدليل ولا تقربا
هذه الشجرة واما الى الجن وما كان في السماء احد من الجن البحث الثالث في فضل العلم لو كان في الامكان
شي اشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل ادم بذلك الشي ومما يدل على فضيلة الكتاب والسنة والعقول
اما الكتاب فمن ذلك ما يروي عن مقاتل ان الحكمة في القران على اربعة اوجه احدها مواعظ القران
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم واتيناه الحكم
صبيا ولقد اتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة ولقد اتينا ابراهيم الكتاب والحكمة
ورابعها القران يوتي الحكمة من يشا ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه
عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين سبعة نفر في كتابه قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل هل يستوي الخبيث والطيب لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحيا ولا الاموات فاذا تاملت
وجدت كل ذلك ماخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم اي العلما في اصح الاقوال لان الملوك يجب عليهم طاعة العلما ولا ينعكس
شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم جعلهم في الاثنين في المرتبة الثالثة ثم زاد في الاكرام
فجعلهم في المرتبة الثانية وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم قل كفى بالله شهيدا بيني

وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون في العلم يقولون امنا به وبشهادة التوحيد شهد الله انه
لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم وبالبكا والسجود والخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم
يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون
ويزيدهم خشوعا وبالخشية انما يخشى الله من عباده العلماء واما الاخبار فمنها ما رواه انس عن النبي
عليه السلام من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذي نفسي بيده
ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة سنة له وبنى بكل قدم مدينة في
الجنة له ويمشي على الارض والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا وشهدت الملايكة لهم بانهم
عتقاء الله من النار وعن انس ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم لغير الله لم
يخرج من الدنيا حتى ياتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب لله فهو كالصايم نهاره والقايم ليله
وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير من ان يكون له ابو قبيس ذهبا فينفقه في سبيل الله وعن
الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم يحيي به الاسلام كان بينه وبين الانبياء درجة
في الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم انه **قال** رحمة الله على خلفايي فقيل يا رسول
الله ومن خلفاوك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا
يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلما فيقول يا معشر العلما اني لم اضع نوري فيكم الا
لعلمي بكم ولا اضع علمي فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال عليه السلام معلم الخير
اذا مات بكى عليه طير السما ودواب الارض وحيتان البحر **وعن** ابي هريرة مرفوعا من صلى
خلف عالم من العلما فكانما صلى خلف نبي من الانبيا وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد
سبعين درجة بين كل درجة حضر الفرس سبعين عاما وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس
فيبصرها العالم وينهى عنها والعابد يقبل على عبادة ربه لا يتوجه اليها ولا يعرفها وقال عليه السلام لعلي حين
بعثه الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وتغرب وعن ابن مسعود مرفوعا
من طلب العلم ليحدث الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا وعن عامر الجهني مرفوعا
يوتى بمداد العلما ودم الشهدا يوم القيامة لا يفضل احدهما على الاخر وفي رواية فيرجح مداد العلما
وعن ابي واقد الليثي ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس والناس معه اذ اقبل ثلاثة نفر فاما
احدهما فراى فرجة في الحلقة فجلس فيها واما الاخر فجلس خلفهم واما الثالث فانه رجع فلما فرغ
من كلامه قال الا اخبركم عن النفر الثلاثة فاما الاول فاوى الى الله فاواه الله واما الثاني فاستحيى
من الناس فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه وعنه عليه السلام يشفع يوم القيامة
ثلاثة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا **قال الراوي** فاعظم برتبة هي واسطة بين النبوة
والشهادة وعن ابي هريرة مرفوعا اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية وعلم
ينتفع به وولد صالح يدعو له بخير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الحوايج فاسالوها الناس
قيل يا رسول الله ومن الناس قال اهل القران قيل ثم من قال ثم اهل العلم قيل ثم من قال صباح
الوجه قال الراوي والمراد باهل القران من يحفظ معانيه وقال صلى الله عليه وسلم كن عالما
او متعلما او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك قال الراوي وجه التوفيق بين هذه الرواية
وبين الرواية الاخرى الناس رجلان عالم ومتعلم وساير الناس همج لا خير ان المستمع والمحب بمنزلة
المتعلم وما احسن **قول بعض العارفين** لو لم تكن مستمعا جالسنا اديبا
خالسنا ولكنا حارسنا واياك ان تكون انسانا ناقصا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحدث
انسانا فاوحى الله تعالى اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذي تحدثه الا ساعة وكان هذا وقت
العصر فاخبره الرسول بذلك فاضطرب الرجل وقال يا رسول الله دلني على عمل في هذه الساعة
قال اشتغل بالتعلم فقبض قبل المغرب **قال الراوي** ولو كان شي افضل

مطلب ما يجب حفظه

من العلم

من العلم لامره النبي صلى الله عليه وسلم به في ذلك الوقت واما الاثار فان مصعب بن الزبير قال
لابنه تعلم العلم فانه لم يكن لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وقيل مثل العالم بالله
وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص وهو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات
فهو تارة مع الله بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار كواحد
منهم واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين ومثل
العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينتقص اخرى وهو المستغرق في المعارف الالهية غير متفرغ
لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون اسرار
جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره **وقال** سفيان الناس يقومون
من مجلس على ثلاثة اصناف وذلك الى افسر القران فاقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدق في
فكلوكافر محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم ان لا يذنب كان مومنا مخلصا
وقال ايضا ثلاثة من النوم يبغضها الله وثلاثة من الضحك النوم بعد صلوة الفجر وقبل
صلوة العتمة والنوم في الصلوة والنوم عند مجلس الذكر والضحك خلف الجنازة والضحك في المقابر
والضحك في مجلس الذكر وقيل العالم ارأف بالتلميذ من الاب والام لان الاباء والامهات يحفظونهم
من نار الدنيا والعلماء يحفظونهم من نار الاخرة وشدايدها وقيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم
قال بلسان سؤال وقلب عقول **وقال بعضهم** سئل مسئلة
تحفظ واحفظ حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان زينت بخمسة اشيا علم العلما وعدل الامرا وعبادة العباد
وامانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فركزه
بجنب العلم وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالربا فركزه بجنب العبادة وجاء بالخيانة فركزه
بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه العلم افضل
من المال بسبعة اوجه العلم ميراث الانبيا والمال ميراث الفراعنة والعلم لا ينقص بالنفقة والمال
ينقص والمال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه واذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره
والمال يحصل للمومن والكافر والعلم لا يحصل الا للمومن وجميع الناس يحتاجون الى العالم في امر دينهم
ولا يحتاجون الى صاحب المال والعلم يقوي الرجل عند المرور على الصراط والمال يمنعه منه وقال
الفقيه ابو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيئا فله سبع كرامات ينال
فضل المتعلمين وكان محبوسا عن الذنوب ما دام جالسا عنده واذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت
الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العالم فنزلت الرحمة عليهم حصل له نصيب وما دام يكون في الاستماع يكتب له
طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر فيكون من زمرة انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي واذا راى
اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق تنفر عن الفسق ومال الى طلب العلم **وقيل**
اربع لا ينبغي للشريف ان يانف منها وان كان ابرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته لضيفه وخدمته للعالم
يتعلم منه والسوال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشيا علم
ادم الاسما وعلم ادم الاسما كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمني
من تاويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير
علمنا منطق الطير وعلم عيسى عليه السلام التورية والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم ادم كان سببا لحصول
السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى ويوشع وعلم يوسف لوجود الاهل
والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال
التهمة عن امه وعلم محمد لوجدان الشفاعة فمن علم اسما المخلوقات وجد ادم تحية الملايكة
فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملايكة سلام قولا من رب الرحيم والحمد وحده

مطلب سبع الواقعة فيه حصر

بعلم الفراسة صحبة حوى فانه محمد بعلم الحقيقة لا يجدون صحبة محمد فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين ويوسف بتاويل الرويا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتاويل مستقيم وايضا فان يوسف
عليه السلام ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث فانت يا عالم اما تذكر
نعمة الله على نفسك حيث جعلك مفسرا لكلامه وكميا لنفسه ووارثا لنبيه وداعيا لخلقه وواعظا
لعباده وسراجا لاهل بلاده وقايدا للخلق الى جنته وثوابه وزاجرا لهم عن ناره وعقابه كما جاء في الحديث
العلما سادة والفقها قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء
روى نافع بن الازرق وقال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الارض
له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع انه مغطى له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه
فقال ابن عباس اذا جاء القضا عمي البصر وقال لولده يا بني عليك بالادب بالعلم فانه دليل
على المروة وانس في الوحشة وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجلس ووسيلة عند انقضاء
الوسايل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك وقال سقراط من
فضيلة العلم انك لا تقدر على ان يخدمك فيه احد كما تخدم من يخدمك في ساير الاشيا بل تخدمه بنفسك
ولا يقدر احد على سلبه عنك **وقيل لبعض الحكما** لا تنظر فغمض عينيه
قيل له تستمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه فقيل له لا تتعلم فقال لا اقدر وعن
بعض الحكما عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا في عينيك وكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد ولا تلم
احدا على فعل يمكن ان تعتذر منه ولا ترفع شكايتك الا الى من ترى نفعه عندك حتى تكون حكيما
كاملا ولبعضهم اقبح الذنب مما ضعف السياسة وافة العلما الرياسة واما النكتة فالمعصية عند الجهل ترجى
زوالها وعند الشهوة يرجى زوالها انظر الى زلة ادم فانه بعلم استغفر والشيطان عصى وبقي في الغي
ابدا لان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف عليه السلام لما صار ملكا احتاج الى وزير فسال ربه عن
ذلك فقال جبرايل ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فراه في اسوا الاحوال فقال لجبرايل كيف يصلح لهذا
العمل مع سوء حاله فقال له جبرايل ان ربك عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من ذب عن يوسف استحق الشركة في مملكته فمن ذب
عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل اراد واحد خدمة
ملك فقال الملك اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعليم وذاق لذة العلم بعث الملك
اليه وقال تركت التعلم فقد صرت اهلا لخدمتي فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك
وحين رايتني اهلا لخدمتك رايت نفسي اهلا لخدمة الله وذلك لاني كنت اظن ان الباب بابك لجهلي
والان علمت ان الباب باب الرب **وقال** حكيم القلب ميت وحياته بالعلم والعلم
ميت وحياته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوي بالمدارسة فهو محتجب واظهاره
بالمناظرة واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا
لا اخر له وان نملة واحدة نالت الرياسة بمسالة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارت
الى تنزيه الانبيا عن المعصية وايذاء البرية من غير جرم فقالت لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل
السهو فمن علم حقايق الاشيا من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين والدنيا
وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة
اذا تلوثت باوضار المعصية كيف لا يطهر ببركة العلم بالله وبصفاته واذا كان السارق عالما لا يقطع يده
لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا الشارب يقول حسبته حلالا وكذا الزاني يقول تزوجتها فانه
لا يحد واما الحكايات **فيحكى** ان هارون الرشيد كان بحضرته فقها فيهم ابو يوسف فاتي
برجل فادعى عليه اخر انه اخذ من بيتي مالا بالليل ثم اقر الاخر بذلك في المجلس فاتفق العلما على
انه تقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لا بد من الاعتراف
بالسرقة فصدقه الكل بذلك ثم قالوا للاخر اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة

قال

قال ابو يوسف لا قطع لانه وان اقر بالسرقة لكن بعد ما اوجب الضمان عليه باقراره بالاخذ
واذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره فتعجب الكل
وعن الشعبي كنت عند الحجاج فاتي بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا في الحديد فقال
الحجاج انت زعمت ان الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلي فقال الحجاج لتاتيني ببينة
واضحة من كتاب الله او لاقطعنك عضوا عضوا فقال اتيك ببينة واضحة من كتاب الله يا حجاج
قال فتعجبت من جراته بقوله يا حجاج فقال له ولا تاتيني بهذه الاية ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا
ونساءكم فقال اتيك بها واضحة من كتاب الله قال تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود
وسليمان الى قوله وذكريا ويحيى وعيسى فمن اب عيسى فقد الحق بذرية نوح قال فاطرق
مليا ثم رفع راسه فقال كاني لم اقرا هذه الاية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من
المال كذا **وحكي** ان جماعة من اهل المدينة جاءوا الى ابي حنيفة ليناظروه في
القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع فوضوا امر المناظرة
الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة
معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم وان ناظرته لزمته الحجة فقد لزمتكم
الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولنا قال ابو حنيفة فنحن
لما اخترنا الامام في الصلوة فقراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم **وحكي**
ان المنصور دعا ابا حنيفة يوما فقال الربيع وهو يعاديه يا امير هذا يخالف جدك حيث يقول
الاستثناء المنفصل جائز وابو حنيفة ينكره فقال ابو حنيفة هذا الربيع يقول ليس لك بيعة في
رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون
فيبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال اياك يا ربيع وابا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت
في دمي قال انت البادي **وحكي** انه دخل اللصوص على رجل واخذوا امتاعه
واستحلفوه بالطلاق ثلاثا ان لا يعلم احدا فاصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون وليس يقدر ان
يتكلم من اجل يمينه فجاء الرجل يشاور ابا حنيفة فقال احضرني امام مسجدك واهل محلتك
فادخلهم جميعا في دار واحدة واخرج واحدا واحدا وقال للرجل لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت
فلما سكت قبض على اللص ورد الله عليه جميع ما سرق منه **وحكي** انه كان
في جوار ابي حنيفة فتى يغشى مجلس ابي حنيفة فقال يوما له اني اريد التزوج من ال فلان
وقد خطبتها اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله
تعالى يسهل عليك بعد ذلك فاقرضه ابو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد
الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل ذلك فاشتد على
اهل المراة وجاءوا الى ابو حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم ذلك والطريق ان ترضوه بان تردوا
عليه ما اخذتموه فان جابوا اليه فقال الزوج اني اريد شيئا اخر فوق ذلك فقال له ابو حنيفة
ترضى بهذا والا اقرت لرجل بدين فلا يمكن المسافرة بها حتى تقضي ما عليها فقال الرجل الله
الله لا تسمعوا بهذا فرضي بذلك وحصل بركة علم ابي حنيفة فرح كل واحد من الخصمين
وسئل ابو حنيفة عن رجل حلف ليقربن في امراته في نهار رمضان فلم يعرف احد وجه
الجواب فقال تسافر بامراته فيطاها نهارا في رمضان وقال بشر
المريسي للشافعي كيف تدعي انعقاد الاجماع مع اهل المشرق والمغرب على شي واحد وكان
هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على خلافة هذا الجالس
فاقر به خوفا وانقطع **وحكي** ان اعرابيا سال الحسين بن علي في حاجة وقال
سمعت جدك يقول اذا سئلتم حاجة فاسئلوا من احد اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما
او حامل القران او صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فتشرفت بجدك واما الكرم فدابكم وسيرتكم

واما القران ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصحيح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا
اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين فقال الحسين ما حاجتك فكتبها على الارض فقال
الحسين سمعت ابي عليا يقول كل امرى ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة فاسألك
عن ثلاث مسائل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن ثنتين فلك ثلثا
ما عندي وان اجبت عن الثلاثة فلك كل ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال
سل ولا قوة الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله قال فما نجاة
العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال فان اخطأ ذلك
قال مال معه كرم قال فان اخطأ ذلك قال فقر معه صبر قال فان اخطأ ذلك قال فصاعقة
من السماء تنزل تحرقه فضحك الحسين ورمى بالصرة اليه واما الوجوه العقلية فمنها ان الامور اربعة
اقسام قسم يرضاه العقل والشهوة وهو العلم والحكمة وقسم لا يرضاهما الشهوة والعقل وهو الجهل والنار
فمن رضي بالجهل رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة فكما يعيش يموت وكما يبعث
ومنها ان اللذة ادراك المحبوب وكلما كان المدرك اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم ومدرك العقل هو الله
تعالى وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع احكامه واوامره واي معلوم اشرف
من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال
عز من قائل اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم كانه قال كنت في اول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في اخر حالك
في غاية الشرف وايضا ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما استحق الاكرمية
لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية واعظم موهبة ومنها انه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء
من اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار
الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس اهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة انما المفيدة
للحصر ولاجل لام الاختصاص في قوله لمن خشي ربه والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية ان من لم يكن
عالما بالشي استحال ان يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لا بد معه من امور ثلاثة
احدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون
على دفعه وثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غبي
عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند السلطان عالم بكون السلطان
قادرا على منعه عالما بقبائح افعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف
العبد من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض
بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم العلم بالله وبهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا امر
حبيبه صلى الله عليه وسلم بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى
بما علم بل قال للخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل
افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان
بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ القول على السلاطين وما
ذاك الا بركة العلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك
ان التفكر يوصلك الى الله والعبادة توصلك ثواب الله وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل
الجوارح ومنها ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التوراة فقال موسى عليه السلام عظم الحكمة
فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك
كرامتي في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال سبحانه قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من
الناس الا تقيا فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء فان التقى
والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه

التقي

التي علم العلم لان الشي لا يوجد بدون العلم كما بيناه في ان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين
اشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا قدم العلم على العاقل لان العالم لا بد وان يكون عاقلا
واما العاقل فقد لا يكون عالما والعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمرة واما الانجيل فقد قال
عز من قائل في السورة السابعة عشرة منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال
الى النار اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم
لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم فلا نعمل ولكن قولوا نرجوا ان نعلم فنعمل
اذا العلم يشفع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه وان الله تعالى يقول يوم القيامة يا معشر
العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون ظننا ان يرحمنا ويغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي
لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي الى جنتي برحمتي وبالجملة فكون العلم صفة شرف
وكمال وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم عند العقلا بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل العالم يا جاهل
تاذى بذلك وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان لا يعلم انه ليس
كذلك والعلم اينما وجد كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا راى الانسان
احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان ذلك الحيوان اقوى بكثير من الانسان
والعلماء اذا لم يعاندوا كانوا روسا بالطبع على من دونهم في العلم وان كثيرا من كانوا يحاربون رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويرون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه القى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه
وانقادوا له لو لم يكن فيه ايات مبينة كانت براهينه تغنيك عن خبره وما فضل على سائر الحيوان الا الا بما
بالموهبة النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعد الادراك لحقائق الاشيا والاشتغال
بعبادة الله والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا اخرج يده لم يكد يريها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت
ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم والواجب والممكن والمحال ويعرف انقسام الممكن الى الجوهر
والعرض والجوهر الى البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها وانواع انواعها واجزايها واجزاء
اجزايها والجزو الذي به يشارك غيره والجزو الذي به يمتاز عن غيره ويعرف اثر كل شي اثبت فيه
جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها وموثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليه فيصير
كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها والذي في عالم الارواح كالشمس في عالم
الاجسام كاملا ومكملا وواسطة بين الله وعباده ولا مزية لم يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال
من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغنا عن المكان والخير جوابا للملايكة
وموجبا لسكوتهم وانما جعل صفة العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وهكذا
اظهر فضيلة ادم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس وان ابراهيم اشتغل في اول امره
بطلب العلم متنقلا بفكره من الكواكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بالدليل الباهر
والبرهان الزاهر الى المقصود وهو الملة الحنيفية وان الله تعالى سمى العلم تارة بالحيوة او من
كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وتارة بالنور يهدي الله لنوره من
يشاء وضرب المثل في العلم بالماء انزل من السما ماء فعلم التوحيد كما العين لا يجوز تحريكه ليلا يتكدر
كذلك ينبغي طلب كيفية الله كيلا يفضي بالكفر وعلم الفقه كالقناة يزداد بالاستنباط والحفر
وعلم الزهد كالمطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهوا كذلك علم الزهد صاف ويتكدر بالطمع
وعلم البدع كما السيل يهلك الاحيا ويميت الخلق **واما الاخبار والاثار**
الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه او طلب العلم لغير ذات الله فمنها انه عليه السلام قال لا تجالسوا
العلماء الا اذا دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى
النصيحة ومن الريا الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد وقال صلى الله عليه وسلم الناس كلهم هلكى الا العالمون
والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم عن
عدي بن حاتم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتى بناس يوم القيامة فيومر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا

وجدوا رايحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فنودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم
فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع احد بمثلها ويقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريناها ما اريتنا
من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فنودوا ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم
بي بارزتموني بالعظايم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراوون الناس بخلاف ما تضمرون
عليه في قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي ولم تتركوها لي
كنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم وقيل اطلب
اربعة في اربعة من الموضع السلامة ومن الصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة
فاذا لم تجد من الصاحب الزيادة والكرامة فالكلب خير منه واذا لم تجد من مال الفراغة فالمدر خير
منه واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه **وقيل** لا يتم اربعة اشياء الا باربعة
اشيا لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا يتم المروه الا بالتواضع ولا يتم العلم الا بالعمل
فالدين بلا تقوى على خطر والقول بلا فعل كالهدر والمروة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل
كالغيم بلا مطر قال علي بن ابي طالب لجابر بن عبد الله الانصاري قوام الدنيا باربعة بعالم لم يجهل
بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع اخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم
استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير اخرته بدنياه والويل لهم والثبور سبعين
مرة وقيل اذا وضعت على سواد عينيك جزا من الدنيا لا ترى شيا فاذا وضعت على سويداء
قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيا البحث الرابع في حد العلم قال الاشعري العلم ما يعلم
به ورب ما قال بصير الذات به عالما **قال** القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو
عليه قال القفال اثبات المعلوم على ما هو به والكل دائر المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لسكون
النفس قال الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج علم
الله تعالى عنهما فانه لا يطلق هناك النفس وفيه مفاسد اخر يطول ذكرها ههنا وعند
كثير من المحققين هي بديهي وقيل اصح الحدود صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض والحق في هذا
المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كلما يقع في ذلك
النور فهو مدركه فكذا للبصيرة نور وكلما يقع فيه فهو مدركها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من
له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهكذا ادراكات جميع الانوار حتى نور الانوار
وكلما ازداد النفس نورية وشروقا ازداد انبساطه فيقع فيه المعلومات اكثر وهكذا يكون
الحال في كل مستكمل اما اذا كان العالم بحيث يكون كمالاته الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزداد
نوريته ولا يتجاوز مرتبته في العلم وما منا الا له مقام معلوم ثم ان كان الكمال والنور بحيث لا يمكن
اكمل منه ولا انور كان جميع الاشيا واقعة في نوره بل يكون لنوره نفاذ في الكل منصرفا فيها محيطا
بها ازلا وابدا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وههنا اسرار اخر لا يجوز التعبير
عنها لعزتها يتفطن لبعضها من وقف لمعاني اهلها البحث الخامس في الفاظ تقرب من العلم الادراك
وهو الوصول لان القوة العاقلة تصل الى حقيقة المعقول **ب** الشعور وهو ادراك
بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى
ج التصور مشتق من الصور فكان حقيقة المعقول حلت في العاقلة حلول الشكل في المادة **د**
الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة في العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها **ه** التذكر
وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة التفات النفس الى عالمها **و** الذكر وهو وجدان
الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال الله يعلم السر اذكره
وكيف اذكره اذا لست انساه ويوصف القول بانه ذكر لانه سبب حضور المعنى في النفس قال
عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون **ز** المعرفة وقد اختلفوا في تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها

الكليات

الكليات ومن قائل انما التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان اشرف من العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية وقال بعضهم من ادرك شيئا وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشي ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذي ادركه ثانيا هو الذي كان قد ادركه اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معترفة بالربوبية الا انها في ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت من قيد العلاقة البدنية عرفت انها عارفة فذ ح الفهم وهو تصور الشي من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع ط الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يفقهون اي لا يقفون على المقصود الاصلي من التكاليف ي العقل وهو العلم بصفات الاشيا من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ونفعها وضرها حتى يصير مانعا من الفعل مرة ومن الترك اخرى فيجري ذلك مجرى عقال الناقة ومن هنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله امره ونهيه يا الدراية وهي المعرفة الكاملة لضرب من الحيلة وهي ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى يب الحكمة وهي اسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وقيل هي الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك ان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وفعله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه يج علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال يد الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والاراء يه الفكر وهو انتقال النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه تحريك بحركة التضرع الى الله تعالى واستنزال العلوم من عنده يو الحدس وهو قوة للنفس بها تهتدي بسرعة الى الحد الاوسط في كل قياس يز الذكاء وهو شدة هذه الحدس وبلوغه الغاية القصوى من ذكت النار اشتعلت يح الفطنة وهي التنبه لشي قصد تعريضه كالاحاجي والرمز يط الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حقا وحطك الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة الام وعداوة الذئب كا الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قبل ومدح وعليه مدار اكثر احوال العالم وان كان عن امارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم كب الخيال وهو عبارة عن الصورة المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك في النوم قد يخص باسم الطيف كج البديهة وهي المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات كد الروية وهي ما كان من المعارف بعد فكر كثير كه الكياسة وهي تمكن النفس من الاستنباط ما هو انفع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت كو الخبر وهو معرفة تحصل بطريق التجربة وخبرت الناس اخبر تقليه كز الراي وهو اجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من الراي واي الراي للفكرة كالالة للصانع ولهذا قيل اياك والراي الفطير كح الفراسة وهي اختلاس المعارف من فرس السبع الشاة فمنها ما يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب الا صفا جوهر الروح الالهام واياه عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان في امتي لمحدثين وان عمر منهم وقد يسمى النفث في الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل افمن كان على بينة من ربه اشارة الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثاني واعلم انه نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم فتجلى فيه فما التجلي علم المتخلق بالاخلاق والاتصاف بصفاته وهذا سر الخلافة بالحقيقة لان المراة تكون خليفة المتجلي فيه انبئوني باسماء هؤلاء اي باسماء المخلوقات دون اسماء الله وصفاته ان كنتم صادقين في دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الموجودات

مسبحات بحمدك وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل
لمن له صفة الحق والخلق جميعا فيخلق عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال انبئهم
ولم يقل علمهم كقوله وعلم ادم الاسما لان الملايكة ليس لهم الترقي في الدرجات والمكونات لهم شهادة
كالجسمانيات لنا ولا يتجاوزون ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبرائيل لو دنوت انملة لاحترقت
والجسمانيات مرتبته دون مرتبتهم فيمكن انباؤهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانات بالنسبة الينا
واما الادميات فليس لهم استعداد الترقي اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمايهم كلها كما قال وعلم
ادم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لا يطاق وانما كان ادم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملايكة اليه
في انبا اسمايهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة
بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة بعد تمام الشجرة فكان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة
كلها حتى يظهر على اعلى الشجرة كذلك ادم عبر على اجزاء شجرة الوجود فكان في كل جزء من اجزائها له
منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل ذلك اسم بلا تهمة حتى ان اسما الله تعالى جا ت
على وفقه فضلا عن اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان الله رازقا
ولما كان عبدا كان معبودا ولما كان معيوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا
كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان مظلوما
كان منتقما وعلى هذا نقيسه والله اعلم ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۞
وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۞
فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا
اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ
وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۞ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ
عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ قُلْنَا اهْبِطُوا
مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞

القراءة للملايكة اسجدوا برفع التا للاتباع يزيد وقتيبة وروي ابن مهران عنهما انهما
يشمان الكاف الكسر وفتحات التا وروي الخزاعي وابن شنبود اهل مكة الملايكة
بغير همز وكذلك كل كلمة في وسطها همزة مكسورة الافولة السايلين والسايل والبايس فانهما
بالهمز شيتما وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف
فازالهما حمزة ادم نصب كلمات رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداي

ومحياي ومثواي بالامالة كل القراء على غير ليث النار بالامالة كل القراء وكذلك كل كلمة في اخرها
راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قراءها على غير ليث وابي حمدون ومحمد بن يحيى
والبخاري عن ورش وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمر وابو عمرو الا انه لا يميل الجار والغار في بعض
الروايات فروى ابراهيم بن حماد عن اليزيدي الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن اليزيدي
الغار بالامالة وسائر الرواة عنه بالتفخيم لقلة دورهما واختلفوا في وقف ابي عمرو في مثل
قوله النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد والحسن بن عبد الله عن النحاس وكثير من اهل
العراق انه يقف كما يميل وروى سلمة بن عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر الوقوف ابليس
لانه معرفة والجملة بعده لا يكون صفة له الا بواسطة الذي ولا عامل فيجعل الجملة حالا الكافرين
تشبيها لاتفاق الجملتين الظالمين كانا فيه لعطف الجملتين المتفقتين عدو ج لاختلاف
الجملتين حين تاب عليه ط الرحيم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون النار ج لان
ما بعدها مبتداء وخبر وقيل الجملتين خبر بعد خبر اولئك لان تمام المقصود توعد هو الخلود مثل
رمان حلو حامض خالدون

التفسير لما خص الله تعالى

ابانا آدم بالخلافة ثم علمه بالعلم ما ظهر بذلك مزيته على جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة
ان جعله مسجودا لهم وهذا مقتضى النسق ههنا ظاهرا الا ان قوله في موضع اخر فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين يقتضي ان يكون الامر بالسجود قبل التسوية خلقته وانه
كما صار حيا صار مسجودا لهم وتعليم الاسماء ومناظرته مع الملائكة في ذلك حصل بعد سجودهم
والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين اجمعوا على ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يامر
بالكفر والعبادة لغيره كفر فزعم بعض ان السجود كان لله تعالى وادم القبلة فقوله اسجدوا لادم مثل
قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت ما كنت اعرف ان الامر منصرف
عن هاشم ثم منها عن ابي حسن اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن وهو
ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم ادم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه اعظم
حالا من الساجدين وزعم اخرون ان المراد بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اصل اللغة
مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه في عرف الشرع عبارة عن موضع الجبهة على الارض فوجب
ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغيير واصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة
ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة يفعل ذلك بدل التسليم
قال قتادة في قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود بعضهم
لبعض ويجوز ان يختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلفوا المليون في ان ابليس
من الملائكة ام لا فقال اكثر المتكلمين ولاسيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم
حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان من الجن فلا يكون من الملائكة وايضا
قال ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت
ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره
عن العيون وبانه كان يحتمل ان يكون بمعنى صار والثاني بانه لا يلزم من كون الجن في هذه الاية
نوعا مغايرا للملائكة ان يكون في الاية الاولى ايضا مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى اصل
اللغة وهو الاستتار قالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
والملائكة لا ذرية لهم لانها تحصل من الذكر والانثى والاناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن كذلك ه
وايضا انه من النار خلقتني من نار وانهم من النور لقوله عليه السلام خلقت الملائكة من نور
وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان
الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل جاعل الملائكة

رسلا ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالاته من جملة الآخرين الله استثناه من الملائكة
وحمله على المتصل اولى لان تخصيص العمومات في كتاب الله تعالى اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه
جني واحد مغمور بين ظهراني الوف من الملائكة فغلبوا عليه وهذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا
واجيب بان التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة
الاعتبار اما اذا كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وايضا لعله يكون من الملائكة لم يتناوله
الخطاب باسجدوا وح لم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشأ معهم
والتصق بهم فتناوله الامر لما بين في اصول الفقه ان خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس
مع شدة المخالفة بين الصنفين ولا ان يقال انه وان لم يدخل في هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ
اخر ما حكاه في القران بدليل قوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك لان قوله ابى واستكبر عقيب
قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بان المخالفة بسبب هذا الامر هذا ما قيل عن الجانبين
ومما يناسب تفسير الاية الكلام في ان الانبياء افضل من الملائكة ام بالعكس
قال اكثر اهل السنة بالاول ومالت المعتزلة والشيعة الى الثاني واختاره الباقلاني وابو عبد الله
الحليمي من فقهاء اهل السنة المعتزلة احتجوا بامور احدها ومن عنده لا يستكبرون وليس المراد عندية
المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وعورض بما حكي عنه سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم
لاجلي بل هذا ابلغ لان كون الله تعالى عند العبد ادخل في التعظيم من كون العبد عنده قالوا الاية
تدل على انه تعالى يقول الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم
من الهرم والمرض والافات لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم وقصورهم
اولى بذلك واجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الافضلية بمعنى
كثرة الثواب ب عباداتهم اشق من عبادة البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله عليه السلام
لعايشة ثوابك على قدر نصبك وقوله افضل العبادات احمزها اي اشقها واما بيان ان عباداتهم
اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنان ونزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون
الى نعيمها ويقبلون على طاعتهم خائفين وجلين وكانه لا يقدر احد من بني ادم ان يبقى كذلك يوما واحدا
فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة لان الانسان ليطغى ان راه استغنى ويؤكده قصة ادم فانه
اطلق له في الجنة جميعها الا شجرة واحدة ومع ذلك لم يملك نفسه والثاني ان انتقال المكلف من نوع
عبادة الى نوع اخر كالانتقال من طعام والاقامة على نوع واحد يورث السآمة وهذا شان
الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا وعورض الوجه الاول
بان اسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله تعالى مواظبون على تكاليفهم ولذلك فان
العبيد والخدم يطيب قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر احد منهم على مشقة الخدمة الا من كان في نهاية
الاخلاص والثاني بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم افضل الصوم صوم داود
كان يصوم يوما ويفطر يوما ج عباداتهم ادوم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخير الاعمال ادومها
مع ان اعمارهم اكثر وعلى الاية سؤال روي عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب
ارايت قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
افلا يكون الرسالة واللعن مانعين عن التسبيح بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشيء اخر
فكذلك التسبيح لهم وزيف بان الة التنفس غير الة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام
فاجتماعهما في الة واحدة محال واجيب باحتمال ان يكون لهم السنة كثيرة
يسبحون الله تعالى ببعضها ويلعنون اعداء الله ببعض اخر وبان تسبيح الله يستلزم تقبيح من اعتقد
في الله ما لا ينبغي والمراد لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة به كما يقال فلان يواظب
على الجماعات يعنون انه عازم على ادائها في اوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان قد
تقع على وجه يستحق بها ثوابا اكثر من ثواب طاعاتهم د انهم اسبق السابقين في كل العبادات والسابقون

السابقون

السابقون اولئك المقربون من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها **ح** الملائكة رسل الى الانبياء
علمه شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول افضل من الامة قياسا على الشاهد ومنع بان هذا
اذا كان الرسول حكما على المرسل اليهم ومتوليا امورهم كالانبياء المبعوثين الى اممهم اما في مطلق الرسول
فلم قلتم انه كذلك كالو ارسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره او الى ملك اخر **و** انهم اتقى من البشر
لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة الترفع والرياسة فيهم ولهذا قالوا اتجعل فيها
وان لم يكن لهم شهوة الاكل والوقاع فوجب ان يكونوا افضل ان اكرمكم عند الله اتقاكم ورد بان تقوى
الانسان اكمل فانه لم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج ايضا **ز** لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثاني مخرج التاكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل
بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف من خدمة الوزير ولا الملك فيفيد افضلية الملائكة المقربين
في المعاني المصححة للعبودية من نهاية الخضوع والخشوع وما يشبههما مع شدة بطشهم وقوة خالهم وعورض
بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن خدمة القاضي ولا السلطان ولا يفيد الا ان السلطان
اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من القاضي في ساير الدرجات
كالعلم والزهد فلم قلتم انهم افضل من البشر في كثرة الثواب **قلت** والحق
ان جميع الدرجات مندرجة تحت العبودية كما اشرنا اليه فيما مر فيفيد افضلية الملائكة لكن المقربين
منهم فقط دون غيرهم ومفضولية المسيح فقط دون غيره كمحمد صلى الله عليه وسلم **ح** ما نهاكما ربكما عن
هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فلولا ان الملك افضل لما صح ذلك اجيب بانه ان كان حكاية ابليس الا ان ادم وحوى لم يعتقدا افضلية الملك لم يغترا بذلك واعتقادهما حجة ورد بان ادم لعله اخطا في ذلك الاعتقاد اذا كانت الزلة
جائزة على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا **هب** انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا فلا
يلزم من فضوليته وقت يد مفضوليته وقت نبوته ولكن سلم مفضوليته ونبوته وقت يد فلا نسلم
ان ذلك في باب الثواب بل في باب القدرة والقوة والحسن والجمال ونحو ذلك فانهم خلقوا من الانوار
وادم خلق من التراب فاغتر رغبة فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد الا ان تنقلبا
ملكين فيصح استثناء الا لكم وان يكون المراد ان النهي يختص بالملائكة الخالدين دونكما كما تقول
لغيره ما نهيت انت عن كذا الا ان يكون فلانا ويكون المعنى ان المنهي عنه هو فلان دونك
فكان غرض ابليس ايهامهما انهما لم ينهيا وايضا غاية ما في الباب ان الاية تدل على مفضولية ادم
ولا يلزم منه مفضولية جميع الانبياء كمحمد صلى الله عليه وسلم **ط** ولا اقول لكم عندي خزاين الله
ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك اي لا ادعي القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا
ادعي قدرة مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك انه لم يرد به نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض
وانما نفى ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الجسمية والقوى العظيمة ورد بانه لا يلزم من عدم
الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها **ي** ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
ولا يخفى ان التشبيه في السيرة من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة ومنعه بالكرم لا في الصورة
ورد بان قوله فذلكن الذي لمتنني فيه كالتصريح بان مراد النساء تعظيم حال يوسف في الحسن
والجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها ولئن سلمنا ان التشبيه في الاخلاق المرضية فذلك
لا يوجب مفضوليته من جميع الجهات على ان قول النساء لا يصلح لان يكون حجة **يا** وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا وذلك ان المخلوقات اما غير المكلفين والانسان افضل منهم واما
المكلفون وهم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا ريب ان الانس افضل من الجن والشياطين
فلو كانوا افضل من الملك ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال
وفضلناهم على جميع من خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير لا يدل على انه ليس افضل من الباقي
الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وايضا هب ان جنس الملائكة افضل من جنس بني ادم ولكن لا يلزم
من كون احد المجموعين افضل من المجموع الاخر ان يكون كل واحد من افراد المجموع الاول افضل من افراد

قوله صح

المجموع الثاني وايضا الكلام في تفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في اول الاية ولقد كرمنا بني
ادم ولا يلزم من كون الملك افضل من البشر في تلك الكرامات وهو حسن الصورة والطهارة واستخراج
الاعمال العجيبة ان يكونوا افضل منهم في الاشيا الموجبة للثواب يب للانبيا ما استغفروا
الا بدوا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا وقال ابراهيم رب هب
حكما والحقني بالصالحين ثم قال واغفر لابي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات والملائكة لم يستغفروا لانفسهم ولكن طلبوا المغفرة للمومنين فاغفر للذين
تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا لا يدل الا على صدور الزلة من البشر وعدم صدورها عنهم وهذا
لا يوجب افضليتهم بالقرب في الثواب على الاطلاق ومن الناس من قال ان استغفارهم
للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم اتجعل فيها يج وان عليكم لحافظين ويدخل فيه الانبيا وغيرهم
والحافظ للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم فيكون افضل ورد
بان الحافظ والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود يد يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن والمقصود بيان عظمة الله وجلاله ورد بان هذا يفيد
فوقهم في بطشهم فقط كما يقال ان السلطان لما جلس وقف حول سريره ملوك الاطراف ولا يدل
على انهم اكرم عند السلطان من ولده يه والمومنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله
والتقديم في الذكر يدل على التقدم في الدرجة ولهذا قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا
قال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمشركين وقع التنازع في تقديم الاسم وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية ومنع من ان الواو
يفيد الترتيب وعورض بتقديم قريش على الاخلاص يو ان الله وملائكته يصلون على النبي جعل
الملائكة كالتشريف بل يتشرف الامة بذلك يز ان جبرائيل افضل من محمد لان الله تعالى وصفه
بست من صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم
وصف محمدا بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين ورد بانه ان وصف ههنا بهذا
القدر لاقتضاء المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا يح ان جبرائيل كان معلما للنبي عليه
السلام ولغيره من الانبيا في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله بل في العلم
بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجايب والعلم باحوال العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار
وطباق السموات واصناف الموجودات واحوال الامم الخالية والقرون الماضية والمعلم
افضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة اعلم بدليل قصة ادم
ولان تعليم جبرائيل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبرائيل الا واسطة لكن سلم من يد علمهم
مع كثرة ثوابهم يط ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه يدل على انهم تبلغوا
في النزوع الجد لو خالفوا امر الله لما خالفوه الا في ادعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم له يوجب
مزيد ثوابهم ك حكاية قال صلى الله عليه وسلم عن الرب تعالى اذا ذكرني
عبدي في ملا ذكرته في ملا خير من ملائه وهذا يدل على ان الملأ الاعلى خير من ملا عوام
البشر ولا يلزم من ذلك كونهم افضل من الانبيا واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان الارواح السماوية
المسماة بالملائكة عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه ا الملائكة ذواتها بسيطة مبرات
عن الكثرة والبشر مركب من النفس والبدن ولكل منهما قوى واجزا والبسيط خير من المركب
لان اسباب العدم للمركب اكثر منها للبسيط وعورض بان المستجمع للروحاني والجسماني ينبغي ان يكون افضل
مما له الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجودا للملائكة وبان الملائكة ليس لها الا الاستغراق
في مقاماتها النورية والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيط بضبط احوال العالمين افضل
ب الجواهر الروحانية بريئة من الشهوة والغضب المستلزمين للفساد وسفك

الدماء

الدائما بخلاف البشر ورد بان الخدمة مع كثرة العلايق ادل على الخلاص وابهامن البين ان درجتهم
حتى قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا اعلى منها حتى قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب
الانكسار الحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حاكيا
عن ربه انين المذنبين احب الي من زجل المسبحين ج انها برية من طبيعة القوة فان كل ما كان
ممكنا لها بحسب انواعها المنحصرة في اشخاصها فقد خرج الى الفعل والانبيا ليسوا كذلك
ولهذا قال عليه السلام واني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة ولا خفا ان ما بالفعل
التام اشرف مما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها لعلها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها الافلاك
لاجل استخراج التعقلات من القوة الى الفعل كالتحريكات العارضة لارواحنا الحاملة لقوى الفكر
والتخيل الا ان هذا المنع لا يجري في الملايكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة ومما يجري
في النفوس الملكية د الروحانيات ابدية الوجود مبراة عن التغير والفنا والنفوس الناطقة
البشرية ليست كذلك ورد بانه لا قديم في الوجود الا الله ولئن سلم انها وان كانت ممكنة الوجود
لذاتها فهي واجبة الوجود بمباديها عورض بما عليه كثير من المحققين ان النفوس البشرية
ايضا ازلية بمباديها وكانت كالظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الا ان المبداء الاول
امرها بالنزول الى عالم الاجساد وشبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام عشقتها والتحم
الفة بها فبعث من تلك الظلال اشرفها واكملها لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات
وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكور في كتاب كليلة ودمنة ه الروحانيات نورانية
علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين احدهما عن الاخر ورد بان الشرف
عندنا ليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين و الارواح السماوية تفضل الارضية
بقوتي العلم والعمل اما الاول فبالاتفاق على احاطة الارواح السموية بالمغيبات ولان علومهم
فعلية فطرية كلية دايمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون
الليل والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يتلذذ بها كما
يتلذذ المبتلي بالجوع فلا يكون لذة الملايكة من العلم والعمل كلذة البشر لعروض الفترات لهم في اكثر
الاوقات بسبب علايق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر
ولعل هذا هو المراد من قوله انا عرضنا الامانة على السموات ـه الاية وكذلك قالت
الاطبا ان الحرارة في حمى الدق اشد منها في حمى الغب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت بطل
الشعور بها فهذه الحالة ليست للملايكة لاجل الاستمرار وللعبد الانسان لعدم الاستمرار فكان
الانسان لها بالمرصاد ز الروحانيات لها قوة على تقليب الاجسام وتصريف الاجرام وقواهم
ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب وانك ترى الخامة اللطيفة لتنشق
الصخر الصما وما ذا الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر انفسها
والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين على امور
الصعاب ممنوع ولئن سلم فالارواح العلوية اقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى مناظم
العالم السفلي لا فيما هو شرهم واعترض بانه لا مانع من ان تتفق نفس ناطقة بشرية كاملة
مستعلية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف ح الملايكة لهم اختيارات فايضة عن انوار
جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر
وانما يتوجه الى الخير باعانة الملك على ما ورد في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه
ويختار ان يعان فيكون اذن اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر ط الافلاك كالابدان والكواكب
كالقلوب والملايكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما ان اختلافات
احوال الافلاك مبادي لحصول الاختلافات في هذا العالم فكذا ارواح العالم العلوي يجب ان يكون
مستولية على ارواح العالم السفلي بان يكون عالة ومبادي لها فهذه هي الاثار وهناك المنابع

والمعاد فكيف يليق بالعقل ادعا المساوات فضلا عن الزيادة **واجيب**
بانه لا موثر عندنا الا الله تعالى **ي** الروحانيات الفلكية مبادي كروحانيات هذا العالم
ومعادلها منها نزلت فتوسخت باوصاف الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت
الي عالمها ومصدر الشي ومصعده اشرف منه المبدا واليه المنتهى واعترض بان هذا مبني على
عدم الاجساد ودون ذلك خرط القتاد **يا** البشر الانبيا لا ينطقون الا عن الوحي النبي ان
الملايكة يصيبهم في المصايب ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط وكيوم بدر وحنين وكما
في قصة نوح من نحر السفينة فمن اين لكم تفضيل الانبيا مع افتقارهم الى الملايكة في كل الامور
واجيب بان اول الفكر اخر العقل ولا يلزم من كون الشي واسطة
افضليته **يب** القسمة العقلية بان الاحيا اما خيرة محضة وهم الملايكة او شريرة
محضة وهي الشياطين او خيرة من وجه شريرة من وجه اخر وهم البشر بحكم فافضلية الملك وكذا
التقسيم بالناطق المايت وهو الانسان والناطق غير المايت وهو الملك والمايت غير الناطق
وهي البهايم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل
قلب القسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود **واجيب** بما مر غير مرة
مناط النزاع في كثرة الثواب مجز القايلين بفضل الانبيا على الملايكة **ا** ان الله تعالى امر الملايكة
بالسجود لادم وثبت ان ادم لم يكن كالقبلة وامر الاشرف بخدمة الادنى مستقبح
والجواب ان القبح العقلي غير ثابت **ب** جعله خليفة له خلافة الولاية كما مر وخلق
وخلق الدنيا متعة لتغايره والاخرة مملكة لجزايه ولعن ابليس بسبب التكبر عليه وجعل الملايكة
حفظة اولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين لزلاتهم ومع جميع هذه المناصب يقول ولدينا مزيد
فاذن لا نهاية لهذا الشرف والكمال **ج** انه كان اعلم لقوله انبيهم باسمايهم والاعلم افضل **د**
ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين والعالم ما سوى الله تعالى
فيلزم اصطفاهم على الملايكة ولا يشكل بهذا بقوله يا بني اسرايل الى قوله فضلتكم على العالمين
لان تلك الاية دخلها التخصيص لما نعلم انهم غير مفضلين على محمد صلى الله عليه وسلم وههنا لا دليل
فوجب اجراوه على الظاهر من العموم **ه** وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والملايكة من العالمين
والتقريب ظاهر **و** عبادة البشر اشق لان الادمي له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملايكة ولانه
الادمي مامور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا اولي الابصار ولا يخفى ما فيه من المشقة والملايكة لا يعلمون
الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للادمي الشبهات ككون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث
اليومية فيحتاجون الى دفعها والملايكة حيث انهم يشاهدون عالم الملكوت امنون من ذلك
ولان الشيطان مسلط على الادمي دون الملك واذا كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر **ز** خلق
للملايكة عقولا بلا شهوة وللبهايم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للادمي ثم اذا غلب هواه عقله صار ادون من
البهيمة اوليك كالانعام بل هم اضل واذا غلب عقله هواه وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبارا
لاحد الطرفين بالاخر **ح** الملايكة حفظة بني ادم والمحفوظ اعز من الحافظ **ط** روي ان جبرايل عليه السلام
اخذ بركاب محمد عليه السلام حتى اركبه على البراق ليلة المعراج ولما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى بعض
المقامات تخلف عنه جبرايل عليه السلام وقال لو دنوت انملة لاحترقت **ي** قوله صلى الله عليه وسلم ان
لي وزيرين في السماء ووزيرين في الارض اما اللذان في السما فجبرايل وميكايل واما اللذان في الارض
فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبرايل وميكايل وزيران فهذا تمام الكلام
في بحث الفريقين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك ثم انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين
وكان من الجايز ان يتخلف انه عذر بين الله ان ذي عذر بقوله ابى لان الابا هو الامتناع مع الاختيار
ولهذا افتقد العاطف نحو قولك ابشر عاسرك عيني تختلج لا تقول فعيني لانها بيان ثم انه جاز ان لا يكون
الابا مع الكبر فعطف عليه واستكبر ليعرف ان الابا منضم الى الاستكبار وكان من الجايز ان يظن انه كبره

يوجد

لم يوجب الكفر فاذا بطل الظن بقوله وكان من الكافرين وللعقلاء ههنا قولان احدهما ان ابليس حين
اشتغاله بالعبودية كان منافقا كافرا اما عند من يمنع الاحباط فلان خاتمته لما كانت على الكفر علم انه ما كان
مومنا قط واما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستاني في اول الملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعة شبه
مناظرة ابليس والملايكة بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله اني سلمت ان الباري تعالى الهي واله الخلق
عالم قادر حكيم الا انه اتي على مساق حكمته اسولة الاول انه قد علم قبل خلقي اي شي يصدر عني فلم خلقني
وما الحكمة في خلقه اياي الثاني اذ خلقني على مقتضي ارادته ومشيته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة
في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم
من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقني وكلفني فالزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت واطعت
فلم كلفني بطاعة ادم والسجود له والحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي
وطاعتي والرابع اذ خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة
واوجب عذابي مع انه لا فايدة له في ذلك ولي فيه اعظم الضرر والخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكنني
من الدخول في الجنة ومن وسوسة ادم بعد ان لو منعني من الجنة استراح مني ادم وبقي خالدا والسادس
اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين ادم فلم سلطني على
اولاده حتى اراهم من حيث لا يروني ويوثر فيهم وسوستي ولا يوثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان
لو خلقهم على الفطرة وابقاهم على ذلك فيعيشوا طاهرين سامعين كان احرى بالحكمة والسابع سلمت
هذا كله فلم اذا استمهلته امهلني وما الحكمة في ذلك بعد ان لو هلكني في الحال استراح الخلق مني وما
بقي شر في العالم اليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر فقال شارح الانجيل فاوحى
الله الى الملايكة قولوا له انما تسليمك الاولى اني الهك واله الخلق فغير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت
اني اله العالمين ما احتكمت علي بلم فانا الله الذي لا اله الا انا لا اسال عما افعل والخلق مسوولون
هذا مذكور في التوراة ومسطور في الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور وليس
بعدها عقايد نوف الزيغ والكفر وان اختلفت العبادات وتباينت الطرق ويرجع جملتها الى انكار
الامر بعد الاعتراف بالخلق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص والجواب عنها بالتحقيق الا الذي
ذكره الله تعالى فالعبي لما ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق
او حكم الخلق في الخالق فالاول غلو اي حدث بحكمه كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة
وصف الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا تحكيم حكمة الرجال وقالوا لا حكم الا لله كقوله لا اسجد لبشر
خلقته من صلصال لا اسجد الا لك فالشبهات كلها ناشية من اللعين وتلك في الاول مصدرها وهذه
في الاخر مظهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي صلى الله عليه وسلم
كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه
الامة والرافضة نصارى الامة وقال عليه السلام جملة لتسلكن سبل
الامم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول الثاني ان ابليس كان مومنا
ثم كفر بعد ذلك ثم اختلفوا فمن قايل معناه وكان من الكافرين في علم الله اي كان الله عالما في الازل
بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم ومن قايل ان كان بمعنى صار وقيل لما كفر في وقت
معين بعد ان كان مومنا قبل تلك الحظة يصدق عليه انه كان من الكافرين وانما حكم بكفره على هذا القول
الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد بدليل قوله انا خير منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر
عنده ولو كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر نعم عند الخوارج
الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون
هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما لم نذكر البعض الموجود
بالاضافة الى كل موجود لا الى كل سيوجد ومما يوكد ذلك ما روي عن ابي هريرة انه قال ان الله تعالى
خلق خلقا من الملايكة ثم قال لهم اني جاعل بشرا من طين قالوا لا نفعل ذلك فبعث الله نارا فاحرقتهم

وكان ابليس من اوليك وقال اخرون معنى الاية انه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك لان الكفر
كان ظاهرا عند نزول الاية اولان الافراد الذهنية تكفي في صحة الجمع فان الحيوان المخلوق ولا يصلح عليه
ان يقال انه فرد من افراد الحيوان اي من افراد هذه الماهية وعلى هذا لا يكون ابليس اول من سن الكفر
وهو قول الاكثرين **واعلم** ان الملايكة المامورين بالسجود هم كل الملايكة كلهم اجمعون رضي الله عنهما
المستثنى عند اكثر الايمة لان الجمع المعرف للعموم وتوكده قوله تعالى فسجد الملايكة كلهم اجمعون وايضا استثنا
الشخص الواحد يدل على ان ما عداه داخل في هذا الحكم ومن الناس من انكر ذلك وقال هم
ملايكة الارض واستعظموا ان يكون اكابر الملايكة مامورين بذلك **واما الحكما فانهم**
يحملون الملايكة على الجواهر الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة قوله
تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة الاصح ان هذا الامر يشتمل على ما هو اباحة لانه كان ما ذونا في الانتفاع
بجميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان المنهي عنه كان حاضرا روي عن قتادة انه قال ان الله
ابتلى ادم باسكان الجنة كما ابتلى الملايكة بالسجود وذلك لانه كلفه ان يكون في الجنة ياكل منها
حيث يشا ونهاه عن شجرة واحدة ان ياكل منها فما زال به البلا حتى وقع فيما نهي عنه فاسكانه موضعا
يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع انه منعه من تناوله من اشد التكاليف واعلم ان الجنة وهبت منك الجنة
لانه خلق للخلافة في الارض وكان اسكان الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال رجل لغيره اسكنتك داري
لا يصير الدار ملكا له واجمعوا ان المراد بالزوجة حوا وان لم يتقدم ذكرها في هذه السورة ففي ساير القران
ما يدل على ذلك وانها مخلوقة منه خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها **وقال**
عليه السلام ان المراة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت وبها عوج
وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس
من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكن ادم الجنة بقي فيها وحده وما كان معه
من يستانس به فالقى الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما
وخلق حوا منه فلما استيقظ وجد عند راسه امراة قاعدة فسالها من انت قالت امراة قال ولم خلقت
قالت لتسكن الي فقالت له الملايكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حوا قالوا ولم قال لانها خلقت من شي
حي **فقيل لما اراد ادم مد يده اليها** منعته الملايكة وقالوا
ادمهرها قال فما صداقها قالوا ان تصلي على محمد واله قال ومن محمد قالوا من اولادك خاتم النبيين
ولولاه لما خلقت وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملايكة فحملوا ادم وحوا عليهما السلام
على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت
واللولو وعلى ادم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخل الجنة فهذا الخبر يدل على ان حوا خلقت قبل
ادخاله الجنة والخبر الاول دل على انها خلقت في الجنة والله اعلم بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت في الارض
او في السما وعلى تقدير كونها في السما هي دار الثواب ام جنة اخرى فقال ابو القاسم البلخي وابو مسلم
الاصفهاني هي في الارض وحملا الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا
قال لان دار الثواب للخلد ولو كان في جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم بمخرجين ولان ابليس بعد غضب الله عليه
كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزا المكلف فيها بعد العمل والاهمال لادم وتنبيه ولانه تعالى
خلقه في الارض ولم يذكر نقله الى السما ولو كان قد نقله لكان ذكره اولى لان ذلك النقل من اعظم النعم
وقال الجبايي هي في السما السابعة اهبطوا منها الى السما الدنيا
ثم منها الى الارض وقال الجمهور هي دار الثواب والدليل عليه ان اللام في الجنة ليست للعموم
ولان السكنى في جميع الجنان محال فهي للعهد ولا معهود بين المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف
اللفظ اليها واسكن امر من السكنى والسكنى من السكون لانه نوع من اللبث والاستقرار
وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا

دارن

رغداً وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما واي زمان شئتما فان حيث قد يعبر به
عن زمان مجهول وانما قيل ههنا وكلا بالواو وفي الاعراف فكلا لان كل فعل عطف عليه شيء وكان
بينهما رابطة السببية يعطف الثاني على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى في البقرة واذ
قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول سبب الوصول الى الاكل فكانه قال
ان دخلتموها فكلوا وفي الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهي
طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المجتاز قد ياكل ايضا فلهذا لم يعطف ههنا بالفاء اذ المراد
اسكن من السكنى واما في الاعراف فالمراد اسكن بمعنى الدخول ثم السكون فصح العطف بالفاء
والنهي في ولا تقربا للتنزيه وللتحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت في كليهما والاصل عدم
الاشتراك فيحمل حقيقة في القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير
دلالة على المنع من الفعل والجواز لكن الجواز ثابت بحكم الاصل فان الاصل في الاشيا الاباحة فاذا
ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه وهذا اولى ليرجع حاصل
معصيته الى ترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبيا **وقيل** نهي تحريم قياسا
على قوله ولا تقربوهن حتى يطهرن ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من الظالمين ولانه استحق
الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم في ولا تقربوهن بدليل منفصل والظلم
تقديرا دبه ترك الاولى والاخراج لم يكن بهذا السبب بل لما سياتي ان شاء الله ثم ان النهي عن القرب
يفيد النهي عن الاكل بطريق الكناية فان القرب الشي من اسباب الاكل منها ومما يدل على النهي عن الاكل
صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وروي ابن عباس ان الشجرة هي السنبلة وفي رواية
عنه وعن ابن مسعود انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع بن انس كانت شجرة
من اكل منها احدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث قال المبرد واحسب ان كل ما له اغصان وعيد
ان فالعرب تسميه شجرا وقد لا يخص بما له ساق وقال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين واصل
هذا انه اسم لكل ما شجر اي اخذ بعضه ويشرع والتشاجر الاختلاف واعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على
التعيين ولا حاجة ايضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا فذكره لا يجب على الحكيم
بل يكون عبثا كما لو اراد احدنا ان يقيم عذره في التخلف فقال اشتغلت بضرب غلام لي لاستهانته
الادب كان هذا القدر احسن من ان يذكر عين الغلام واسمه وصفته فلا تظنن احدا نهينا تقصيرا
في البيان فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جوابا للنهي من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم
بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الاية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة في هذه
الاية كهي في قوله وما فعلته عن امري والضمير للشجرة وقيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن
مرتبته وذلك قد مر فالضمير للجنة ومن قرا ازالهما فهو من الزوال عن المكان مما كانا فيه اي من النعيم
والكرامة او من المكان الذي هو الجنة ان كان الضمير في عنها للشجرة واعلم ان الناس اختلفوا في عصمة
الانبيا عليهم السلام والنزاع اما في باب الاعتقاد او في باب التبليغ او في باب الاحكام والفتيا او
في افعالهم وسيرتهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة وقد وقع الفضيلية لعنهم الله فقد وقع
منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار
الكفر على سبيل التقية واما ما يتعلق بالتبليغ فاجمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف
في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز غير ممكن واما ما
المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطا فيه عمدا واما السهو فجوزه بعضهم واباه اخرون واما
المتعلق بافعالهم فالحشوية جوزوا الكبائر عليهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عليهم عمدا الا
ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التاويل وقيل
لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا ولكنهم يواخذون به وان كان ذلك موضوعا عن
امتهم لان معرفتهم اقوى وهم على التحفظ اقدر والشيعة لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة لا عمدا ولا سهوا ولا على

سبيل التأويل والخطأ وفي وقت عصمتهم ثلاثة اقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من وقت مولدهم
والمعتزلة من وقت بلوغهم ولا يجوز الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم واكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل
النبوة والمختار انهم انه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه الوجه صدور الذنب عنهم
لكانوا اقل درجة من عصاة الامة مصداقه قوله عز وجل يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة
يضاعف لها العذاب ضعفين شعر وصغائر الرجل الكبير كبائر ولا يجوز ان النبي
اقل حالا بالاجماع ب وبتقدير اقدامه على الفسق لا تكون مقبول الشهادة لقوله ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا لكنه شاهد عدل من الله بانه شرع الدين ولذا يوم القيامة ويكون الرسول
عليكم شهيدا ج وبتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة د انه عليه السلام لو اتى بمعصية لوجب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوني
والجمع بين الوجوب والحرمة محال ه نعلم بالبداهة ان لا شيء اقبح من نبي رفع الله درجته وخلفه خليفة
في عباده ثم انه يقوم على ما نهاه ترجيحا لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب و اتأمرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم يكون ح مترلا في شانه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ز انهم كانوا
يسارعون في الخيرات واللفظ للعموم فيشمل فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي ح وانهم عندنا لمن
المصطفين الاخيار الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافي الذنب ط
انه تعالى حكى عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم والانبياء من
المخلصين لقوله تعالى في حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفي حق موسى انه كان مخلصا فكذا
غيرهما ي ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ولا يخفى وجوب كون
الانبياء منهم والا كان غير النبي افضل من النبي يا الخلق قسمان حزب الله الا ان حزب الله هم
المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز
ان يكون النبي عاصيا يب النبي افضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم
فالنبي اولى يج اني جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به والمذنب لا يجوز الاقتداء به
يد لا ينال عهدي الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة
فالنبي اولى به روي ان خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
وفق دعواه فقال رسول الله كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني اصدقك في هذا القدر
فصدقه رسول الله وسماه ذا الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت
تلك الشهادة المخالف تمسك في باب الاعتقاد بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله
جعلا له شركاء وهذا يقتضي صدور الشرك عنهما والجواب ما يجيء في الاعراف
ان شاء الله من ان الخطاب لقريش لمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية
ليسكن اليها فلما اتيهما ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى
وعبد الدار وعبد قصي قالوا ان ابراهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم الاخر لقوله هذا ربي ولكن
ليطمئن قلبي والجواب هذا ربي استفهام منه بطريق الانكار وقوله
ليطمئن قلبي اراد به ان يؤكد علم اليقين بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت
في شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه شاكا في الوحي قلنا الخطاب له والمراد الامة مثل
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء قالوا في باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء
يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا النسيان نوع من النسخ كما يجيء في تفسير قوله تعالى
ما ننسخ من اية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى في
امنيته والجواب سوف يجيء في سورة الحج ان شاء الله تعالى قالوا عالم الغيب فلا يظهر الى قوله ليعلم
ان قد ابلغوا رسالات ربهم ولولا الخوف من وجود التخبيط في الوحي لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم
لا لكم لدلالته على كونهم محفوظين عن التخبيط قالوا في باب الفتيا وداود وسليمان اذ يحكمان

في الحرث

يجب قصته كان في موضعها على انا نتبع قول باسائل عن رسول الله ليس سهوا والسهو مانع

في الحرث ماكان لنبي ان يكون له اسرى عفا الله عنك لم اذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك وسوف
من كل قلب غافل ساه قد غاب عن كل شي سرح فسيها عما سوى الله في التعظيم لله فشغل الادنى عن
الارفع هو المذموم واما السفل بالارفع عن الادنى فمحمود قالوا في الافعال وعصى ادم ربه فغوى ثم
والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له جهنم والغي ضد الرشد قد تبين الرشد من
الغي ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا لعنة
الله على الظالمين وانه اخرج من الجنة وكل هذا ارتكاب الكبيرة **والجواب**
المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لنفرض انه صدر ذلك الفعل عن ادم بعد النبوة فاقدامه
عليه اما ان يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول وهم طايفة من
المتكلمين احتجوا بقوله نسي ولم نجد له عزما ومثلوه بالصايم يغفل عن صومه فيأكل في اثنا ذلك السهو
عن قصد قبل تحليه ان قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما اني
لكما لمن الناصحين يدل على انه ما نسي وروي عن ابن عباس لما اكلا منها وبدت لهما سوآتهما خرج
فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى افرارا مني فقال بل حياء منك فقال لم اماكان
فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما كنت ادري ان احدا
يحلف كاذبا فقال وعزتي لاهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا نكدا وايضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه
لانه قادر على تركه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها رفع القلم عن ثلاث **واجيب**
بما يمنع من ان اقدامه على ذلك الفعل انما وقع عقيب قول ابليس لانه كان عالما بتمرد ابليس عن
سجوده وكونه عدوا له ولزوجه ولانهما لو صدقاه لكانت المعصية في تصديقه اعظم من اكل الشجرة لانه الفي
اليهما سوء الظن بالله وانه ناصح والرب غاش وما روي عن ابن عباس لو فهو من باب الاحاد ولا يلزم
من رفع النسيان عن هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن الامة رفعه عن النبي اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل اني اوعك كما يوعك الرجلان منكم **وقيل** ان
خواص سقته الخمر فسكر ثم اقدم على ذلك الفعل وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة على غير الكرمة حتى يكون
ما دونا في تناول غيرها الا انه يرد عليه ان خمر الجنة لا اسكر لا فيها غول الذاهبون الى انه فعله عامدا
اربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من ادم وكان كبيرة
مع ان ادم كان في ذلك الوقت نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله عمدا لكن كان معه من
اعمال القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب
او فعل المنهي عمدا لا يعذر بدعوى الخوف فلا يصح وصف الانبيا بذلك ومنهم وهو اكثر المعتزلة انه اقدام على
الاكل بسبب اجتهاده اخطأ فيه وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد انه لما قيل له ولا تقربا
هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار به الى الشخص وقد يشار الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا
وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وتوضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به
واراد نوع الحرير والذهب ونوع الوضوء فراد الله من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان ادم ظن ان النهي
تدور على الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة اخرى من ذلك النوع واعترض بان هذا في اصل اللغة للاشارة
الشخصية وحمل ادم اللفظ على موضوعه فكيف يعد مخطئا وايضا **هب** ان لفظ هذا متردد بين الشخص
والنوع فان كان مع قرينة الاشارة النوعية وقد قصر في معرفتها فيكون مذنبا وان عرفها ومع ذلك اقدم
على التناول فكذلك وان لم يكن قرينة فلا يعد مخطئا وايضا الانبيا لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون على
تحصيل اليقين بالوحي فالاقدام على الاجتهاد دعوى العصمة وايضا هذه المسئلة ان كانت قطعية **ط** قطعية
فالخطا فيه كبيرة وان كانت من الظنيات فان قلنا كل مجتهد مصيب فلا خطاء وان قلنا المصيب واحد
فالمخطي فيها معذور بالاتفاق **واجيب** بان لفظ هذا يستعمل في الاشارة النوعية
كما مر وبان ادم لعله قصر في معرفة القرينة او عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسئلة لما
نسيها صار النسيان عذرا حتى لا يصير الذنب كبيرا وقد تكون ظنية وترتب التشديدات على الخطاء فيها لان

النبي قد يوآخذ بما لا يواخذ به الامة قيل وقد يحمل الخطأ في الاجتهاد من جهة ان ادم عليه السلام ظن ان
النهي في قوله لا تقربا تناولهما معًا فيجوز لكل واحد على الانفراد الاكل **فان قلت**
كيف تمكن ابليس من وسوسة ادم مع ان ابليس كان خارج الجنة وادم فيها قلت اما لانه دخل في الحية خافيا من
الخزنة ولهذا اسقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما يروي وان كان بعيدا عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيا خيفة فليس منا يعني الحيات واما لانه دخل الجنة في صورة دابة
واما لانهما كانا يخرجان الي باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب ويوسوس واما لانه كان يدنو من السما فيكلمهما
وقيل وسوس لهما على لسان بعض اتباعه لانهما كانا يعرفان عنده من الحسد والبغضا فيستحيل ان يقبلا
قوله عادة واسناد الازلال والاخراج الي الشيطان لانه حصل بسبب منه وعن بعض العرفا ان ذلة
ادم هب انها كانت بوسوسة ابليس فمعصيته بوسوسته من ولا بد من الانتهاء الي الذي لا يسيل عما يفعل **فان
قيل** كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين فلما لم يقبلا عدل الي اليمين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وكم من شياطين الانس يراهم يوسوس
اليك على هذا الترتيب اعاذنا الله منهم ثم بعد ذلك يحتمل انه لم يصدقاه تحولا الي شرعهما بالذات
المباحة حتي استغرقا فيهما ونسيا النهي فوقعا فيما وقعا والله اعلم **بحقائق الامور** اهبطوا
خطاب لادم وحوا وابليس اما في وقت واحد بنا على ان ابليس قد عاد الي الجنة لاجل الوسوسة واما لادم
وحوا في وقت وله في اخر اخر قبل ذلك **وقيل خطاب** لهما والحية وقيل ان الصحيح
ان الخطاب لهما وذريتهما مرادة ايضا لانهما لما كانا اصل الانس جعل كانهما الناس كلهم والدليل عليه
ما جا في طه اهبطا منها وقوله فاما ياتينكم وما هو الا حكم يعم الناس كلهم واهبطوا امر واباحة الاشبه
الاول لان مفارقة ما كانا فيه من النعيم الي دار الهوان اشق التكاليف وانما قيل انه تكليف لا عقوبة لما ترتب
عليه من الثواب العظيم ويمكن ان يقال نفس الاهبط عقوبة ولا ثواب عليه وانما الثواب على حسب العمل
بعد ذلك ومعني بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض وليست
هذه هي العداوة المامور بها في قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا
وسيكون حالكم كذا لان عالم التضاد والتنافي ليس كعالم الانوار الذي لا تعاند فيه ولا تمانع مستقر استقرارا
وموضع استقرار حالتي الحيوة والموت ومتاع تمتع بالعيش الي حين هو يوم القيامة او حين انقضا اجالكم
والحين المدة الطويلة او قصيرة ولهذا لو قال انت طالق الي حين فمضت لحظة طلقت **وفي قصة**
ادم وما جري عليه بسبب الزلة معتبر عجيب وموعظة بليغة لتنبيه في اجتناب الخطايا واتقا الماثم
ولله در القايل يا ناظرا يرنو بعيني راقد ومشاهد للامر غير مشاهد تصل الذنوب الي الذنوب
وترتجي درك الجنان ودرك فوز العابد انسيت ان الله اخرج ادما منها الي الدنيا بذنب واحد وعن فتح
الموصلي كنا قوما من الجنة فسبانا ابليس الي الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتي نرد الي الدار التي اخرجنا منها
تطلب الراحة في دار الفنا خاب من يطلب شيا لا يكون قوله فتلقي ادم الاية اصل التلقي التعرض للقاء ثم
توضع موضع الاستقبال للشي الجائي ثم توضع موضع القبول والاخذ وانك لتلقي القران من لدن حكيم عليم
اي تلقنه ثم بعض الافعال قد يشترك فاعله ومفعوله في صلاحية وصف كل منهما بالفعل فيتعارضان عمله
فيهما تقول بلغني ذلك وبلغته واصابني خير او نالني واحسبته او نلته وتلقي ادم كلمات اي اخذها ووعاها
واستقبلها بالقبول وتلقي ادم كلمات اي جاته واتصلت به ولا يجوز ان يكون معني التلقي من الرب ان الله
عرفه حقيقة التوبة لان المكلف لا بد ان يعرف ماهية التوبة ويتمكن بعقله من تدارك الذنوب فضلا عن الانبيا
فان المراد نبهه على المعصية على وجه الامر الي التوبة او عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة او ذكر نعمته
العظيمة عليه حتي صار من الدواعي القوية الي التوبة او كلمه كلمات لو حصلت التوبة معهن تكمل حالها ومن قوله
تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وفي رواية ابن عباس ان ادم عليه السلام قال يا رب الم تخلقني بيدك قال
بلي قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلي قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلي قال يا رب الم
تسكني جنتك قال بلي قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الي الجنة قال نعم **وقال**

التعبي

مطلب سبحانك الخطيئة

النخعي اتيت بن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقى ادم من ربه قال علم الله ادم وحواء من الحج فجاءني الكلمات
التي تقال في الحج فلما فرغا من الحج اوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما **وعن ابن مسعود**
ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك

دعاء ادم عليه السلام

لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقالت عايشة رضها لما اراد الله تعالى ان يتوب
على ادم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري
وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤالي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اسالك ايمانا يباشر
قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى ادم يا ادم

مطلب توبة ادم

قد غفرت لك ذنبك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت همومه
وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها **وفي كلام الغزالي** ثم ان التوبة تتحقق
من ثلاثة امور مرتبة اولها علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما في الذنب من الضرر وكونه
حجابا بين العبد وبين الرب فاذا استحكمت هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات محبوبه وتاسف محل الفعل الذي
كان سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك التاسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضا
ان كان قابلا للجبر وتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي ملابسا وتعلق بالمستقبل وهو العزم على ان لا يعود اليه

مطلب بكاء ادم

ابدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله
عليه السلام الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله تعالى ولطفه انه هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع
فيشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى رجع الى التوبة ربه لان العاصي هارب عن ربه وقد يفارق
الرجل خدمة سيده فيقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد عليه باحسانه ومعروفه وهذا
معنى قبول التوبة من الله وغفران ذنوب العباد التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة في التواب
ان واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد الى المعصية والى الاعتذار فربما يقبل
عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لامر يرجع الى رفد طبع او جلب
نفع او دفع ضر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود وان فيضه لا ينقطع ولا يقتصر الا من القابل فكلما ارتفع

مطلب معنى الايمان

المانع من قبل القابل وصل الفيض اليه لا محالة وايضا يستحق المبالغة من جهة اخرى وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة
لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول التوبة ووصف بالرحمة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو جمع بكاء اهل
الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر ولو جمع
بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء ادم على خطيئته لكان بكاء ادم اكثر وادا كان حال الانبيا الى هذه
الخطيئة واحدة فمن احاطت به خطاياه احق بالبكاء **واذا قال نبينا عليه السلام**
انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فنحن احق بالاستغفار فان الغين يكاد بالنسبة الينا

تاويل الحديث

رينا وذلك ان الغين شيء يغشي القلب ويغطيه بعض التغطية كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال
ضوئها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممتنعا بالكلية عن ثبوت الحق وذلك صفة الكفار كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون **قيل في تاويل الحديث** ان الله تعالى
اطلع نبيه على ما سيكون في امته من الخلاف والشقاق فكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر لامته وقيل
كان ينتقل من حالة الى حالة ارفع من الاولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة عن السكر الذي كان يلحقه في طرائق
المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذلك السكر وهذا تاويل ارباب الحقيقة

عظة عربية

وقال اهل الظاهر ان القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وانواع الارادات فكان يستعين بالرب تعالى
في دفع تلك الخواطر وعن ثابت البناني بلغنا ان ابليس قال يا رب انك خلقت ادم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني
عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني فقال لا يولد ولد لادم الا ولد لك عشرة قال
زدني قال تجري منه مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد
قال فشكا ادم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة
والبغضاء وسلطته علي وانا لا اطيقه الا بك فقال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين

مطلب الحسنة

يحفظانه من قرنا السو قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال ربي زدني قال لا احجب عن احد من ولدك
التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد الروح في الحلق وسئل ذو النون عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة
اولها الندم على ما مضى وثانيها العزم على ترك الذنوب في المستقبل وثالثها اداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك وبين الله
والرابع اداء المظالم الى المخلوقين في اموالهم واعراضهم والخامس اذابة كل لحم ودم نبت من الحرام والسادس اذاقة البدن

مطلب الغرغرة

مرارة الطاعات كما اذاق حلاوة المعاصي وكان يحيى بن الحارث يقول يا صاحب الذنوب الم يان لك ان تتوب يا صاحب
الذنوب ان الذنب في الديوان مكتوب يا صاحب الذنوب انت بها في القبر مكروب يا صاحب الذنوب انت غدا بالذنوب
مطلوب وانما اكتفى بذكر توبة ادم دون توبة حوا لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر
القران والسنة لذلك على انها قد ذكرت في موضع اخر قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية قلنا اهبطوا الاية فقيل
فائدة تكرير الامر بالهبوط انهما هبوطان الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض
وضعف بانه لو كان كذلك لكان ذكر قوله ولكم في الارض مستقر عقيب الهبوط الثاني اولى وايضا قوله منها يدل
على ان الهبوط الثاني ايضا من الجنة والاوجه ان ادم وحوا لما اتيا بالزلة وتابا بعد الامر بالهبوط وقع في
قلبهما ان الامر بالهبوط يرتفع بزوال الزلة فاعيد الامر مرة ثانية ليعلما ان الحكم باق تحقيق الوعد المتقدم

نازل من الجنة

في قوله اني جاعل في الارض خليفة ووجه ثالث وهو ان يكون التكرير للتاكيد ولما اهبط به من زيادة قوله فاما
ياتينكم روي في الاخبار ان ادم هبط بجزيرة سرنديب من الهند وحوا بجدة من ارض الحجاز وابليس بالابلة
من نواحي البصرة والحية باصفهان فلم يتلاقيا مائة سنة ثم ازدلفا اي تقاربا بالمزدلفة واجتمعا بجمع وتعارفا
بعرفات يوم عرفة وتمنيا على الله بالمغفرة والتوبة بمنى فحصلت اسما هذه المواضع من هذه المعاني وما في اما مزيدة

مطلب بيان الاماكن التي هبط فيها ادم عليه السلام وحوا وابليس والحية

لتاكيد الشرط ويؤيده لحوق النون المؤكدة والشرط الثاني وجزاؤه مجموعين **جواب**
الشرط الاول تبع واتبع بمعنى وانما جاء في طه فمن اتبع موافقة لقوله فيها يتبعون الداعي وفي الهدى وجهان
احدهما المراد منه كل دلالة وبيان فيدخل فيه دليل العقل وكل كلام ينزل على نبي وفيه تنبيه على نعمة اخرى
عظيمة فكانه قال واذا اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بما يؤديكم مرة اخرى الى الجنة مع
الدوام الذي لا ينقطع عن الحسن لما اهبط ادم الى الارض اوحى الله تعالى اليه يا ادم اربع خصال فيه كل الامر
لك ولولدك واحدة لي وواحدة لولدك وواحدة بيني وبينك وبين الناس اما التي لي فتعبدني لا تشرك
بي شيئا واما التي لك فاذا عملت اجزيتك واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة واما التي بينك وبين
الناس فان تصحبهم بما تحب ان يصحبوك به وقيل رسول الله وكتاب منزل والذين كفروا وكذبوا باياتنا
في مقابلة فمن تبع هداي في الاقدام على ما يلزم والاحجام عما يحرم فانه سيصير الى حالة لا خوف فيها ولا حزن وهذه
حالة مع اختصارها يجمع شيئا كثيرا من المعاني لان قوله فاما ياتينكم مني هدى دخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية
والشرعية وزيادات البيان وجميع ما لا يتم ذلك الا به من العقل ووجوه التمكين وجمع قوله فمن اتبع هداي
تامل الادلة بحقها والنظر فيها واستنتاج المعارف منها والعمل بها وجمع قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
جميع ما اعد الله تعالى لاوليائه لان الخوف الم يحصل للنفس من توقع مكروه وانتظار محذور وذو الدين يتضمن السلامة
من جميع الافات والحزن الم يعرض للنفس لفقد محبوب على عدم الحزن لان زوال ما لا ينبغي مقدم على حصول
ما ينبغي وهذا يدل على ان المكلف الذي اطاع الله تعالى لا يلحقه خوف عند الموت ولا في القبر ولا عند البعث
ولا عند حضور الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الميزان ولا عند الميزان ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون **وقال**
قوم من المتكلمين ان اهوال يوم القيامة يعم الكفار والفساق والمؤمنين بدليل قوله
تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السما يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
للمرسلين فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وفي الحديث تدنو الشمس يوم القيامة من
الخلق حتى يكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق يلجمهم العرق الجاما واشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه وفي حديث الشفاعة وكل نبي نفسي نفسي الانبياء

بل

صلى الله عليه وسلم فانه يقول امتي امتي مشهورة **قلت** لا ريب ان وعد الله حق
فمن وعد الامن يكون امنا لا محالة الا ان الانسان خلق ضعيفا لا ينتفع بالامن الكلي ما لم يصل الى الجنة
وايضا ان جلال الله وعظمته يدهش الانسان برا كان او فاجرا وايضا ظاهر العمل الصالح يفيد
التيقن بالجنة فلاعمال الا بالاخلاص ولا حكم بالاخلاص الا الله تعالى لانه من عمل القلب وقلب المومن
بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشا ولهذا جاء والمخلصون على خطر عظيم وكان داب
الصديقين ان يخلطوا الطمع بالخوف والرغبة بالرهبة يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا
وقيل لا خوف عليهم امامهم فليس شي اعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت فامنهم الله
تعالى ثم سلاهم فقال ولاهم يحزنون على ما خلفوه بعد وفاتهم في الدنيا ثم ان الائمة خصصوا نفي
الخوف والحزن بالاخرة لان مجاري الامور في الدنيا لا يخلو عن مواجب الخوف والحزن **قال**
صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم بالاولياء ثم بالامثل فالامثل **قلت** المومن الراضي
بقضاء الله وقدره ولا يرى شيا من المكاره مكروها وانما مراده مراد حبيبه فلا وربك لا يومنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فبترك الارادة يصح نسبة
العبودية وبالرضوان يحصل مفاتيح الجنان وينكشف الهموم والاحزان وينسى الفقر والهجران ويثبت حقيقة
الايمان والذين كفروا وجحدوا مولاهم وكذبوا باياتنا الاشارة حكما لهم بحسب مشتهاهم وهواهم اولئك
اصحاب النار ملازموها دايما سرمدا سواء كان من الانس او من الجن اعاذنا الله منها بعميم فضله وجسيم طوله
التاويل انكم تسجدون لله بالطبيعة الملكية الروحانية اسجدوا لادم بخلاف الطبيعة تعبدا
ورقا وانقيادا للامر وامتثالا للحكم اسجدوا له تعظيما لشان خلافته وتكريما لفضيلة المخصوصة
به ممن سجد له سجد لله تعالى **كما قال لحبيبه** ان الذين يبايعون الله اسجدوا
لادم لاجل ادم فان عبادتكم وطاعتكم لا يوجب ثوابا لكم ولا زيادة في درجاتكم ولكن فايدتها تعود الى الانسان
لقوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ولان الانسان يقتدي بهم في الطاعة ويتادب
بادابهم في امتثال الاوامر والانزجار عن الاباء والاستكبار كيلا تلحقه من اللعن والبعد
من الحق ابليس فسجدوا الا ابليس لانهم خلقوا من نور والنور من شانه الانقياد والاطاعة وانه
خلق من نار والنار من شانها الاستعلاء طبعا وكان من الكافرين لانه ستر الحق على ادم
كما سمي ابليس لانه ابلس الحق ولا تقربا هذه الشجرة اي ابحت لك نعيم الجنة فيما فيها وما كان لك
فيها حق لانك ما عملت بعد عملا يستحق به الجنة فاعطي هذه الشجرة الواحدة منها وهي كلها الي وانا
خلقتها فان طمعت فيها ايضا **فاعلم ان الانسان** له همة عالية وحرص
شديد لا يزال يقول جهنم حرص هل من مزيد ولا تمتلي حتى يضع الجبار فيها قدمه اي سابقة
رحمته وعنايته سبقت رحمتي غضبي ثم انه ابيح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها فيما تشتهي
وتلذ الاعين وقيل لهما ان ما فتنتما بها ولا توقعا انار الفتنة على انفسكما ولا تنقضا من قربة المحنة
ما المحنة على داسكما ولا تقربا شجرة المحنة وقد غرست لاجله في الحقيقة يحبهم ويحبونه ولكن سبب النهي
هو الدلال الذي يقتضيه غاية الجمال وايضا الولع بنهيه عنها فلعله ما فرغ لها لكثرة انواع المرادات
النفسانية وكانت المحبة غذا روحانيا فذكرها كان كالتحريض عليها فان الانسان حريص على ما منع
وايضا انه تعالى وسع اسباب الانبساط اولا ثم ضيق عليه الامر اخرا واد بنيشني حتى اذا ما تنتني
يقول بحل العصم سهل الاباطح تجافيت عني حين لا لي حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح
خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملايكته واسكنه الجنة في جواره وزوجه
حوا حتى شاهد جمال الحق من مراة وجهه فانبت شجرة المحبة بين يديه ثم منعه عنها وكان في ذلك
المنع تذكير وتحريض ايضا كما مر ثم عاتبه بقوله فتكونا من الظالمين وهذا كما انه اسكر موسى
باقداح الكلام واذاقه لذة شراب السماع وتربه بحبا حتى اشتاق لجماله وطمع في وصاله وقال
رب ارني عافيته بسطوة لن تراني وذلك ان البلاء والولاء توامان والمحبة والمحنة رضيعا لبان والمطلوب

لما كان ارفع كان اعز وامنع واجمال لابد له من الدلال وبه يتميز العاشق الصادق من المدعي المختار
فلما ذاق شجرة الغرام خرجا من دار التسلام بما لاهل الغرام ودار السلام والى الفارغ السالي من المحب الغاني
نبينا ثم على رغم الحسود وبيننا حديث كطيب المسك سيب به الخمر فلما اضاء الصبح فرق بيننا واي نعيم لا يكدره الدهر
وبالجملة فلما جاء القضا وضاق الفضا فلم يعبس بعوان كان مسجود الملك مسجود السماك الى السمك مشمول
الرعاية موفور العناية حتى نزع عنه لباس الامن والفراغ وبدل باسنى اسر الاستيحاش يدفعونه الملائكة
بعنف ان اخرج من غير مكث ولا بحث فازلهما بالتغرير بحسن التدبير وكان الشيطان المسكين كذيب
يوسف لطخ خرطومه بدم نضح فلما وقعا من القربة في الغربة ومن الالفة في الكلفة لما ذاقا من شجرة المحبة
المورثة للمحنة استوحشا من كل شي واتخذاه عدوا بعضكم لبعض عدو وهكذا شرط المحبة عداوة ما سوى
المحبوب فكما ان ذاته لا يقبل الشركة في التعبد كذلك لا يقبل الشركة في المحبة فلما استقر حبة المحبة في ارض
قلب ادم جبال الارض مستقر شخصه ليتمتع بتربية المحبة بماء الطاعة والتكليف الى حين ادراك ثمر المعرفة
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال النبي عليه السلام ان داود
قال يا رب لم خلقت الخلق فقال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ثم انه بعد ما ابتلي
بالهبوط بشرهما بان وحيي لا ينقطع وهدايتي لا يرتفع فان من ربي بذر المحبة بماء الطاعة والمتابعة فلا خوف
عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى من الهبوط الى الارض لانهم يرجعون بجذبات العناية والهداية
الى دري حظاير القدس والله ولي التوفيق يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ
بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا
قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا
الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ القراة
اسرايل بغير همز حيث كان يزيد وحمزة في الوقف نعمتي كذلك ما بعدها ساكنة اليا ابو زيد عن المفضل
فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين يعقوب وكذلك كل يا محذوف في الخط عند راس الاية وروى مسبح
ابن حاتم وابن دريد عن سهل وعباس بالياء في الوصل اول كافر بماله قتيبة واحمد بن فرج الوقوف فارهبون
ربع الجزو كافر به لاتفاق الجملتين وعلى قليلا لا اجوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون تعلمون
الراكعين تتلون الكتاب تعقلون الصلوة الخاشعين لان الذين صفتهم راجعون التفسير
انه تعالى لما اقام دلايل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات العامة للبشر
ومن جملتها خلق ادم الى تمام قصته اردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود الاية لتشكيمهم واستمالتهم

مطلب كنت كنزا

لتلوهم

لقلوبهم وتنبيها على نبوة محمد عليه السلام من حيث كونه اخبارا بالغيب مدرجا في مطاوي ذلك ما يرشدهم
الى اصول الاديان ومكارم الاخلاق واسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم غير منصرف للعلمية والعجمة
المعتبرة لقبوله ومعناه صفوة الله **وقيل** عبد الله لان اسرا بالعبرية هو العبد وايل الله
وقوله يا بني اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود والذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد عليه السلام
وحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة والعائد من الصلة محذوف اي التي انعمت بها عليكم
قال بعض العارفين عبيد النعم كثيرة وعبيد المنعم قليلون فان الله تعالى
ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما آل الامر الى امة محمد ذكرهم المنعم فقال اذكروني اذكركم عن ابن عباس انه
قال من نعمه تعالى على بني اسرائيل ان نجاهم من آل فرعون وظلل عليهم الغمام في التيه وانزلنا عليهم
المن والسلوى واعطاهم الحجر الذي كان يسقيهم ما شاؤوا واعطاهم عمودا من النور اضاءة لهم بالليل وكان
رؤوسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى وفي تذكير هذه النعم فوائد منها ان فيها ما شهد بصدق محمد عليه الصلوة والسلام
وهي التوراة والانجيل والزبور ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم اياها ليحذروا مخالفة ما دعى
اليه من الايمان بمحمد والقرآن ومنها ان تذكر النعم الكثيرة يوجب الحيا عن اظهار المخالفة ومنها ان كثرة
النعم يفيد ان المنعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يزيلها عنهم
كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدائه فتذكير النعم السابقة مطمع والمخاصمة في النعم
الاتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة في النعمة على الاباء نعمة على الابناء اذ لولاها لم يبق نسلهم
ولان الاسباب الى اباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا
ان اباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان الابن
مجبول على اتباع الاب من اشبه اباه فما ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت
بعهدي اي بما عاهدت عليه واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه والمعنى اوفوا بما عاهدتموني عليه
من الايمان بي والطاعة لي اوف بعهدكم اي ارض عنكم وادخلكم الجنة **حكاه الضحاك**
عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله **وقيل**
المراد من هذا العهد ما اثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد عليه السلام وانه سيبعثه والى الاشارة
في قوله واذ اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من
تحتها الانهار وفي الاعراف فساكتبها للذين يتقون الاية وفي آل عمران واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم الاية وفي الصف واذ قال عيسى ابن مريم الاية وعن ابن عباس ان الله كان عهد الى بني اسرائيل
في التوراة اني باعث من بني اسماعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالتوراة التي ياتي به اي بالقرآن
غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وجاءت به سائر انبياء بني
اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد النبي الامي الذي من ولد اسمعيل وتصديق هذا في القرآن يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا ثلاثة
يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد فله اجران ورجل ادب امته فاحسن
تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها وزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان
قيل لو كان الامر كما قلتم فكيف يجوز من جماعتهم جحده قلنا اما لان هذا العلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم
ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه واما لان ذلك النص كان نصا خفيا لعدم تعيين الزمان والمكان بحيث
يرفع كل الحد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه جاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التوراة ان هاجر
لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين قالت اهرب عن سيدتي سارة
فقال لها ارجعي الى سيدتك واخفضي لها فان الله سيكثر ذرعك وزرعك وستحبلين وتلدين ابنا وتسميه
اسماعيل لاجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه
بالخضوع **فقيل هذا الكلام** خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين

في البادية لا يتجاسرون على الدخول في اوايل العراق واوايل الشام الا على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا
على الخافقين بالاسلام وزاحموا الامم ووطئوا بلادهم وزاحمتهم الامم ومحوا بينهم ودخلوا باديتهم بسبب
مجاورة الكعبة واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته اي زيدا رهبت رهبته تقدم
المفعول للاختصاص تقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان
الفا المؤذنة بتلازم ما قبلها وما بعدها اي ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبيل التكرير ولاجل
الاضمار والتفسير والرهبة هي الخوف والخوف اما من العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال
وهي وظيفة ارباب القلوب والاول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اشد كان امنه يوم القيامة
اكثر وبالعكس يروى انه ينادي منادي يوم القيامة وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين
من امنني في الدنيا خوفته يوم القيامة ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيامة قوله وامنوا معطوف على
اذكروا والمراد بما انزلت القران ومصدقا حال مؤكدة من الراجع المحذوف **وفيه تفسير**
ان احدهما ان في القران ان موسى وعيسى حق والتوراة والانجيل حق والتوراة انزل على موسى والانجيل
على عيسى فكان الايمان بالقران مؤكدا للايمان بالتوراة والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد وبالقران
في التوراة والانجيل فكان الايمان بمحمد والقران تصديقا للتوراة والانجيل وتكذيب محمد والقران تكذيبا
لهما **وفي هذا التفسير** دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة ان شهادة
كتب الانبيا لا تكون الا حقا ومن جهة انه اخبر عن كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك الامر قبل الوحي ولا تكونوا
اول كافر به اي اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك
كسانا حلة اي كل واحد منا وههنا سؤال الاول كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به
مشركو العرب **وفي الجواب** وجوه انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن
به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان محمد والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون
اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به **ب** ولا تكونوا امثال
اول من كفر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه موصوفا في التوراة مثل من لم يعرفه
لانه لا كتاب له **ج** ولا تكونوا اول الكافر به من اهل الكتاب لان هؤلاء اول من كفر بالقران من بني اسرائيل
د ولا تكونوا اول كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبهم بكتابكم **ه** المراد بيان
تغليظ كفرهم وذلك لان السابق الى الكفر كفره غليظ من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والكافر
عن دليل ومعرفة بما يوجب الايمان كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا الوجه فصح
اطلاق احدهما على الاخر **و** ولا تكونوا اول من جحد مع المعرفة **ز** اول فريق كفر من اليهود لان النبي صلى
الله عليه وسلم قدم بالمدينة وبها قريظة والنضير فكفروا ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر **ح** ولا تكونوا اول
الكافرين به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه السؤال الثاني كانه يجوز لهم الكفر اذا لم
يكونوا اولا **والجواب** ليس في ذكر الشي دلالة على ان ما عداه بخلافه وايضا في قوله
وامنوا دلالة على ان كفرهم اولا واخرا محظور وايضا قوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك
بالثمن الكثير وقوله رفع السماء بغير عمد لا نراها فكذلك ههنا قال المبرد هذا الكلام خطاب خوطبوا به
قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم اول الكافر فانه يكون عليكم وزر
من كفر الى يوم القيامة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى اي لا تستبدلوا
باياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها
الفوات لو اتبعوا دين الاسلام وقيل الثمن الرشى التي ياخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه
وتسهيلهم ما صعب عليهم من الشرايع واياي فاتقون مثل واياي فارهبون **وقيل**
الاتقا انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكانه امرهم بالرهبة على ان جواز العقاب قائم ثم امرهم
بالتقوى على ان تعين العقاب قائم ولا تلبسوا امر بترك الاغواء والاضلال كما ان قوله وامنوا امر بترك
الكفر والضلال والاضلال للغير طريقان لانه ان سمع الدلايل فاضلاله بتشويشها عليه وان لم يسمعها فاضلاله

بكتمانها

بكتمانها ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا المجزوم بلا المقدرة
للنهي عطفا على النهي قبله اشارة الى القسم الثاني والباء التي في الباطل اما للوصل في قولك لبست الشيء
بالشيء خلطته به فكان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي
كتبتم حتى لا يميز بينهما واما للاستعانة في كتبت بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا بباطلكم
وهو الشبهات التي تورد ونها على السامعين وذلك ان النصوص الواردة في التوراة والانجيل
في امر محمد كانت نصوصا خفية تحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها
ويشوشون وجه الدلالة على المتاملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل
ويجوز ان يكون وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان
الحق نحو لا تاكل السمك وتشرب اللبن قلت هذا التقدير يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين
كالجمع بين اكل السمك وشرب اللبن حتى لو اتى بكل منهما منفردا عن الاخر جاز اللهم الا ان يحال ذلك
على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا اذ لا يجوز ان يريد الطع احدهما بقرينة الاثم والكفر
وانتم تعلمون ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم الجزاء فان من سن سنة سيئة
فله وزرها ووزر من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما
حال عدم العلم لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا افحش من الاقدام
عليه عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم
عليه كتمانه ثم لما امرهم بذكر نعمته وبالايمان برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم
ما لزمهم من اصول الشرائع فقال واقيموا الصلوة اي التي عرفتموها بوصف
النبي بناء على انه لا يجوز تاخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واما القائلون بجواز التاخير فقد جوزوا
ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال
وان كان لا يعلم ان المامور به ما هو كما لو قال السيد لعبده اني امرك غدا بشيء فلا بد ان تفعله
ويكون الغرض ان يعزم العبد في الحال على ادائه في الوقت الثاني ومعنى الصلوة لغة وشرعا قد تقدم
في اول البقرة واما الزكوة فهي في اللغة الزيادة والنماء وفي الشرع القدر المخرج
من النصاب لانها تزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال ماخوذة من التطهير من زكى نفسه
تزكية اذا مدحها وطهرها من العيوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج
يطهر ما بقي من المال قال صلى الله عليه وسلم عليك بالصدقة فان فيها ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث
في الاخرة فاما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال وتعمر الدار واما التي في الاخرة فتستر
العورة وتصير ظلا فوق الراس ويكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار
مكلفون بفروع الشرائع وفي قوله واركعوا مع الراكعين وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم
فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها مع المصلين فلا تكرار لان الاول
امر باقامتها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار
المذموم وامرا بالتذلل للمؤمنين ثم انه سبحانه لما امر بالايمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم
رغبهم في ذلك بناء على ما اخر اخر وهو ان التغافل عن اعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح
في العقول والبر في انا مرون للتقرير مع التقريع والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير
ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل مبرور مرضي واختلف في البر ههنا قال
السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ثم يرتكبونها
وقال ابن جريج يامرون الناس بالصلوة والزكوة ويتركونها ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي
يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوا الى الحق ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا
حسدوه واعرضوا عن دينه الزجاج يامرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل
يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل يامرون

غيرهم باتباع التوراة وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ثم ما امنوا به
وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا يامرون باتباعه في الظاهر وينكرونه في الباطن فوبخهم الله على
ذلك والنسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم والناس غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه
فان المراد تغفلون عن حق انفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع وانتم تتلون الكتاب اي التوراة
وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومن نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة
القول العمل افلا تعقلون وهو تعجيب للعقلاء من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام
للعلم به والتقدير افعلتم ذلك فلا تعقلون وقس على هذا نظائره في القران فانها كثيرة وللتعجيب وجوه
منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير الى المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد
النفس اليها وتحذيرها عنها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل
الصحيح ومنها ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا الواعظ مطلع
على اللذات اصل لهذه التخويفات والا لما اقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجراءة
على المعاصي ويضحك بكرامه وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض الواعظ
ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول

قال بعضهم ليس للعاصي ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا
بهذه الاية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وبان الزاني بامراة يقبح منه ان ينكر عليها
واجيب بان المكلف مامور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضي
الاخلال بالاخر والذم في الاية مترتب على الشق الثاني وهو نسيان النفس على مجموع الامرين قالوا
وحديث القبح ممنوع **قلت** والحق انه مكابرة فعن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبرائيل
من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون بالبر وينسون انفسهم وقال عليه السلام
ان في النار رجلا يتاذى اهل النار بريحه فقال من هو يا رسول الله قال عالم لا ينتفع بعلمه وقال
مثل الذي يعلم الناس ويجهل به كالسراج يضيء الناس ويحرق نفسه وعن الشعبي يطلع قوم من اهل
الجنة على قوم من اهل النار فيقولون لم دخلتم النار فانا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نامر
بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل
في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل روي ان يزيد بن هرون مات وكان واعظا زاهدا فرأي
في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما سالني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اما
تستحيان من شيخ دعا الناس الى الله كذا وكذا سنة فتقولان له من ربك **وقيل**
للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السراج ولما امرهم الله
تعالى بالايمان وترك الاضلال وبالتزام الشرائع وموافقة الفعل للقول وكان ذلك شاقا عليهم لما
فيه من ترك الرياسات والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض بقوله واستعينوا بالصبر
والصلوة كانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا والدخول فيما يستثقله طباعكم من قبول
دين محمد بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنت عليه وخف عليها
ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر عظمة وقهره فاذا تذكر لطفه مال
الى الطاعة واذا تذكر قهره انتهى عن المعصية **وقيل الصبر الصوم** لانه حبس عن المفطرات
ومنه يقال شهر الصبر لشهر رمضان ومن حبس نفسه عن قضاء شهوتي البطن والفرج زالت عنه كدورات
حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار القلب بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلوة لان تاثير
الصوم في ازالة ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات او لا يراد بالصلوة
الدعاء واستعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال في دفعه الى فاطر الارض والسماء
وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل والا لزم تفكك النظم لكن المعنى على العموم فعلى كل مكلف

مطلب الواعظ

الا يستعين

ان يستعين على حوايجه الى الله بالصلوة والصبر على تكاليفهما مراعيا في ذلك ما يجب من الاخلاص
وحسن الادب واستحضار العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم بالطويات والاسرار
ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ومن خواص الصلوة ارتفاع البلايا وانكشاف
الهموم والرزايا كان رسول الله عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اي صلوة او الاستعانة
او جميع المامورات والمنهيات وهذه الايات لكبيرة لشاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على
الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا جزاء ربهم وانهم الى حكمه راجعون فيصدر عنهم الاعمال
من طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا فالمجرد اذا لم يعتقد في فعلها منفعة لا يوانسه طبعه في الاشتغال
بها وان كان زمانا يسيرا فيشتغل عليه والموحد حيث اعتقد في فعلها اعظم المنافع وهو الفوز
بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه ترجية الاوقات بوظايف العبادات وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عيني في الصلوة
والخشوع والخضوع اخوان وهما التطامن والتواضع ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفي الحديث كانت
الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن ههنا تفسيران احدهما انه بمعنى العلم بجوز الا ان الظن هو
الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض وتجويز نقيض لقاء الرب اي المبعوث والمنشور كفر فكيف يمدح
به وكيف هذا التجوز انهما يشتركان في رجحان الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق
احدهما على الاخر ولا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقربه من العلم وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقي
والمراد بملاقاة الرب اما لقاء ثوابه وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذي هو سبب للقاء ووقته غير
معلوم الا انه متوقع كل لحظة وتوقعا راجحا عند المومن لانه قطع امله او لانه يحب لقاء ربه ان زعمتم انكم
اولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ويحتمل ان يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم
ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه وباعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه
فعند ذلك يسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقي ههنا بحثان الاول استدل اهل السنة
بالاية على جواز روية الله تعالى وانكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الروية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا
في قلوبهم الى يوم يلقونه والنافق لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويشمل الكافر والمومن
وقال عليه السلام من حلف على يمين ليقتطع بها مال امري مسلم لقي الله وهو عليه غضبان **واجيب**
بان اللقاء في اللغة وصول احد الجسمين الى الاخر بحيث التماس وهذا اللقاء سبب الادراك بحيث يمتنع
حمله على اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق لفظ السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فان منع عن ذلك الحمل
مانع امر بحسب ذلك فان الاضمار خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففي قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى
اضمار الجزاء ونحوه وفي الاية ضرورة لحمله على الادراك اولى البحث الثاني المراد من الرجوع الى الله الرجوع
الى حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك في اول الخلق بخلاف ايام حياتهم
في الدنيا فانه قد يملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى **قالت** المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على
كونه تعالى جسما **وقال** اهل التناسخ الرجوع الى الشيء مسبوق بالكون عنده فدلت
الاية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما والله اعلم **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** **القراة**
ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف العالمين ينصرون
التفسير انما اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا لمن ترك اتباع محمد عليه السلام

مطلب في الخشوع

كانه قال ان لم تطيعوني لاجل سوالف نعمي عليكم فاطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل والمراد بالعالمين ههنا
الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين ويقال رايت عالمًا من الناس يراد الكثرة لقرينة العلم بانه لم يرد
كل الناس ويمكن ان يكون المراد فضلتكم على العالمين زمانكم لان الشخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة
العالمين ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عامًا للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق في الفضل والمطلق يكفي
في صدقه صورة واحدة فالاية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين في امر ما وهذا لا يقتضي ان يكون افضل من
كل العالمين في كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم في اكثرها **وقيل** الخطاب لمومني بني اسرايل
لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفي جميع ما خاطب الله تعالى بني اسرايل **تنبيه** للعرب
لان الفضيلة بالنبي قد لحقتهم وجميع اقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد لقد كان في قصصهم عبرة لاولي
الالباب روي عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرايل وما
يعني بما تسمعون غيركم واتقوا اليوم هو اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدايد والاهوال لان نفس اليوم
لا يتقى وقوله لا تجزي الى اخر الاية الجمل منصوبات المحل صفات متعاقبة اليوم والراجع منها الى الموصوف
محذوف تقديره لا تجزي فيه ومنهم من يقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول فيه فحذف الجار وهو في تبقى
لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف في قوله ام مال اصابوا قال فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال
اصابوا اي اصابوه ولا يخفى ان هذا التكلف لا يتمشى في ساير الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور العايد ومعنى
لا تجزي لا تقضي عنها شيئًا من الحقوق ومنه الحديث في الجذعة التي ضحى بها ابن نيار قبل الوقت تجزي عنك ولا
تجزي عن احد بعدك وشيئًا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلًا من الجزا مثل ولا يظلمون
شيئًا ومعنى تنكير النفس ان نفسًا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئًا من الاشيا وهو الاقناط الكلي القاطع
للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي **وفي
الحديث** لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحالة
الحميدة ولا فداء والضمير في ولا يقبل منها يرجع الى النفس الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يوخذ منها
عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى
على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئًا ولو اعطيت عدلًا منها لم يوخذ منها ولا هم ينصرون
الضمير عايد الى ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد او الاناسي مثل ثلاثة انفس
وفي وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه على ان الخطب شديد لانه اذا وقع احد في كريهة وحاولت
اعزته دفع ذلك عنه بدت بما في نفوسها الابية من مقتضى الحمية فتحمل عنه ما يلزمه وتذب عنه كما يذب الوالد
عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان راي من لا طاقة له بمانعته عاد بوجوه الضراعة ومنون الشفاعة
وبذل المال والنوال فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فاذا لم يغن هذه الامور تعلل بما امكنه من نصر
الاخوان ومدد الاعوان فاخبر الله تعالى ان شيئًا من هذه لا يدفع يومئذ من عذابه وفي هذا تحذير من
من المعاصي وترغيب في تلافي ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة
ولا فدية علم انه لا ينفعه الا الطاعة وتلافي البوادر فالاية وان كانت في بني اسرايل الا انها تعم كل من يحضر
ذلك اليوم **فان قيل** قدم في هذه الاية قبول الشفاعة على اخذ الفدية وفي موضع اخر
من هذه السورة عكست القضية فما الحكم في ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال اشد من ميله الى علو
النفس فيتمسك اولا بالشفيع ثم يستروح الى بذل المال ومنهم من على العكس فيقدم الفدية على الشفاعة
فتغيير الترتيب اشارة الى الصنفين والله اعلم **واعلم** ان الشفاعة هو ان يستوهب احد
لاحد شيئًا ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردًا فصار بالشفيع شفعًا ثم
ان الامة اجمعت على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم مرتبة الشفاعة في الاخرة وعليه يحمل قوله تعالى عسى ان
ان يبعثك ربك مقامًا محمودًا ولسوف يعطيك ربك فترضى واجمعوا على انه لا شفاعة للكفار بقي الخلاف
فيمن عداهم فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب بقي خالدًا في
النار ولا شفاعة له ولكبار الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الاية تدل على نفي الشفاعة مطلقًا والايات

والاحاديث

والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة كثيرة فتعرفها ان الاية ليست على عمومها لكن الايات الواردة في وعيد
صاحب الكبيرة كثيرة كقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا فتخرج عنهم
صاحب الكبيرة وتبقى الاية حجة في الكفار وفي صاحب الكبيرة وزعم اهل السنة ان اليهود كانوا
يدعون ان اباهم الانبيا يشفعون لهم فايسوا من ذلك **والجيب**
بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجي سائر حجج الفريقين في الايات المناسبة ان شاء
الله تعالى وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود عام الفيض والنقصان من
القابل وجاز ان لا يكون الشي مستعدا لقبول الفيض من واجب الوجود الا انه يكون مستعدا لقبول ذلك
الفيض من شي قبل عن واجب الوجود فيكون ذلك الشي متوسطا بين الواجب وذلك الشي مثاله في المحسوس
الشمس فانها لا تضي الا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مقابلا لم يكن مستعدا لقبول النور منها لكنه
لو وضع طست مملو من الماء الصافي انعكس منه الضوء الى السقف فارواح الانبيا كالوسايط بين واجب
الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالما بين الشمس وبين السقف وهذا يدل على انه لا واسطة بين الله تعالى
وبين عباده اشرف من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث انه لا شفاعة الا له **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم**
مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ
ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
القراءة سو العذاب وسو الحسنات بغير همز حيث وقفنا مفتوحة الاصبهاني عن ورش
وعدنا حيث كان ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد موسى بالامالة المفرطة كل القراء حمزة
وعلي وخلف وعن ابي عمرو وجهان احدهما فعلي وبالامالة بين الفتح والكسر وان جعلته على
مفعل فبالفتح لغير من اتخذتم وبابه بالاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى والبرجمي
والفرقان لعلكم مدغما عباس وكذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين
وهي الواو المضموم ما قبلها وتكون لها الكلمة ابا والياء المكسور ما قبلها مثل النبيين لما
والالف المفتوح ما قبلها مثل وما كان لمومن ومما اشبه ذلك الوقوف نساكم عظيم تنظرون
ظالمون تشكرون تهتدون **التفسير انه سبحانه لما قدم ذكر**
النعمة على بني اسرائيل اجمالا اخذ في تفصيلها واحدة فواحدة فيكون ابلغ في التذكير واعظم في الحجة
كانه قال اذكروا نعمتي واذكروا اذ نجيناكم واذ فرقنا واذ كان كذا وكذا واذ في جميع هذه
القصص بمعنى مجرد الوقت مفعول به لاذكروا واصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة
لمكان العالي لان من صار اليه نجا اي تخلص من ان يعلوه سيل او لان الموضع تخلص مما انحط عنه
واصل آل اهل بدليل اهيل فابدلت الهاء في تحقيره وتكسيره على الاعرف فابدلت الى الالف على خلاف القياس

ثم الي آل وحو با فالالف فيه بدل عن همزة بدل عن ها ولا يستعمل الآل الا في من له خطر يقال آل النبي
وال الملك ولا يقال ال الحايك واما يقال اهله وهكذا لا يقال ال البلد وال العلم وانما يقال اهلهما وعند
الكسائي اصله اول بدليل تصغيره عند بعضهم علي اويل كانهم يؤولون الي اصله قلبت الواو الفا علي
القياس وفرعون علم لمن ملك العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم
وكسرى لملك الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن واختلف في اسمه فابن جريج ان اسمه مصعب بن ريان
وابن اسحاق انه الوليد بن مصعب ولم يكن من الفراعنة اغلظ وانسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان
اهل الكتابين قالوا ان اسمه قابوس وكان من القبط **وقيل ان فرعون**
يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى
اكثر من اربعمائة سنة وقال محمد بن اسحاق هو غير فرعون وان اسم فرعون يوسف الريان بن
الوليد والمراد بال فرعون اتباعه واعوانه الذين عزموا علي اهلاك بني اسرائيل بامره ولعتو الفراعنة
اشتقوا منه تفرعن فلان اذا عتا وتجبر و يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم
اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه
بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر الشيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء
الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الي سائر
والمراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن اسحاق انه
جعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعماله فمن باب وحارث وزارع ومن لم يكن عاملا وضع عليه جزية يؤديها السدي
كان يجعلهم في اعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب ان كون الانسان تحت تصرف الغير كيف يشا لا سيما
اذا استعمله في الاعمال الشاقة القذرة من غير ان ياخذهم رافة واشفاق من اشد العذاب حتى ان
من هذه حالته ربما يتمنى الموت **سئل حكيم** اي شي اصعب من الموت فقال ما يتمنى
فيه الموت فبين تعالى عظم نعمته عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذلك بنعمة اخرى فقال يذبحون
ومعناه يقتلون الذكور من اولادكم دون الاناث والذي دعاهم الي ذلك امور منها ان ذبح الابنا يقتضي
افنا الرجال وانقطاع النسل بالاخرة ومنها ان هلاك الرجال يقتضي فساد معيشة النسا حتى
يتمنين الموت من التاكد والفقر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل والكد والرجاء القوي في الانتفاع بالمولود من
اعظم العذاب ومنها ان الابنا احب وارغب من البنات ولهذا قيل سرورك بما لها ثالث حيوة البنين
وموت البنات لقوله صلي الله عليه وسلم دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكور
يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعدا وذلك نهاية الذل والهوان **قال بعضهم**
المراد بالابنا الرجال ليطابق النسا اذ النسا اسم للبالغات وهو جمع المراة من غير لفظها قالوا وانما
كان يامر بقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون علي ان المراد بالابنا
الاطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال علي كثرتهم ولانهم كانوا محتاجين اليهم في اعمال
الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن للقاء موسى في اليم معنى واما بقتل البنات في مقابلة الابنا لانهن
لما لم يقتلن كن بصدد ان يبلغن فجنس اطلاق اسم النسا عليهن مثل ابي اذا ابي اعمر خبرا عن ابن عباس
انه وقع الي فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابراهيم ان يجعل في ذريته انبيا وملوكا فخافوا ذلك واتفقت
كلمتهم علي اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما راوا ان
كبارهم يموتون والصغار يذبحون خافوا فناءهم وان لا يجدوا من يباشروا الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون
عاما دون عام وعن السدي ان فرعون راى نارا اقبلت من بيت المقدس حتى استولت علي بيوت مصر فاحرقت
القبط وتركت بني اسرائيل فدعي فرعون الكهنة وسالهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من ان يكون هلاك
القبط علي يده **وقيل ان المنجمين** اخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهذا
قال يقتل ابناؤهم في تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم والتعبير لا يكون امرا
مفصلا والاقرب ذلك في كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون امرا محتملا والظاهر من حال القا قل انه لا يقدم

مطلب دخول يوسف مصر وبين دخول موسى

على هذا

على هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في اجلى البديهيات وهو ان
ممكن الوجود يعده من العقلا لا يكون من العقلا ثم قال ذلك القايل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق
الانبيا الا انه كان كافرا كفر الجحود او يقال انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق ابراهيم عليه السلام
وا قدم على ذلك الفعل احتياطا **قلت** اذا اخبر الله تعالى عنه بانه قال
انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيري فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبيا وجعل
كفره كفر جحود ومن اصدق من الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فان قلت لم ذكر يذبحون
ههنا بلا واو وفي سورة ابراهيم بواو فالوجه فيه انه اذا جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون
فلا حاجة الى الواو وانما جاء ههنا وفي الاعراف يقتلون بغير الحرف كذلك واذا جعل يسومونكم مفسرا باسباب التكاليف
الشاقة سوى الذبح وجعل الذبح شيئا اخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفي الاعراف يقتلون بغير واو
لانهما من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي في ابراهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مامورا بذلك
في قوله وذكرهم بايام الله **وعن بعضهم** ان معنى يستحيون يفتشون حيا المرارة اي
فرجها هل بها حمل ام لا وفيه تعسف والبلاء المحنة اذا اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير الى الانجاء
ويحمل على النعمة اولى لانها هي التي يحسن اضافتها الى الرب تعالى ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى
على اسلافهم حيث عاينوا اهلاك من حاول على اهلاكهم وان كان من بالغ في اذلالهم وههنا نكتة وهي انهم كانوا
في نهاية الذل وخصمهم في غاية الاستعلا والغلبة الا انهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب
الحق غالبا والمبطل مغلوبا فكانه قيل لا تغتروا بتفرق محمد صلى الله عليه وسلم وقلة انصاره في الحال سينقلب
العز الى جانبه والذل الى جانب اعدائه **وفيه تنبيه** على ان الملك بيد الله
يوتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا وينسى امر الاخرة قال اهل الاشارة النفس الامارة هي
وصفاتها الذميمة واخلاقها الردية تسوم الروح الشريف ذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء
بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في الاعمال القذرة الحيوانية ولا ينجيه من ذلك الا الله تعالى قوله واذ
فرقنا لغة اخرى في لغة اي فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط وكانوا اثني
عشر ومعنى بكم انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما او يراد فرقناه بسبب
انجائكم او يكون حالا اي ملتبسا بكم روي انه تعالى لما اراد غرق فرعون والقبط وبلغ بهم الحال في معلوم
الله تعالى انه لا يومن احد منهم امر موسى بني اسرائيل ان يستعيروا حلى القبط لئلا يخرجوا خلفهم لاجل
المال واما لتبقى اموالهم في ايديهم ثم نزل جبرائيل وقال اخرج ليلا كما قال تعالى واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي ليلا وكانوا ستمائة الف كل سبط خمسون الفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لا تتبعوهم
حتى يصيح الديك **قال الراوي** فوالله ما صاح ليلتئذ ديك فلما اصبحوا دعا فرعون
بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تناول كبد هذه الشاة حتى يجتمع ستمائة الف من القبط قال
قتادة فاجتمع اليه الف الف ومايتا الف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فاتبعوهم
مشرقين اي بعد طلوع الشمس فلما سار بهم موسى الى البحر قال له يوشع ابن نون اين امرك ربك فقال له موسى الى امامك
واشار الى البحر فاقحم يوشع فرسه في البحر فكان يمشي في الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس وهو عليه ثم رجع
وقال له يا موسى اين امرك ربك فقال له موسى البحر فقال والله ما كذبت وما كذبت ففعل ذلك ثلاث
مرات فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فانشق البحر اثني عشر طريقا فقال له ادخل وكان
فيه وحل فهب الصبا نحو البحر حتى صار طريقا يبسا فاخذ كل سبط منهم طريقا ودخلوا فيه فقالوا لنبيهم
اين اصحابنا لا نريهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني
على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان المياه فصارت فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا الا انهم ثم اتبعهم فرعون فلما بلغ شاطئ البحر راى ابليس واقفا فنهاه عن الدخول فهم
بان لا يدخل البحر فجاء جبرائيل على رمكة فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون ودخل البحر فصاح ميكائيل
بهم الحقوا اخركم باولكم فلما دخلوا البحر بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى واذ

مطلب عسكر موسى وفرعون

مطلب التأويل

نسب موسى

واذ فرقنا ال فرعون قيل ذلك اليوم كان يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم ثم شكر الله ومعنى
قوله وانتم تنظرون انكم ترون التطام امواج البحر بفرعون وقومه وقيل ان موسى سالوا ان يريهم الله حالهم
فسال موسى ربه فلفظهم البحر الف الف وما يتي الف نفس فنظروا اليهم طافيا **وقيل** المراد وانتم
بالقرب منهم قال الفراء وهو مثل قولك لقد ضربتك واهلك ينظرون اليك فما اغاثوك تقول ذلك
اذا قرب اهلك منه وان كانوا لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها
ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب وفرعون النفس الامارة وقومه صفات النفس والعصا
الذكر فينفلق بحر الدنيا بنفي لا الدو فينشك ماء شهواتها يمينا وشمالا ويرسل الله ريح العناية وشمس الهداية
على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيعبرونه وينجيهم عناية الله الى
ساحل دار الى ربك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه والله اعلم **ولما دخل بنوا
اسرائيل مصر** بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ونسبه
موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ان ينزل عليه
التوراة وضرب له ميقاتا ذي القعدة وعشر ذي الحجة وانما قيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي
وقال اهل التحقيق لان الليلة وقت العبادة والخلوة فخصت بالذكر لشرفها ولعدد الاربعين خاصية
لن ينكرها اهل الذوق **ولهذا جاء في الحديث** من اخلص لله اربعين
صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والجنين يتقلب في الاطوار في الاربعينات قال ابو العالية
وبلغنا انه لم يحدث في الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا يدرى تقدير مضافا اي انقضاء الاربعين
كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اي تمام الاربعين ومن قراء واعدنا من المواعدة فمعناه
ان الله تعالى وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله في
الاعراف كقوله ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فصلا اولا ثم اجمل ومعنى ثم في قوله
ثم اتخذتم استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته له لانه تعالى لما وعد حضور الميقات
لانزال التوراة عليه بحضرة السبعين تنبيها للحاضرين وتعريفا للغائبين واظهارا لدرجة موسى وساير
بني اسرائيل واتوا عقيب ذلك باشنع انواع الجهل والكفر كان ذلك في محل التبعيد والتعجيب كما تقول
اني احسنت اليك وفعلت كذا وكذا ثم انك تقصدني بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه
ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه
فعل يفعل قالوا تخذ يتخذ وقد اجري اتخذ مجرى الافعال القلبية في الدخول على المبتدا والخبر نحو حسبت
وصير فالتقدير اتخذتم العجل الها الا انه حذف الثاني للعلم به ولذكره في مواضع اخر منها في طه فقالوا
هذا الهكم واله موسى وقوله من بعده من بعد مضيه الى الطور **قال اهل السير**
لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقي مع بني اسرائيل الثياب والحلي التي استعاروها من القبط قال
لهم هارون ان هذه الثياب والحلي لا يحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا واحرقوها وكان السامري في مسيره
مع موسى عليه السلام في البحر نظر الى حافر دابة جبرائيل حين تقدم في البحر فقبض قبضة من تراب حافر
تلك الدابة ثم ان السامري اخذ ما كان معه من الذهب والفضة منه عجلا والقى فيه ذلك التراب
فخرج منه صوت كانه الخوار فقال هذا الهكم واله موسى فاتخذه القوم لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى
بالظلم في قوله وانتم ظالمون كما قال ان الشرك لظلم عظيم وذلك لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه
والمشرك وضع اخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو في وانتم اما للحال واما للاعتراض اي وانتم
قوم من عادتكم الظلم **وقال اهل التحقيق** ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال
صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة وقال ما عبد اله ابغض
الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاندوه كانه قال
ان هؤلاء انما يتعززون باسلافهم ثم ان اسلافهم كانوا في البلادة والجهالة والعناد الى هذه الغاية
فكيف هؤلاء الاخلاف الاجلاف وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم مما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود

والنصارى

والتمادي من الخلاف والشاقة فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وتحذير للعقلاء من الجهل والتقليد
ولا افظع شان الجهل المفرط رضوا بان يكون العجل الها وما رضوا بان يكون البشر نبيا وقد
تحمل بعضهم لتفخيخ وافتتن عبدة العجل حيث استعبدوا وقوعها منهم مع انهم شاهدوا تلك المعجزات
الباهرة التي تكاد تكون قريبة من احد الالجاء في الدلالة على الصانع وصدق النبي ان السامري
الى القوم ان موسى عليه السلام انما قدر على ما اتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال
للقوم انا اتخذ لكم طلسما مثل طلسمه وروج عليهم ذلك بان جعله بحيث خرج منه صوت عجيب
واطمعهم في صيرورتهم مثل موسى في اتيان الخوارق او لعل القوم كانوا مجسمة وحلولية فجوزوا
واحلول الاله في بعض الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين امة
موسى عليه السلام وامة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم بعد مشاهدة الايات العظام الغريبة من الافهام
عبدوا الاصنام بل الانعام وامة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان معجزتهم القران الذي لا يعرف اعجازه
الا بالنظر الدقيق والبحث العميق لم يخالفوا نبيهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات
اهل الاباطيل لمثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل قوله ثم عفونا عنكم اي حين تبتم فان قتلتم
انفسكم من بعد ذلك الذي ارتكبتموه من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة العفو ومعنى الترجي
في كلام الله قد مر في قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه منزلا وفرقانا يفرق
بين الحق والباطل يعني التوراة نحو رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجودة والجراءة والتوراة
والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات والشرع الفارق بين
الحلال والحرام **وقيل الفرقان** انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين
هناك ان ذلك لاجل موسى وفي هذه الاية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذي
فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر وقيل انه امور بالتوراة ومحمد
الفرقان لكي تهتدوا به يا اهل الكتاب وفيه تعسف ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ

يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ
بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ
فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ وَإِذْ قُلْتُمْ
يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ
الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا
عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ **القراءة**

بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وكذا قرا ابو عمرو
بالاختلاس انه هو مدغما ابو عمرو وغير عباس وكذلك كلما كان بينهما ياء او واو وملفوظة مثل دونه

هو وانه هو واشباه ذلك حتى حيث كان بالامالة نصير والعجلي نري الله مكسورة الراء ابن روحي
عن عباس وابو شعيب عن اليزيدي وكذلك كل راء بعدها يا استقبلها الف ولام مثل ولو يري الذين
والنصاري المسيح حيث مفتوحة الالف فبنية السلوي بالامالة الشد بن حمزة وعلي وخلف وقرا ابو
عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كلمة على مثال فعلى الوقوف فاقتلوا انفسكم عند باريكم ان التقدير
ففعلتم فتاب عليكم عليكم الرحيم تنظرون تشكرون السلوي ما رزقناكم يظلمون **التفسير**
اعلم ان سبحانه وتعالي نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون
منه وذلك من اعظم النعم في الدين وايضا لما امرهم بالقتل ورفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية
كان ذلك نعمة في حق الباقين وفي اعقابهم الي زمن محمد عليه السلام وايضا لما بين ان توبة اولئك
ما تمت الا بالقتل ظهر ان بعثة محمد لهم نعمة ورحمة لانه لا يامرهم بشي من ذلك متي رجعوا عن كفرهم
وفيه ترغيب لامة محمد صلى الله عليه وفي التوراة قال امة موسى لما رغبوا في تلك التوبة مع
نهاية مشقتها على النفس فلا يرغب احد تائب بمجرد الندم كان اولى هذا وقدم ان الظلم وضع الشي في
غير موضعه الا انه لا بد فيه من تعدي ضرر فبين هنا ان الضرر انما يعود على انفسهم فلذلك استحقوا
العقاب الابدي والفرق بين الفاآت الثلث في الاية ان الاولي للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة
والثانية للتعقيب اما لان المعني فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة معنى قتل النفس
في شرعهم الا بالندم اولان القتل تمام توبة المرتد في شرعهم والمعني فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل
تتمة لتوبتكم كما ان التائب عندنا لا تتم توبته في شرعنا الا بتسليم النفس حتى
يرضي اولياء المقتول او يقتلونه ومعنى الي باريكم النهي عن الرياء في التوبة كانه قيل لو
اظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم خير لاحكم اي القتل
خير لكم عند باريكم جملة معترضة تفيد التنبيه على ان ضرر الدنيا اهون من عذاب الاخرة اذ لا نسبة
للمتناهي الى غير المتناهي والموت لابد واقع فليس في تحمل القتل الا التقديم والتاخير والثالثة الفا الفصيحة
اي المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم وعلى هذا يكون الكلام خطابا من الله تعالى
لهم على طريق الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط منتظم في جملة قول موسى كانه قال فان
فعلتم فتاب عليكم وانما اختير هنا الموضع بن الباري لانه معناه كما مر والمتميز الذي
خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العليم
الحكيم الذي برائهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة بريا من التنافر مناسبة الحكم والمقاصد
الي عبادة العجل الذي هو مثل في البلادة والغباوة فلا جرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من
خلقتهم وتبديد ما نظم من اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها باتخاذ من لا يقدر
على شي منها والمراد بقتل الا نفس اما انما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه
والقتل اسم للفعل المؤدي الي زهوق الروح في الحال او في المال **واما قتل**
بعضهم بعضا وعليه الجمهور لقوله ولا تقتلوا انفسكم ولا تلمزوا انفسكم وفسلموا على انفسكم
وذلك ان المومنين كنفس واحدة ثم اختلفوا فقيل انه امر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين
لحضور الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما امرهم موسى عليه السلام بالقتل اجابوا فاخذ عليهم
المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هرون بالاثني عشر الفا
الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقالوا ان هولاء اخوانكم فقد اتوكم شاهرين السيوف
فاحتبوا افنية بيوتكم واتقوا الله واصبروا ولعن الله رجلا قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم بيد
او رجل ويقولون امين **روي ان الرجل كان** يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه
فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فجعلوا يقتلونهم الى
المساء وقام موسى وهرون يدعون الله ويقولون هلكت بنو اسرائيل البقية البقية يا الهنا
فكشفت الضبابة والسحابة واوحى الله تعالى اليه قد غفرت لمن قتل وتبت على من لم يقتل قالوا

وكانت القتلى

وكانت القتلى سبعين الفا وقيل كانوا قسمين منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبده ولكن لم ينكر على
ما عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى
قالوا معنى قتل الانفس هو قمع الهوى لان الهوى حيوة النفس قوله واذ قلتم يا موسى ذهب بعض
المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل بالقتل قال محمد بن اسحاق
لما رجع موسى عليه من الطور الى قومه فراى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه والسامري
ما قال واحرق العجل ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا
لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسال موسى ذلك فاجابه الله اليه فلما دنى من الجبل وقع عليه عمود
من الغمام وتغشى الجبل كله ودنى موسى عليه السلام من ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم
ادخلوا وعوا وكان موسى متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل النظر
اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة
اخرجتكم من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل
فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك يعني اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله
جهرة عيانا وهي مصدر في الجهر بالقراءة وبالدعا كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي
يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه نوع من الرؤية كما ان تلك
نوع من القعود ويحتمل ان يكون منصوبا على الحال بمعنى ذو جهرة ومن قرا جهرة بفتح الهاء فانه
مصدر كالغلبة واما انه جمع جاهر وانما اكدوا بها لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم او التخيل على
ما يراه النائم فاخذتهم الصاعقة وهي ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل
صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة
وصعقة موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشوة بدليل فلما افاق والظاهر انه اصابهم
ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء يدعوا ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل
سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع اليهم وليس معي واحد فما الذي يقول في قومي فلم
يزل يدعوا حتى رد الله اليهم ارواحهم وذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث
بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها فطلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان تقتلوا
انفسهم **وقيل** ان هذه الواقعة كانوا بعد القتل قال السدي لما تاب بنوا اسرائيل
عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان يأتيه موسى في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من
عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل
ثم اخترت من بينهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون معي احد منهم فماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان
هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك فاحياهم الله تعالى فقاموا ونظر
كل واحد الى الاخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا يا موسى انك لا تسال الله شيئا الا اعطاك فادعه يجعلنا
انبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته **هذا ما قال المفسرون**
وليس في الاية ما يدل على ترجيح احد القولين على الاخر واعلم ان الذين سالوا الرؤية عبدة
العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة لانه خطاب مشافهة ولانه
لو ثبت ذلك لوجب تخصيصه بقوله في حق موسى فلما افاق مع ان لفظة الافاقة لا تستعمل في الموت ثم في الاية
فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا عن فعل ما يستحق بسببه ان يفعل به ما فعل باولئك
ومنها تشبيه جحودهم معجزات النبي عليه السلام بجحود اسلافهم نبوة موسى عليه السلام مع مشاهدتهم لعظم
تلك الايات لينبهوا انه انما لا يظهر على النبي عليه السلام مثلها لعلمه بانه لو اظهرها لجحدوها ولو
جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقوه اسلافهم ومنها التسلية للنبي عليه السلام وتثبيت لفؤاده كي
يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد عليه السلام لو صحت لكان اولى

الناس بالايمان به اهل الكتاب حيث انهم عرفوا خبره وذلك ان الله تعالي بين اسلافهم بعد مشاهدت تلك الايات
كانوا يرتدون كل وقت ويتحكمون عليه فكيف يتعجب من مخالفتهم محمد عليه السلام وان وجد واي كتبهم
اخبار نبوته ومنها لما اخبر محمد عليه السلام عن هذه القصة مع كونه امينا تبين ان ذلك من قبل الوحي
في ههنا بحث وهو ان المعتزلة استدلوا بالاية علي امتناع روية الله تعالي لانها لو كانت امرا جايز الوقوع
لم تنزل بهم العقوبة لما نزل بهم حين التمسوا التقاضي فوت الي فوت في قولهم لن نصبر علي طعام واحد واجيب
بان امتناع رويته تعالي في الدنيا لا يستلزم امتناع رويته في الاخرة وهو الذي هو محل النزاع فلعل رويته تقتضي
زوال التكليف من العبد والدنيا مقام التكليف وايضا اقتراح دليل زايد علي صدق المدعي بعد ثبوته تعنت وايضا
لا يمتنع اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا
جاء الاستنكار ان مطلبة الروية جهرة مطالعة وازداد غفلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة ما لا يستحسنه
قضية العزة والحشمة قوله وظللنا اي جعلنا الغمام تظلكم وذلك في ايتيه كما سيجي في المائدة سخر الله السحاب
تسير بسيرهم تظلهم من الشمس والظل ضوء ثان وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا
تبلى واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لادم قبل الزلة وينزل عليهم المن وهو
الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الي طلوع الشمس لكل انسان صاع لا ازيد ويبعث الله الجنوب فتحشر
عليهم السلوي وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا ازيد مجاهد المن صمغ حلو وهب هو الخبز السميد
الزجاج هو ما من الله تعالي عليهم وهذا كما يروي مرفوعا الكماة من المن وفيها شفا العين وقيل طار احمر
كلوا علي ارادة القول اي وقلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم ومعنا الاباحة وما ظلمونا
يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم فجعلوا موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذف لدلالة وما
ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عايد عليهم لا الي غيرهم ولا الي الله تعالي

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
رَغَدًا وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ
خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا
قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا
رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝

القراءة

يغفر لكم بضم اليا التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وجبلة تغفر لكم بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء ابن عامر وابو زيد عن المفضل الباقون نغفر بفتح النون وكسر الفاء نغفر لكم مدغما كل القراء ابو عمرو خطاياكم وبابه بالامالة علي قولان غير بالاخفاء يزيد وابو نشيط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة او لها الوقوف عند خطاياكم المحسنين يفسقون

التفسير

القرية مجتمع الناس من قريت الماء في الحوض اي جمعت وبهذا الاعتبار كثيرا ما يطلق القرية علي البلدة والجمع القري علي غير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فعال نحو ركوة وركاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروي وهو علي القياس عند يونس حيث قال ظبوي في النسبة الي ظبية وعلي اختلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبيي علي مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل اريحا من قري الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية **وقيل** باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الي الباب تواضعا وشكرا لله تعالي **وقيل** السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم

باضارت

باخبات وخشوع وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا روسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على
اوراكهم وحطة فعلة من الحط كالجلسة خبر مبتدا محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك حطة واصلها
النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة ورفعت لافادة الثبوت كقوله شكا الي جملي طول السرى يا جملي
ليس الي المشتكي صبر جميل فكلانا مبتلى الاصل صبرا اي اصبر صبرا كان القوم امروا ان يدخلوا الباب
على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح
والاستغفار باللسان وذلك ان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب
ثم تاب بعده لزمه ان يحكي توبته لمن شاهد منه الذنب لا لان التوبة لا يتم الا به اذ الاخرس يصح
توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الي التوبة ولازالة التهمة عن نفسه
وكذا من عرف بمذهب خطا ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطا عدوله
عند زوال التهمة عنه في الثبات على الباطل وليعودوا الي موالاته بعد معاداته ويحسنوا الظن به

وعن ابي سالم الاصفهاني ان معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه
القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القرات في نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفرها
الله تعالى فقد غفرت فاذا غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المونث وحال بينه
وبين الفاعل حايل جاز التذكير والتانيث والخطا الذنب قال تعالى ان قتلهم كان خطا كبيرا
تقول منه خطي يخطا خطا وخطاة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله
خطايي ثم همزوا بدل الهمزة الفا فانفتحت اليا لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثاني محذوف
للعلم به ولمكان الفاصلة اي سنزيدهم احسانا او ثوابا او سعة وذلك ان المراد من المحسنين اما
من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في ساير التكاليف وعلى الاول
فالزيادة الموجودة انما تنفعه دينية اي المحسن بها تزيد على غفران الذنوب ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى
انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم حطة موثرا في غفران الذنوب ثم اذا اتيتم بعد ذلك بطاعات اخر
زدناكم ثوابا ويحتمل ان يكون انهم مستثناة ممن يخطي بتغيير الكلمة سببا للغفران ومن محسن تصير سببا للزيادة
ثوابه قال تعالى فبدل الذين ظلموا قال ابو البقا التقدير فبدلوا بالذي قيل لهم قولا غير
الذي قيل لهم فبدل يتعدى الي مفعولين واحد بنفسه والاخر بالبا والذي مع البا يكون هو المتروك
والذي بغير با هو الموجود ويجوز ان يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول
والمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الي قول ليس معناه معنى ما امروا به
ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ معين وهي لفظة حطة فجاوا بلفظ اخر لانهم لو
جاوا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يواخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك واللهم
اعف عنا ونحو ذلك

وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالسريانية قوم
يتزلون بالبطايح بين العراقين حطا سمقاثا اي حنطة حمرا استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند
الله الي طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله عليه السلام قال قيل لبني اسرايل
ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة
في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز
عليهم لظلمهم وهوان وضعوا غير ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالطاعون منهم اربعة
وعشرون الفا في ساعة واحدة

وقال ... بن زيد بعث الله عليهم الطاعون
حتى ما توارى الغداة الي العشي عشرون الفا وقيل سبعون الفا ومعنى من السما يحتمل ان يكون نازلا
من جهة العلو كريح ونحوه ويحتمل ان يراد من قبيل الامر النازل من عند الله تقطيعا لشان العذاب والفسق
هو الخروج عن طاعة الله الي معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفايدة
التكرار التاكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل مستمر الي اوان هذا الظلم وهذا
اظهر لزوال التكرير ولان لفظة كانوا ينبي عن حصلة مستمرة والحصلة الواحدة المعينة لا يبقى فيها الاستمرار

فلو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا وربما احتج اصحاب الشافعي بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا انه لا يجوز
تحريم الصلوة بلفظ التحميد والتعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة المنزلة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل كل ما ورد
به التوقيف من الاذكار بغيرها **واجيب** بانهم استحقوا الذم لتبديلهم
القول الى قول اخر يضاد معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى
فليس كذلك ورد بان ظاهر الاية يتناول كل من بدل قولا بقول اخر سواء اتفق القولان في المعنى ولم
يتفقا سؤال لم قال في البقرة واذ قلنا وفي الاعراف واذ قيل لانه صرح في اول القران ازالة للابهام
ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتي وفي الاعراف لم يبق الابهام ولم قال ههنا ادخلوا وهناك
اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدم في الذكر على الاعراف ولم قال في البقرة فكلوا
وفي الاعراف وكلوا بالواو ولما بينا في قوله وكلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة خطاياكم
وفي الاعراف خطيئاتكم لان الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة ولما اضاف القول
ههنا الى نفسه فكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة وهناك لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ
الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا ليدل على الانعام الاتم ولم يذكر في الاعراف
ولم قال ههنا ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين
صنفان محسن ومذنب واللائق بالمحسن تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس
وازالة العجب واللائق بالمسيء عكس ذلك ولانه ذكر في هذه السورة ادخلوا هذه فقدم كيفية الدخول
ولم قال في البقرة وسنزيد المحسنين وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر امرين قول الحطة وهو اشارة
الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزاءين احدهما الغفران والاخر الزيادة فترك
الواو ليفيد توزع الجزاءين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعني
دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو وايضا الاتصال اللفظي حاصل في هذه السورة بين قوله
وقلنا وسنزيد بخلاف الاعراف لان اللائق به في الظاهر سيزاد فحذف الواو ليكون استيناف الكلام وما
الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبني على التخصيص ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه واوامره عليهم فلما انتهت القصة
قال فبدل الذين ظلموا منهم وههنا ذكر امة جائرة فصار اخر الكلام مطابقا لاوله واما في البقرة فلم
يذكر في اول الايات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في اخر القصة مثل ذلك لم قال في البقرة فانزلنا وفي الاعراف
فارسلنا لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستيصالهم بالكلية
وذلك انما يحدث بالاخر **وقيل** لان لفظ الارسال في الاعراف كثير فراعى التناسب
لم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين في البقرة كون الظلم فسقا اكتفى
بذلك البيان في الاعراف والله اعلم ٭

وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ

الذي

الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ
لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ
مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ ۞ **القراءة** عامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين
للتخفيف عليهم الذلة بضم الهاء والميم حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء
ياء ساكنة وافق سهل اذا كانت قبل الياء فتحة فقط وقرا ابو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء
وضم الميم النبيين وبابه بالهمز نافع الا في موضعين في الاحزاب ان وهبت نفسها للنبي عليه السلام
وبيوت النبي الا فروى اسماعيل وقالون عند بغير همز الوقوف الحجر لحق المحذوف اي فضرب
فانفجرت عينا مشربهم مفسدين وبصلها هو خير ما سالتم لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤول
اليه حالهم من الله بغير حق يعتدون **التفسير جمهور المفسرين** سوى
ابي مسلم على ان هذا الاستسقا كان في التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب
بعصاك الحجر اما العصا فقال الحسن كانت عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة
طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة واما الحجر فاللام اما للعهد
والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من
كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا
ستمائة الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا **وقيل** اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى
وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو
اسرائيل بالادرة ففر به فقال له جبرائيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة
فحمله في مخلاته واما الجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه
قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة ثم انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليس فيها حجارة فحمل حجرا
في مخلاته فحيثما نزلوا القاه واما الصفة والشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل
راس الانسان وقيل له اربعة اوجه كما مر وهذا اذا لم يعتبر الفوقاني ومقابله واما الضرب فقيل كان
يضربه بعصا فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه
لا تقرع الحجارة كلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء في قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق في فتاب عليكم
وفي هذا الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة
الى الافصاح به والانفجار والانبجاس واحد ومعناه خروج الماء بسعة وكثرة واصل الفجر الشق ومنه
الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بمخالفتهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا ووجهه بان الفجر في الاصل
الشق والبجس الشق الضيق فلا تنافي فضلا كما لا تنافي المطلق والمقيد والعام والخاص ولعله انبجس
اولا ثم انفجر ثانيا وكذا العيون يظهر الماء قليلا ثم يكثر لدوام خروجه ولعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر
وتضعف اخرى فينبجس قد علم كل اناس اي كل سبط مشربهم كانه امر كل سبط ان لا يشرب الا من
جدول معين مسما المادة التشاجر فان العادة في الرهط الواحد ان لا يقع بينهم من التنازع مثل
ما يقع المختلفين وهذا ايضا من تمام النعمة عليهم واما فوق العاطف انه من قوله قد علم بيان وتفصيل
لما اجمل في قوله اثنتا عشرة كانه قيل هذا المجموع مشاع بينهم او مقسوم فقيل قد علم كلوا على ارادة القول
اي وقلنا او قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذي رزقناكم بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا
الماء وقيل ان الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء فكانه اعطاهم الماكول والمشروب والعثوا

اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان تكون مقررة لمضمون جملة
اسمية وقيل حال مستقل ومعناه النهي عن التمادي في حالة الافساد اما مطلقا او مقيدا بانه وقع التنازع بسبب
ذلك الماء فلا تبالغوا في التنازع ورد على هذا القول ان الافساد منهي عنه مطلقا **وهذا
التفسير** يقتضي ان يكون المنهي عنه هو التمادي في الافساد لا نفس الافساد والصحيح ان
يقال ان المنصوبات في قوله عز من قايل ولا تعثوا في الارض مفسدين ثم وليتم مدبرين وفي نحو قوله
تعالى جاثيا وقم قايما من الصفات التابعة مقام المصدر نحو قاعدا او تدبار الركب بقي في الاية بحث
وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير **والجواب** على القول بالفاعل
المختار ظاهر فان له ان يحدث اي فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سبب وواسطة واما عند
طالب الاسباب والوسايط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عندهم وجوز وا انقلاب صور
بعضها الى بعض فجاز استمداد الماء الكامن في الحجر من الهوا المجاور له ومثل هذا ما رواه انس انه اتي
النبي صلى الله عليه وسلم باناء وهو بالزوار فوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا
القوم **قال قتادة** لانس كم كنتم قال ثلثماية او زهاء ثلثماية بل معجزة نبينا صلى
الله عليه وسلم اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة اما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد قال
اهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم القالب بمثابة موسى وقومه وانه يستسقي ربه
لاروايها من ماء الحكمة والمعرفة فيضرب بعصى لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات تتقدان نورا
عند استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فينفجر اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا
الله قد علم كل سبط من اسباط الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة من القلب والنفس
مشربهم فيسقى في حظه بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم يا موسى الاية زعم بعض المفسرين ان هذا
السؤال منهم كان معصية فان اللايق بحال المكلف الصبر على ما ساقه الله تعالى اليه خصوصا اذا كانت
نعمة وعفوا صفوا ولاسيما اذا كان المسؤول ادون واخس ولهذا انكره موسى عليهم فقال استبدلون
وقال الآخرون انه غير معصية لان قوله كلوا واشربوا عند انزال المن والسلوى
وانفجار الماء امر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا اهل فلاحة فنزعوا الى مالوفهم وزغبة الانسان فيما اعتاده
في اصل التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاد وان كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسالوا
هذه الاطعمة التي لا يوجد الا في البلاد وغرضهم البلاد وايضا المواظبة على الطعام الواحد تميت الشهوة
وتضعف الهضم فيصح ان يكون التبديل مقصودا للعقلاء **ولهذا اجابهم الله تعالى**
الى ما سالوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك اللهم الا ان يكون من قبيل ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم ارادوا
بالوحدة نفي التبديل والاختلاف ولو كان على مايدة الرجل الوان عدة تداوم عليها ويا كلها كل يوم لا يبدلها
قيل لا يا كل فلان الا طعاما واحدا ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترفه
ونحن اهل زراعة ما نريد الا ما الفناه ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر والبقل ما انبتته الارض من
الخضر كالنعناع والكرفس والكراث وغير ذلك من اطايب البقول التي ياكلها الناس عادة والقثاء
الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو للعدس والبصل اوفق **وقال
بعضهم** الفوم الحمص لغة شامية ويقال هي الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا اي اختبزوا قال
الفراء هي لغة قديمة الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون مقدارا كقولهم في ضده هو بعيد المحل وبعيد
الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل
به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين اثني عشر فرسخا وثمانية ومصر
اما مصر فرعون والتنوين في القراات المعتبرة مع ان فيه العلمية والتانيث لسكون وسطه
كما في نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمة واما مصر من الامصار كانه قيل لهم ادخلوا بلدا اي بلد كان لتجدوا
فيه هذه الاشيا **ولما ذكر الله سبحانه وتعالى** صنوف نعمه على

مطلب التأويل

بني اسرائيل

على بني اسرايل اجمالا وتفصيلا اراد ان يبين حال حالهم ليكون عبرة للناظر وتبصرة لاولي الابصار وتحذيرا
للانسان عن الجحود والكفران المستعقب للخزي والهوان فقال وضربت عليهم الذلة اي جعلت محيطة بهم
مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط
فيلتصق به فاليهود صاغرون اذلا مسكنة ومدفعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان
تضاعف عليهم الجزية وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القران وحيا نازلا من السماء
على محمد صلى الله عليه وسلم هذا حالهم في الدنيا واما حالهم في العقبى فذلك قوله وباءوا بغضب من الله
من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء
بغضبه وهو ارادة انتقامه ذلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب بسبب
كفرهم بايات الله اي القران بل وبالتوراة لان الكفر به مستلزم للكفر بها وقتلهم الانبيا وقد
قتل اليهود لعنوا شعيا وذكريا ويحيى وغيرهم بغير حق اي من غير
ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل فان الاتي بالباطل قد يكون اعتقده حقا لشبهة عنت
وقد ياتي به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثاني اقبح وادخل في الفضيحة او كرر للتاكيد نحو
ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به ومحال ان يكون لمدعي الاله الثاني برهان والنبي بالهمز
فعيل بمعنى فاعل من نبا بالتخفيف اي اخبر لانه نبا عن الله قال سيبويه ليس احد من العرب
الا ويقول تنبا مسيلمة بالهمز غير انهم تركوا الهمز في النبي كما تركوا في الذرية والبرية والخابية الا اهل
مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك وقيل
اصله من نبات من ارض الى ارض اي خرجت منها الى اخرى وهذا المعنى اراد الاعرابي بقوله
يا نبي الله اي خرج من مكة الى مدينة فانكر عليه الهمز وقيل النبي بالادغام من النبوة وهو
ما ارتفع من الارض اي انه شرف على ساير الخلق فعيل بمعنى مفعول والجمع انبيا وعلى الاول انما جمع
على انبيا لان الهمز لما ابدل والزم الابدال جمع جمع ما اصله لام حرف العلة ذلك بما عصوا تاكيد
بتكرير الشي بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه ذنوبا اسلفت منه فعاقبه عند اخرها
هذا بما عصيتني وخالفت امري بما تجرات علي واغتررت بحلمي ويجوز ان يشار بذلك الكفر والقتل
على معنى انهم انهملوا في العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبيا
او يكون الباء بمعنى مع اي ذلك الكفر والقتل ما عصوا ساير انواع المعاصي واعتدوا حدود الله في كل
شي وقيل هو اعتداؤهم في السبت واعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة
بهم بين سبب ذلك اولا بما فعلوه في حق الله وهو جهلهم به وجحدهم لنعمه ثم ثناه بما يتلوه في العظم وهو
قتل الانبيا ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصي المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك في نهاية
الترتيب وقيل الاول اشارة الى متقدميهم والثاني اشارة الى من كان في عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانه تعالى بين سبب ما نزل من الفريقين من البلاء والمحنة ليظهر للخلايق ان
ذلك على قانون العدل وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفي
ال عمران ويقتلون الانبيا بغير حق منكرا قلنا الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل
ما في قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان
وقتل نفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا واما الحق المنكر فالمراد تاكيد العموم اي لم يكن هناك
حق لا هذا الذي يعرف المسلمون ولا غيره والله تعالى اعلم ان الذين

امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين
من امن منهم بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞
ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ
الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۞ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ

القراءة

النصارى بالامالة: ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وورش طريق البخاري والخزاز عن هبيرة وكذا
كل راء بعدها الف، وروى قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك قوله سكارى واسارى ويتوارى
واوارى كلها بالامالة مما قبل الالف والصابين بغير همز ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان
شئت الهمزة الموقوف عند ربهم لنوع عدول عن اثبات الى نفي مع اتفاق الجملتين يحزنون
الطور لان التقدير قلنا لكم خذوا تتقون من بعد ذلك لان لولا للابتداء، وقد دخل الفاء فيه الخاسرين
خاسئين للاية والعطف بالفاء للمتقين

التفسير

ثم انجر الكلام في الاي المتقدمة
الى وعيد اهل الكتاب ومن يقفو آثارهم فقرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته من ذكر الترغيب
مع الترهيب فقال ان الذين امنوا واختلف المفسرون ههنا لان قوله في اخر الاية من امن يدل
على ان المراد من قوله امنوا شيئا اخر كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا فعن ابن عباس رضي المراد
الذين امنوا قبل مبعث محمد وعيسى عليهما السلام مع البراءة من اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة
وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وابي ذر الغفاري كانه قيل ان الذين امنوا
بعث محمد والذين كانوا على الدين الباطل لليهود والذين كانوا على الدين الباطل للنصارى كل من امن
بعد مبعث محمد بالله واليوم الاخر وبمحمد فلهم اجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين امنوا باللسان
دون القلب وهم المنافقون والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية والنصارى
والصابين كل من اتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل الذين امنوا هم المومنون بمحمد صلى الله عليه وسلم
في الحقيقة وهو عائد الى المضي فكانه قيل ان الذين امنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابئين
كل من امن منهم وثبت على ذلك في المستقبل واستمروا، واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك
اي تبنا رجعنا عن ابن عباس وقيل نسبوا الى يهودا اكبر ولد يعقوب وقيل لانهم يتهودون اي يتحركون
عند قراءة التوراة واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان نزلها عيسى عليه السلام قاله ابن عباس
وقتادة وابن جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اي لنصرة بعضهم بعضا وقيل
لان عيسى عليه السلام قال للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون وواحد
النصارى نصران ومونثه نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري والصابئين بالهمز
اشتقاقه من صبا الرجل صبوا اذا خرج من دينه الى دين اخر وكانت العرب يسمون النبي صلى الله
عليه وسلم صابيا لانه اظهر دينا على خلاف اديانهم عن مجاهد والحسن هو طائفة من اليهود والمجوس
لا يوكل ذبائحهم ولا ينكح نساؤهم وعن قتادة قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس
مرات وقيل هو الاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب ثم فيهم قولان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه

الا انه امر

الا انه امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والثاني انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب
وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هي المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه وينسب هذا المذهب
الى الكلدانيين الذين جاءهم ابراهيم صلوات الرحمن عليه فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا امنوا
بالله ويدخل فيه الايمان بكل ما اوجبوا كالايمان برسله وامنوا باليوم الاخر وبما وعد فيه فان اجرهم
متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من امن رفع على انه مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة
خبر ان او نصب على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من
او الذين معنى الشرط **قالت اهل البرهان** قدم النصارى على الصابئين
لانهم اهل الكتاب وعكس الترتيب في الحج لان الصابئين مقدم على النصارى بالزمان وراعى في المائدة المعنيين
فقدمهم في اللفظ واخرهم في التقدير لان تقديره والصابئون كذلك قوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم
مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتقرير النعم وللمفسرين في هذا الميثاق اقوال احدها انه
ما اودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق انبيائه ورسله
وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب والتبديل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم
عن عليه السلام وثانيها ما روي عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ان موسى عليه السلام لما رجع
من عند ربه بالالواح قرأ ما فيها من الاحكام والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرائيل
بقلع الطور من اصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم ثم قبلوا واعطوا الميثاق
وعن ابن عباس ان لله ميثاقين الاول حين اخرجهم من ظهر ادم واشهدهم على انفسهم والثاني
انه الزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد وانما قال ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم
للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اي كل واحد منكم او لان الميثاق شيء واحد اخذه من كل واحد منهم
ولو قال مواثيقكم اشبه ان يكون لكل منهم مواثيق والواو في ورفعنا اما واو عطف ان جعل الميثاق مقدما
على رفع الجبل مطلقا كما في قول الاصم وابن عباس واما واو الحال ان جعل مقارنا للرفع كانه قال
واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل الجبل مطلقا وعن ابن عباس انه جبل من جبال
فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذي وقع المناجاة عليه وقد يجوز ان ينقله الله تعالى
الى حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يسكن الجبل في الهواء قادر على ان ينقله
اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما اتيناكم بقوة من الكتاب بجد وعزيمة
غير متكاسلين ولا متغافلين **وقيل** بقوة ربانية واذكروا ما فيه احفظوا
ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما حمل على نفس الذكر لان الذكر الذي هو ضد النسيان
من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوه
ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف اي فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء
به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير من بعد قبول التوراة ورفع
الطور تولوا عن التوراة بامور كثيرة فحرفوا التوراة وتركوا العمل به وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا امرهم
ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله متاخروهم ولم يزالوا
في التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكل اذى
ويجاهرون بالمعاصي في معسكرهم حتى لقد خسف ببعضهم واحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون
وكل هذا مذكور في تراجم التوراة التي يقرونها ثم فعل متاخروهم ما لا خفاء به حتى عوقبوا بتخريب
بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب
وجحودهم لحقه وحالهم في كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم بامهالكم وتاخير العذاب عنكم
لكنتم من الخاسرين اي من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران
لان الله تعالى تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثاني لوجود الاول
فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل ان يكون الخبر قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون

قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى اوله اي لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على ردكم للكتاب
ولكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء
ولا يكاد يدخل على الماضي بدون قد لانها لتاكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قائم او لتاكيد المضارع نحو
ليضرب زيد ولكن قد تقرب الماضي من الحال فتجعل الماضي كالمضارع مع تناسب معنى قد ومعنى اللام في التحقيق
وعند الكوفيين بتقدير القسم قبله عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا في زمن داود عليه السلام بايلة
على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل اوب في شهر من السنة حتى
لا يرى الماء لكثرتها وفي غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة عند البحر فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول
وكانت الحيتان يدخلنها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداء وهم ظنوا انهم اخذوا السمك
فاستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة فلما طال العهد استسن الابناء بسنة الآباء واتخذوا الاموال
فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد في السبت ونهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن في هذا العمل من
زمان فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما ينزل بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم وهم
قردة خاسئين فمكثوا ثلاثة ايام ثم ماتوا **قال بعضهم** وفي الكلام حذف
اي ولقد علمتم اعتداء الذين اعتدوا ولتكون المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت يوم السبت والاعتداء فيه اما نفس الاصطياد لانهم امروا فيه بالتجرد للعبادة فتجاوزوا ما حد لهم
واشتغلوا بالصيد واما الاصطياد مع استحلال وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة
وان لم يكن هناك قول انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقردة خاسئين خبران اي
كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع
والختم لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاذ للمتعلم البليد
الذي لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واضح بان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس واذا ابطله وخلق مكانه
تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التي باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا وايجاد اعراض
اخر باعتبارها صار قردا وايضا لو جوز ذلك لم نامن من كل ما نراه قردا او كلبا انه كان انسانا عاقلا
وذلك شك في المشاهدات **واجيب** بان الانسان ليس هذا الهيكل المتبدل
بالسمن والهزال فهو امر وراء ذلك اما جسم سار في جميع البدن او جزء في جانب من البدن كالقلب او دماغ
او مجرد كما تقول الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو
المسخ وبهذا التاويل لا يكون جثته في غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول وانه لم يتغير منهم الا الخلقة والصورة
والعقل والفهم باق فانهم يعرفون ما نالهم من شوم المعصية من تغير الخلقة وتشويه الصورة وعدم القدرة وساير
الخواص الانسانية فيتالمون بذلك ويتعذبون ثم اولئك القرود بقوا او افناهم الله وان بقوا فهذه القرود
التي في زماننا من نسلهم ام لا الكل جائز عقلا الا ان الرواية عن ابن عباس انهم ما مكثوا الا ثلاثة ايام
ثم هلكوا فجعلناها اي المسخة او القردة او قرية اصحاب السبت او هذه نكالا عقوبة شديدة رادعة للناس
عن الاقدام على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم تقصر بذلك ما تقصده الناس من التشفي
واطفاء نائرة الغيظ وانما جعلناها عبرة لما قبلها ومعها وبعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت
في كتب الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها الى الآخرين فيعتبرون او اريد بما بين يديها ما بحضرتها
من القرى والامم وجعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل وبعده هكذا قال بعضهم
والاولى عندي ان يقال جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخة ولاجل ذنوب تاخرت عنها لانهم
ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم في حكم المرتكبين لها ولا يلزم من ذلك تجويز العذاب
على الذنب المفروض الموهوم لانه امر اعتباري والعقوبة في نفسها واحدة ثابتة على ما لم تزدد لاجل
الذنب المتاخر شيء فليس الامر كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتاخر المترقب
مائة اخرى ولكنه كمن قيده او حبسه لاجل الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة
للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين او لبعض المتقين بعضهم بعضا

مطلب الصيد في السبت

وقيل للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم وَإِذْ قَالَ مُوسَى
لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا
أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا
مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا
بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۝
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ
إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا
تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا
مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
لَمُهْتَدُونَ ۝ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ۝
قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۝
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي
اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ
أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا
لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝

القراءة يأمركم بالاختلاس ابو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مجموع من ذوات الراء
هزوا ساكنة الزاي مهموزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرأ حمزة مبدلة الواو
من الهمزة في الوقف لمكان الخط وقرأ غير الجزار مثقلا غير مهموز الباقون مثقل مهموز حيث
وباله بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف فادارأتم بغير همزة ابو عمرو ويزيد
والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف
بقرة هزوا الجاهلين نقف الجزء ماهي و لا بكر لان التقدير هي عوان بين ذلك على تقدير قد
بين لكم فافعلوا ما تؤمرون مالونها صفرا الى اخر الاية لان الجملة صفة بعد صفة الناظرين
ماهي لان التقدير فان البقر والان البقر الاية لغدو تكرار السوال علينا لمهتدون الحرث
لان قوله مسلمة صفة بقرة او خبر محذوف اي هي مسلمة لاشية فيها جئت بالحق لان التقدير
فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون فادارأتم فيها تكتمون للاية والفا بعدها ببعضها لان
التقدير فضربوه فحيي فقيل لهم كذلك يحيي الله الموتى تعقلون قسوة الانهار الماخشية الله
لتفصيل دلايل القدرة تعملون **التفسير عن بن عباس** ان رجلا من بني
اسرائيل قتل قريبا له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى عليه السلام فاجتهد
موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فاوحى اليه ان الله يأمركم ان
تذبحوا بقرة فتعجبوا من ذلك فشددوا على انفسهم بالاستفهام حالا بعد حال واستقصوا في
طلب الوصف فلما تعين لم يجدوها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح
له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت
وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت
البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فذبحوها وامر موسى
عليه السلام ان ياخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله وهو الذي
ابتدأ بالشكاية فقتلوه قودا **واعلم ان تاخير البيان** عن وقت
الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند مجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون
استدلوا بالاية قالوا امروا بذبح بقرة معينة بدليل تعيينها بسؤالهم اخرا وبدليل انهم لم يؤمروا
بمتجدد بل المامور به في الثانية هو المامور به في الاولى بالاتفاق وبدليل المطابقة لما ذبح والمانعون
قالوا معناه اذبحوا اية بقرة شئتم بدليل صيغة تنكير بقرة وهو ظاهر في ان المراد بقرة غير معينة
وبدليل قول بن عباس لو ذبحوا اية بقرة ما لاجزاهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم
وبدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون اذ لو كانت معينة لما استحقوا التعنيف على السؤال
واجيب بان ترك الظاهر يجوز لموجب راجح وما نقل عن بن عباس خبر الواحد
والتعنيف يجوز ان يكون لتفريطهم في الامتثال بعد حصول البيان التام ويتفرع على قول المانعين
ان التكليف يكون متغايرا فكلفوا في الاول اي بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارضا ولا بكرا عوانا
فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا ان يكون صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ان تكون لا ذلولا تثير الارض ولا
تسقي الحرث ثم اختلفوا القائلون بهذا المذهب منهم من قال في التكليف الواقع اخيرا يجب ان يكون
مستوفيا كل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع الصفة الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا لونها
ومنهم من يقول انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف
وان كان الاول اشبه بالروايات وبطريقة التشديد عليهم عند ترك الامتثال واذا ثبت البيان
لا يتاخر او ان تكليف بعد تكليف دل على ان الاسهل قد ينسخ من الاشق فان المرء لولا انه قد يامر
بالسهل اختبارا فاذا امتنع الولد منه تقدير المصلحة في ان يامره بالصعب ويدل ايضا على جواز
النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء ويدل على وقوع النسخ في شرع
موسى عليه السلام ويدل ايضا على ان الزيادة في الخطاب نسخ له اتتخذنا هزوا استفهام بطريق

الانكار معناه لا تجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء كان
القوم ظنوا انه يداعبهم لانه من المحتمل ان موسى عليه السلام امرهم بذبح البقرة وما اعلمهم انهم اذا
ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلاجرم وقع هذا القول منهم موقع الهزؤ ويحتمل
انه وان كان قد بين لهم كيفية الحال الا انهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيى بان يضرب ببعضه اجزاء
البقرة واختلف العلماء ههنا فقال بعضهم بتكفيرهم بهذا القول لانهم ان شكوا في قدرة الله تعالى
على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى عليه السلام هل هو بامر الله
فقد جوزوا الخيانة على موسى في الوحي وذلك ايضا كفر ولقائل اخر ان يقول انه لا يوجب الكفر لان المداعبة
على الانبياء جائزة فلعلهم ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة والمراد ما اعجب هذا الجواب
لانك تستهزئ بنا لانهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين اطلاقا لاسم السبب على المسبب
فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون بسبب الجهل ومنصب النبوة يجل عن ذلك كما يقول الرجل عند
مثل ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى او اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين بما في الاستهزاء
من نقصان الدين والعقاب الشديد **وقيل** نفس الهزؤ قد يسمى جهلا فان
الجهل ضد الحكم كما انه ضد العلم ثم ان قيل ان المامور به ذبح بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين
حسن موقع سؤالهم لان المامور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما على قول القائل انها للعموم
فلا بد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها احدها انه لما اخبرهم بشان البقرة
تعجبوا وظنوا ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا تكون الا بقرة معينة فلاجرم استقصوا في السؤال
عن وصفها كعصى موسى المخصوصة من بين سائر العصي بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك
لان هذه الاية العجيبة لا تكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على يد موسى ولعل القوم ارادوا
قتل اي بقرة كانت الا ان القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة في البين وقال ان المامور به بقرة
معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة رجعوا الى موسى او الخطاب وان افاد العموم الا ان القوم ارادوا
الاحتياط فسالوا مزيد البيان وازالة الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت الامر بذبح البقرة
المعينة فان قيل السؤال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة انما تعلم اجزاؤها ومقوماتها لا بصفاتها الخارجة
فالجواب بالاوصاف الخارجة لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين ان مقصودهم
من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ منه عندهم وانما وقع السؤال عن
المشخصات فالظاهر يقتضي ان يقال اي بقرة هي فان مطلب اي للسؤال عن الصفات الذاتية
او الخواص بحسب العرف انما اقامة الحقيقة الشخصية مقام الحقيقة النوعية فان الشخص من حيث
شخص حقيقة ايضا قد يطلب تصورها وانما انهم تصوروا ان البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة
حقيقتها مغايرة لحقيقة سائر البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورتها واما ان السؤال عن
الجزئيات كيف يروع وانما يكون بين اذا كان طالبا للعوارض وههنا الجزئي غير عقل فيناسب ان
يقام مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض كطالق كانها فرضت سنها اي قطعتها
وبلغت اخرها والبكر الفتية وكان الاظهر انها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال
نواعم بين ابكار وعون فان اتوك وقالوا انها نصف فان اطيب نصفيها الذي ذهبا
وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم انها بين الفارض
والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع انه يدخل على متعدد لانه في معنى
شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة
الى واحد مذكر على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام ما تؤمرون اي ما تؤمرونه مثل
امرتك الخير فافعل ما امرت به بمعنى ما تؤمرون به او امركم بمعنى ماموركم تسمية للمفعول بالمصدر
كضرب الامير ولما بين لهم حال حالها في السن شرعوا في تعرف حال اللون والفقوع اشد ما يكون
من الصفرة يقال في التوكيد اصفر فاقع مثل اسود حالك واحمر قاني وارتفع اللون على انه فاعل

لفاقع والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان في الثاني تأكيد ليس في الاول لان اللون
اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن
وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض
عند اعتقاد او علم او ظن بحصول شيء لذيذ او نافع وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء
قل همه لقوله تسر الناظرين **وعن الحسن البصري** صفراء فاقع لونها سوداء
شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله جمالات
صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون
عن النبي عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل
على ان الاستثناء مندوب في كل عمل يراد تحصيله ففيه استعانة بالله وتفويض الامر اليه والاعتراف
بقدرته ونفاذ مشيئته الازلية وارادته السرمدية ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والمعنى انا
بمشيئة الله نهتدي للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التي بها تمتاز عن ما عداها وانا
ان شاء الله تعريفها ايانا بالزيادة لنا في البيان نهتدي لها او انا ان شاء الله على هدى في استقصاء
السؤال اي نرجو انا كنا على ضلالة فيما تفعله عن البحث وانا بمشيئة الله نهتدي للقاتل لا ذلول
صفة لبقرة مثل لا فارض اي بقرة غير ذلول لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي
يسنى عليها لسقي الحرث لا الاولى للنفي والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي
على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية والذل بالكسر اللين ضد الصعوبة
ودابة ذلول بينة الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث تقول رجل صبور وامراة
صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا او معفاة من العمل وحشية مرسلة عن الحبس
او مخلصة اللون لم يشب صفرتها شيء من الالوان وعلى هذا لا يكون شية فيها كالبيان الشية
كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره اي لا لون فيها يخالف سائر لونها فهي صفراء كلها
حتى قرونها واظلافها وهي في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لون اخر واصلها وشية
حذفت فاوها كما في عدة وزنة الآن اسم للوقت الذي انت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع
معرفة وليس الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس له ما يشركه وهو بابه جئت بالحق بحقيقة
وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح
هو قطع اعلى العنق وهو المستحب في الغنم والبقر والنحر هو قطع اللبة اسفل العنق وهو المستحب
في الابل والمرعي في الحالتين قطع الحلقوم والمري لكن عنق الابل طويل فاذا قطع اعلاه
تباطأ الزهوق ولا يكره الذبح في الابل والنحر في البقرة والغنم وان كان خلاف المستحب وما
كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافهم ما كاد ينقطع خيط اسهابهم وقيل
وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على
ان الامر للوجوب لا للفور والا لما ترتب هذا الذم على تثاقلهم واذا قتلتم نفسا خوطبت
الجماعة لوجود القتلة فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ
بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او ينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره او
يدفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة واصله تدارأتم ثم ادغمت التاء في الدال فاحتيج الى
همزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم والله مخرج مظهر
لا محالة ما كنتم تكتمون من امر القتيل **وقد حكي ما كان مستقبلا**
في وقت التدارء كما حكى الحاضر في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فالحق ذا مع عمل اسم الفاعل
وهذه الجملة معترضة وفيها دليل على ان الله تعالى لا يحب الفساد وانه سيجعل الى زواله
سبيلا وان ما يستره العبد من خير او شر ودام ذلك منه فان الله سيظهره ويعضده قوله عليه السلام
ان عبدا لو طاع الله من وراء سبعين حجابا لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك

المعصية

العصبة والضمير في اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان ويحتمل ان يعود
الى القتيل بدلالة قتلتم او ما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل
فخذها وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن
وقيل البضعة بين الكتفين والظاهر انهم كانوا مخيرين بين اي بعض ارادوا وههنا
محذوف في المعنى فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى **روي** انهم لما ضربوه قام
باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم
يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قوله عليه السلام ليس للقاتل من الميراث
شيء والسر فيه انه استعجل الميراث فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول
الشافعي رحمه الله ولم يفرق ان يكون القتل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغي او غير مستحق
عمدا كان او خطأ وعند ابي حنيفة لا يورث في العمد والخطأ الا ان العادل اذا قتل الباغي
فانه يرثه وقال مالك لا يرثه من ديته ويرثه من ساير امواله ومحل ذلك كتب
علم الفقه اي يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام اما مع الذين حضروا حياة القتيل
لانهم وان كانوا مؤمنين بذلك الا انهم لم يؤمنوا بذلك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين
علم اليقين وعين اليقين واما ان يكون مع منكري البعث في زمن رسول الله عليه السلام وعلى
هذا لا يحتاج الى تقدير فقلنا بعد تقدير فضربوه فحيي ويريكم اياته دلايله على انه قادر على كل شيء
نزلت بهذه القصة على وجود الصانع القادر على كل المقدور وانه العالم بكل المعلومات المختار في الايجاد
والاعدام انه ودلالتها على صدق موسى عليه السلام انه ودلالتها على حشر الاموات انه هي واذ كانت
واحدة لانها في الحقيقة ايات عرف ويمكن ان يراد بالايات غير هذه اي مثل هذه الاراءة يريكم
ساير الايات كان مثل هذه الاحياء يحيي ساير الاموات وفي قوله كذلك دون ان يقال كهذا
تعظيم للمشار اليه بتبعيده كما قلنا في ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعلمون على قضية عقولكم فان
من قدر على احياء نفس كلها اذ لا اثر للمخصصات في ذلك **فان قيل** ما الفايدة
في ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفايدة فيه كون الحجة اكد وعن
الحيلة ابعد فقد كان يجوز لملحد ان يتوهم ان موسى عليه السلام انما احياه بضرب من السحر وليعلم ما امر
من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب واما في ذبح البقرة
من القربان واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسنه تقديم القربة على طلب الحوايج
وما في التشديد عليهم لاجل تشديدهم من اللطف لهم ولاخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال
اوامر الله على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والاشفاق على
الاولاد وتجهيل المستهزي بما لا يعلم تاويله من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب به الى الرب
ان يكون من احسن ما يتقرب به فتي السن حسن اللون بريا من العيوب ثمينا نفيسا سمنوا ضحاياكم
فانها على الصراط مطاياكم **فان قيل** فهلا قدم ذكر القتيل على الامر بذبح البقرة
كما هو حق القصة قلنا لانهما كانت تكون قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع
بالاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال اولا وبقتل النفس المحرمة وما بعده من الاية ثانيا على انها
دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير في ببعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى قوله ثم قست
قلوبكم الاية خطاب لاولئك اليهود الذين كانوا في زمن موسى او للذين هم في زمن محمد عليه السلام
من بعد ذلك الاحياء او من بعد ذلك الذي عددنا من جميع الايات الباهرات والمعجزات الظاهرات
ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل
لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ فهي كالحجارة مثلها في القسوة او هي اشد قسوة من الحجارة فمن
عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة ويجوز ان يقدر مضاف اي هي كالحجارة او مثل اشد
قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من فعل القسوة لكونه ادل على فرط قسوة القلب او لانه لم يقصد

معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها
وحذف هذا الراجح لعدم الالتباس نحو زيد كريم وعمرو اكرم وكلمة او ههنا ليست للشك فعلام الغيوب لا يشك
في شي وانما هي للتخيير بانهما شبت شبهت فكنت صدوقا ولو جمعت بينهما جاز ثم اخذ في بيان فضل قلوبهم
على الحجارة في شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي ان منها للذي فيه خروق واسعة
يتدفق منها الماء الغزير وان منها للذي ينشق انشقاقا طولا او عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة
المادة وقلتها فان الابخرة تجتمع باطن الارض ثم ان كان ظاهر الارض رخوا انفشت وانفصلت وان كان
صلبا حجريا اجتمعت وصارت مياها ولا يزال يتواتر مددها الى ان ينشق الارض من مزاحمتها وتسيل
انهارا وعيونا واما قلوب هؤلاء فلا تنشرح للحق ولا يتاثر من الوعظ او النفع بعد مشاهدة الايات ومعاينة
الدلائل ويشقق اصله يتشقق فادغم التاء في الشين كقولهم يذكر في يتذكر لما يهبط للذي يتردى
من اعلى الجبل وذلك من خشية الله امالانه تعالى خلق فيه الحيوة والعقل والادراك كما يروى عن تسبيح
الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم واما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله تعالى وانها لا يمتنع
عما يريد فيها من الاهباط والانفصال عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تتاثر وقيل اي يتنزل
من اجل ان يحصل خشية الله في قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع والدعا وما الله بغافل عما
تعملون وعيد والمعنى انه بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم فيجازيهم في الدنيا والاخرة فلا نعجل
عليهم انما نعد لهم عدا ووصفه تعالى بانه ليس بغافل لا يلزم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشي
لا يستلزم ثبوت صحتها مثلا لا تاخذه سنة ولا نوم التاويل ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية
فان في ذبحها حيوة القلب الروحاني وهو الجهاد الاكبر موتوا قبل ان تموتوا تقتلوني باثقاتي ان
في قتلي حيوتي وحيوتي في مماتي ومماتي في حيوتي مت بالارادة تحي بالطبيعة قال
بعضهم مت بالطبيعة تحي بالحقيقة ما هي انه بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق
لا فارض في سن الشيخوخة فيعجز عن وظايف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية كما قيل
الصوفي بعد الاربعين بارد ولا بكر في سن شرخ الشباب يستوي بسكره عوان بين ذلك كقوله
تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة بقرة صفراء اشارة الصفرة وجود اصحاب الرياضات
فاقع لونها تريد انها صفرة زين لا صفرة سقيم فانها سيما الصالحين لا ذلول تثير الارض لا يحتمل ذلة
الطمع ولا تثير بالة الحرص ارض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها ولا تسقى حرث الدنيا بماء وجهه عند
الخلق وبما وجاهة عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق مسلمة من افات صفاتها
لا شية فيها علامة طلب غير الله وما كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه
واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان ام من الدنيا او من النفس
الامارة فقلنا اضربوه ببعضها بلسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق يحيى قتيل القلب
بمداومة الذكر فيحيى باذن الله عز وجل وقال ان النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار مراتب القلوب في القسوة مختلفة فالتي يتفجر منه الانهار قلوب يظهر عليها الغلبات
انوار الروح بترك اللذات والشهوات بعض الاشيا المشبهة بخرق العادات كما يكون لبعض
الرهابين والهند والتي يشقق فيخرج منه الماء هو التي يظهر عليها في بعض الاوقات عند
انخراق الحجب البشرية من انوار الروح فيريه بعض الايات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض
الحكما والتي يهبط من خشية الله كما يكون لبعض اهل الاديان والملل من قبل عكس انوار الروح
من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم والفرق
انها في المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد في قربهم وقبولهم ودرجاتهم ولغيرهم ليست مؤيدة
بالايمان فيزداد في غرورهم وعجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات
وفراسات تظهر لهم من تجلي انوار الحق وروية برهانه فارادة الايات للخواص سنريهم اياتنا
في الافاق وفي انفسهم ويريكم اياته لعلكم تعقلون لكن ارادة البرهان لاخص كما قال في حق

مطلب التاويل

يكون

كونه عليه السلام لولا ان رأى برهان ربه سئل الحسين بن منصور عن البرهان فقال واردات
ترد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها والله اعلم بحقائق الامور

أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام
الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ۝
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم
إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم
به عند ربكم أفلا تعقلون ۝ أولا يعلمون أن
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ۝ ومنهم أميون
لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ۝
فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا
من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت
أيديهم وويل لهم مما يكسبون ۝ وقالوا لن تمسنا النار
إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ۝
بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته
فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ۝
والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة
هم فيها خالدون ۝

القراءة

الاماني حيث كان خفيف يزيد الايه قوله تلك امانيهم وليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب
وعن نكم الاماني فان ابن يعيش بالاسكان عنده بايديهم بضم الها يعقوب وكذلك كل هاء
كناية قبلها ياء ساكنة خطيئاته بالجمع ابوجعفر ونافع الوقوف تعلمون امنا والوصل اهون
لبيان حاليهما المتناقضين وهو المقصود عند ربكم افلا تعقلون يعلنون يظنون قليلا
يكسبون معدودة ما لا تعلمون النار لان الجملة مبتداء وخبر بعد خبر خالدون الجنة خالدون

التفسير لما ذكره الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود وسوء معاملتهم
مع نبيهم اردفها قبائح اخلافهم المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه قيل اذا كان هذا
افعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون ايها النبي والمؤمنون في ان يؤمنوا لكم اي يحدثوا الايمان لاجل
دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون
كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية
الرجم وقيل هم قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر
به ونهي عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا
وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه لن غير ما شبهة وهم يعلمون
انهم مفترون كذابون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك كما تقول للرجل كيف
تطمع ان يفلح فلان واستاذه فلان يا خبر عنه لا عن غيره وهو المقلد لا يقبلون الا قول معلميهم
واحبارهم الذين لعمدوا التحريف عناد او الغرض من الاعراض الدنيوية واذا لقوا اليهود قال
منافقوهم امنا بانكم على الحق ونشهد بان صاحبكم صادق ونجده بنعته وصفته في كتابنا واذا
خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
بما بين لكم في التوراة من نعته وصفته مأخوذ من قولهم قد فتح على فلان في علم كذا اي رزق
ذلك وسهل له طلبه او قال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا
عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فيما يقرب المؤمنون وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند
ربكم لتحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند
الله الا تراك تقول هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد وعن الحسن ليحاجوكم
في ربكم لان المحاجة فيما الزم تعالى من اتباع الرسل محاجة فيهم اي في دينه وقال الاصم يحاجوكم يوم
القيامة عند السائلة فتكونوا زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون ان ذلك مما يزيد
في فضيحتهم في الاخرة **وقيل** ليحاجوكم به على وجه الديانة والنصيحة لان من يذكر
الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه ارخت عليك عند الله واقمت عليك الحجة بيني وبين ربي فان
قبلت احسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخائب الخاسر وقيل لتقيروا بحجوجين بتلك الدلايل
في حكم الله تعالى كما يقال فلان عندي عالم اي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة
كذا افلا تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به زجرهم وبال عليكم
اولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان خوفهم الله
تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية ومنهم اميون لا يحسنون الكتاب فيطالعون
التوراة ويتحققون ما فيها كانه منسوب الى الام وهو اصل الشيء فالامي على اصل فطرته لم يكتسب علما
وكتابة لا يعلمون الكتاب التوراة الا اماني واحدها امنية على افعولة من مني اذا قدر تقول منه
تمنيت الشيء ومنيته غيري تمنية لان المتمني يقدر في نفسه ويحزرها ويحرز ما يتمناه واماني اليهود
هو ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان اباءهم الانبيا يشفعون لهم وما يمنيهم
الاحبار من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة **وقيل الاماني** الاكاذيب المختلقة
التي سمعوها من علمائهم فيتقبلونها على التقليد ومنه يقال هذا شي رويته او تمنيته اي
اختلقته وذلك ان المختلق يقدر على ان كلمة كذا بعد كذا وفي الصحاح انه مقلوب المين وهو الكذب
وقيل الاماني القراآت من قولهم تمنيت الكتاب قرأته قال يرثي عثمان تمنى كتاب الله اول
ليلة واخرها لاقى حمام المقادر والتاركي مقدر الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثنا متصلا
كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه وبقدر ما يذكر لهم فيقبلونه ثم انهم
لا يكتفون من التدبر والتامل وعلى الاول يكون الاستثنا منقطعا ومن قرا اماني بالتخفيف
حذف الوكايتان منايع وان هم الا يظنون كالمحقق لما تقدم من قوله لا يعلمون الكتاب الا اماني

ذكر الرق

مطلب معنى التاويل

ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة المجادلة لاهل النفاق ثم العوام
المقلدة ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد
والظن ان كان متمكنا من العلم ولا سيما في اصول الدين الويل كلمة يقولها كل مكروب وعن
ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثوري صديد اهل الجحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وادي في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره **وقال**
عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره ولا شبهة في دلالتها
على نهاية الوعيد والتهديد يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد لما يقول للمنكر هذا مما كتبت
بيمينك **حكي عنهم امرين** كتبة الكتاب واسناده الى الله فالوعيد
مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا تنبيها على شناعتهم فانهم
استبدلوا النفع الحقير العاجل الزائل بالعظيم الاجل الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم اي مما لفقت
من كتبة ما لم يمكن يحل لهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من الرشى على التحريف وفي اعادة
الويل في الكسب دليل على ان الوعيد لا يلحقهم بسبب الكتبة واسنادها الى الله فكذلك يلحقهم

مطلب اخذ المال على الباطل محرم

بسبب اخذ المال عليه ليعلم ان اخذ المال على الباطل محرم وان كان بالتراضي وقالوا لن تمسنا
النار نوع اخر من قبائح افعالهم وهو جزمهم بان الله تعالى لا يعذبهم الا اياما قليلة وهذا الجزم
مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا دليل سمعيا فلا يجزم به عاقل والايام المعدودة قالوا اربعين يوما
هي ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة
يوما يوما لان يوما عند الله الف سنة واياما معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الايام مضت
ومضين والعهد ههنا يجري مجرى الوعد والخبر لان خبره سبحانه كالعهود المؤكدة منا بالقسم والنذر
واتخذتم استفهام بطريق الانكار وانه يدل على عدم الدليل السمعي فلن يخلف الله عهده لتنزهه

مطلب عدم الكذب

سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر نقص النقايص **فان قيل هب** ان
الخلف في الوعد لوم ونقيصة لكنه في الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه
كامل ولعل الكرم طريق اخر سوى هذا فتامل وام اما معادلة بمعنى اي الامرين كائن
على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما وهذا من الكلام المنصف نحو وانا واياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين ويجوز ان يكون منقطعة بمعنى بل اتقولون كانه اعرض عن الاستفهام الاول
واستانف سوالا ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفي والاستفهام الثاني لتقرير الاثبات
وفي الاية تنبيه على ان القول بغير دليل باطل وان كل ما جاز وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير
الى الاثبات او الى النفي الا بدليل سمعي ولا حجة لمنكري القياس وخبر الواحد فيه لانه لما دل
الدليل على وجوب العمل عند حصول الظن المستند الى القياس او الى خبر الواحد كان وجوب العمل
معلوما فكان القول به قولا بالمعلوم بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى
تمسكم ابدا بدليل قوله وهم فيها خالدون عن ابن عباس رضي وجد اهل الكتاب ما بين طرفي
جهنم مسيرة اربعين فقالوا لن نعذب في النار الا ما وجدنا في التوراة فاذا كان يوم القيامة اقتحموا
في النار فساروا في العذاب حتى انتهوا الى سقر وفيها شجرة الزقوم الى اخر يوم من الايام المعدودة
وقال لهم خزنة اهل النار يا اعداء الله زعمتم انكم لن تعذبوا في النار الا اياما معدودة فقد انقضى
العدد وبقي الابد **تلث** وفي مثل حالهم ضلال الفلاسفة القائلين
بان الارواح وان صارت مكدرة بقبايح افعال الاشباح الا انها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى اصلها
تصير الى حظاير القدس وان ازعجها شيء من نتايج الاعمال الا اياما معدودة بقدر فطام الارواح عن لبان
التمتعات الحيوانية ثم تتخلص من العذاب وترجع الى حسن الماب ومنهم من زعم ان المشتهيات اللذات
الحسية تبطل التعلقات الدنيوية ويسهل عروج الروح الى العالم العلوي وكل هذا خيال فاسد
ومتاع كاسد وانه قول من لم يجرب ولم يجد من نفسه تراكيب تدنس ويتكدر بالاخلاق الذميمة

البهيمية والسبعية وكيف يتصفى ويتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية فقد يصير امارة القلب بحيث
لا يبقى فيه شيء من صفات الفطرة كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا تجعلوها الامور الدهورية كرور
الاعصار وقد ينضم الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا مخلدا في النار فيتواخ في ويل طويل وزفير وعويل
نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا والسيئة اصلها سيوئة من ساءه يسوءه سوءا ومساءة
فقلبت الواو ياء وادغمت وهي الصفات الغالبة وقوله سيئة محيط به ليختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة
والمجسمات احاطت السور بالبلد والظرف بالمظروف فنقل الى الخطيئة وهي عرض لمعنيين من جهة ان المحيط
يستر المحاط به والكبيرة تستر الطاعات ومن جهة ان الكبيرة تحبط الطاعات وتستولي عليها احاطة العدو
بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والاية وان وردت في اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وبمثلها يتمسك المعتزلة في اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة **وفسر**
غيرهم الخطيئة المحيطة بالكفر لتحقق الاحاطة التامة **واعلم ان في المسئلة**
خلافا لاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا
وهو قول بشر المريسي والخالدي ومنهم من قطع بانه لا وعيد لهم وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر
والذي عليه اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة والامامية القطع بانه سبحانه يعفو عن بعض العصاة
وانه اذا عذب احدهم فلا يعذب ابدا لكنا نتوقف في حق البعض المعفو عنه والبعض المعذب على التعيين
اما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت في وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقوله ان الفجار
لفي جحيم وقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا **ومن**
الحديث من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها لم يشربها في الاخرة من قتل نفسا
معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذي يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم وعن
ابي سعيد الخدري رض قال عليه السلام والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل الا دخل النار
واذا استحقوا النار ببغضهم فلان يستحقوا النار بقتلهم اولى **واجيب**
بالمنع من ان هذه الصيغ للعموم بل لا يصح ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا
او بعض من دخل ولا يلزم منه تكرير ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمالات
المخصصات القاطعون بنفي العقاب عن اهل الكبائر احتجوا بنحو قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على
الكافرين يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وبالعمومات الواردة في الوعد مثل والذين يؤمنون
بما انزل من قبلك الاية حكم بالفلاح على كل من امن وعورض بعمومات الوعيد اما اصحابنا الذين قطعوا
بالعفو في البعض فقد تمسكوا بنحو قوله عز من قائل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وبان عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا فلا بد من الترجيح لجانب الوعد بصرف التاويل
اليه لان العفو عن الوعيد مستحسن في العرف واهمال الوعد بالضد وايضا القران مملوء من كونه تعالى
عفوا غفورا رحيما كريما وكذا الاخبار في هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر وايضا ان صاحب الكبيرة اتى بما هو
افضل الخيرات وهو الايمان ولم يات بما هو اقبح القبائح وهو الكفر فلا يهدمه ما سوى الكفر من المعاصي
ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي الهي ان كان
توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة لا يهدم معصية ساعة الهي لما كان الكفر
لا ينفع معه شيء من الطاعات كان مقتضى العقل ان الايمان لا يضر معه شيء من المعاصي فان دلت الايات
على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب
وهو باطل بالاجماع ويصل اليه العقاب ثم ينتقل الى دار الثواب ويبقى هناك ابد الاباد وهو المطلوب
واعلم ان مذهب الاصحاب في الادب اقرب من حيث انهم يصفونه بصفات
الجمال كالعفو والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه

يفعل

يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب والبعض المستحق للعقاب
من المسلمين لا رفعه متبرا عن التعلل بلواحق الغايات وسوابق البواعث ومذهب المعتزلة الى الاحباط
اقرب قال بي خوفك حتى تبلغ الامن خير من امنك حتى تبلغ الخوف والله الموفق وَإِذْ أَخَذْنَا

مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ
وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا
ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ
وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ
وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ۞ ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ
أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ
تَظَّاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ
أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ
أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ
فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۞ القراءة

لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلي والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف
وقرا ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلي وخلف
والمفضل تظاهرون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف حذف احدى التائين للتخفيف الباقون بالتشديد
ووجهه ادغام التاء في الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف أسارى تفحما تفدوهم ابن كثير

وابن عامر اسرى بالامالة تفرد وهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم علي والبخاري عن ورش والخراز
عن ابي هبيرة الباقون اسارى تفادوهم تردون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بتاء
الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد بياء الاخر الكلام على اولد الباقون بالتاء تغليبا
للمخاطبين على الغيب الوقوف الزكوة لان ثم لترتيب الاخبار اي ومع ذلك توليتم معرضون تشهدون
من ديارهم لان تظاهرون يشبه استينافا وكونه حالا اوجه والعدوان اخراجهم ببعض لابتداء الاستفهام
او النفي مع فاء التعقيب الدنيا لعطف الجملتين العذاب تعملون بالاخرة لان الفعل مستانف وفيه
فاء التعقيب للجزاء ينصرون التفسير انه سبحانه كلفهم باشياء الاول
قوله لا تعبدون الا الله من قرا بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرا بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به
وفي الاعراب الاول اقوال احدها انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر
وهو ابلغ من صريح الامر والنهي كانه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول
عطف وقولوا واقيموا عليه وثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفعت كقوله الا ايهذا
الزاجري احضر الوغى ويحتمل ان يكون ان مفسرة وان يكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه
قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له
مجرى القسم كانه قيل واذا قسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه

في الدين لان الامر بعبادته والنهي عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وبجميع ما يجب له صح

ويستحيل عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها الا بالوحي والرسالة
التكليف الثاني قوله وبالوالدين احسانا ليناسب لا تعبدون معناه وتحسنون بالوالدين واحسنوا ليناسب
وقولوا ويمكن ان يقدر وصيناهم عطفا على اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول اما قبل
لا تعبدون واما قبل احسنوا واما قبل وقولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تالي العبادة الله لوجوه انهما
سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية فقط فلا انعام بعد انعام الله
تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما يشبه انعام الله تعالى من حيث انهما
لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من
الانعام على العبد وان اتى باعظم الجرايم فكذلك الوالدان لا يقطعان عنه مواد كرمهما وان كان غير بار بهما
ومنها ان الوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه ياخذ الحبة فيربيها مثل
جبل احد ومنها ان المناسبة والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية حتى عمت جميع انواع الحيوانات
كان المناسبة بين الواجب والممكن فانها لا عرضية وههنا اسرار فتامل ومنها انه لا كمال يمكن للولد
الا ويطلبه الوالد لاجله ويريده عليه كما ان الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه ولهذا ارسل الرسل
وانزل الكتب ونصب الادلة وازاح العلة ومن عادة شفقة الوالدين انهما لا يحسدان على ولدهما
اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى بان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين
امر معتبر في جميع الشرايع ومركوز في كل العقول وقد ورد اطيعوا الوالدين وان كانا كافرين وعن
النبي عليه السلام انه نهى حنظلة بن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان
اليهما في الاية اطلاقا وقد تلطف ابراهيم صلوات الرحمن عليه في دعوة ابيه من الكفر الى الايمان في قوله
يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم القلب ويراعي دقايق الادب والخدمة والشفقة ويبذل
ويعتني في مرضاتهما قولا وفعلا ولا يمنع اعزة اوقاته وكرايم امواله عنهما ويجتهد في تنفيذ وصاياهما ويذكرهما
في صالح دعايه كما ارشد الله تعالى الى جميع ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف الى اخر الاية التكليف الثالث
الاحسان الى ذي القربى ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم شجنة
من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك اي الرحم مشتقة
من الرحمن يعني انها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق والسبب العقلي في تاكيد رعاية هذا الحق
ان القرابة مظنة لاتحاد الالفة والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل
باقربائه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي رضي الله عنه لو اوصى لاقارب

زيد

ربه فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد
والاحفاد لا الابوان والولد على الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب وههنا دقيقة
وهو ان العرب يحفظون الاجداد العالية ليرتفع نسبهم ونحن لو ترقينا الى الجد العالي وحسبنا اولاده كثروا
فلهذا قال الشافعي يرتقي الى اقرب جد ينسب هو واليه يعرف به وذكروا في مثاله انه لو اوصى لاقارب
الشافعي فانا نصرفه الى اولاد شافع فانه منسوب اليه ولا يدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان شافع
وعلي والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد والشافعي هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن
السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف **قال**
المحققون هذا في زمان الشافعي واما في زماننا فلا نصرفه الى اولاد الشافعي ولا يرتقي
الى بني شافع لانه اقرب من يعرف اقاربه به في زماننا ولا يدخل الاقارب من الام في وصية العرب
لان قرابة الام لا تعد بها العرب قرابة ولا يفتخر بها اما لو اوصى لذي رحم فيدخل فيه قرابة الام
في وصية العرب والعجم لان لفظ الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهب طائفة الى ان الاقوى على ما اجاب
به العراقيون ومال اليه ابو حنيفة هو ان اقارب الام يدخل في الوصية مطلقا سواء كانت وصية العرب
او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلى الله عليه وسلم سعد خالي فليرني امرؤ خاله والاحسان
الى الاقارب قريب من الاحسان الى الوالدين وذلك بان يجتهد في رضاهم بما يبشر لهم عرفا وشرعا وينفق
عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو سوس التكليف الرابع الاحسان الى اليتامى واليتيم من الاطفال
الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه قدر النفقة والزكوة ومؤنات الملك
بما امكنه والقيام بمصالحهم مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النفقة **قال**
ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح راسهم واليتيم في غير الانسان من قبل امه واليتم من
الدهر ما لا اخت له واليتامى جمع يتيم على يتامى لان اليتم لما كان من صفات الابتلاء حمل على الوجع والحبط فكما قالوا
في وجع وحبط للمنتفخ البطن وجاعى وحباطى قيل في يتيم يتامى وفي الكشاف انه اجرى يتيم مجرى الاسما
نحو صاحب وفارس وقيل يتايم ثم يتامى على القلب وكذا في اليتيمة التكليف الخامس الاحسان الى
المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون كان الفقر سكنه او لانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له
كالمسكين الدائم السكر وهو سوء حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابي حنيفة ومالك
واحتجوا عليه بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وعند الشافعي واحمد الامر بالعكس قالوا اشتقاق الفقير
من فقار الظهر كان فقاره انكسر لشدة حاجته والمسكين قد يملك ما يتعلل به قال تعالى اما السفينة
فكانت لمساكين ويظهر اثر الخلاف فيما لو اوصى للفقراء دون المساكين او بالعكس والاحسان الى ذوي
القربى واليتامى والمساكين ينبغي ان يكون مغايرا للزكوة لان العطف يقتضي التغاير التكليف السادس
وقولوا للناس حسنا بالوصف اي قولا حسنا وحسنا على المصدر قولا ذا حسن وقولا هو الحسن في نفسه
لافراط حسنه او ليحسن قولكم حسنا والظاهر ان المخاطبين بذلك هم الذين اخذ ميثاقهم لاتحاد القصة
قيل انه مخصوص اما تخصيص الناس اي قولوا للمؤمنين حسنا بدليل اية القتال
اشداء على الكفار رحماء بينهم واما تخصيص القول اي قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف
وقال اهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع الناس في الامور الدينية ان كان بالدعوة
الى الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين كما قال لموسى فقولا له قولا لينا وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو
كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالفسق فتحسين القول ايضا
معتبر ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي احسن واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم
انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللطيف من القول لم يعدل الى غيره ما دخل الرفق في شيء الا زانه
وما دخل الخرق في شيء الا شانه فثبت ان جميع اداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول وعن
الباقر قولوا للناس حسنا ما تحبون ان يقال لكم التكليف السابع والثامن قوله واقيموا الصلاة واتوا الزكوة
وقد تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف ايضا واجبة في شرعنا بدليل اخذ الميثاق

ولان ظاهر الامر للوجوب ولترتيب الذم عليهم بتوليهم وهذه التكاليف ايضا واجبة في شرعنا وعن ابن عباس
رض ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اعانة المضطر واجبة وان لم يجب علينا الزكوة **واعلم**
ان التكاليف اما بدني واما مالي وكل منهما عام او خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان تكون
بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا متوجها الى الله تعالى بحيث لا يرى لنفسه من التصرف والاختيار
كالعبد المائل بين يدي مولاه واليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلوة
واشار اليه بقوله واقيموا الصلوة فللصلوة اوقات مخصوصة واركان وشروط معدودة والمالي
الخاص هو الزكوة لتخصصها بالاصناف الزكوتية وبالنصاب بالحول وغير ذلك والمالي عام لكونه منوطا
بالقدرة والامكان سببه اما نسب اولا والنسب اما سابق او مقارن او لاحق فالسابق الوالدان
والمقارن الاقارب واللاحق اليتامى لانهم اولاد وذلك اذا كان الولي جدا او بمنزلة الاولاد وذلك
اذا كان الولي غيره وغير النسب اما الاحتياج والفقر وهو للمساكين او الاشتراك في النوع ولا يمكن الا بالقول
الحسن وما ينخرط في سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم
والقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة ايضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا مزيد عليه قوله
تعالى توليتم **قيل** الخطاب لمتقدمي بني اسرائيل على طريق الالتفات ووجهه ان الكلام
الكلام معهم فكذا آخره لا بد ليل يوجب الانصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي صلى
الله عليه وسلم من اليهود كانه تعالى بين ان تلك المواثيق كما لزمهم التمسك بها فكذلك هي لازمة لكم لانكم
تعلمون ما في التوراة من نعت محمد عليه السلام ومعجزة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذي لزمهم
وانتم مع ذلك قد توليتم الا قليلا منكم وهم الذين امنوا وانتم معرضون الواو للاعتراض اي وانتم قوم
من عادتكم الاعراض اعرضتم بعد ظهور المعجزات كاعراض اسلافكم **وقيل**
توليتم للمتقدمين وانتم معرضون للمتاخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود
في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والمراد اخذنا ميثاق اباءكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف وفي قوله
لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجأ الى ان يقتل نفسه فاي فائدة في النهي
والجواب ان هذه الالجاء قد يتغير كما ثبت من اهل الهند انهم يتقربون في قتل
النفس التخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور ولكثير ممن يصعب عليه الزمان او المراد لا يفعل ذلك
بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا او انه اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه
يقتص منه او لا تتعرضوا المقاتلة من يقتلكم فتكونوا قد قتلتم انفسكم ولا تخرجون انفسكم لا تفعلوا
ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم او المراد اخراج بعضهم بعضا من ديارهم لان ذلك مما يعظم
فيه المحنة حتى يقرب من الهلاك واعراب لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون
ثم اقررتم وانتم تشهدون اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون
عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض
بذلك لانه كان شائعا فيما بينهم مشهورا وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم
بهذا الميثاق ثم انتم معنى ثم للاستبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ
الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتداء وهؤلاء خبره اي انتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون يعني
انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول اخرجت بغير الوجه
الذي دخلت به وتقتلون بيان لانتم هؤلاء **وقيل** هؤلاء موصول بمعنى الذين
وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول والتظاهر التعاون
ولما كان الاخراج من الديار وقتل البعض بعضا مما يعظم به الفتنة واحتيج فيه الى اقتدار وغلبة بين
تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن يظاهر على الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه
محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم وانه كما مكنه فقد زجره عنه ونهاه
بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسئل عما يفعل اسيري

جمع اسير كجرحى في جريح وأسارى جمع أسرى كسكرى وسكارى وقيل أسارى من الجموع التي ترك مفردها كأنه
كانه جمع أسران كحبالى وعجلان وقوله تفادوهم جمهور المفسرين على أنه وصف لهم بما هو طاعة وهو التخليص من
الأسر ببذل مال أو غيره ليعودوا إلى كفرهم وهو ضمير الشأن أو إخراجهم مبتدأ ومحرم خبره وإخراجهم
تفسير أفتؤمنون ببعض الكتاب أي بالفداء وتكفرون ببعض أي بالقتال والإجلاء وذلك أن
قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خربوا
ديارهم وأخرجوهم وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم
ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحي أن نترك حلفاءنا ونا قدمهم الله تعالى
على المناقضة إذا أتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا أسماه كفرا وقد
يكون المناقضة أدخل في الذم وفي ذلك تنبيه على أنهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد عليهما السلام
أما الجزء في أمرها على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الإيمان ببعض والكفر ببعض والكل في الميثاق
سواء الخزي الذل والهوان خزي بالكسر يخزي خزيا أي ذل وهوان وخزي أيضا يخزى خزاية أي استحيى فهو
خزيان فإذا قيل أخزاه الله فالمراد أهانه أو أوقعه موقعا يستحيى منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شأنه
وأنه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه والأظهر أنه غير مختص ببعض الوجود **وقيل** هو قتل بني
قريظة وأسرهم وإجلاء بني النضير وقيل الجزية وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وبمن يخلفهم دون أسلافهم فإن قيل عذاب منكري الصانع
كالدهرية يجب أن يكون أشد فكيف قال في حق اليهود يردون إلى أشد العذاب **قلت** أما
لأن كفر العناد أغلظ وإما لأن المراد أشد من الخزي لا الأشد مطلقا وفي قوله وما الله بغافل
وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لأن القدرة الكاملة مع عدم الغفلة تدل
على وصول الحقوق إلى مستحقيها لا محالة أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة استبدلوها بها
فلا يخفف عنهم العذاب لا ينقطع ولا يفتر بل يدوم على حالة واحدة ولا هم ينصرون بدفع هذا العذاب عنهم
وفيه تنبيه على أن الجمع بين تحصيل لذات الدنيا إذا كانت على وفق
الهوى لا الشرع وبين لذات الآخرة ممتنع يستتبع وجود أحدهما عدم الأخرى والله ولي التوفيق
التأويل وإذ أخذنا ميثاقكم في عهد ألست بربكم لا تسفكون دماءكم بامتثال
أوامر الشيطان في اتباع خطواته لا فيلا إلى حتفي مشى قدامي أي فتزيى أراق دمى ولا تخرجون أنفسكم
من ديار عبوديتكم التي كنتم فيها في أصل الفطرة وتخرجون فريقا منكم من ديارهم لا تنصرون على ضلالهم
بل تتمادون بعضكم بعضا على الإعراض عن حقوق الله والإقبال على حظوظ النفس وإن يأتوكم أسارى
تفادوهم فمن أسر في قيد الهوى ففداؤه بالدلالة على الهدى ومن أسر في قيد حب الدنيا فخلاصه
في كثرة ذكر المولى ومن أسر في أيدي الشكوك والشبهات ففداؤه إرشاده إلى اليقين بلوائح البراهين
ولوامع البينات ومن أسر في حبس وجوده فنجاته فيما يحل عنه وثاق الكون ويوصله إلى معبوده ومن
أسر في قبض الحق فليس لأسرائهم فداء ولا لقتلاهم قود ولا لرهطهم خلاص ولقومهم مناص ولا منهم فرار
ولا معهم قرار ولا إليهم بغيره سبيل ولا لديهم إلا بهم دليل أفتؤمنون ببعض الكتاب وهو ما سمعتم
في أول الخطاب من قول ألست بربكم فقلتم بلى وتكفرون ببعض وهو الذي عاهدتم عليه ألا تعبدوا غير
الله من الشيطان والنفس والهوى الله حسيبي ❁ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ
أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ

فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝ وَقَالُوا
قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا
مَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ
فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا
بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا
بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ
بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ
اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝

القراءة

القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير بيسما وباء بغير همز ابو عمرو يزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف ينزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب والوقوف القدس استكبرتم لتناهي الاستفهام مع تعقب فا التعقيب بعده تقتلون كذبتم لعطف المستقبل على الماضي مع تقديم المفعولين فيهما غلف لان بل للاعراض عن الاول وتحقيق للثاني يومنون لما معهم لان الواو للحال كفروا الاول لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر وجوابها متحد وقوله وكانوا من قبل حال معترض كفروا به لان ما بعده مبتدا لكن الفا يقتضي تعجيل جزايهم الكافرين من عباده لطول الكلام مع فا التعقيب على غضب مهين لما معهم مومنين

التفسير

لما ذكر الله سبحانه في الاي المتقدمة صنيع اليهود في مخالفتهم امره تعالى ومنافقتهم حالهم الكرذلك في هذه الاية بذكر نعم افاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقيض المقصود زيادة في تبكيتهم اذا الكتاب وهو التورية اتاه الله تعالى اياه جملة واخرج عن ابن عباس رضي انها لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث لكل اية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى فحملها التقفية الاتباع والتقفية وهو من القفا كالتذنيب من الذنب اي اتبعنا على اثره رسلا كثيرة وهو يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وذكريا ويحيى وغيرهم روي ان هولاء الرسل

كانوا على

كانوا على شريعة واحدة الى ايام عيسى عليه السلام فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى عليه
السلام ولان المقصود من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء ما اندرس ومن ههنا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرايل ان الله سيبعث لهذه الامة على راس
كل مائة من يجدد لها دينها وقيل عيسى بالسريانية ايسوع اي المبارك ومريم
بمعنى الخادم وقيل مريم بالعبرانية من النساء كالزير من الرجال وهو الذي يحب محادثة النساء
ومجالستهن سمي بذلك لكثرة زيارته لهن وبه فسر قول روبة قلت لزير لم تصله مريمه
ووزن مريم عند اهل الصرف مفعل لان فعيل بفتح الفا لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير للغبار
وعليب اسم واد البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك وايدناه
قويناه من الايد القوة بروح القدس المقدسة كما يقال حاتم الجود ورجل صدق سمي بذلك لانه سبب
حيوة الدين كما ان الروح سبب حيوة البدن ولان الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه اصلاب الفحول
والارحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
لان العلم سبب حيوة القلوب وقيل اسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره عن ابن عباس
وسعيد بن جبير وقيل الروح الذي نفخ فيه والقدس وقدوس هو الله واضافة الروح اليه تشريف
وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع وقيل لجبرايل وكون الروح جبرايل اظهر لان اختصاصه
بعيسى اكثر لانه الذي بشر مريم بولادتها وقد تولد عليه السلام من نفخة جبرايل وايده وهو الذي رباه
في جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله افكلما وسطت الهمزة
بين الفا وما تعلقت به من قوله ولقد اتينا لافادة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يكون الفا
للعطف على مقدر معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم الباء للتعدية او بمعنى
وذلك انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف ما يهوون كذبوه وان تهيا لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على
عامتهم واخذ اموالهم بغير حق يوهمون عوامهم انهم على الحق والنبي على الباطل ويحتجون على ذلك بالتحريف
وسوء التاويل ومنهم من كان يستكبر على الانبيا استكبار ابليس على ادم عليه السلام ففريقا كذبتم على التمام
ما بقي منه غير مكذب وفريقا تقتلون اي ما يتيسر لكم قتله بعد على التمام لانكم حولتم قتل محمد لولا اني
اعصمه منكم ولذلك سممتموه وسممتم له الشاة قال صلى الله عليه وسلم عند موته ما زالت اكلة خيبر تعادني
فهذا اوان قطعت ابهري العداد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من القلب اذا انقطع
مات صاحبه ويجوز ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب
كقوله فاضربها بلا دهش فخرت وفايدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد رعاية الفاصلة في
تقتلون بيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث يجعل الرسل فريقين احدهما مخصص بالتكذيب
والاخر بالقتل كان وصف الرسالة عندهم هو الذي اقتضى احد هذين حتى خص المنعوت به دون
ساير الناس باحد الامرين وهذه نهاية الجهالة حيث استقبلوا اشرف الاصناف لاكرم الله وصاف بغاية
الاستخفاف غلف جمع اغلف وهو كل ما في غلاف ومنه الاغلف الذي لم يختتن اي قلوبنا مغشاة باغطية
فلا يتاثر من دعوتك كان الحايل بينهما وقيل غلف تخفيف غلف بضمتين جمع غلاف
اي قلوبنا اوعية للعلم والحكمة فنحن مستغنون بها عن غيره لا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم
وان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اي طردوا عن رحمة
الله وابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذي احدثوه بعد نصب الادلة وازاحة العلة وفي هذا لطف للمكلفين
ان لا يسابقوا الى المعاصي بابدا نحو هذا العذر وابدا مثل هذه الحجة ولكن يشمرون عن ساق الاجتهاد
لكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون ايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب
او تقليل ما كلفوا به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اي بشي قليل من الاشيا المكلف
بها ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اي لا يؤمنون اصلا لا قليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تفعل البتة
وذلك ان الايمان بالله انما يعتبر به اذا كان مؤمنا بجميع ما انزل الله فاذا فرق بين اوامره فهو

عن الايمان بمعزل ولما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه ويجوز ان يكون جوابه كفروا
جواب لما الثانية المكررة للتاكيد لطول الكلام نحو فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا على ان المراد
بالكتاب هو القرآن ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة في اصول الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد
ما يختص بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا
كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب عرفا او مجازا لان الكتاب مستلزم للرسول لا محالة بدل
ذلك يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن يسالون
به الفتح والنصر على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي
نجد نعته وصفته في التوراة وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم **وقيل** معنى يستفتحون عليهم ويعرفونهم ان
نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجبوا
واستسخروا او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اي فلما جاءهم النبي الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم كفروا به اما لانهم كانوا يظنون ان المبعوث يكون من بني اسرائيل لكثرة مجيء الرسل فيرغبون الناس في دينه
ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا من العرب من ذرية اسماعيل عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا
وحسدا وعنادا ولددا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب
عليهم زوال رياستهم ومكاسبهم فابوا واصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله وهي الابعاد
عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين اي عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان اللعنة انما
لحقتهم لكفرهم واللام للعهد او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا **فان قيل** أليس انه
تعالى ذكر وقولوا للناس حسنا قلنا العام قد يخص وايضا لعن من يستحق اللعن حسن وايضا اولئك
بالنسبة الى الناس اشبه منهم بالناس اولئك كالانعام بل هم اضل بئسما بئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو
بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهني فيفسر بنكرة منصوبة وبعدها المخصوص
بالذم ان يكفروا واختلف في اعراب المخصوص فيقول مبتدا والجملة قبله خبره وقيل
خبر مبتدا محذوف اي هو ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق نفوسهم بابدانهم كان
الثمن حاصل ملك المالك وقيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تعالى فاتى
باعمال يظن انها تخلصه من العقاب وكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال فهؤلاء اليهود لما اعتقدوا
فيما اتوا به انها تخلصهم من العقاب وتوصلهم الى الثواب فقد ظنوا انهم اشتروا انفسهم بها والمراد بما
انزل الله القرآن لانهم كانوا مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله هذا الكفر فقال بغيا اي حسدا اختاروا
وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز ان الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي ولما كان الباعث
على البغي قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغي هو ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على
من يشاء وتقتضي حكمته ارساله وهذا هو اللائق بما حكيناه من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل
في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي والحسد وعلى هذا يكون ان ينزل الجار المحذوف على اي
حسدوه على ان ينزل فباؤوا بغضب على غضب لا بد من اثبات سبب غضبين احدهما تكذيبهم محمدا
صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فصار ذلك سببا بعد سبب لسخط بعد سخط وهو قول الحسن
والشعبي وعكرمة وابي العالية وقتادة **وقيل الاول** لعبادتهم العجل والثاني
لكفرهم بمحمد وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد
اثبات انواع من الغضب مترادفة لاجل امور متوالية صدرت عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة
ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب وتكثيره لاجل ان هذا الكفر
وان كان واحدا الا انه عظيم وهو قول ابي مسلم ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرفت مرارا انه عبارة
عن لازمه وهو ارادة الانتقام واما تابيده وتكثيره فيصح فيه ذلك كصحته في العذاب فلا يكون غضبه على

من كفر

علي من كفر بجملة واحدة كغضبه علي من كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظاهر
مقام المضمر اي ولهم عذاب وفايدته ما ذكرنا في قوله فلعنة الله علي الكافرين ووصفوا العذاب بالمهين
والمهين هو العذاب لان الاهانة لما حصلت مع العذاب جاز ان يكون يجعل ذلك من وصفه لانها
بسبب منه ولا يلزم من اقتران الاهانة بالعذاب تكرارا فقد يكون العذاب ولا اهانة كالوالد يؤدب ولده
امنوا بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب وقد يستدل به علي عموم ما قالوا نؤمن بما انزل علينا اي
بالتورية وكتب ساير الانبيا الذين اتوا بتقرير شرع موسي عليه السلام ويكفرون بما وراءه قالوا ذلك و
والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الانجيل والقران وهو الحق الضمير يعود الي ما وراءه او الي القران
فقط ومصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة او كون مضمونها لازما للمضمون
الجملة الاسمية فان التصديق لازم حقيقة القران فصار كانه هو والعامل في مصدقا محذوف وهو احقه
او اثبت علي الاصح واما الواو في وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز ان يكون للحال وح
اما ان يكون العامل فيه هو العامل في قوله ويكفرون علي ان كلا منهما حال بحيالها واما ان يكون العامل
فيما هو يكفرون علي انهما حالان متداخلان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة علي وجوب الايمان
بمحمد صلي الله عليه وسلم لانه لما ثبت نبوته بالمعجزات ثم انه ان القران منزل من عند الله وانه امر المكلفين
بالايمان به كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر ان الايمان ببعض الانبيا وبعض الكتب
مع الكفر ببعضهم وبعضها محال وايضا انه صلي الله عليه وسلم لم يتعلم علما ولم يقرا ولم يخط ثم انه اتي بالقصص
والاخبار مطابقة لما في التورية فيعلم بالضرورة انه استفادها من قبل الوحي وايضا القران يدل علي
نبوة محمد صلي الله عليه وسلم فلما اخبر الله تعالي عنه انه مصدق للتورية وجب اشتمال التورية
علي الاخبار عن نبوته فمدعي الايمان بالتورية يجب ان يؤمن بمحمد عليه السلام والا كان كاذبا ثم ان
الله تعالي بين من وجه اخر كذب دعواهم وهو ان التورية لا تسوغ قتل الانبيا وانهم سوغوا ذلك
وفيه دليل علي ان ايراد النقض علي الخصم الالزامي جايز والكلام وان كان علي وجه الخطاب الا ان المراد
بذلك اسلافهم بدليل من قبل وتقتلون حكاية حال ماضية واصله لم لما بادخال
لام التعليل في ما الاستفهامية حذفت الالف للتخفيف اي لاي غرض وباي حجة كان اسلافكم
يقتلون الانبيا وفي قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم الايمان
وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدم وفيه تنبيه علي ان اليهود المعاصرين
خرجوا بتكذيب محمد من الايمان بالتورية كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان
والله اعلم التاويل هذا حال اكثر البطالين المتشبهين بالطالبين يتبعون
الكلمات العلماء الراسخين فما استحلته نفوسهم قبلوه وما استنفرته ردوه والمكروه
فيكذبون فريقا منهم فرارا عن تحمل اعباء الطالب ويثيرون الفتنة علي فريق بالحسد والانكار
والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف اشارة الي ان الطالب اذا ابتلي في اثناء الطلب بالوقفة
او الفترة لم يضره ذلك ما دام متمسكا بالارادة فيرجي رجوعه باذن الله ويجدد همة الاستاذ والشيخ
فاما اذا زلت قدمه عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعتراض فلا يرجي فلاحه ولما جاءهم
كتاب فيه اشارة الي ان اهل كل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من العلماء والاولياء
المحفوظين بالعلوم الكسبية والدينية ويتوسلون الي الله تعالي عند رفع حوايجهم في صالح دعائهم
فيظهرون محبتهم عند الخلفاء فلما وجدوا واحدا منهم ما عرفوا قدره وحسدوه واظهروا عداوته
وما انصفوه فباءوا بغضب من رد ولاية الاولياء علي غضب من الله لاوليائه كما جاء في
الحديث من عادي لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاغضب لاوليائي
كما يغضب الليث لجروه **وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ**
ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ **القراءة**

ولقد جاءكم مدغمة الدال في الجيم كذا القراءات ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ حمزة وعلي وخلف بضم الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ حمزة وعلي وخلف بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما لقي الميم حرف ساكن وقبل الهاء كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف فالموت الطور لتقدير القول واسمعوا بكفرهم مؤمنين صادقين ايديهم بالظالمين على حيوة على تقدير ومن الذين اشركوا لوم يعد احدهم ومن وقف على اشركوا فتقدير احرص الناس على حيوة واحرص من الذين اشركوا ويود مستانف للبيان وانما لم يدخل من في الناس ودخل في الذين اشركوا لان اليهود من الناس وليسوا من المشركين كقولك الياقوت افضل الحجارة وافضل من الزجاج سنة لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا ان يعمر يعملون **التفسير السبب في تكرير اتخاذ العجل** هنا القدح بوجه اخر في قولهم نؤمن بما انزل علينا وبيان وضعهم بالعناد والتكذيب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنبيها له فان قوم موسى عليه السلام بعد ظهور المعجزات الواضحات على يده اتخذوا العجل الها وهو مع ذلك صبر وثبت على الدعاء الى ربه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتاكيد ولما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا الدال على شانهم الخبيث وذلك انه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الاية تدل على انهم قالوا هذا القول اعني سمعنا وعصينا وعليه الاكثرون وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا اتينا طائعين واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا وفي هذه الاستعارة لطيفة وهي انه كان الشراب مادة لحيوة ما يخرجه

الارض

الارض فكذا تلك المحبة كانت عادة للقبائح الصادرة عنهم وفي قوله اشربوا دلالة علي ان فاعلا غيرهم
فعل ذلك بهم كالسامري وابليس وشياطين الجن والانس وذلك لسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه
علي الله تعالي ولاريب ان جميع الاسباب ينتهي الي الله تعالي وقد عرفت التحقيق في امثال ذلك مرارا
بئسما يامركم المخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يامركم به ايمانكم بالتورية عبادة العجل فليس
في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الي ايمانهم تهكم كما قال شعيب اصلوتك تامرك وكذلك
اضافة الايمان اليهم **واعلم ان الايمان** عرض ولايصح منه الامر والنهي لكن
الداعي الي الفعل والسبب فيه تدبيشبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهي عن الفحشاء والمنكر قل ان كانت
لكم الدار الاخرة الدار اسم كان وفي الخبر ثلثة اوجه الاول خالصة وعند ظرف لخالصة او للاستقرار
الذي في لكم ويجوز ان يكون عند حالا من الدار والعامل فيها كان او للاستقرار واما لكم فيكون علي هذا
متعلقا بكان لانها تعمل في حروف الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها بعد خالصة اي خالصة
لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها فيتعلق ح بمحذوف الثاني ان
يكون خبر كان لكم وعند الله ظرف وخالصة حال والعامل كان او الاستقرار الثالث ان يكون
عند الله هو الخبر وخالصة حال والعامل فيها اما عند او ما يتعلق به او كان ولكم وسوغ ان يكون
عند خبرا كان لكم اذ كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا احد وقوله من دون الناس
نصب بخالصة لانك تقول خلص كذا من كذا والمراد بالدار الاخرة الجنة لانها هي المطلوبة من الدار الاخرة
دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله علي عندية المكان ممكن ههنا اذ لعلهم كانوا
مشبهة ومعني خالصة لكم اي سالمة خاصة بكم لاحق لاحد فيها سواكم ودون ههنا يفيد التجاوز والتخطي في
المكان كما يقول لمن وهبت منه ملكا هذا لك من دون الناس اي لا يتجاوز منك غيرك والناس للجنس
وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس اولي لقوله وقولوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصاري ولانه لم يوجد ههنا معهود فان قلت من اين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لايجوز ان يقال
في معرض الاستدلال علي الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الا والاول مذهبه ليصح الزامه بالثاني ولقوله
تعالي وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا نحن ابناء الله واحباؤه ولما اعتقدوا في انفسهم انهم هم
المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان اباهم الانبيا يشفعون لهم ويوصلونهم الي ثواب الله تعالي
فلهذه الاسباب عظموا شان انفسهم وكانوا يفتخرون علي العرب وربما جعلوه كالحجة في ان النبي المنتظر المبشر
به في التورية منهم لا من العرب وكانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد عليه السلام
بين الله تعالي فساد معتقدهم بالاية وبيان الملازمة ان متاع الدنيا قليل في جنب نعيم الاخرة وذلك القليل
كان ايضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد عليه السلام ومنازعته بالجدال والقتال فالموت خير لهم لامحالة
لانه يوصل الي الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن التنغص ولا يفوت الا القليل المنكد والوسيلة وان
كانت مكروهة نظرا الي ذاتها لكنها لا يتركها العاقل نظرا الي غايتها كالفصد ونحوه والنهي عن تمني الموت
في قوله عليه السلام لايتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولابد فليقل اللهم احييني ما كانت الحيوة خيرا
لي وامتني ما كانت الوفاة خيرا لي محمول علي تمن سببه عدم الصبر علي الضر وهكذا الحبشي كما
قال القائل ∴ الا موت يباع فاشتريه ∴ فهذا العيش ما لا خير فيه ∴ الا رحم المهيمن روح عبد ∴
تصدق بالوفات علي اخيه ∴ **فان ذلك نوع من عدم الرضا**
بالقضا ويدل علي الجزع وضيق الطعن وينا في قضية التوكل والتسليم او علي تمن بسبب الجزم بالوصول
الي نعيم الاخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب ونوع من الاخبار بالغيب لا يليق الا ببعض اولياء
الله روي ان عليا رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت
الدرع ايضا فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا ابني لا يبالي ابوك علي الموت سقط
ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمني الموت فلما احتضر قال حبيب جاء علي فاقة لا افلح
من ندم يعني علي التمني وقال عمار بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة

المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله ونيل ثوابه وذلك لمكان البشارة فاما احدنا
فلا يليق به تمني المقالات علي سبيل الرجا وحسن الظن بالله انا عند ظن عبدي بي وعن النبي
صلى الله عليه وسلم او تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي علي وجه الارض يهودي وليس
ان يقبلوا هذا السوال علي محمد فيقولوا انك تدعي ان الدار الاخرة عند الله خالصة لك ولامتك دون
من ينازعك في الامر فارض بان نقتلك ونقتل امتك فانا نراك وامتك في الامر الشديد والبلاء العظيم
وبعد الموت يتخلصون الي دار الكرامة والنعيم لانه عليه السلام بعث لتبليغ الشرايع وتنفيذ الاحكام ولا يتم
المقصود الا بحيوته وحيوة امته فله ان يقول لا ارجل هذا الارضي بالقتل مع ان المومن لمن هذه الامة
فلما يخلوا من النزاع والشوق الي لقا ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الي سيده والعبد الابق يكره العود
الي مولاه ولهذا جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة
الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر عن عبادة بن الصامت
ان النبي عليه السلام من احب لقا الله احب الله لقاءه ومن كره لقا الله كره الله لقاءه قالت
عايشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المومن اذا حضره الموت بشر برضوان
الله وكرامته فليس شي احب اليه مما امامه فاحب لقا الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب
الله وعقوبته فليس شي اكره اليه مما امامه كره لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفا
اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا من موجبات النار
كالكفر بمحمد عليه السلام وبالقران وكتحريف كتاب الله وساير قبايح افعالهم وذكر الايدي مجاز لان اكثر
الاعمال بها ثم بشارة اليد وقوله لن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان اخبر به كقوله
ولن تفعلوا وذلك ان التمني ليس من اعمال القلب حتى لا يطلع عليه احد وانما هو قول الانسان بلسانه
تمنيت او ليت كذا ومحال ان يقطع التحدي بما في الضماير والقلوب فلو انهم تمنوا لنقل ذلك كما ينقل ساير
الحوادث العظام ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن الكثر من الذر وايضا لو كان
التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك وايضا لولا انه تعالى اوحى
اليه انهم لن يتمنوا لم يكن في العقل رخصة الاقدام علي مثل هذا الالزام ولانه في غاية السهولة واذا
ثبت انتفا الملزوم بالمعدوم وهو ان لا يكون الدار الاخرة لهم خالصة واما انها ليست لهم بالاشتراك
ايضا فيستفاد من الاية التالية وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة ايضا الي ذلك لانه اذا كان محيطا
بسرهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبايح ما قدموا فيجازيهم بما يستحقون لهم وفيه وضع الظاهر وهو بالظالمين
مقام المضمر وهو بهم اشارة اخرى الي سو منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واللام للعهد
واما للجنس فيشملهم اولا وغيرهم من الظلمة ثانيا فان قيل ما الفايدة في قوله ههنا
ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوي ههنا كون الدار الاخرة خالصة لهم وهناك كونهم
اولياء الله من دون الناس والاول مطلوب بالذات والثاني وسيلة اليه فناسب ان ينفي الاول بما هو
ابلغ في افادة النفي وهو لن او لان الدعوي الثانية احض فانه لا يلزم ان يكون كل من له الدار الاخرة وليا
بمعنى انه يلي النبي في الحال والمال ونفي العام ابعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص في قولك فلان بن
فلان موجودا بعد من اثبات العام في قولك ان الانسان موجود فحيث كان نفي الدعوي الاولى ابعد احتيج
الي اداة هو في باب النفي ابلغ ثم انه سبحانه لما اخبر عنهم في الاية المتقدمة انهم لا يتمنون الموت اخبر بعد
ذلك انهم في غاية الحرص علي الحيوة لان ههنا قسما ثالثا وهو ان لا يتمنوا الحيوة ولا الموت فقال
ولتجدنهم احرص الناس موكدا باللام والنون والقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله علي حيوة بالتنكير
لانه اراد نوعا من الحيوة مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة واي حيوة وفي جعلهم احرص من الذين
اشركوا توبيخ عظيم لان المشركين لا يومنون بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فهي جنتهم
فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان خليقا بالتوبيخ وسبب
زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صايرون الي النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل اراد بالذين

اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عشر الف نيروز والف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم
زي هزار سال وبجيس اذ يقال ومن الذين اشركوا كلام مبتدا اي ومنهم ناس يود على حذف ...
الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكر ما اشتمل عليه
قبله فكانه مذكور وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة وهي انغماسهم في زمرة المشركين وكونهم بعضا
منهم وذلك لقولهم عزير بن الله **وقال ابو مسلم** في الاية تقديم
وتاخير اي ولتجدنهم طايفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة ثم فسر بقوله يود احدهم
اي كل واحد منهم لو يعمر ولو في معنى التمني ولو بمعنى حكاية لودادتهم وكان يجوز لو اعمر على الحكاية
الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر بناء
على العرف ولانه اول عقد بسيط وقوعه في اعمار بني ادم وبنذر والضمير في قوله وما هو يعود الى
احدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون الضمير
لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب ان يعمر ويجوز
ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة المباعدة والتنحية والله بصير بما يعملون فيه تهديد
لاهل البغي والعناد وزجر للعصاة عن الفساد والبصير قد يراد به العليم فلان بصير بهذا الامر اي
عارف به وقد يراد به انه على صفة لو وجدت المبصرات لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه ما لم
يثبت له جارحة فان قلنا ان من الاعمال ما لا يصح ان يرى فينبغي حمل البصر فيه على العلم والله اعلم

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ
بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى
وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ۝ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ
أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ **القراة**

لجبرايل مفتوحة الجيم مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير وقرا حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص
ويحيى مفتوحة الياء والجيم مهموزا مشبعا وقرا يحيى مختلسا الباقون مكسورة الرا والجيم غير مهموز ميكال

مطلب
اصل جبرائيل وميكائيل

وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرا ابو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل مهموزا مشبعا الوقوف
للمومنين للكافرين بينات لان هذا الواو للابتداء او الحال والحال اوجه لاتحاد القصة الفاسقون
فريق منهم لان بل للاضراب عن الاول لا يومنون اوتوا الكتاب قد قيل يوقف للبيان ان كتاب
الله مفعول نبذ لا بدل كانهم لا يعلمون قد يجوز الوقف للاية والوصل للعطف على نبذ والاتمام سوء
اختيارهم في النبذ والاتباع **التفسير هذا نوع اخر من قبائح افعال
اليهود** والسبب في نزوله انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه عبد الله بن صوريا من احبار
فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي عليه السلام الذي يجي في اخر الزمان
فقال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرني عن الولد
من الرجل يكون ام من المراة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم
والظفر والشعر فمن المراة فقال صدقت فما بال الولد يشبه اعمامه دون اخواله او يشبه اخواله
دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت قال اخبرنا اي
الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي التورية ان النبي الامي يخبر عنه فقال عليه السلام
انشدكم بالله الذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال
سقمه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان
الابل والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها امنت بك اي ملك ياتيك
بما تقول عن الله قال جبرائيل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل
ياتي بالبشر والرخا فان كان هو الذي ياتيك امنا بك فقال عمر ما مبدا هذه العداوة فقال
ابن صوريا ان الله تعالى انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب في زمان رجل يقال له بخت نصر
ووصفه لنا فطلبناه فلما وجدناه بعثنا لقتله رجالا فدفع جبرائيل وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا
ليس هو ذاك فان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي وملك وغزانا وخرب بيت المقدس
فلهذا نتخذه عدوا واما ميكائيل فانه عدو لجبرائيل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبرائيل
فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما فانكر ذلك على عمر فانزل الله تعالى هاتين الايتين وقيل
كان لعمر ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر
قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما احبكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم
لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى اثاره في كتابكم ثم سالوه فقالوا من صاحب صاحبكم
فقال عمر جبرائيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل
يجي بالخصب فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره
وميكائيل عدو لجبرائيل فقال عمر وهذه الاية احرى اسما حكم عمر حكم القران لئن كانا كما تقولون فما هما
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا
لله ثم رجع عمر فوجد جبرائيل قد سبقه بالوحي فقال النبي عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر قال
رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وعن مقاتل زعمت اليهود ان جبرائيل عدونا امر ان
يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا والاقرب في سبب عداوتهم اياه انه كان ينزل القران على محمد عليه السلام
كما يشعر بذلك قوله فانه نزله اي ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القران مصدقا
لكتابهم وموافقا له وهم كانوا يبغضون القران ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته
له كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته واسات او ان عادى جبرائيل احد من اهل الكتاب فلا وجه
لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في النزول
بما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن ان يتوجه الجزاء الى قوله باذن الله الى اخره اي ان عاداه احد
فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل بالقران من تلقاء نفسه وباختياره وانما جاء باذن الله وامره الذي
لا محيص عنه ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا مبشرا فهو من حيث انه مامور وجب ان يكون

معدود ١

معذورا ومن حيث انه اتى بالهداية والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوة من هذا سبيله
عداوة لله ولو انه تعالى امر ميكائيل بانزاله لامتثل امره لا محالة ولتوجه الاشكال عليه فما الوجه في تخصيص
جبرائيل بالعداوة وجبرائيل ممتنع من الصرف للعلمية والعجمة بشرطها وعن ابن عباس وغيره
ان معناه عبد الله والضمير في نزله للقران وان لم يجر له ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالى ما ترك
على ظهرها من دابة وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشان صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه
يدل على نفسه واكثر الامة على ان القران انما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لا على قلبه لكن خص
القلب بالذكر لان السبب في تمكنه من الاداء ثباته في قلبه فمعنى على قلبك حفظه اياك وفهمك
وقيل اي جعل قلبك متصفا باخلاق القران ومتادبا بادابه
كما في حديث عائشة رضي كان خلقه القران وكان حق الكلام ان يقال على قلبي الا انه جاء على
حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله
على قلبك ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما يرجع الى المبادي
والغايات دون الاوساط التي يتطرق اليها الاختلاف بتبدل الزمان والاوقات ومعنى
قوله هدى وبشرى ان القران يشتمل على امرين احدهما بيان ما وقع التكليف به من اعمال
القلوب وافعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى وثانيهما بيان ان الاتي بتلك الاعمال
كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثاني في الوجود فتقدم في الذكر
ايضا ولا ريب ان البشرى يختص بالمؤمنين واما الهدى فلانهم هم المنتفعون به كما مر في هدى
للمتقين ولما بين في الاية المتقدمة ان من كان عدوا لجبرائيل لاجل انه نزل القران على قلب
محمد وجب ان يكون عدوا لله تعالى بين في الاية التالية ان من كان عدوا لله وللمخصوصين
بكرامته فان الله يعاديهم وينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا فينا لان العداوة والغرض هو
الذي يريد انزال المضار به وهذا المفهوم مستحيل في حقه تعالى من العاقل المناظر للعاقل
المتغابي فمعنى قوله من كان عدوا لله اي لاولياء الله كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
او يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم في التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه ويتبع
لامره قال اهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم في الازل
بالقهر هؤلاء في النار ولا ابالي كما ان محبة المؤمنين لله نتيجة محبة الله اياهم يحبهم ويحبونه وذلك
ان صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق محدثة والاولى علة للثانية وافراد الملكين بالذكر دلالة
على فضلهما كانهما من جنس اخر فان التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات ولان الاية فيما
يتعلق بهما فحسن ~~فان التغاير~~ ان ينص على اسميهما وتقديم جبرائيل في الذكر يدل على انه افضل من ميكائيل
وايضا ان جبرائيل ينزل بالوحي والعلم وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب
بقاء الابدان والواو في جبرائيل وميكائيل بمعنى او لان عداوة احد هؤلاء يوجب عداوة الله كما ان عداوة
كلهم توجب ذلك ويحتمل ان يكون الواو على الاصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله للكافرين من
وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على ان عداوة هؤلاء كفر الايات البينات هي ايات القران ولا يبعد
ان يشمل ساير معجزاته وان كان لفظ الانزال نابيا عنه بعض النبو ومعنى كون الاية بينة ان العلوم
ينقسم الى ما يكون طريق تحصيله والدليل الدال عليه اكثر مقدمات فيكون الوصول اليه
اصعب والى ما يكون اقل مقدمات فيكون الوصول اليه اقرب وهذا هو الاية البينة والكفر بها
اما جحودها مع العلم بصحتها واما جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن دلائلها
وليس في الظاهر تخصيص فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حد له الى الفساد ويقرب
منه الفجور لانه ماخوذ من فجور السد الذي يمنع الماء من ان يصير الى الموضع الذي يفسد عن الحسن
اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب
الصغيرة بالفسق وانما تجاوز امر الله تعالى لمن فتح من النهي نقيا صغير الافعال انه تجاوز النهي وفي

قوله الا الفاسقون وجهان احدهما ان كل كافر فاسق ولا ينعكس فكان ذكر الفسق اولى ليأتي على
الكافر وغيره الثاني ان المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد في كفره وهذه الايات لما كانت
بينة لم يكفر بها الا الكافر الذي بلغ في الكفر النهاية القصوى وهذا نوع اخر من قبائح اليهود عن ابن عباس
انهم كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله عليه السلام قبل مبعثه فلما بعث من العرب كفروا به
وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم
تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال
بعضهم ما جاءنا من البينات وما هو الذي كنا نذكر لكم فنزلت واللام في الفاسقون
للجنس او اشارة الى اهل الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالايات البينات وكلما
عاهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن ابائهم فنقضوا وكم
عاهدهم رسول الله عليه السلام فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وفيه
تسلية لرسول الله عليه السلام لان من تعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس من مخالفته
كصعوبة من لم تجر عادته بذلك والنبذ الرمي بالذمام ورفضه نبذه
فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين
في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول اي كتاب لتلازمهما نبذ كتاب الله
وهو القران نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم
بذلك رصين من قبل التورية ولكن للمكابرة نبذوه وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه وتركهم
العمل به وقيل كتاب الله التورية لانهم بكفرهم برسول الله عليه السلام كافرون
بها وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه
اللهم ارزقنا العلم بكتابك والعمل به

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ
عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ
الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ
وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ
وَمَارُوتَ ۝ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا
إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا
مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ
بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ
اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۝
وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝

ولو انهم

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ **القراءة**

ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم ولكن
الله رمى الملكين بكسر اللام ههنا وفي سورة الاعراف فتنبة على ان المنزل عليهما علم السحر
كانا ملكين ببابل الوقوف على ملك سليمان لان الواو تربصلح حالا لبيان نزاهة سليمان
وردما افتروا عليه السحر **وقد قيل** على جعل ما نافية ولا يتضح لنا فقته
على ما في سياق الاية من اثبات السحر بل خبرية معطوفة على قوله السحر غير منزل فلا يتصل وفي
عشر مالك احدهما كافة في انما والاخيرة نكرة منصوبة في لبيسما والباقية خبرية ثم نافية
ثم خبرية على التعاقب وماروت فلا تكفر وبا وزوجه باذن الله من خلاق يجوز الوقف لابتداء
اللام انفسهم يعلمون خير يعلمون **التفسير من قبائح افعالهم**
انهم نبذوا كتاب الله واقبلوا على السحر ودعوا الناس اليه وهذا شان اليهود الذين كانوا
في زمن محمد عليه السلام وقيل انهم الذين تقدموا من اليهود وقيل انهم الذين كانوا في زمن
سليمان عليه السلام من السحرة لان اكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان ويعدونه من جملة
ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم في زمانه لا يمتنع ان يعتقدوا فيه انه انما وجد ذلك الملك العظيم
بسبب السحر والاولى ان يقال اللفظ يتناول الكل قال السدي لما جاءهم محمد عليه السلام
عارضوه بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والفرقان فنبذوا التورية فاخذوا بكتاب
اصف وسحر هاروت وماروت ومعنى تتلو تقرأ وعلى ملك سليمان اي على عهده وفي زمانه
وقيل تتلو عليه اي تكذب فالقوم لما ادعوا ان سليمان انما وجد تلك المملكة
بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على ملك سليمان واما الشياطين فالاكثرون على
انهم شياطين الجن لانهم يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلقونها الى الكهنة
وقد دونوها في كتب وقرؤها وعلموها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم
الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم **وقيل**
انهم شياطين الانس لما روي في الخبر ان سليمان كان قد دون كثيرا من العلوم التي خصه الله
تعالى بها تحت سرير ملكه خوفا على انه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك المدفون فلما مضت مدة
على ذلك توصل قوم من المنافقين الى ان كتبوا في خلال ذلك اشيا من السحر تناسب تلك الاشياء
من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموا الناس انه من عمل سليمان وانه
ما وصل الى ما وصل اليه الا بهذه الاشياء وزيفوا قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا على
تغيير كتب الانبياء وشرايعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا فيما بين الناس لا ارتفع الوثوق
عن جميع الشرايع وهذا بخلاف ما ينتقله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه واختلف في سبب
اضافتهم السحر الى سليمان فقيل لترويج ذلك بينهم وقيل لانهم ما كانوا مقرين بنبوته **وقيل**
لانه لما خالط الجن واظهر اسرارا عجيبة غلب على ظنونهم انه استفاد ذلك من الجن وقوله وما
كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه
ساحرا كافرا ثم بين ان الذي براه منه لا صق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر
ما به كفروا فقد كان من الجائز ان يتوهم انهم كفروا لا بالسحر فقال يعلمون الناس السحر
وما انزل اي ويعلمونهم الذي انزل على الملكين وهاروت وماروت عطف بيان للملكين
على ان لهما ممتنعان من الصرف للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم
لانصرفا **وقيل** بدلان منهما ولنذكر ههنا حقيقة السحر وقصة هاروت وماروت
اما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه ومنه الساحر العالم وسحره خدعه

شياطين

والسحر الرونية في الشرع مختص بكل امر يخفي سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجري التمويه والخداع
ومتي اطلق ولم يتقيد افاد ذم فاعله قال تعالي سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم حتي ظنوا ان عم
حبالهم وعصيهم تسعي وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال صلى الله عليه وسلم
ان من البيان لسحرا سمي بعض البيان سحرا لان صاحبه يوضح الشي المشكل ويكشف عن حقيقته
بحسن بيانه ولطيف عبارته ويقدر على تحسين القبيح بسخط تارة فيقول اسوء ما يمكن ويرضي تارة
فيقول احسن ما يقال ثم السحر على اقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم مطلب السحر
يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة
والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوي السماوية بالقوي الارضية وهم الذين بعث
الله تعالي ابراهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم وارادا عليهم مذاهبهم ومنها سحر اصحاب الاوهام
والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يتمكن الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الارض
لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر وما ذاك الا لان تخيل السقوط متي قوي اوجبه وقد اجمعت الاطباء
على نهي المرعوف عن النظر الي الاشيا القوية اللمعان والدوران وما ذاك الا لان النفوس خلقت مطيعة
للاوهام وحكي في الشفاء عن ارسطوان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة في الصوت
وفي الجراب مع الديك نبت على ساقها مثل الشي النابت على ساق الديك وهذا يدل على ان احوال
الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجمعت الامم على ان الدعاء مظنة الاجابة وان الدعاء
باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر ويحكي ان بعض الملوك
عرض له فالج فدخل عليه بعض الحذاق من الاطباء على حين غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض
فاشتد غضب الملك وقفز من مرقده قفزة اضطرارية وزالت تلك العلة المزمنة والاصابة بالعين
مما اتفق عليه العقلا والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب
الي عالم السموات كانت كانها روح من ارواح السموية وكانت قوية التاثير في مواد هذا العالم اما اذا
ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات فلا يكون لها تصرف البتة الا في هذا البدن فاذا اراد ان
يتعدي تاثيرها الي بدن اخر اتخذ تمثال ذلك الغير ووضعه عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه
الخيال عليه واقبلت النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التاثيرات النفسانية والتصرفات
الروحانية ويعضده الانقطاع عن المالوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس
ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب ماهيتها وخاصيتها عظم التاثير واما الرقي فان كانت
بالفاظ معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة للغرض
فحس السمع ايضا يشتغل بها فان الحواس متي طابقت متوجهة الي الغرض الواحد كان توجه النفس
اليه اقوي وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة والدهشة
ويحصل لها اذ ذاك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوي التاثير النفساني
فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخنة قالوا فثبت ان هذا القدر من القوة النفسانية مستقل
بالتاثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تاثيرات الكواكب قوي الاثر جدا لا سيما ان
حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها او من الانوار الفايضة من النفوس
الفلكية ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمي بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات
الاخذة بالعيون ويسمي الشعوذة وذكروا ان اغلاط البصر كثيرة فان راكب اذا نظر الي الشط راي
السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة تري خطا مستقيما والعنبة تري في الماء كالاجاصة
ويري العظيم من البعيد صغيرا وقد لا يقف القوة الباصرة على المحسوسات وقوفا تاما اذا
ادركت المحسوس في زمان صغير جدا فتخلط البعض بالبعض ولا يتميز فان الرحي اذا اخرجت من مركزها
الي محيطها خطوط كثيرة بالوان مختلفة ثم ادبرت فان البصر يري لونا واحدا كانه مركب من تلك الالوان
وايضا النفس اذا كانت مشغولة بشي فربما حضر عند الحس شي اخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان

الانسان عند دخوله علي السلطان قد تلقاه انسان ويتكلم معه فلا يعرف ولا يفهم كلامه لان
قلبه مشغول بشي اخر وكذا الناظر في المراة ربما قصد ان يري سطح المراة هل هو مستو ام لا
فلا يري شيا مما في المراة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شي يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ
عيونهم اليه حتي اذا استغرقهم الشغل بذلك الشي والتحديق نحو عمل شيا اخر عملا بسرعة فيبقي
ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين اشتغالهم بالاول وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الاعمال العجيبة
التي تظهر من الالات المركبة علي النسب الهندسية او لضرورة الخلا كفارسين يقتتلان فيقتل
احدهما الاخر ومنه الصور التي يصورها الروم والهند حتي لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان
وقد يصورونها ضاحكة او باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا الباب تركيب
صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر عرفا لان لها اسبابا معلومة

مطلب الساحر كافر ام لا

يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر
انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن ينقادون له في اكثر الامور فاذا اتفق ان كان السامع ضعيف
القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب وح يضعف
القوي الحساسة فيتمكن الساحر ان يفعل فيه ما يشا وان جرب الامور وعرف احوال الناس
علم ان تعليق القلب اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضريب
من وجوه خفية لطيفة وذلك شايع في الناس فهذه جملة الكلام في اقسام السحر وعند المسلمين كلها
كلها مستندة الي قدرة الله تعالي فانه لا يمتنع وقوع هذه الخوارق باجراء العادة عند سحر الساحر ثم
واتفقوا علي ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف ولعموم قوله تعالي هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز يكون به الا ان اجتنابه اقرب الي السلامة كتعلم
الفلسفة التي لا يومن ان تجر الي الغواية واما ان الساحر هل يكفر ام لا فلا نزاع بين الامة في ان من
اعتقد ان الكواكب هي المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون
كافرا علي الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر

اما النوع الثاني

وهو ان
يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الي حيث يقدر علي ايجاد الاجسام واعدامها
وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الامة ايضا علي تكفيره واما ان يعتقد الساحر انه قد يبلغ في التصفية
وقراءة الرقي وتدخين بعض الادوية الي حيث يخلق الله تعالي عقيب افعاله علي سبيل العادة الاجسام
والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا علي تكفير من يجوز ذلك قالوا لانه مع هذا

مطلب قتل الساحر

الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعي النبوة وكان
كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله تعالي اظهار الخوارق علي يده لئلا يحصل التلبيس اما اذا لم يدع
النبوة فظهرت الخوارق علي يده لم يفض ذلك الي التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان المحق
يحصل له هذه الاشيا مع ادعاء النبوة من المبطل لا يحصل له هذه الاشيا مع ادعاء النبوة وانه
حصلت لم يتم فضولة الباطل كنار العرفج واما سائر انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم
من الكفر بالسحر حكم المرتد واذا سحر انسانا فمات فان قال اني سحرته وسحري يقتل غالبا
وجب عليه القود وان قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت

مطلب قصة هاروت وماروت

غيره فوافق اسمه اسمه فخطاء وعن ابي حنيفة رح انه قال يقتل الساحر اذا علم انه ساحر ولا يستتاب
ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه فاذا اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان علي انه
ساحر او وصفوه بصفة يعلم انه ساحر قتل ولا يستتاب وان قربا ني كنت اسحر مرة وقد تركت
ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت فقد روي عن ابن عباس ان
الملايكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله تعالي بقوله اني اعلم
ما لا تعلمون وكل عليهم جمعا من الملايكة وهم الكرام الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة ثم
فعجبت الملايكة منهم ومن تبقية الله مع ما ظهر منهم من القبايح ثم اضافوا اليها عمل السحر فازداد

تعجب الملائكة. فاراد الله ان يبتلي الملائكة. فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علماً
وزهداً وديانة. لانزلهم الى الارض فاختبرهم فاختاروا هاروت وماروت وركب فيهما شهوة
الانسان وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنى فنزلا فامر الله تعالى الكواكب المسمى
بالزهرة والملك الموكل به فهبط الى الارض فجعلت الزهرة في صورة امراة والملك في صورة رجل
ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك نفسه في منزلها في مثال
صنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت
الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست امكنكما من نفسي حتى
تفعلاها قالا وما هي قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا لا نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة
عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا للصنم ثم دخل سايل عليهم فقالت ان اظهر هذا السايل
للناس ما راي منا فسد امرنا فان اردتما الوصول الي فاقتلا هذا الرجل فامتنعا موضعهما
من السماء فقدرا انه انما اصابهما ذلك بسبب تعيير بني ادم وفي رواية اخرى ان الزهرة
كانت فاجرة من اهل الارض وانما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلماها
الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان به الى السما فتكلمت المراة به لذلك فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى
وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعالى خيرهما بين عذاب الاخرة اجلا ومن عذاب الدنيا عاجلا
فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بير الى يوم القيامة وهما يعلمان الناس السحر
ويدعوان اليه ولا يراهما احد الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وهذه القصة عند
المحققين غير مقبولة. فليس في كتاب الله ما يدل عليها ولان الدلايل الدالة على عصمة الملايكة
تنافيها والاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت
الى السما وجعلها الله تعالى كوكبا مضيا ولانه ذكر في القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما
بما ابتليت به بني ادم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا يارب لما عصيناك وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل
فاذن السبب في انزالهما ان السحر كثر في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة وكانوا
يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة
اوليك الكاذبين ولا شك ان هذا من احسن الاغراض والمقاصد وايضا تعريف حقيقة السحر
ليتميز بينه وبين المعجزة حسن وكذا السحر لايقاع الفرقة بين اعداء الله والالفة بين اوليايه
ولعل للجن انواعا من السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز ان يكون
ذلك تشديدا في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه ان يتوصل به الى اللذات العاجلة
ثم منعه من استعماله كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب مزيد الثواب كما ابتلي قوم طالوت
بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقيل الا هذه الوا فقد كانت في زمان ادريس
لانهما اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض فلا بد من رسول في وقتهما ليكون ذلك معجزا
له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس يجب ان يكون الا منهم قوله تعالى وما يعلمان اي
وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا
تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق او متوصلا به الى شي من المعاصي والاغراض العاجلة فيتعلمون
الضمير لما دل عليه العموم في من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه
اذا اعتقد ان السحر حق كفر فبانت منه امراته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث
في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه
بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان شاء احدث
عنده ذلك شيئا من افعاله وان شاء لم يحدث وكان الذي يتعلمون منهما لم يكن مقصورا على هذه
الصورة ولكن سكوت المرء وركونه الى زوجه لما كان اشد خصت بالذكر ليدل بذلك على ان سائر
الصور بتاثير السحر فيها اولى وقرا الاعمش وما هم بضاري به من احد فجعل الجار جزا من المجرور وهو

احد

احد واضاف الى المجموع وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم سيتعلمونه في وجوه
المفاسد ولقد علموا هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا في لمن اشتراه استبدل ما تتلوا الشياطين
واختاره على كتاب الله ما له في الاخرة من خلاق من نصيب كانه قدر له هذا المقدار وقيل الخلاق
الخلاص **وقف المعنى** الاية ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر
الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الاخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكانه اشترى بمنافع الاخرة منافع
الدنيا ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها والمخصوص محذوف وهو السحر او منافع الدنيا وجواب
لو محذوف يدل عليه ما قبله اي لو كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا ويجوز ان يكون للتمني مجازا
كما تقدم من الترجي في لعلكم تتقون وح لا يحتاج الى الجواب بقي ههنا سوال وهو انه كيف اثبت
لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بلام القسم احتمالا ثم نفاه عنه في قوله لو كانوا يعلمون
فان لو لامتناع الثاني لامتناع الاول في كذا لو كان للتمني فان التمني اسند على امر كالممتنع والجواب
ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى تعلمه ونبذوا كتاب
الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر سلمنا ان القوم واحد
ولكنهم علموا شيئا وجهلوا شيئا اخر علموا انه لا خلاق لهم في الاخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع
الاخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد والمعلوم واحد ولكنهم
نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به **كما قيل** انهم صم بكم عمي حيث لم
ينتفعوا بالحواس ولما اوعدهم بقوله ولقد علموا تبع ذلك بالوعد جامعا بين الترهيب والترغيب
ليكون ادعى الى الطاعة وانهى عن المعصية فقال ولو انهم امنوا بمحمد بما نبذوه من كتاب الله وهو
القران او التورية التي يصدقها القران او كلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك المامورات او اتقوا
الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله لشيء
من ثوابه خير ولا بد من تقدير فعل يكون ان مع ما بعده فاعلا له اي لو ثبت انهم امنوا وجواب
لو محذوف ايضا يدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام اي لاثيبوا ولما ترك الفعلية الى
هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز ان يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة جوابه
ساد مسد جواب الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطية في الشرط غير واجب في القسم المقدر وان
كان هو الاكثر على ان دخول اللام الموطية في لو مستشكل فيشبه ان يكون الاكثر بل الواجب ههنا
عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله تعالى ايمانهم كانه قيل
وليتهم امنوا ثم ابتدا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لامنوا
واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمني كما تقدم والله تعالى
اعلم **التاويل** واتبعوا ما تتلوا الشياطين النفوس على ملك سليمان الروح
الذي هو خليفة الله في الارض وما كفر سليمان الروح ولكن الشياطين النفس والهوى كفروا
يعلمون الناس السحر من تخيلات الهواجس وتمويهات الوساوس وما انزل فتنة وخذلانا
من العلوم الضارة غير النافعة لشبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكي الروح والقلب ببابل
الجسد هاروت الروح وماروت القلب فانهما من العالم العلوي الروحاني اهبطا الى الارض العالم
الجسماني بالخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة الحيوة الدنيا واتبعاهو
خداعها فوقعا في شبكة الشهوة التي ركبت فيهما ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص والغفلة التي
تخامر العقل وزنيا ببغي الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا منكسي رؤوسهما بالالتفات
الى السفليات واعراضهما عن العلويات محرما استماع خطاب الحق وكشف حقائق العلوم
النافعة الموجبة للجنة ومع هذا من خصوصية الملايكة الروحانية ما يعلمان احدا من الصفات البهيمية
والسبعية والشيطانية والقوى البشرية حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون
منهما ما يفرقون به بين مرء القلب وزوج دينه **يا ايها الذين**

امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا
وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين
كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان تنزل
عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته
من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ
من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم
تعلم ان الله علي كل شيء قدير الم تعلم
ان الله له ملك السموات والارض وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون
ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسي من قبل
ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل
سواء السبيل **القراءة** ما ننسخ
بضم النون وكسر السين بن ذكوان ننسأها مهموزا ابن كثير وابو عمرو وغيرهما وقتيبة وروي او قتيبة
بغير همز الباقون ننسها من الانساء نات بخير بغير همز ابو عمرو وغير ابراهيم بن حماد ويزيد
والاعشي وورش وحمزة في الوقف الباقون وابراهيم بن حماد بالهمز لانه جواب الشرط ومن
شرط ان يهمز كلما كان ساكنا اي عطفا علي المجزوم او جوابا للمجزوم كل القران مثل قوله عز وجل
ان تصبروا او تتقوا او ياتوكم ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها واشباه ذلك فقد ضل بالاظهار حجازي
غير ورش وعاصم غير الاعشي وكذلك يظهرون الدال عند الذال والظاء حيث وقعتا مثل قوله
تعالي فقد ظلم ولقد ذرانا واشباه ذلك الوقوف واسمعوا اليهم من ربكم من يشاء العظيم او مثلها
قدير والارض ولا نصير ربع الجزو من قبل السبيل **التفسير** لما شرع الله
تعالي في تقابح افعال السلف من اليهود شرع في تقابح اخلاق المعاصرين لرسول الله عليه السلام
وجدهم واجتهادهم في القدح فيه والطعن في دينه واعلم ان الله تعالي خاطب المومنين في ثمانية
وثمانين موضعا من القران قال ابن عباس وكان يخاطب في التوراة يا ايها المساكين فكانه
سبحانه لما خاطبهم اولا بالمساكين اثبت المسكنة لهم اخرا حيث قال وضربت عليهم الذلة
والمسكنة وهذا يدل علي انه تعالي لما خاطب هذه الامة بالايمان اولا فانه تعالي يعطيهم الامان
عن العذاب اخرا وبشر المومنين بان لهم فضلا كبيرا ولا سيما فان المومن اسم من اسمائه تعالي هو
ففيه دليل علي انه تعالي لا يعذبهم منه في دار السلام **وقيل** امنوا علي الغيبة فظهر الحق
المظهر وهو الدين ولو قيل امنتم نظرا الي النداء جاز من حيث العربية ثم انه لا يبعد في الكلمتين

المترادفين

المترادفين ان يمنع الله من احدهما ويأذن في الاخري ومن هنا قال الشافعي رضي لا تصح الصلوة
بترجمة الفاتحة عربية كانت او فارسية فلا يبعد ان يمنع الله من قول راعنا ويأذن في قول انظرنا
وان كانا مثل دفين ولكن جمهور المفسرين على انه تعالي انما منع من قول راعنا لاشتماله
على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله عليه السلام اذا القي
عليهم شيا من العلم راعنا يا رسول الله واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه
تلك الكلمة وهي راعينا اسمع لا اسمعت كما صرح بذلك في سورة النساء ويقولون سمعنا وعصينا
واسمع غير مسمع وراعنا فان الجميع كانها متقاربة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا
افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون تلك المسبة فنهي المومنين عنها وامروا بلفظة
اخري وهي انظرنا روي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم
لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله عليه السلام
لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت ومنها قال قطرب هذه الكلمة وان كانت
صحيحة المعني الا ان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية فلا جرم نهي الله عنها

وقيل

ان اليهود كانوا يقولون راعينا اي انت راعي غنم فنهاهم عنه
وقيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المتخاطبين كانهم
قالوا ارعنا سمعك لنرعيك اسماعنا فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا وقيل راعنا خطاب مع الاستعلاء اي راعي كلامي ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره وليس
في انظرنا الا سوال الانتظار وقيل لانها تشبه اسم الفاعل من الرعونة الحمق فيحتمل انهم
ارادوا به المصدر كقولهم عايذا بك اي اعوذ عياذا فقولهم راعنا اي فعلت رعونة ويحتمل
انهم ارادوا وامرت راعنا اي ذا رعونة فلمكان هذه الوجوه الفاسدة نهي الله عنها وقيل
المراد لا تقولوا قولا راعنا اي منسوبا الي الرعن كدارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين
وانظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم امرهم الله تعالي ان يسالوه الامهال
لينقلوا عنه فلا يحتاجون الي الاستعاذة كانهم قالوا له توقف في كلامك وبيانك مقدار ما
نميل الي افهامنا وهذا القدر غير خارج عن قانون الادب فقد يلتمسه المتعلم حرصا
منه على ان لا يفوته منه شي من الفوايد وان كان المعلم غير مهمل دقايق التفهيم والارشاد
من التثبت والتاني والاعادة ان احتيج اليها ونحو ذلك

وقيل

انظرنا معناه
انظر الينا مثل واختار موسي قومه اي من قومه والغرض ان المعلم اذا نظر الي المتعلم كانت
افاضته عليه اظهر واقوي وفي قراءة ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتي نحفظ واسمعوا
معناه اسمعوا اسماع كلام نبيكم باذان واعية واذهان حاضرة حتي لا تحتاجوا الي الاستعادة
وطلب المراعاة واسمعوا اسماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا واسمعوا
ما امرتم به ولا ترجعوا الي ما نهيتم عنه من ترك قول راعنا وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا
برسول الله وسبوه عذاب اليم قوله ما يود الاية من الاولي للبيان لان الذين كفروا جنس
تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ولا مزيدة لتاكيد النفي وقري ولا المشركون والثانية مزيدة الي الاستغراق الخير فان
نزل في سياق النفي فمعني ما يود ان ينزل يود ان لا ينزل والثالثة لابتداء الغاية والخير
الوحي وكذا الرحمة اي يغبطونكم يحسدونكم والمعني انهم يرون انفسهم احق بان الوحي اليهم
فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شي من الوحي ولا اثر لهذا الحسد فان تختص بالنبوة
من يشاء ولا يكون الا مما يشا لا لسبب لا تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة
خلاف النقص والنقيصة والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية الاحسان
وانها منحة من بحار كالذي فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قايل ما ننسخ من اية نوع ثالث

من تقرير مطاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روي انهم قالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه
بامر ثم ينهاهم عنه ظ عنهم ويامرهم بخلافه ويقول اليوم لا ويرجع عنه غدا فنزلت وفي الاية مسايل
الاولى النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته والنقل وهو ان ينقل الشي في
صفته وحالته مع بقايه في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات في المواريث لانتقال التركة
من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما **وقيل** حقيقة في الاول مجاز في الثاني
وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر فيخرج المباح
بحكم الاصل اذا ورد حكم الشرع بمنعه رافعا لاباحته فانه لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي
ويخرج ايضا الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي وهو رفع عن
امتي الخطا والنسيان ونحوه بل بتقتضيه العقل بخلاف الرفع بخصوص الى اخر الشهر فان الى
وان اوجبت مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا يسمى نسخا لانه ليس متاخرا ويمكن ان
يقال ان قيد متاخرا انما ينبغي ان يذكر لان دليل النسخ لا يكون الا كذلك وبخصوص الى كذا وامثاله
من انواع التخصيص متصلا كان او منفصلا انما يخرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون
بعد ارادة حصوله على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من
اللفظ بل التخصيص مبين لمراد الشارع من العام ونعني بالحكم هاهنا ما يحصل على المكلف
بعد ان لم يكن فان الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء
العقل والموقوف على الحادث حادث وان كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعترض الحكم عندكم
قديم فكيف يرتفع وذلك انا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا محدث يرتفع وايضا
نقطع بانه اذا ثبت تحريم شي بعد وجوبه انتفى الوجوب الثابت اولا وهو المعنى بالرفع ويحسن
ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي يخرج به انتهاء الحكم الشرعي بطريق
عقلي كانتساخ القيام عمن يكسر رجله وقولنا متراخ ليخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم
ترتيب الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق له غاية في علم الله
تعالى فاذا انتهى الى تلك الغاية زال بزواله ثم ورد الخطاب اللاحق بيانا لذلك المسيلة
الثانية انعقد الاجماع من اكثر ارباب الشرايع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى
الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع لا الجواز
لنا القطع بالجواز ضرورة فان له تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر الى الحكم ومصلحة
وان اعتبرت المصالح فالقطع ان المصلحة قد تختلف باختلاف الاوقات فهذا ما يدل على جواز
النسخ وفي التورية انه امر ادم ان يزوج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في الشريعة من بعده
باتفاق وهذا ما يدل على وقوعه كيف لا وقد ثبت بالدلايل القاطعة والمعجزات نبوة محمد عليه السلام
وبصحة نبوته يلزم نسخ شرع من قبله ولم يكن لليهود والنصارى نص صريح يعلم منه ابدية شرعهم
على التعيين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء غاية لا نسخا حجة اليهود لو نسخت شريعة
لبطل قول موسى المتواتر هذه شريعة موبدة عليكم ما دامت السموات والارض وايضا ان
نسخ الحكم الشرعي لحكمة ظهرت له تعالى لم تكن ظاهرة فهو البداء والا فعبث وكلاهما محال على الله تعالى
اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفا والعبث فعل لا يستتبع غاية **والجواب**
عن الاول المنع من ان قول موسى عليه السلام ويؤكده انه لو كان هذا القول صحيحا عندهم
لقضت العادة بقوله لرسولنا عليه السلام ولحاجوه بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا به في عهده
فدل على انه افك افتراه المتاخرون منهم وعن الثاني بعد تسليم اعتبار المصالح انها تختلف باختلاف
الازمان والاحوال كالمنفعة شرب دواء في وقت او حال وضرره في اخر والزمان الممتد من
الازل الى الابد قد وزع اجزاءه فيما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيئا فشيئا بحسب
وقت المصلحة نفوذ البدء تعالى بل انما هو ما صلح بالنسبة الى المتزمنات فالظهور والخفاء والسابق

واللاحق

واللاحق والاعدام والايجاد كلها بالنسبة الينا واما بالنسبة الى حضرة الواجب جواز كرم فقد جف
القلم بما هو كاين الى يوم الدين والحاصل ان كل حكم فله غاية في علم الله تعالى ولكن قد يظن
المكلف استمراره في الاستقبال من قراين الاحوال فاذا ورد ما يبين امره ونص له على زواله فذلك
الوارد ناسخ والاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف واما بالاضافة
اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر له فيه الظهور متقدما احدهما ومتاخرا
الاخر وليس هذا في الاحكام فقط وانما ذلك في كل حادث فمن تامل نسخة الوجود ونسب الحوادث
المتعاقبة بعضها الى بعض في التقدم والتاخر والمعية وجد وجودها في المرتبة اشبه شي بكتاب يقراه
القاري سطرا بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذا انتفى مجموع من ذلك تلاه مجموع اخر حسب ما رتبه
الحكيم العليم بمباديه ومقاطعه فالمنقضي في حكم المحو والتالي في حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية
بدون اعتبار التلاوة المستلزمة لانقضاء الشي وظهور ما يعقبه هي ام الكتاب وهذا قول عز
من قايل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وذلك ان نعبر عن المجموع الدفعي بالقضاء
وعن ظهور التدريجي بالقدر وفي هذا القدر كفاية للفطنة المستبصر المسيلة الثالثة اتفقوا
على وقوع النسخ في القران بوجوه احدها هذه الاية اعني ما ننسخ من اية واجاب ابو مسلم بان
المراد بالايات المنسوخة الشرايع التي هي في الكتب القديمة من التورية والانجيل كالسبت والصلوة
الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون لا تومنوا
الا لمن تبع دينكم فابطل الله ذلك عليهم بهذه الاية وايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح
المحفوظ وتحويله الى ساير الكتب وايضا ان ما ههنا يفيد الشرط فالجزاء وكما ان قولك من جاء فاكرمه
لا يدل على حصول المجي بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه لا يدل على حصول النسخ
بل على انه متى حصل النسخ وجب ان ياتي بما هو خير منه وثانيها الاعتداد بالحول في قوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ باربعة الاشهر وعشر
في قوله يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اجاب ابو مسلم
بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها
حولا كاملا واذا بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بان عدة الحمل
تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل بسنة او اقل او اكثر فجعل السنة مدة للعدة يكون زايلا
بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة منسوخة بالاتفاق اجاب
بانه زال لزوال سببه لان سبب التعبد بها ان يمتاز المنافقون عن المومنين ورد بانه يلزم
منه ان لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي انه لم يتصدق غير علي ع بدليل فاذ لم تفعلوا
وتاب الله عليكم ورابعها امر ثبات الواحد للعشرة في قوله فان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مايتين ثم نسخ ذلك بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم عشرون
صابرة يغلبوا مايتين وخامسها تحويل القبلة قال ابو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه
اليها عند الاشكال او مع العلم اذا كان هناك عذر ورد بان بيت المقدس وساير الجهات في ذلك
سواء وسادسها واذا بدلنا اية مكان اية والتبديل يشتمل على رفع واثبات والمرفوع اما التلاوة واما
الحكم وكيف ما كان فهو رفع ونسخ فهذه الدلايل وامثالها يدل على وقوع النسخ في الجملة حجة ابو مسلم
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **والجواب** ان الضمير للمجموع وايضا نسخه
بالنسبة الى المكلف لا ينافي حقيته في نفسه وكونه قرانا المسيلة الرابعة المنسوخ اما ان يكون هو الحكم
فقط كالايات المعدودة والتلاوة فقط كما روي عن عمر انه قال كنا نقرا اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وروي لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالث
ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب او الحكم والتلاوة معا كما روي عن عايشة رضي الله
عنها كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعا هو

والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم ويروى ان سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال او ازيد ثم وقع
النقصان ولنرجع الى تفسير الاية ما ننسخ محمول على نسخ الحكم وازالته دون التلاوة وننسها على
نسخ الحكم والتلاوة جميعا وانساؤهما ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى
ويقرا في الصلاة او يحتج به فازال حكم التعبد به وطال العهد نسي وان ذكر نقل على طريق ما يذكر
خبر الواحد فيصير بهذا الوجه منسيا عن الصدور او يكون ذلك معجزة لمعلم السلام كما يروى انهم كانوا
يقرون السورة فيصبحون وقد نسوها **قال بعض من قال** سنقرئك
فلا تنسى الا ما شاء الله واساخ الاية الامر بنسخها وهوان يكون بان جبرائيل بان يجعلها منسوخة
بالاعلام بنسخها وننسؤها نؤخرها واذهابها الى بدل وقيل ما ننسخ من اية اي نبدلها اذا بات
نبدل حكمها فقط او تلاوتها فقط او نبدلها او ننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان البيات قد
يجي بمعنى الترك **وقيل** ما ننسخ من اية ما نرفعها بعد انزالها او ننساءها
بالهمز نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ ونؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فانا نترك بدلها ما يقوم مقامها
في المصلحة ولا يخفى ان قوله نات بخير منها او مثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي ومعنى الاية عند
جمهور المفسرين اية القران وعند ابي مسلم التورية والانجيل كما مر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى
اعم فكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنة اية من صحيفة المخلوقات وكل فرد من ذلك المجموع كلمة
من كلام الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ومعنى نات بخير منها او مثلها ان حملنا الاية على ما ينبغي
حكما على المكلف ان الثاني اخف واصلح بالنسبة الى وقته كما ان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته فالثاني
خير بالنسبة الى وقته ومثل الاول بالنسبة الى وقتيهما او يراد ان العمل بالثاني اكثر ثوابا من العمل بالاول
او مساوله فكل منهما قد يقتضيه لحكمة دون ما هو اقل ثوابا وان حملنا الاية على غير ذلك فتعين الاصلح
قال اهل الاشارة اراد بالنسخ نقل السالك وترقيه من حال الى حال
اعلى منه وان عفى استغالهم ابدا تاخرو بهم وصالهم دايما زاهر فلا ننسخ من اثار عبادتهم شيئا الا و
ابدل منها اشيا من انوار العبودية ولا ننسخ شيئا من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشيا من اثار
الربوبية وايضا انهم يشاهدون بعض الوقايع الشريفة في الصور اللطيفة كسبتها للتخيلة بحسب صفاء
الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا الى مقام لا يشاهدون ذلك تلك المشاهدة فيظن السالك التغير انه حجب
عن ذلك المقام او الحال فقيل ما ننسخ من اية من ايات المقامات او ننسها بان يمحوها من ادراك الخيال
نات بخير من تلك المشاهدة او مثلها ثم ان الايمة استنبطوا من الاية مسايل الاولى زعم قوم انه لا يجوز
نسخ الحكم الا الى بدل لقوله نات بخير منها او مثلها والجمهور على خلافه لان الاية لا تدل الا على وجوب
الاتيان باية اخرى واما على وجوب الاتيان بحكم اخر فلا سلمناه لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة
بين يدي النجوى وبنسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا يجوز ان
يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجودي خيرا للمكلف لمصلحة
علمت الثانية زعم قوم ان النسخ لا يجوز بما ثقل لان الا ثقل لا يكون خيرا منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم
بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كونه اثقل اجرك على قدر نصبك وايضا قد وقع كنسخ التخيير
بين الصوم والفدية حتما وحتم عاشورا بورمضان والحبس في البيوت للزاني بالحد واما النسخ الى الاخف
فكنسخ العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشر وكنسخ صلوة الليل الى التخيير فيها واما نسخ الشي الى المثل فكا
التحويل من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة عن الشافعي ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله
نات بخير منها وذلك يدل على ان الاتي من جنسه كما اذا قال الانسان ما اخذ منك من ثوب اتك
بخير منه يفيد انه ياتيه بثوب من جنس خير منه وجنس القران قران وايضا نات يدل على ان الاتي هو
الله لا الرسول وايضا الماتي به خير والسنة لا يكون خيرا من القران وايضا قوله الم تعلم ان الله على
كل شي قدير دل على ان الاتي بذلك الخير قادر على جميع الخيرات وعلى تصريف المكلف تحت مشيئته
وارادته لا دافع لما اراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى **واجب**

يدل

بان قوله نأت بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب ان يكون ناسخا بل لا يمتنع ان يكون ذلك
الخير شيئا مغايرا للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك ان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الاية
اولا فلو كان نسخ تلك الاية مرتبا على الاتيان بهذا الخير لزم الدور **قلت**
ويمكن دفع الدور بان يقال ان المراد ما اردنا نسخها من اية نأت بخير منها حتى ينسخها ثم
احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان اية الوصية للاقربين منسوخة بقوله الا وصية
لوارث وبان اية الجلد صارت منسوخة بخبر الرجم اجاب الشافعي رح بان كون الميراث حقا للوارث يمنع
من صرفه الى الوصية فثبت ان الميراث ما نسخ الوصية ولعل الرجم انما ثبت بقوله الشيخ والشيخة له ملك
السموات والارض فهو يدبر الامور ويجريها على حسب المصالح وهو اعلم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ ومنسوخ
والخطاب في الم تعلم اما للنبي عليه السلام فيدخل الامة تبعا او لكل من له اهلية الخطاب ومعنى الاستفهام
فيه التقرير والاثبات لظهور اثار قدرته ووضوح ايات كبريائه وسلطانه **وقيل**
اشارة الى ما شاهد ليلة المعراج يعني الم تعلم حق اليقين فترقى من رواية الايات الى
كشف الصفات الى عيان الذات ثم شغلت عن الخيال واثبت في العيان والولي ضد العدو وكل من ولي
امر واحد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل وكذا النصير والواو في وما لكم يحتمل ان يكون للاعتراض فلا محل
للجملة ويحتمل ان يكون للعطف على ان له ملك السموات فيدخل تحت الاستفهام ويكون قوله من دون
الله من وضع الظاهر موضع المضمر ويوقف على والارض ام تريدون **وقيل** الخطاب
للمسلمين لقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وهذا لا يصح الا في حق المومنين ولان ام للعطف ولا معطوف
ظاهرا فالتقدير وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون كما امرتم ام تريدون ان تسئلوا رسولكم
ولانه سال قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا
يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب كما سالوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم الهة وهذا قول
الاصم والجبائي وابي مسلم وقيل انه خطاب لاهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله
ابن امية المخزومي اتى رسول الله صلى الله عليه في رهط من قريش فقال يا محمد ما او من
بك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف
او ترقى في السما ولن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا من الله الى عبد الله بن امية ان محمدا
رسول الله فاتبعوه قال له بقية الرهط فان لم تستطع ذلك فأتنا بكتاب من عند الله جملة
واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرايض كما جاء موسى الى قومه بالالواح من عند الله كما سال
السبعون وعن مجاهد ان قريشا سالت محمدا عليه السلام ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا فقال
نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل اذكروا نعمتي **حكاية عنهم** ومحاجة معهم
ولان الاية مدنية ولانه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان المومن بالرسول لا يكاد
يسال ما يتبدل الكفر بالايمان وليس في ظاهر الاية انهم اتوا بالسوال فضلا عن كيفية
السوال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة وههنا بحث وهو ان السوال
الذي ذكروه ان كان طلبا للمعجزات فمن اين انه كفر ومعلوم ان طلب الدليل على الشي لا يكون
كفرا وان كان ذلك طلبا لوجه الحكمة التفصيلية في نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان
الملايكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا فالتكفير اما لانهم طلبوا ان
يجعل لهم الها كما لهم الهة واما لانهم طلبوا المعجزات على سبيل التعنت واللجاج **قلت**
والاصوب في الاية ان يكون ام تريدون معطوفا على الم تعلم على انه خطاب لكل مكلف فيكون
في معنى الجمع ثم ام اما ان يكون متصلة على معنى اي الامرين كائن فان العلم واقع بكون
احدهما لانه اما ان لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره واما ان يعلم فيسال
وجه الحكمة في النسخ وغيره على سبيل العناد وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظ واما
الثاني فلان المعترف بحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورافته الكاملة وقدرته الظاهرة

او قيل
فابوا او رجعوا
المراد اليهود
بهذه التكاليف
اول فقعوا
بايديهم

من حقه ان يقتصر علي علمه الاجمالي ولا يتخطي مقام الادب في البحث والسفير عن تفاصيل حكمه
التي لا يكاد يحصر وتوهم ان السايل في شك مما امر به او نهي عنه وعلي هذا لا يوافق علي تفسير
واما منقطعه علي انه اضرب عن الاستفهام الاول واستانف استفهاما ثانيا ويحتمل ان لا يكون
قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان حكما بتكفيرهم بسبب السوال بل يكون تنبيها للمكلفين علي
ان السوال عما لا يعنيهم قد يجر الي الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات حتي تفضوا
الي الاعتقاد الحق والتقليد الصرف فيما لا سبيل الي درك تفاصيله او لا يهم معرفتها وسوا السبيل
وسطه وهو الصراط المستقيم الذي مر تفسيره ودَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا
حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ الْهُدَى الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَقِيمُوا
الصَّلَوةَ وَآتُوا الزَّكَوةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ
خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ۝ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ
هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَقَالَتِ
الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ
النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ
يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ القراة

قد سلف

قد سلف أن الوقوف كفارًا لأن حسدًا مصدر محذوف أي يحسدون حسدًا أو حال
أو مفعول له وهو أوجه والوصل أجوز الحق لعطف الجملتين المختلفتين بأمره قدير الزكوة
لأن ما للشرط والشرط مصدر عند الله بصير أو نصارى على شيء أما أنهم صادقين عند ربه
عطف الجملتين المتفقتين يحزنون النصارى على شيء لعطف الجملتين المتفقتين على الإلان
الواو للحال الكتاب مثل قولهم لأن فالله مبتدأ مع فاء التعقيب يختلفون **التفسير**
هذا نوع آخر من مكايد اليهود روي أن فنحاص بن عازوراء وزيد
ابن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد
ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل
ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فإني
عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبأ، وقال حذيفة
وأما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة
وبالمؤمنين إخوانا ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال أصبتما خيرا
وأفلحتما فنزلت فكفارا نصب على الحال أو مفعول ثان ليردون على أنه بمعنى صير والحسد
من أقبح الخصال الذميمة **قال** صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات
كما يأكل النار الحطب وقال إن لنعم الله أعداء قيل وما أولئك قال الذين يحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله **وقيل** ستة يدخلون النار قبل
الحساب الأمراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل
الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد وروي أن موسى عليه السلام لما ذهب إلى ربه رأى في ظل
العرش رجلا يغبط بمكانه فقال إن هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره
باسمه وقال أحدثك من عمله ثلثا كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق
والديه ولا يمشي بالنميمة **ويحكى أن عبد الله بن عون**
دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال إني أريد أن أعظك بشيء إياك والكبر
فإنه أول ذنب عصي الله به إبليس ثم قرأ فسجدوا إلا إبليس استكبر وإياك والحرص فإنه
أخرج آدم من الجنة أمكنه الله من جنة عرضها السموات والأرض فأكل منها فأخرجه الله ثم تلا
اهبطا منها وإياك والحسد فإنه قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم
بالحق **وقال** ابن الزبير ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن
كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده
على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار واعلم أنه إذا أنعم الله على أخيك بنعمة فإن أردت زوالها فهذا
هو الحسد المحرم الذي ذم الله تعالى صاحبه في هذه الآية وغيرها أم يحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله إن تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا وإن اشتهيت لنفسك
مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون سابقوا إلى مغفرة من ربكم **وقال** عليه السلام
لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا وأنفقه في سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم
الناس وهذا يدل على أن الحسد قد يطلق على المنافسة وقد تكون واجبة إذا كانت النعمة دينية واجبة
كالإيمان والصلوة والزكوة وقد تكون مندوبة في نحو الإنفاق في سبيل الله وتشتهي العلم والتعلم وقد
تكون مباحة وللحسد مراتب الأولى أن يحب زوال النعمة عنه وإن لم تحصل له وهذه أخبث الثانية
أن يحب زوالها عنه إليه لرغبته في داره الحسنة وامرأته أو ولايته فالمطلوب بالذات حصولها له فأما
زوالها عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة أن لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فإن عجز عن
مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل فلا يحب

زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة منها
مذموم وغير مذموم والثانية اخف والاول اخبث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض تمنيه لغير ذلك مذموم واسباب الحسد سبعة اولها العداوة والبغضاء فان من آذاه انسان
ابغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد المقتضي للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى
بنفسه احب ان تشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل وثانيها التعزز فان واحدا من امثاله اذا نال
منصبا عاليا يترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك اراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر
بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته وثالثها ان يكون في طبعه ان يستخدم غيره فيريد زوال
النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منه ورابعها التعجب او عجبتم ان جاءكم ذكر
من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص من المتزاحمين على مقصود
واحد كتحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة عند الابوين
وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة وسادسها حب الرياسة كمن يريد ان يكون عديم النظير
في فن من الفنون فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته فان الكمال محبوب لذاته
وضد المحبوب مكروه ومن جملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا ممتنع حصوله الا لله تعالى ومن طمع
في المحال خاب وخسر وسابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر
ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب
امور الناس وادبارهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون
ذلك من ملكه وخزائنه وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال غيره
وقد يجتمع بعض هذه الاسباب فيعظم الحسد ويتقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا في الامور
الدنيوية لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد بين ارباب
الدين واصحاب اليقين وانما يكونون بلقاء اخوانهم مستانسين وببقاء اقرانهم فرحين ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين واما علاج الحسد فامران العلم والعمل اما العلم
ففيه مقامان اجمالي وهو ان يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله كان وما لم يشا
لم يكن لا يرده كراهية كاره ولا يجره ارادة مريد وتفصيلي وهو العلم بان الحسد قذى في عين الايمان
حيث كره حكم الله وقسمته في عباده وغش للاخوان وعذاب اليم وحزن مقيم ومورث للوسواس ثم
ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود في دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك ولا في دينه بل ينتفع به
لانه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع في دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا تزال تزيد
غمومك واحزانك الى ان يفضي بك الى الذنوب والتلف اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله النار
تاكل نفسها ان لم تجد ما تاكله وقد يستدل بحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد
الفضائل لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا منك الذي يكمد لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل
من يحسد والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق مشكور في ابليس واصحابه مدحور
عند الحق واوليائه ومثله كمن رمى حجرا الى عدوه ليصيب به مقلته فلا يصيبه بل يرجع على عينه
حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى
فيعميه فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على راسه فيشجه وعدوه سالم في كل الاحوال وقد عاد
عليه الوبال واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون هذا له في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى واما
العمل فهو ان ياتي بالافعال المضادة لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف
لسانه المدح له وان حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله على قطع اسباب الخير
سعى في ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبوبا محبا فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم

وذلك

وذلك التكليف يصير بالآخرة طبعا والله الموفق . **واعلم** ان النفرة القائمة بقلب الحاسد
من المحسود امر غير داخل في وسعه فكيف يعاقب عليه وانما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة هو
اظهار آثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة عنه وجر اسباب المحنة اليه ثم ان اليهود كانوا
يريدون رجوع المؤمنين عن الايمان من بعد ما تبين لهم الايمان صواب حق فالقوا اليهم صنوفا
من الشبهة لعلمهم ان الحق لا يعدل عن الحق الا بالشبهة احدها ما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم
قد علمتم ما نزل بكم من اخراجكم من دياركم واموالكم واستمرار الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذي ساقكم
الى هذه الثاني في باب الدين بالقدح في المعجزات وبتحريف التورية وقوله من عند انفسهم اما ان
يتعلق بود اي تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد
ما تبين لهم انكم على الحق واما ان يتعلق بحسدا اي منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا اي فاسلكوا
معهم سبيل العفو والصفح بترك المقاتلة والاعراض عن الجواب لان ذلك اقرب الى تسكين الثائرة لا دائما
بل حتى يأتي الله بامره عن الحسن ان المجازاة يوم القيامة **وقيل** قوة الاسلام
وكثرة المسلمين والاكثرون على انه الامر بالقتال فعنده يتعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل
الذل والصغار فالاية منسوخة لان الغاية التي علق بها غير معلومة شرعا فليس كقوله ثم اتموا
الصيام الى الليل بل هي بمحل قوله فاعفوا واصفحوا الى ان انسخه عنكم عن الباقر عليه السلام انه لم
يؤمر رسول الله عليه السلام بقتال حتى نزل جبرائيل بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
وقلده سيفا وكان اول قتال قتال اصحاب عبدالله بن جحش ببطن وبعده غزوة بدر فان قيل كيف يعفون
ويصفحون والكفار ح اصحاب شوكة وقوة والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين
كان ينال الاذى فيقدر على بعض التشفي والاستعانة بساير اصحابه فامروا ان لا يهيجوا قتالا وفتنة وايضا
القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وايضا جعل
الصاير الى القوة قويا ليظهره على الدين كله **وقيل** المراد بالعفو والصفح
حسن الاستدعاء واستعمال ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق وترك التشدد وعلى هذا لا يكون
الاية منسوخة وكذا لو قيل المراد بامر الله قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية
عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلاة تنبيه على انه كما يلزمهم لحظ حال
غيرهم بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ انفسهم باداء الواجبات من خير من حسنة صلوة او صدقة فريضة او
تطوع فعمم بعد ما خص تنبيها على ان الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد من اضمار
اي تجدوا ثوابه لان وجدان تلك الاشياء غير مطلوب ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من
الاعمال وفيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسيء وقالوا لن يدخل الجنة نوع اخر من تخليط اهل الكتاب اليهود
والنصارى في الضمير في وقالوا لهم والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى
لن يدخلها الا من كان نصارى فضم بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق ما قاله لما علم
من تكفير كل واحد منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هايد كبازل
وبزل وعايذ وعوذ والعايذ الحديثة النتاج من النوق والبازل التي خرج نابه ووحد اسم كان حملا
على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تلك
امانيهم على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل
هذه وهي قولهم لن يدخل الجنة او اشير بتلك الى ان ودوا انهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم امنية
وودادتهم ان يردوهم كفارا امنية وقولهم لن يدخل الجنة امنية اي تلك الاماني الباطلة امانيهم
وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم اعتراض
على هذا وهات الشيء اسم فعل معناه اعط ويتصرف فيه بحسب المامور هات هاتيا هاتوا هاتين
وقيل الصحيح انه ليس باسم فعل وانما الهاء فيه مبدلة من الهمزة واصله آت
من الايتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وفيه دليل واضح على

ان المدعي نفيا او اثباتا لا بد له من برهان والا فدعواه باطلة شعر من ادعى شيا بلا شاهد
لا بد ان تبطل دعواه بلي اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وقوله من اسلم الى اخره جملة شرطية
مستانفة ويجوز ان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره
كلاما على ما يدخلها من اسلم وفيه اشارة ان لهولا الداخلين برهانا وهو استسلام النفس وانقيادها
لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيب في الاسلام وبيان المفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كانه
قيل لهم انتم على ما انتم عليه لا تفوزون بالجنة بلى ان غيرتم طريقتكم فاسلمتم وجهكم لله
واحسنتم فلكم الجنة وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس وينبوع الفكر
والتخيل فاذا تواضع الاشرف كان غيره اولى ولان الوجه قد يكنى به عن النفس والذات كل شي هالك
الا وجهه الا ابتغا وجه ربه الاعلى لان اعظم العبادات السجدة وهي انما تحصل بالوجه وهذا الاسلام
اخص من الاسلام الذي ورد في الحديث ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم
الصلوة وتوتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا لان هذا عبادة
عن الاذعان الكلي بجميع القوى والجوارح في كل الاحوال والاوقات وهو الاسلام الذي امر ابراهيم
صلوات الرحمن عليه اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويوكد ذلك قوله لله اي
خالصا لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله غيره ولا معلقا رجاه بغيره وزاد التاكيد بقوله
وهو محسن اي حال كونه محسنا في عمله ومعنى الاحسان هو الذي في الحديث الاحسان ان
تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولا ريب ان العبادة على هذا الوجه لا تصدر
الا عن صدق النية وصفاء الطوية فان مثول العبد بين يدي مولاه يشغله عن الالتفات
الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو فيه الا لوجه الله فلا يصدر عنه شي من السيات واما الطاعات
والمباحات فتكون مقتضية لتزايد الحسنات ورفع الدرجات في الخبر من تطيب لله جا يوم
القيامة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من
الجيفة وذلك ان المتطيب اذا كان قصده التنعم واستيفاء اللذات او التودد الى النسوان
كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروايح المؤذية عن عباد الله وتفخيم
المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المناكح والمطاعم والمشارب والمضابط ان كل ما فعلته لداعي
الحق فهو العمل الحق وكل ما عملته لغير الله فحلالها حساب وحرامها عذاب روي ان رجلا من
بني اسرايل مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته
بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك
ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وليس النية ان تقول في نفسك او بلسانك عند تدريسه
او تجارتك نويت ان ادرس لله او اتجر لله هيهات انما الحديث نفس او لسان وما ذاك
الا كقول الفارغ نويت ان اعشق وانما النية انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق
في كل فعل فاجتهد في تحصيل ذلك ملكة لنفسك وللناس فيما يعملون مذاهب فمنهم من
يعمل لباعث الخوف عن النار فله ذلك ومنهم من يعمل لباعث الطمع في الجنة فهم اكثر اهل الجنة البله
ومنهم من يعمل لله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما جمع الله تعالى اهل الكتابين
في الاية المتقدمة فصل بينهما وبين قول فريق في حق الاخر والظاهر حمل لفظي اليهود والنصارى
على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا اعتقاد كل واحد من كل من الطايفتين في حق الاخرى
روي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى
ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شي من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى
لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية ومعنى على شي يصح ويعتد به وفيه مبالغة عظيمة كقول العرب
اقل من لا شي عن ابن عباس والله صدقوا **قلت** وذلك ان الايمان بالله انما يعتد به
اذا كان مومنا برسولهم وبكل ما انزله وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا

ذلك

ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية او الانجيل او غيرهما من كتب الله
ان يومن بالباقي ولا يكفر به لان جميع الكتب السماوية متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف
للتشبيه وذلك اشارة الي المذكور راي قولا مثل الذي سمعت به قال الذين لا يعلمون ومثل قولهم
مكرر للتاكيد ولطول الكلام بالموصول والصلة والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم
ولا كتاب كعبدة الاصنام القايلين ان المسلمين ليسوا علي شي وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم
مع علمهم في سلك من لا يعلم فقالوا اقوالا عن التشهي والعصبية مثلهم فالله يحكم بينهم اي بين اليهود
والنصارى يوم القيامة عن الحسن يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع الضمير الي الكافرين
الذين يعلمون والذين لا يعلمون والي المسلمين ويحكم بين الحق والباطل فيما اختلفوا فيه فينتصر
من الظالم المكذب للمظلوم المكذب او يريهم من يدخل الجنة عيانا ويدخل النار عيانا اعاذنا الله منها

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَنْ
يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا
أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا
خَائِفِينَ ∴ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ
فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ
وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ
ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ∴ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا
سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ
كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ∴ بَدِيعُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ
وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ
أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ∴ القراءة قالوا

اتخذ الله بلا واو العطف ابن عامر اتباعا لمصاحف الشام كن فيكون بالنصب كل القران ابن عامر
الا قوله كن فيكون الحق في ال عمران وكن فيكون قوله الحق في الانعام وافقه الكسائي في النحل

وليس الوقوف خرابها للفصل بين الاستفهام والخبر خابفين لان ما بعده اخبار وغير مبتدا به دو
منتظر عظيم وحده الله عليم ولذا لا تجعل للتنزيه سبحانه والارض لان ما بعده مبتدا، قانتون
والارض لان اذا اجيب بالفا فكانت للشرط فيكون الية قولهم قلوبهم لان فى للتاكيد الاستيناف
يوقنون **التفسير** عن ابن عباس ان ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه
والقى فيه الجيف وحاصر اهله وقتلهم وسبى الذرية واحرق التوراة ولم يزل خرابا حتى بناه
اهل الاسلام في زمان عمر فنزلت الاية وعن الحسن وقتادة والسدي نزلت في بخت نصر
حيث خرب بيت المقدس واعانه على ذلك بعض النصارى ورد بان بخت نصر كان قبل مولد المسيح
بزمان **وقيل** نزلت في مشركي العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الدعاء الى الله بمكة والجاوه الى الهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه ان يذكروا الله في المسجد
الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله عليه السلام ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
ووجه اتصال الاية بما قبلها على القولين الاولين هو ان النصارى ادعوا انهم من اهل الجنة فقط
فبين انه لا اظلم منهم فكيف يدخلون الجنة وعلى الاخرين هو انه جرى ذكر مشركي العرب
في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فعقب ذلك بسائر قبائحهم ومن استفهامية لتقرير النفي
اي ليس احد اظلم ممن منع وان يذكر ثاني مفعوليه لانك تقول منعته كذا او بدل من مساجد
او حذف حرف الجر مع ان او التقدير كراهة ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس
مساجد الله وان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط في الظلم ولا باس ان يجيء الحكم عاما وان
كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا من اظلم ممن اذى الصالحين ومثله ويل
لكل همزة لمزة والمنزل فيه الاخنس بن شريق وينبغي ان يراد بمن منع العموم ايضا لان الذين
منعوا من اولئك النصارى او المشركين باعيانهم والسعي في خراب المساجد بانقطاع الذكر او بتخريب
البنيان **قيل** ان قوله ومن اظلم الذي هو في قوة ليس احد اظلم ليس على عمومه
لان الشرك اعظم من هذا الفعل ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنى وقتل النفس قلت اما استعمال
لفظ الظلم في هذا المعنى ففي غاية الحسن لان المسجد موضوع لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك
واضع للشيء في غير موضعه واما انه لا اظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه
الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه وان كان يدعي الاسلام ففعله مناقض لقوله لانه من اعتقد
ان له معبودا عرف وجوب عبادته عقلا وشرعا والعبادة تستدعي متعبدا لا محالة فتخريب
المتعبد ينبئ عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة
مسلما وانما هو منخرط في سلك اهل النفاق والمنافق كما مر اسوأ حالا من الكافر الاصلي والاتفاق
اولئك المانعون ما كان لهم اي ما ينبغي ان يدخلوها في حال من الاحوال الا خائفين على حال
التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا
المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم **وقيل**
هذه بشارة للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى
لا يدخلوا المسجد الحرام الا خائفين ان يعاقبوا او يقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز الله هذا الوعد
فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج ابو بكر الا لا يحجن بعد العام مشرك وامر النبي
عليه السلام باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس في ايدي المسلمين وقيل حرم عليهم
دخول المسجد الا في امر يقتضي الخوف نحو ان يدخلوا للمحاكمة او المخاصمة او المحاجة وقيل اللفظ خبر
ولكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله فمن ههنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخصص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة
قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
وجوز ابو حنيفة دخول المساجد كلها لما روي انه عليه السلام قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم

المسجد

السجد واجب بانه في اول الاسلام ثم نسخ بالاية خزي دل بمنعهم
عن المساجد او بالجزية في حق اهل الذمة وبالقتل والسبي في حق اهل الحرب وفيه ردع لهم عن
ثباتهم على الكفر وقيل الخزي فتح مداينهم قسطنطينية وعمورية والرومية والعذاب العظيم
يناسب الظلم العظيم ولنذكرها هنا فوايد الاولي في بيان فضل المساجد من ذلك اضافتها الي الله
في الاية وذلك دليل على شرفها وكذا في قوله وان المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله
من امن بالله واليوم الاخر في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال عليه السلام
احب البلاد الي الله مساجدها وابغض البلاد الي الله اسواقها ولبس ذلك الا لان المسجد يذكر
الحبيب والسوق تشتغل عنه وفي الاية نكتة وهي ان تخرب المساجد لما كان في نهاية الظلم
والكفر يلزم ان يكون عامرها في غاية العدل والايمان الثانية في فضل المشي الي المساجد عن ابي
هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته ثم مشى الي بيت من بيوت الله ليقضي فيه
فريضة من فرايض الله كانت خطواته احديهما تحط خطيئة والاخري ترفع درجته وقال عليه
السلام لبني سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الي قرب المسجد دياركم تكتب اثاركم الثالثة في تزيين المساجد
عن ابن عباس رضي ان النبي عليه السلام قال ما امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها
كما زخرفت اليهود والنصارى والتشييد رفع البنا وتطويله والزخرفة التزيين والتمويه وامر
عمر ببناء مسجد فقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس الرابعة في تحية
المسجد عن ابي قتادة انه عليه السلام قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس ثم
وتتادى التحية بالفرض او النفل نواها او لا وهذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي واحمد
واسحاق وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطا بن رباح والنخعي وقتادة ومالك
والثوري واصحاب الراي الخامسة في الدعاء عند الدخول في المسجد والخروج عنه روت فاطمة بنت
رسول الله عليه السلام عن ابيها قالت كان رسول الله عليه السلام اذا دخل المسجد صلى على
محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك السادسة في فضيلة القعود فيه
لانتظار الصلوة عن ابي هريرة انه عليه السلام الملايكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى
فيه فيقول اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع والشرى فيه عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان النبي عليه السلام نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشرى فيها وان
يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلوة يعني لمذاكرة العلم ونحوها بل يشتغل بالذكر والصلوة والانصات بالخطبة
ثم لا باس بالاجتماع والتحلق بعد الصلوة واما طلب الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فمكروه ايضا
عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد
فليقل لا ادها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف المسيلة في المسجد وكان بعضهم
لا يري ان يتصدق على السايل المتعرض في المسجد وقال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس
من ان يقام فيه الحدود او يقبض فيه الخراج او ينطق فيه بالاشعار او ينشد فيه الضالة او يتخذ
سوقا ولم ير بعضهم بالقضا في المسجد باسا لان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن بين العجلاني وامراته في المسجد
ولاعن عمر عند منبر النبي عليه السلام وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد وكان الحسن
وزرارة بن ابي اوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد الثامنة النوم في المسجد عن عباد بن
تميم عن عمه انه راي رسول الله عليه السلام مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى
وفيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة في المسجد جوازها في البيت الا الانبطاح
فانه عليه السلام نهى عنه وقال انها ضجعة يبغضها الله التاسعة في كراهية البزاق في المسجد
عن انس عن النبي عليه السلام قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه عليه السلام
اذا قام احدكم الي الصلاة فلا يبصق امامه فانه يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فان
عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله او تحت رجله فيدفنه العاشرة عن جابر انه عليه السلام

من اكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن المسجد فان الملايكة تتاذى مما يتاذى منه الانس
الحادية عشرة في بناء المسجد في الدور وان تنظف وتطيب وفيه دليل على ان تسمية الموضع به
بالمسجد لا يخرجه عن ملكه ما لم يسبله قوله عز من قايل ولله المشرق والمغرب الاية الاكثرون
على انها نزلت في امر يختص بالصلوة اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه احدها انه اراد به
تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الاطراف
مملوكة له سبحانه ومخلوقة له فاينما امركم باستقباله فهو القبلة لان القبلة ليست قبلة لذاتها
بل بجعل الله تعالى فكان الاية متقدمة لما اراد من نسخ القبلة وثانيها عن ابن عباس لما حولت
القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم وثالثها قول ابي مسلم ان كلا من
اليهود والنصارى زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك ان اليهود انما استقبلوا بيت
المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد الى السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا المشرق لان عيسى
ولد هناك اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان
هكذا فهو مخلوق لا خالق فكيف يخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين الخالق والمخلوق ورابعها قول
قتادة وابن زيد ان الله تعالى نسخ بيت المقدس بالتخيير الى اي جهة شاوا بهذه الاية فكان
للمسلمين ذلك الا ان النبي عليه السلام كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك
التخيير بتعيين الكعبة وخامسها ان الاية في حق من يشاهد الكعبة فله الاستقبال من اي جهة
شا وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله عليه السلام في غزاة في
ليلة سودا مظلمة فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا
فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله عليه السلام فانزل الله هذه
الاية عذرا لنا في خطاينا وهذا الحديث يدل على انهم ح قد نقلوا الى الكعبة لان القتال
فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها عن ابن عمر نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث توجهت
به راحلته فكان عليه السلام اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومي براسه نحو المدينة
فمعنى الاية اينما تولوا وجوهكم لنوافلكم في اسفاركم فثم وجه الله اي فقد صادفتم رضاه ان الله
واسع الفضل عليم بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا يلزم ترك النوافل او التخلف عن الرفقة فان النوافل
غير محصورة بخلاف الفرايض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي
فيها الى الحرج ولا يخفى ان الاية على الوجه الاول ناسخة وعلى الرابع منسوخة وعلى ساير الوجوه
لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية فاختلفوا ايضا فقيل الخطاب في فتولوا للمانعين والساعين
يريد انهم اين هربوا فان سلطاني يلحقهم وتدبيري يسبقهم وعلمي محيط بمكانهم وعن قتادة ان النبي
عليه السلام قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا نصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وان
من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم الاية فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت هذه
الاية اي الجهات التي يصلي اليها اهل كل ملة لي فمن وجه نحو شي منها يريد طاعتي وجدني فكان
فيه هذا عذر النجاشي واصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن
الحسن ومجاهد والضحاك لما نزل ادعوني استجب لكم قالوا الى اين ندعوه فنزلت وعن علي بن عيسى
انه خطاب للمسلمين اي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من ارضه فلله بلاد
المشرق والمغرب والجهات كلها ففي اي مكان فعلتم التولية التي امرتم بها بدليل قوله فول وجهك
شطر المسجد فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المامورة المرضية وهذا كقوله عليه السلام جعلت لي
الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهد في الصلوة او في غيرها وفيه ان المجتهد
اذا راى بشرايط الاجتهاد رايا فهو مصيب ومعنى تولوا في جميع الوجوه تستقبلوا بوجوهكم اليها ويقال
ولي هاربا اي ادبر فالتولية من الاضداد ومن حمل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد بالتولية
الادبار وثم اشارة الى المكان خاصة وقد زعمت المجسمة من الاية ان لله تعالى وجها وايضا سماه واسعا

والسعة

والسعة من نعوت الاجسام **والجواب** ان الاية عليه لا له فان الوجه لو حمل على مفهوم
اللغوي لزم خلاف المفهوم فانه ان كان مجازيا للشرع في استحالة ان يكون ح مجازيا للغوي فلا بد
من تاويل هو ان الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقهما واوجدهما فاي وجه من
وجوه العالم وجهاته المضافة اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو قبلة او المراد بالوجه القصد
والنية مثل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض او المراد فثم مرضاة الله مثل انما
نطعمكم لوجه الله فان المتقرب الى رضا احد شيئا فشيئا كالمتوجه الى شخصه ذاهبا اليه شيئا فشيئا
وكيف يكون له وجه او جهة ام كيف يكون جسما او جسمانيا وانه خالق الامكنة والاحياز والجواهر
والاعراض والخالق مقدم على مخلوقه تقدما بالذات والعلية والشرف فالمراد بالسعة كال الاستيلا
والقدرة والملك وكثرة العطا والرحمة والانعام وانه تعالى قادر على الاطلاق في توفية ثواب
من يقوم بالوارث على شرطها وتوفية عقاب من تكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم على
حسب اعمالهم قوله وقالوا اتخذ الله ولدا نوع اخرى من قبايح افعال اليهود والنصارى والمشركين
جميعا فقدم ذكرهم في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن اظلم كما مر وا الضمير في
يصلح العود اليهم فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب
قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض ملكا وخلقا وابداعا وصنعا
ومن جملتهم الملائكة وعزير والمسيح والولد لا بد ان يكون من جنس الوالد ومن اين المناسبة بين واجب الوجود لذاته
مطلب معنى القنوت
وممكن الوجود لذاته اللهم الا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي شركة في الحقيقة الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في
الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم الحق محال كل له قانتون التنوين عوض عن محذوف اي كل
ما في السموات والارض **والقنوت** والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى
ان دوام الممكنات واستمرارها جميعا به واجله وقيل عن مجاهد وابن عباس مطيعون فسيل ما الكافر فاجاب
انهم يطيعون يوم القيامة فقيل هذا للمكلفين وقوله بل له ما في السموات يعم المكلف وغيره فعدل الى
تفسير اخر فقال المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من اثار القدرة وامارات الحدوث
وكون جميعها في ملكه وتحت قهره لا تمتنع عن تصرفه فيها كيف يشا وعلى هذه الوجوه جمع السلامة
في قانتون للتغليب او يراد كل من الملائكة وعزير والمسيح عابدون له مقرون بن لوبيته منكرون
لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه يجمع على الاصل **يحكى** ان علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه قال لبعض النصارى لولا تمرد عيسى عن عبادة لمرت على دينه فقال النصراني
كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله فقال علي رضي لئن كان عيسى الها
فالاله كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني وبهت بديع
خبر مبتدا محذوف اي هو بديع السموات والارض عمم اولا ان الملايكة والاختصاص لا يستلزم
كون المالك موجدا للمملوك ثم خص ثانيا يقال بدع الشي بالضم فهو بديع وابدعه اخترعه
لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه **وقيل**
بمعنى المبدع كالاليم بمعنى مولم او ضعف ثم انه تعالى بين كيفية الابداع فقال واذا قضى امرا فانما
فانما يقول له كن فيكون اصل التركيب من ق ض ي يدل على القطع فقضى القاضي بهذا اي
فصل الدعوى وانقضى الشي انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر اذا اتمه
واحكم لان اتمام العمل قطع له وقضى دينه اداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وصانف الشي
لانه كان مقطوع الاطراف والامر الشان والفعل ههنا ومعنى قضى امرا اتمه او حكم بانه يفعله
او احكمه **قال** وعليهما مسرودتان قضاهما داود وصنع السوابغ تبع ثم من قرا فيكون
بالرفع على تقدير فهو يكون فلا اشكال واما من قراه بالنصب على انه جواب الامر فاورد
عليه ان جواب الامر لا بد ان يخالف الامر في الفعل وفي الفاعل او فيهما اذهب ينفعك او اذهب
تذهب زيدا او اذهب ينفعك زيد فاما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب

نعم جائز لان الشي لا يكون شرطا لنفسه **قلت** لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي يترتب على الامر قد يكون شيئا مغايرا للفعل المامور وذلك اكثري وقد لا يكون الغرض الا مجرد ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم ان الغرض منه ليس شيئا اخر مغايرا له فقول القائل اذهب تذهب او فتذهب معناه اعلام ان الغرض منه الامر بالوجود وهو نفس صدوره الذي طلب منه لا شي اخر كان المقصود في الاية من الامر بالوجود وهو نفس الوجود فاوقع كان التامة جوابا لمثلها لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن له جوابا من حيث المعنى **فان قلت** ان قوله فيكون لما كان تتمة القول فالصواب ان يكون بتا الخطاب نحو اذهب فتذهب **قلت** هذا الحادث قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة في قوله امرا وفي قوله له ومر على سبيل الخطاب فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من باب الالتفات تحقير الشانه في سهولة تكوينه ولان اول الكلام مع المكلفين فرجع الى ذلك **وههنا بحث اخر** وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تعالى الشي على صدور لفظة كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا محالة والكاف لكونه متقدما على الحدث بزمان مقدر يكون محدثا ايضا ولان اذا للاستقبال فالقضا محدث ولان يكون المخلوق مرتبا على كونه كن بالفا والمتقدم على المحدث بزمان محصور محدث ايضا ولا جائز ان يكون محدثا ولا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور واما التسلسل واذا بطل القسمان بطل توقف الاشيا على كون الثاني اما ان يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود وخطاب المعدوم سفه واما بعد دخوله في الوجود ولا فايدة فيه الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته او يرجع الحاصل الى تسمية القدرة ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انه لا تاثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها فكذا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما مجموع والنون ولا وجود لهما مجموعين فعند مجي الثاني ينقضي الاول واما احدهما وهذا خلاف للمفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الاية على الظاهر غير جائزة فلا بد من تاويل واصحه ان يقال المراد ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذه المتكون بحال الامور المطيع الذي يومر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يابي وفيه تاكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها **وقيل** انه علامة وضعها الله تعالى للملايكة اذا سمعوها علموا انه اذا احدث امرا عن ابي الهذيل وقيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم عن الاصم وقيل انه امر الاحيا بالموت وللموتى بالحيوة وقال الذين لا يعلمون يعني الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ايضا ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالاية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد وهذه الاية فيها بيان قدحهم في النبوة والاحرف تحضيض اي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا اراد تحصيل شي اختار اقرب الطرق المودية الى المطلوب ثم انه تعالى كلم الملايكة وكلم موسى وانت تقول يا محمد انه كلمك فاوحى اليك فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى تنزل الاعتقاد ويزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا ياتي باية ومعجزة وهذا طعن منهم في كون القران اية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين من قبلهم في مكذبي الرسل تشابهت قلوبهم اي قلوب هولا ومن من قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به فكما ان قوم موسى كانوا ابدا في التعنت والاقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل لنا الها فكذا هولاء المشركون لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا وكذلك المعاصرون من اليهود والنصارى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الايات لقوم ينصفون فيوقنون انها ايات فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفا بها لكونها ايات ظاهرة هي القران العظيم الذي اخرس شقاشق الفصحا عن اخرهم ومعجزات باهرة كمجي الشجر وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وايضا لو كان في معلوم

الله تعالى انهم يومنون عند انزل ما اقترحوه لفعلها لكنه علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل ذلك وايضا
لعل في تلك الايات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كافضائها الى حد الالجا المخل بالتكليف وكايجابها استيصالهم
بالكلية اذا استمروا على التكذيب وكخروجها عن القدر الصالح لالزام الحجة وايضا كثرة الايات وتعاقبها تنافي كونها
خوارق العادة فلا يبقى ايات وكل ما ادى وجوده الى عدمها فهو من وجوده محال فثبت بهذه البينات ان عدم
اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة النبوة والله اعلم

التأويل

مساجد الله التي
يذكر فيها اسمه اربعة عند اهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وهو سر السر وذكر كل مسجد منها مناسب
لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر
مسجد القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى الله الى داود
حذر وانذر اصحابك اهل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد الروح
الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه
بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات
الى المشاهدات والمكاشفات اولئك ما كان لهم ان يدخلوا هذه المشاهد الا بقدم السلوك الا خائفين الخوف
من سوء الحساب والم العقاب لهم في الدنيا خزي من ذل الحجاب ولهم في الاخرة عذاب الحرمان من جوار
الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله في مشرق كل قلب ومغربه
شارق وطارق فطارق القلب من هواجس النفس يطرق بظلمات الشين عند غلبات الهوى وغروب
نجم الهدى وشارق القلب من واردات الروح يشرق بانواع الفتوح عند غلبات الشرف وطلوع قمر الشهود
فيكون القبلة والمحنة والدلالات والمحنة فاذا تجلت شمس صفات الجلال تحجبت نجوم صفات الجمال واذا اشرق
سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السما
والظلمة ولا الضيا اذ ليس عند الله صباح ولا مسا وتلاشى العبد في كعبة العندية ونودي ابنا الفناء
من عالم البقا رفعت القبلة وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع يوسع قلب ما شاء من
عباده ليسعه عليم بتوسيع القلب ليسعه بلا كيف وحيث كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب
عبدي المومن ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ۞ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ
الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى
اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ
تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ

عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون ∴ القراءة

ولا تسئل على النهي نافع ويعقوب الباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر الوقوف ونذيرا للعطف اي نذيرا وغير مسئول الاول قراءة ولا تسئل على النهي لاختلاف الجملتين الجحيم ملتهم الهدى من العلم لان نفي الولاية والنصرة يتعلق بشرط اتباع اهوائهم فكان في الاطلاق خطر تغيير تلاوته لان ما بعدها مبتداء اخر مع خبره وعندي ان الاصوب عدم الوقف ليكون الجملة اعني يتلونه حالا من مفعول اتيناه وقوله اولئك يؤمنون به الجملة خبر الذين لان الاخبار عن اهل الكتاب مطلقا بانهم يتلونه حق تلاوته لا يصح اللهم الا ان يحمل الكتاب على القران كما يجيء يؤمنون به للابتداء بالشرط الخاسرون العالمين ينصرون

التفسير لما بين غاية اصرارهم على العناد وتصميمهم على الكفر بعد نزول ما يكفي في باب الاقتداء والاهتداء من الايات البينات اراد ان يسلي ويسري عن رسوله كيلا يضيق صدره فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق والصواب حسب ما يقتضيه الحكمة وهو ان لا يكون لك ان تجبرهم على الايمان بل لا يتجاوز حالك عن ان يكون بشيرا لمن اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات اي معصيتهم لا يضرك فانك غير مسئول عن اصحاب الجحيم وهو من اسماء النار وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب واما قراءة النهي فيروى انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لان سياق الكلام ينبو عن ذلك ولانه عليه السلام ما علم الاحوال بحال الكفار فكيف يتمنى ذلك والاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه من المحن كما اذا سالت عمن وقع في بلية فيقال لك لا تسئل فكان المسئول يحرج ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يرى انك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى عنك فيه اقناط لرسول الله عليه السلام وان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون راسا براس بل يريدون منك عكس ما تطمع اذا عنين ان ملتهم التي كان نسخها هي الهدى قل ان هدى الله هو الاسلام هو الهدى بالحق ليس وراءه هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهواءهم مشتهياتهم وآراءهم الباطلة المنسوخة بعد ما جاءك من العلم بامر الديانة لوضوح البراهين وسطوع الدلائل ما لك من الله من عقابه وسخط من ولي معين يعصمك ولا نصير يذب عنك وفي الاية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى لا يكون اتباع الهوى وفيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمامور به كان اولى فيبطل القول بتكليف ما لا يطاق وفيها ان الذي علم الله منه انه لا يفعل الشيء يجوز منه ان يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال ان الصارف له عن ذلك الفعل هو هذا الوعيد او هو احد صوارفه ولان فيه زجرا شديدا لامته لانهم اذا علموا ان حال النبي لو فرض منه اتباع اهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر لم يبق لهم طمع في الخلاص لو وجد منهم ذلك الذين اتيناهم الكتاب قيل انهم المؤمنون الذين اتاهم القران لان الكتاب الذي يمدح على تلاوته هو القران والاصح انه لما قدم ذكر المعاندين من اهل الكتاب اراد ان يذكر مؤمنهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم او يتبعونه مقتضاه من غير تكاسل ومع متمسكين باحكامه من حلال وحرام وغيرهما او يخضعون عند تلاوته ويخشعون او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه اولئك يؤمنون بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلو الكتاب حق تلاوته كما يستحق ان يتلى ومن يكفر به من المحرفين او من الواضعين عن حقه فاولئك هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به وبقيتم وروده فرجعوا منه بخفي حنين وفازوا بكل حين

يابني اسرايل الايتان رجوع الي اول القصة تذكيرا للنعم بعد تعداد مواجب النقم ليتنبه منهم
من وفق للتنبه والله المستعان

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

القراءة

ابراهام بالالف في البقرة والنساء الاقفرا نتبعا الـ ابراهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع
براءة الاقوم ابراهيم وفي ابراهيم وفي ابراهيم واذ قال ابراهام وفي النحل ومريم والعنكبوت والجاثيات
رسلنا ابرهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في المودة الاقول ابراهيم وفي الاعلى
صحف ابراهيم هشام وابن ذكوان وروي ابن مجاهد في هذه السورة فقط واعلم ان ذكر
ابراهيم في القران تسعة وستون موضعا منها ثلاثة وثلاثون ابرهام بالالف في قراءة ابن
عامر عن ابن ذكوان وستة وثلاثون ابرهيم باليا والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف
قري بالالف وما كتب باليا قري باليا والاختيار عند الايمة ان يقرا ههنا بالالف لبيان المذهب
والبواقي باليا لانه احسن في اللفظ واشهر ويوافقه سائر الاسماء الاعجمية كاسرايل واسرافيل واسمعيل
عهدي مرسلة اليا حمزة وحفص وهشام واتخذوا بفتح الخا نافع واذ جعلنا وبابه مدغمة الذال
في الجيم ابو عمرو وهشام بيتي بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص وهشام واتخذوا بفتح الخا نافع وابن عامر
الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد الوقوف فاتمهن اماما الظالمين وامنا
لمن قرا واتخذوا بالكسر لاعتراض الامر بين ماضيين مصلى كذلك ومن فتح الخا نسق الافعال
الثلاثة فلا وقف السجود واليوم الاخر عذاب النار لان نعم وبئس للمبالغة في المدح والذم فيبتدا بهما
تنبيها على المدح والذم المصير

التفسير

انه تعالي لما استقصي في شرح نعمه على
بني اسرايل والمشركين ومقابلتهم النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع اخر من البيان وهو ذكر

فقصة ابراهيم صلوات الرحمن عليه لان كلهم معترفون بفضله وانهم من اولاده ومن ساكني حرمه
وحرام بيته وفي قصته امور توجب الاعتراف بدين محمد عليه السلام والانقياد لشرعه منها انه
امر ببعض التكاليف ثم وفى بها فنال منصب الاقتداء به فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد
وبالانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته فقيل له لا ينال عهدي الظالمين
فيعرف ان طالب الحق يوجب ان يترك التعصب والمرء ووضع ما رفعه الله لينال رياسة الدارين
ومنها ان القبلة لما حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فاريد ازالة غيظهم بان هذا البيت قبلة
ابراهيم الذي اعترفوا بتعظيمه والاقتداء به ومنها دعوى بارسال نبي من ذريته وهو محمد صلى
الله عليه وسلم كما يجي فيجب على من يعترف بابراهيم ان يعترف بمحمد صلى الله عليه وسلم اما قوله واذ ابتلى
العامل في اذ اما مضمر نحو واذكر بمعنى الوقت فقط او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك
للناس اماما وعلى هذين التقديرين يكون ظرفا لكان او لقال وموقع قال على الاولين استيناف كانه
قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات **فاجيب** قال اني جاعلك وعلى
الثاني جملة معطوفة على ما قبلها من الايات ولا يخفى ان الاستيناف اصوب لينا سبب سياق الجملتين
الاثنتين لورودهما ايضا على طريقة السؤال المقدر والجواب ولا يكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال
ابرهيم واذ يرفع والابتلا الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها لامره بامر المخلوقين
وبناء على العرف بيننا فان كثيرا منا قد يامر ليعرف ما يكون من المامور والا فكيف يجوز حقيقة
الابتلا عليه تعالى مع انه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد
وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو
كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم ان هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى
كان في الازل يعلم حقايق الاشيا وماهياتها فقط واما حدوث تلك الاشيا ودخولها في الوجود فهو تعالى
لا يعرفها الا عند وقوعها بدليل هذه الاية وامثالها المذكور فيها الابتلا او كلمة لعل **والجواب**
عنها ما مر وقد يستدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة منها انه تعالى لو كان عالما بالاشيا قبل وقوعها
لزم نفي القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه استحال ان لا يقع وما علم انه لا يقع استحال ان
يقع ولا قدرة على الواجب وعلى الممتنع لكنه قادر بالاتفاق **والجواب** ان الوجوب بالغير
وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه وانما المنافي للقدرة عليه كونه واجبا لذاته وممتنعا
لذاته ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان لعلمه تعلقات غير
متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء
اذا يرى ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقصة متناه وكذا الزايد ويتوقف بمراتب
الاعداد التي لا نهاية لها وايضا المجموعية والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهي فاما الذي لا نهاية له
فعرض هذه الاعراض فيه محال ومنها ان هذه المعلومات التي لا نهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلة
او لا يعلم فان علم عددها فهي متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب **والجواب**
الاختيار انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم
عددها فاما اذا لم يكن لها عدد في نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو متميز في الذهن عما عداه
وكل متميز عما عداه فما عداه خارج عنه وكل ما خرج عنه غيره فهو متناه فكل معلوم متناه فما هو غير
متناه استحال ان يكون معلوما والجواب انه ليس من شرط المعلوم تميزه عن غيره عند العالم لان
العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان اشيا الا اذا علم
امورا لا نهاية لها والحق ان نور الله نوار اذا لا يتناهى وورا ما لا يتناهى بما لا يتناهى واحاطة غير المتناهي
بغير المتناهي غير بعيد وقد يتعلق علمنا بكثير من الاشيا قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهي قوتنا
ونور يتناهى هكذا فما ظنك بالعليم الخبير الذي هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه يسير
ابرهيم بالنصب وربه بالرفع هو المشهور وهذه الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل وازالته عن مركزه

الاصل فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس وابي
حنيفة رحمه الله رفع ابراهيم ونصب ربه فالمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه تعالى اليهن
ام لا واختلف المفسرون في ان ظاهر لفظ التنزيل هل يدل على تلك الكلمات ام لا فقال بعضهم
اللفظ يدل عليها وهي الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد عليه السلام فكل هذه
تكاليف شاقة اما الامامة فلان المراد منها النبوة واعباؤها اكثر من ان يحصى ولهذا فان ثواب النبي اعظم
من ثواب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده فمن وقف على ما روي في كيفية بنائه عرف شدة
البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل والشيطان في الموقف كرمي الجمار وغيره
واما الاشتغال بالدعاء وليبعث نبي اخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب
وذلك في غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من الكلمات لو كان هذه لناسب ان يذكر
قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع **واجيب** بانه اخبر انه ابتلاه بكلمات على الاجمال
ثم اخبر انه اتمهن ثم فصل تلك الامور وهذا ترتيب في غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع
ضايعا ولا ينقطع النظم القايلون بان ظاهر الاية لا دلالة فيه على الكلمات زعم بعضهم ان الكلمات التي تكلم
بها ابراهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامر ونواه فعن ابن عباس هي عشر
خصال كانت فرضية في شرعه وهي عندنا سنة خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس
وقص الشارب والسواك وخمس في الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء
بالماء **وقد** ابتلاه الله تعالى بثلاثين سهما عشرة في البراءة التائبون العابدون الاية
وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرة في المؤمنون وسال سائل الى قوله والذين هم
على صلواتهم يحافظون وقيل هو مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والوقوف بعرفة
وقيل ابتلاه الله بسبعة اشياء بالكواكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح الولد
والهجرة فوفى بالكل وابراهيم الذي وفى وقيل ما ذكره في قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين وقيل المناظرات التي جرت بينه وبين ابيه ونمرود وقومه والصلوة والزكوة
والصوم وقسم الغنايم والضيافة والصبر عليها وجملة القول ان الابتلاء يتناول الزام كلما فعله كلفه
واللفظ يتناول مجموع هذه الاشيا وكل منها الا ان الكلام في الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة
لانه تعالى نبه على ان قيامه بهن كالسبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لم يعلم كونه مكلفا
بتلك التكاليف الا من الوحي والخواص هذا يختلف باختلاف تفسير التكاليف فمنها ما نعلم بالضرورة
كونها قبل النبوة كحديث الكواكب والشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار
وكذا الختان فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها ما هو بصدد الاحتمال فقد
يمكن ان يكون الى معرفته سبيل سوى الوحي كمنام او الهام والضمير في فاتمهن على القراءة المشهورة
لابراهيم عليه السلام بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان وفي
القراءة الاخرى لله تعالى اي اعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه
فسر الكلمات بما سال ابراهيم به في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم
رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالازار لما يؤتزر به اي ياتمون
بك والاكثرون على ان الامام ههنا النبي لانه جعله اماما لكل الناس فلو لم يكن مستقلا بشرع كان
تابعا لرسول ويبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على انه امام في كل شي والذي يكون كذلك لا بد ان
يكون نبيا ولان الله تعالى سماه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي ان يحمل على اجل مراتب الامامة ومنه
كقوله وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا الا ان من هو ادون ممن يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة والقاضي
والفقيه وامام الصلوة ولقد انجز الله هذا الوعد فعظمه في عيون اهل الاديان كلها وقد اقتدى به من
بعده من الانبياء في اصول مللهم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم وكفى به فضلا ان جميع امة محمد
عليه السلام يقولون في صلوتهم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم ثم

القايلون بان الامام لا تعتبر امامتنا الا بالنص تمسكوا بهذه الاية وامثالها من نحو اني جاعل في الارض خليفة
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ومنع بان الامام يراد به ههنا النبي وقلنا ان المراد به مطلق
الامامة لكن الاية تدل على ان النص طريق الامامة وذلك لا نزاع فيه انما النزاع في انه لا طريق للامامة
سوى النص ولا دلالة في الاية على ذلك وفي الاية دليل على انه عليه السلام كان معصوما عن جميع الذنوب لانه
لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به وذلك يؤدي الى كون الفعل الواحد ممنوعا منه مندوبا
اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرا الله الخلق درءا الا ان العرب تركت همزها كما في هو
البرية ويحتمل ان يكون منسوبا الى الذر صغرا والتمال والضم من تغيير النسب كالدهري في النسبة الى دهر
ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك لاكرمك فتقول وزيدا ولا يخفى
انه من التبعيضية تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم ممن لا يليق بذلك لان ناسا غير
محصورين لا يخلوا عن ظالم منهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واستحق وقد حقق الله تعالى
امله فجعل في اولاده واحفاده كاسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان
وايوب ويونس وذكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد افضلهم واشرفهم ولانه لو لم يطلب الامامة
الا للبعض فكان يلزم في الجواب نعم الا انه لم يكن صريحا في ان ذلك البعض من المؤمنين ام من الظالمين ولو
قال ينال عهدي المؤمنين كان غايته ذلك خروج الظالمين بالمفهوم لا بالنص فلما كان التنصيص على اخراج
الظالم قال لا ينال عهدي الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت بالعهد الاشتمالها
على كل عهد عهد به الله تعالى الى بني ادم اذ لا رتبة اعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل
واذ اخذ فاسي النبيين ميثاقهم واذا خرج الظالمين الصالح للامامة بطريق برهاني وذلك ان
دعاءه مستجاب البتة فكان نبي مجاب ولانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر
معنى ويحتمل ان يقال انه اراد الامامة لاولاده المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح
للامامة **فاجيب** بما اجيب اسعافا لطلبته بابلغ معنى واتمه كما اذا قيل
لمن اشرف اوص لابنك بشي فتقول لا يرث مني اجنبي اي كل ما يبقى مني فهو لابني فكيف اوصي له بشي
ولا يرد ان يونس نال عهده مع انه ظالم سبحانك اني كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى
كما في حق ادم ربنا ظلمنا انفسنا لا على الكفر والفسق وقد يستدل الامامية بالاية على ابطال امامة
غير علي كرم الله وجهه قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك لظلم
عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد الامامة قالوا لا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم اما بعد زوال الكفر
لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليهم دايما ولهذا يسمى النايم
مومنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وايضا المتكلم والماشي حقيقة في مفهوميهما
مع ان اجزاء التكلم والمشي لا توجد دفعة فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم
المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مومن في الحال الا انه كان كافرا
قبل سنين متطاولة فانه لا يحنث وبان التايب عن المعصية لا يسمى عاصيا فكذا التايب عن الكفر ولين
قيل لعل هذا المانع شرعي هو تعظيم الصحابة او المانع عرفي فهذا القدر يكفينا على انا بينا ان المراد
من الامامة في الاية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق لا يجوز
عقد الامامة له بالاتفاق الجمهور من الفقها والمتكلمين فان كل عاص ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة
نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السراير خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا ومما
يدل على بطلان امامة الفاسق ان في كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر الم اعهد اليكم يا بني
ادم ان لا تعبدوا الشيطان اي الم امركم لكن المراد في الاية لا يمكن ان يكون ذلك فان اوامره تعالى لازمة
للظالمين كما للمطيعين فثبت ان المراد كونهم غير مؤتمنين على اوامر الله وغير مقتدى بهم فيها قال
عليه السلام لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي ان يكون حاكما ولا ينفذ احكامه اذا ولي
الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبي عليه السلام ولا فتياه اذا افتى ولا يقدم للصلوة فان

كان

كان بحيث لو اقتدا به لم يفسد صلوته قال ابو بكر الرازي ومن الناس من يظن ان مذهب ابي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطاء نعم انه قال القاضي اذا كان عدلا في نفسه وتولي القضا من امام جاير فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جايزه لان الذي ولاه بمنزلة ساير اعوانه وليس من شرط اعوان القاضي ان يكون عدولا الا تري ان اهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا علي الرضا بتولية رجل منهم عدل منهم القضا حتي يكونوا اعوانا له علي من امتنع من قبول احكامه كان قضاوه نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز ان يدعي ذلك علي ابي حنيفة رضي الله عنه وقد اكرهه ابن هبيرة في ايام بني امية علي القضا به وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما خيف عليه قال له الفقها افتول له شيا من عمله اي شي كان حتي يزول عنك الضرب فتولي له عد احمال التبن الذي يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الي مثل ذلك حتي عد له اللبن الذي كان يضرب لسور المدينة وذلك انه كان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بنا مسجد واراد وني علي عد اجره لما فعلت وقصته في امر زيد بن علي مشهورة هو وحمله المال اليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه وكذلك امره مع محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن وفي الاية انذار بليغ وتخويف شديد عن وخامة عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه يحط اولا عن رتبة النبوة لا ينال عهدي الظالمين وثانيها عن درجة الولاية الا لعنة الله علي الظالمين وثالثها عن رتبة السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعها عن نظر الخلايق جبلت القلوب علي حب من احسن اليها وبغض من اسا اليها وخامسها عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله در القايل شعر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا • فالظلم اخره ياتيك بالندم •
تنام عيناك والمظلوم منتبه • يدعو عليك وعين الله لم تنم •

ولا خر من نوع ظلم الورى وخيم • يا صاحب اللب والحجى • لا تظلم الناس واخش نارا وقودها الناس والحجارة •
ايحسب الظالم في ظلم • اهمله القادر ام امهلا • ما اهملوه بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا •
اتلعب بالدعاء وتزدريه • وما يدريك ما صنع الدعاء • سهام الليل لا تخطي ولكن لها امد وللامد انقضاء •

واعلم ان عهد الله اخذ علي عباده هو بالحقيقة عهد العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي التزمه لعباده هو عهد الربوبية ربكم ورب ابايكم الاولين ثم انه تعالي لا يزال يلاحظك بنظر الربوبية فيربيك ويربيك وبعد نعمة الوجود يعطيك نعم الصحة هو والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاحزان وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وانك لا تنفك عن تقصير ونقصان وجهل وعدوان وايذاء لملايكة الله وعبيده وارضا لحزب هو الشيطان وجنوده فيا بها المغرور ما هذا التقصير فان الي الله المصير وما للظالمين من نصير قوله واذ جعلنا البيت تقرير تكليف اخر والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسما التي كانت في الاصل للجنس ثم كثر استعماله في واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين ساير الافراد حتي صار علما له ولا بد ان يكون وقت استعماله لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ويسمي بالعلم الاتفاقي وانما لزمت اللام في مثله لانه كان يصير علما مع اللام فصارت كبعض حروفه الا انه تعالي لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل ومع هذا الاطلاق لان الحرم نشات بسبب الكعبة نفسها ومثله قوله هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد والله اعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل ان يكون المراد جعلنا البيت سبب الامن وعلي هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلي الاول يكون معني امنا موضع امن كقوله حرما امنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التا للمبالغة كعلامة عن الحسن اي يثوبون اليه في كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمني العود اليه وذلك لدعاء ابراهيم عليه السلام واجعل افيدة من الناس تهوي اليهم وقيل مثابة اي محجوة فيثابون عليه وكون البيت

مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على فعل العبد مخلوق لله تعالى او بان الله تعالى القى تعظيمه في القلوب
ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دينية او دنيوية قال عليه السلام من
حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس
له جزاء الا الجنة ثم ان قطان الخافقين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم فيه النفع لمن
اراد ولا شك ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا خبر فتارة نتركه على ظاهره ونقول انه خبر
بان يكون حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء لا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه اصلا فان الوجود
بخلافه فقد يقع فيه القتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة نصرفه عن ظاهره ونقول انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع امنا من
الغارة والقتل قال عليه السلام ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما
احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب الشافعي رح ان المعنى انها لم تحل لاحد ان
ينصب الحرب عليها وان ذلك احل لرسول الله عليه السلام فاما من دخل البيت من الدين وجب عليهم
فقال الشافعي ان الامام يامر بالتضييق عليه بما يؤدي الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد في الحل فان
لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل في الحرم جاز قتاله فيه وعند ابي حنيفة لا يستوفى قصاص
النفس في الحرم الا ان يبتدئ القتل فيه ولكن تضيق الامر ولا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل
وسلم انه يستوفى منه قصاص الطرف وعند احمد لا يستوفى من الملتجئ واحد من القصاصين ولو التجاء
الى المسجد الحرام قال الامام او مسجد اخر يخرج منه ويقتل لانه تاخير يسير وفيه صيانة المسجد وحفظ
حرمته وقيل يبسط الانطاع ويقتل في المسجد تعجيلا لتوفية الحق واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا
اي اتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون
اليها وهذا المراد بالمصلى القبلة واما من قرا بالكسر ففيه ارادة القول وقلنا اتخذوا منه موضع
صلوة يصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفي مقام ابراهيم اقوال فعن الحسن وقتادة والربيع بن انس انه لما
جاء زائرا من الشام الى مكة قالت له امراة اسمعيل انزل حتى تغسل راسك فلم ينزل لانه سارة شرطت
عليه ان لا ينزل غيرة على هاجر فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق
راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي فيه اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان
ابراهيم عليه السلام كان يبني البيت واسماعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابراهيم عن رفع
الحجارة قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل ان الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند الاذان بالحج قال
القفال ويحتمل ان يكون ابراهيم صلوات الله عليه قام على هذا الحجر في هذه الامور كلها وعن مجاهد
مقام ابراهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى من الصلوة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابراهيم
عرفة ومزدلفة والجمار لانه قام في هذا الموضع ودعا بها والقول بان مقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر
قدميه اولى لان هذا الاسم في العرف يختص بذلك الموضع يعرفه المكي وغيره ولان الحجر صارت تحت قدميه في
رطوبة الطين حتى غاص فيه رجله وذلك من اظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابراهيم فكان
اشد اختصاصا به فاطلاق مقام ابراهيم عليه اولى ولما روي عن النبي عليه السلام انه اخذ بيد عمر
فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت
وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله عليه السلام استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا
فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ومن هذه تجري النية
على نحو رايت منك اسدا ووهب الله لي منك وليا مشفقا ففيه بيان المتخذ المرئي والموهوب وتمييزه
في ذلك المعنى عن غيره ولا ريب ان للصلوة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابراهيم صلوات
الرحمن عليه وركعتا الطواف خلف المقام ثم الحجر ثم المسجد اي مسجد كان حيث شاء من الحرم وغيره متى شاء ليلا
او نهارا سنة عند الشافعي في اصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله عليه السلام للاعرابي حين قال هل علي
غيرها قال لا الا ان تطوع وفي قوله الاخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن ابي

حنيفة

حينئذ دم ايضا مختلفة وعهدنا المراد بالعهد ههنا الامر اي الزمناهما ذلك وامرناهما امرا وثقنا
عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه اي طهرا والمراد التطهير
من كل امر لا يليق بالبيت اما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلي واما من الشرك
ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص وكل هذه اما ان يكون موجودة اصلا فالمراد اقراره على طهارته
مثل ولهم فيها ازواج مطهرة فمعلوم انهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما ان يكون موجودة فامرا
بازالتهما وقيل عرفا الناس ان بيتي طهر لهم متى حجوه للطايفين الى اخره العطف يقتضي مغايرة هـ
فالطايف من يقصد البيت حاجا ومعتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور ان بيتكف والركع
السجود جمع راكع وساجد اي من يصلي هناك وعن عطاء اذا كان طايفا فهو من الطايفين واذا كان
جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز ان يريد العاكفين الواقفين بمعني
القايمين في الصلوة كما قال للطايفين والقايمين والركع السجود والمعني للطايفين والمصلين لان
القيام والركوع والسجود هيبات للمصلي ثم اذا فسرنا الطايفين بالغرباء دلت الاية على ان الطواف
للغرباء افضل من الصلوة لانه تعالي مدحهم بذلك وقد روي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء ان الطواف
لاهل الامصار افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفي اطلاق الاية دليل على ان جواز الصلوة في البيت
فرضا كانت او نفلا خلافا لاحمد ومالك في الفريضة قالا قوله وجهك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل
المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل الى جزء من اجزايه **واجب** بانه التوجه
الى جزء كاف لان التوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبان الفرق بين الفرض والنفل
لا في قوله تعالي واذ قال ابراهيم قيل في الاية تقديم وتاخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا امنا لا يمكن الا
بعد دخول البلد في الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متاخرا في التلاوة فهو متقدم من حيث المعني قلت
وترتيب القصة فوايد منها ان اجمال القصة في قوله واذا بتلي الي فاتمهن ثم فسر وفي التفسير قدم الاهم
فالاهم ولا ريب ان ذكر جعل ابراهيم اماما اولي بالتقديم لعموم نفعه للخلايق ولتقدمه في الوجود ايضا ثم
ذكر جعل البيت مثابة للناس وامنا لانه المقصود من عمارة البيت ثم حكاية عمارة البيت وقد حصل في ضمن
رعاية الاهم فوايد اخر منها انه لما كان مبني القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من اجزايها ايضا
كذلك فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا مجمل ثم فسر ذلك بان جعله ذا امن بسبب دعاء
ابراهيم عليه السلام وذكر البيت اولا وقع مجملا ثم فسر بانه كيف بني ومنها انه وقع ختم الكلام بادعية
ابراهيم عليه السلام ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه ولعلنا فاتنا
من اسرار هذا الترتيب الكريم احصينا هذا بلدا امنا ذا امن مثل عيشة راضية وامنا من فيه كقولك
ليل نايم وانما قيل بلدا امنا على التنكير وفي سورة ابراهيم هذا البلد اما لان هذا الدعاء صدر منه قبل
جعل المكان بلدا فكانه قال اجعل هذا الوادي بلدا امنا وذاك الدعاء صدر وقد جعل بلدا فكانه قال
اجعل هذا المكان الذي صيرته بلدا بلدا ذا امن واما لان الدعوتان واحدة والمراد اجعل هذا البلد بلدا امنا
فيفيد مبالغة زايدة كقولك هذا اليوم يوم حار معناه اجعله من البلد ان الكاملة في الامن بخلاف قوله
اجعل هذا البلد امنا فغيه طلب الامن من نفسه **قيل سال** الامن من القحط
لانه اسكن اهله بواد غير ذي ضرع ولا زرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل لئلا يكون سؤال الرزق
بعده تكرارا **واجيب** بان التوسعة في الرزق مغايرة لطلب ازالة القحط ثم انه
تعالي استجاب دعاءه فجعله امنا من الافات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل قيل اليس
ان الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة وقصد اهلها بكل سوء واجيب بان مقصوده لم يكن تخريب الكعبة نفسها
وانما كان غرضه شيئا اخر من الثمرات من للابتداء او للتبعيض بدليل قوله يجبي اليه ثمرات كل شيء وانما سال
ابراهيم الامن وان يجبي اليه الثمرات وان كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان امنا ذا خصب تفرغ اهله
لطاعة الله تعالي ويكون سببا لاجتماع الناس وانتيابهم اليه من كل اوب زايرين وعاكفين وطلب
الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين فنعم المال الصالح للرجل الصالح واختلف في ان مكة هل كانت امنة

محرمة قبل دعوة ابراهيم وصار ذلك موكدا بدعائه فقيل نعم لما روي عن النبي عليه السلام ان الله حرم
مكة يوم خلق السموات والارض ولقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صارت حرما امنا بدعوته وقبلها كانت
كساير البلاد بدليل قوله عليه السلام اني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة وقيل بالجمع بينهما وذلك انه
كان ممنوعا قبله بمنع الله تعالى من الاصطلام وبما اوقع في النفوس من التعظيم ثم صارت امنا على السنته
الرسل ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المومنين من اهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة
حيث ميز هناك بين المومن والكافر فقيل لا ينال عهدي الظالمين فعرف الفرق بينهما فقيل ومن كفر عطفا على
من امن كما في ومن ذريتي او هو مبتدا تضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك ان الاستخلاف استرعا
يختص بمن ينصح للمرعي فيودي عن الله امره ونهيه ولا تاخذه في الدين لومة لايم ولا سطوة جبار وظالم وابعد الناس
النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذيب ظلم اما الرزق فلا يختص انه ينال المومن والكافر والصالح والفاجر لعموم
الرحمة ولانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة على انه متاع قليل وامر يسير فيما بين الازل والابد وتقليلا
امتاعا او تمتيعا قليلا او زمانا قليلا نعمة المومنين في الدارين موصولة بنعيمهم في الاجل ونعمة الكافرين مقطوعة
عنهم بعد الموت والزايل لا يجدي بطايل افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون ومعنى الاضطرار انه يفعل به ما يلجيه الى النار كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا الى ذه
يصير الفاعل للتخويف والتهديد الا ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كالاضطرار الى الاكل الميتة مثلا وبيس المصير ذلك الذي
اضطر اليه او ذلك الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصيرورة يقال جرت ? يا فلان مصيرا
واما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش لكنه مستعمل والله اعلم

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ه
وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ
عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ۝ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِمَ إِلَّا مَنْ
سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ
لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ

إن الله

اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ۝ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي
قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ
لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ **القراءة** ارنا

وبابه ساكنة الرا ابن كثير وقراءة ابو عمرو بالاختلاس طلبا للخفة وحذرا من الاجحاف ويعلم
بالاختلاس عباس وكذلك كل فعل مستقبل بمجموع حيث وقع وروي ابن دومي عن عباس بكلما
ويعلمنا وكل كلمة تضمنت جميعين من الاسماء بالاختلاس مثل في اعينكم واسلحتكم وامتعتكم
واوصي من الايصاء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون وصى بالتشديد شهداء ان عاصم
وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون شهداء يزيد وكذلك ما اشبهه كل القران الوقوف
واسماعيل لاضمار كقوله اي يقولان ومحله نصب على الحال من اللابتداء بان والجواز الوصل وجه
لطيف على تقدير نا انك اولانك العليم مسئلة لك لعطف المتفقين علينا وقد ذكر الرحيم ويزكيهم
الحكيم نفسه للفصل بين الاستفهام والاخبار في الدنيا لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين اسلم
لان قوله قال عامل اذ والاوجب ان يقال فقال والا انقطع النظم العالمين ويعقوب لا زيادة القول
على الاصح ومن وصل جعل الوصية في معنى القول مسلمون لان ادم بمعنى همزة الاستفهام للانكار
الموت لان اذ بدل اذا الاولة واذا الاوله ظرف شهداء واذا الثانية ظرف حضر ومن قطعها عن الاول
توقف على الموت وجعل قالوا عاملا ولم يقف على بعدي فله وجه لا ينفع لان الانكار متوجه على قولهم ان
يعقوب اوصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قد مات من بعدي واحد العطف الجملتين المختلفتين
والوصل اجوز على جعل الواو حالا مسلمون قد خلت لان ما بعدها صفة للامة ويصلح استينافا وهو
واضح لعطف ولكم ما كسبتم عليها ولكم ما كسبتم لعطف الجملتين المختلفتين يعملون **التفسير**
عن وهب بن منبه قال ان ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض استوحش منها لما راى من سعتها
ولانه لم يرفيها احدا غيره فقال يارب اما لارضك عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيري فقال
الله اني ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري
وسابوئك منها بيتا اختاره لنفسي واخصه بكرامتي واوثره على بيوت الارض كلها باسمي واسميه
بيتي انطقه بعظمتي واحوطه بحرمتي واوضعه في البقعة التي اخترت لنفسي فاني اخترت مكانه
يوم خلقت السموات والارض اجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وامنا احرم بحرمته ما فوقه
وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد حرم حرمتي ومن احله فقد اباح حرمتي ومن امن اهله
استوجب بذلك اماني ومن اخافهم فقد جفاني ومن عظم شانه فقد عظم في عيني ومن تهاون به
فقد صغر في عيني سكانها جيراني وعمارها وفدي وزوارها اضيافي اجعله اول بيت وضع

مطلب الانس عن اخبار ادم

للناس واعمره باهل السماء والارض يأتونه افواجا شعثا غبرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق
يعجون بالتكبير عجا ويثجون بالتلبية ثجيجا فمن اعتمره لا يريد غيري فقد زارني وضافني ووفد علي
ونزل بي فحق علي ان اتحفه بكرامتي وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره وان يسعف
كل واحد منهم بحاجته تعمره يا ادم ما كنت حيا ثم تعمره من بعدك الامم والقرون والانبيا من ولدك
امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبي حتى ينتهي بعد ذلك الى نبي من ولدك يقال له محمد — **مطلب حج آدم**
وهو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته يكون امينى عليه ما دام حيا فاذا هو
انقلب الي وجدني وقد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الي والوسيلة عندي واجعل
اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده وسناه ومكرمته لنبي اسمه من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو
ابوه يقال له ابراهيم ارفع به قواعده واقضي على يديه عمارته واعلمه مشاعره ومناسكه واجعله
امة وحده قانتا قائما بامري داعيا الى سبيلي اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر
واعافيه فيشكر وامره فيفعل وينذر لي فيفي استجيب دعاءه في ولده وذريته من بعده واشفعه
فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت وحماته وسقاته وخدمه وحجابه حتى يبدلوا ويغيروا واجعل ابراهيم
امام ذلك البيت واهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس
وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال
لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه اليه ادم من ارض الهند ماشيا وتلقته
الملايكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام انظركم حج ادم حج ادم اربعين
حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة
فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابراهيم ببنايه وعرفه جبريل مكانه وعن علي رض البيت المعمور
بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض
يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملايكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان
النبي عليه السلام قال الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضا
ما بين المشرق والمغرب ما مسهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس انه كان اشد
بياضا من الثلج حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة اسماعيل وامه فعن ابي هريرة ان رسول
الله عليه السلام قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام فطاك ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت
احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امراتي يغلبني عليك فان سالك فاخبريه انك
اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل ارضه راها بعض اهل الجبار
فاتاه فقال لقد قدم ارضك امراة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فاتي بها وقام ابراهيم
الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان يبسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال
لها ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت اشد من القبضة الاولى فقال لها
مثل ذلك فعاد فقبضت اشد من القبضتين الاوليين فقال ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك
ففعلت فاطلق يده ودعا الذي جا بها فقال انك انما جيتني بشيطان ولم تاتني بانسان فاخرجها
من ارضي واعطها هاجر **قال** قال فاقبلت تمشي فلما راها ابراهيم
انصرف فقال مهيم فقالت خيرا كفى الله يد الفاجر واخدم خادما قال ابو هريرة فتلك امكم يا بني
ماء السماء قلت وذلك انها ملكتها سارة ابراهيم فولدت له اسماعيل ابا العرب واما تتمة القصة بعد
ان غارت سارة على هاجر حيث لم يكن لسارة لابراهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر
اسماعيل باربع عشرة سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس اول ما اتخذت النسا المنطق
من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي
ان ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس

بهما فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته
ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت
له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا
ثم رجعت فانطلق ابراهيم عليه السلام حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل
بوجهه البيت ثم دعا بهولاء الدعوات فرفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك
الماء حتى اذا نفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية
ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي
تنظر هل ترى احدا فلم ترا احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها
ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل
ترى احدا فلم ترا احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي عليه السلام فلذلك
سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت
فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم
فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف
من الماء وهو في سقايها وهو يفور بعدما تغرف قال ابن عباس قال النبي عليه السلام
يرحم الله ام اسماعيل لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها
فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع
اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فياخذ عن يمينه وعن شماله فكانت
كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عايفا
فقالوا ان هذا الطاير ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين
فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل
عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال رسول الله عليه السلام
صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى اهاليهم فنزلوا معهم
حتى اذا كانوا بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب
الغلام فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسماعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع
تركته فلم يجد اسماعيل فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سالها عن عيشهم وهيئتهم
فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه قال فاذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي
له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل كانه انس شيا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا
شيخ كذا وكذا فسالنا عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل
اوصاك بشي قالت نعم امرني ان اقرا عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي
وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شا الله ان
يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امراته فسالها عنه قالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها
عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال فاذا جاء زوجك فاقري
عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ
حسن الهيئة واثنت عليه فسالني كيف عيشنا فاخبرته بخير قال فاوصاك بشي قالت نعم يقرا عليك
السلام ويامرك ان تثبت عتبة دارك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث
عنهم ما شا الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام
اليه وصنعا ما يصنع الوالد بالولد ثم قال يا اسماعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك
ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ها هنا واشار الى اكمة مرتفعة

على ما حولها فبعد ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسماعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني واسماعيل
يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي رضي الله عنه انه مر عليه
الدهر بعد بنا ابراهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم فبناه قريش ورسول الله عليه السلام
يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفع الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا يحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم يرفعه
جميع القبايل فرفعوه فاخذه رسول الله فوضعه **واعلم** ان للبيت اربع اركان يمانيان
وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث
رسول الله عليه السلام بعشر سنين واعادت قريش عمارته على الهيئة التي عليها اليوم ولم يجدوا
من النذور والهدايا والاموال الطيبة ما يفي من النفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وخلفوا
الركنين الشاميين عن قواعد ابراهيم صلوات الرحمن عليه وضيقوا عرض الجدار من الاسود الى الشامي
الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذي يسمى الشاذروان وروي انه
عليه السلام قال لعايشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابراهيم
فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه ايام ولايته وبناه على
قواعد ابراهيم عليه الصلوة والسلام وعلى نبينا وساير الانبياء ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده
على الصورة التي هو عليها اليوم وهي بنا قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حال ماضية
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس
البنا عليها لانها اذا بني عليها تنقل عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون المراد ساقات
البنا لان كل ساق قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه فيرتفع كل منها بسبب وضع الاخر عليه ويوضع
فوقه فيرتفع كل منها بسبب وضع الاخر عليه ورفع القواعد صريح فيما ذهب اليه الاكثرون من ان القواعد
كانت موجودة وان ابراهيم عمرها ورفعها كما مر في الاحاديث وابهام يرفع قواعد البيت ليكون الكلام مبنيا
على تبيين بعد ابهام ففيه تفخيم لشان المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلاثة انواع من الدعاء
في تلك الحالة الاول قولهما تقبل منا وقبول الله تعالى عمل العبد عبارة على كون العمل بحيث يرضاه
الله تعالى او يثيب عليه والاول الذي عند العارفين من الثاني شبه الفعل من العبد بالهدية
واثابة الله تعالى عليه ورضاه به بالقبول **وقيل** ان بين القبول والتقبل فرقان
فالتقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل هضما وتواضعا
واستقصارا وقد يستدل بهذا على ان العمل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه والا لم يكن
في طلبه فايدة ويحتمل ان يقال الطلب متوجه الى جعل من جملة الافعال المقرونة بالاخلاص فلا تبطل
القبول عن ذلك ويوكده قولهما انك انت السميع العليم يعني سماع اجابة العليم بنياتنا النوع الثاني
ربنا واجعلنا مسلمين لك فان اريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام اي
ثبتنا على ذلك والا كان تحصيلا للحاصل بالنسبة اليهما وقتئذ وان اريد الاستسلام والخضوع والاذعان
الكلي والزمنا بكل ما نذر وامر فتوجه الى هذه الامور لنفسها غير مفيد لانها امور خارجة عن الضبط
لا تيسر الا بمجرد تيسير الله وتوفيقه بخلاف اصل الاسلام الذي وقع بالتكليف فانه مضبوط وقد
يظن ان للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهي الى مسبب الاسباب وقوله واجعلنا
اما معطوف على تقبل وقوله انك انت السميع العليم ربنا اعتراض للتاكيد واما معطوف على محذوف
اي ربنا افعل واجعلنا ومن ذريتنا من للتبعيض كما في قوله ومن ذريتي والامة الجماعة من الناس
وقيل اراد امة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمة يحتمل ههنا اصل الاسلام والزيادة عليه ايضا
وقيل اسلم مطلقا يفيد الاسلام والاعتقاد ومعدى باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلي طلب
الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهارا للشفقة فالشفيق بسوء الظن مولع ويحتمل ان يكون هذا
الدعا بيانا لما اجمل هناك فيكونان واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلايق لانهم احق بالنصيحة

واقدم

قوا انفسكم واهليكم نارا ولانهم ائمة بصلاحهم يصلح غيرهم وفي سدادهم سداد من وراءهم ولقد استجاب
الله دعاءه فلم يزل في ذريتهما من يعبد الله لا يشرك به شيئا ولم يزل الرسل من ذرية ابراهيم وقد كان
في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله عليه السلام
على دين الحق قائلين بالابتداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا يأكلون الميتة ولا يعبدون
الاوثان وارنا ان كان منقولا من رؤية العلم فمعناه علمنا ان شرايع حجتنا كيف هي اذا امرتنا ببناء
البيت للحج وندعو الناس الى الحج وان كان منقولا من رؤية البصر وهو الاظهر ولذلك لم يتجاوز الى
مفعولين ظاهرا فالمعنى بصرنا متعبد اتنا في الحج قال الحسن ان جبرايل عليه السلام اري ابراهيم
المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال يا ابراهيم اعرفت ما اريتك من المناسك قال نعم فسميت عرفات
فلما كان يوم النحر اراد ان يزور البيت عرض له ابليس يسد عليه الطريق فامره جبرايل عليه السلام ان يرمي
سبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع كل ذلك يامره جبرايل
عليه السلام برمي الحصيات **وقيل** المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور
بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا وليس ببعيد
فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على معنييه معا وكذلك مدلولا الحقيقة والمجاز يصح ارادتهما معا عن لفظ
واحد كالعقد والوطي عن النكاح غايته ما في الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل
المناسك على المذابح فقد يسمى الذبح للتقرب نسكا والذبيحة نسيكة وليس لهذا التخصيص وجه
فان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فحمل المناسك على جميع اعمال الحج اولى
قال عليه السلام خذوا عني مناسككم لعلكم لا تروني بعد عامي هذا بل لا يبعد ان يحمل على جميع ما شرع الله له
لابراهيم اي علمنا كيف نعبدك ومتى واين نعبدك او بماذا نتقرب اليك حتى نخدمك بذلك خدمة العبد
لمولاه وتب علينا التوبة منهما محمولة على ما عسى ان يكون قد فرط منهما من الصغاير عند من يجوزها على
الانبياء وعلى ترك الاولى ونحو ذلك عند غيرهم ويمكن ان يكون التوبة منهما بتقصير الانفسهما بسوء الادم
والعازم على التحرز تتشدد الالانصراف عما الييق بهما قال عليه السلام يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب
في اليوم ماية مرة وايضا لعلهما استتابا للذريتهما لعلهما بان فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدي
الظالمين وذلك لغاية شفقتهما عليهم وباقي مباحث التوبة قد مر في قصة ادم فلنتذكر النوع الثالث
ربنا وابعث فيهم رسولا وقد اراد ان الا ولادان يبعث في تلك الامة رسولا يبين لهم الشرع القويم وينهج
الصراط المستقيم والثاني ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل اليهم اذا كانوا
جميعا من ذريته كان رتبته اجل ولانه اذا كان منهم عرفوا مولده ومنشاه فيقرب الامر عليهم في معرفة
صدقه وامانته ولانه اذا كان منهم كان احرص عليهم واشفق من اجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول
فهو محمد صلى الله عليه وسلم لاجماع المفسرين وهو حجة ولقوله تعالى في موضع اخر لقد من الله على
المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين ولقوله عليه السلام انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورويا امي اما الدعوة فهذه
واما البشارة فقوله تعالى في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد واما الرويا فما رات
امنة وهي حامل انه خرج منها نورا اضاء ما بين الخافقين وههنا نكتة هي ان الخليل لما دعى للحبيب بقوله
ربنا وابعث فيهم رسولا فلا جرم قضى الله تعالى حق الحبيب للخليل بان جرى ذكره على السنة امته الى يوم
القيامة يقولون في صلاتهم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم ولهذا
الذكر مناسبات احرى منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي لسان صدق وفي الاخرين اي ابق لنا
ثناء حسنا في امة محمد عليه السلام فاجابه الله وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابراهيم ابو الملة ملة
ابيكم ابراهيم ومحمد ابو الرحمة بالمومنين رؤف رحيم النبي اولى بالمومنين من انفسهم انما انا لكم مثل
الوالد لولده يعني في الرفقة والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بين ذكرهما في التحية ومنها ان ابراهيم
منادي الشريعة واذن في الناس بالحج ومحمد منادي الدين سمعنا مناديا ينادي للايمان ومنها انه

كان اول الانبيا بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبيا ورسول اخر الزمان ومنها ان الخليل تبرا عن
سائر الاديان بان اني بري مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابراهيم
عليه السلام ذكر لذلك الرسول صفات اولاها يتلوا عليهم اياتك وهو الفرقان المتلو عليهم وجميع ما
بلغه من دلايل التوحيد وغيره او ثبت القران ومثله معه وثانيها ويعلمهم الكتاب اي معانيه
وحقائقه وذلك ان التلاوة وان كانت مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا عن
التحريف ولان لفظه ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة ولاسيما في الصلوة الا ان الحكمة العظمى والمقصود
الاسنى تعلم ما فيه من الدلايل والاحكام وثالثها قوله والحكمة اي ويعلمهم الحكمة قيل
هي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا وقد اجتمع فيه الامران فيضع كل شي موضعه ولهذا
عبر عنها بعض الحكما بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية وبمناسبة قوله عليه السلام تخلقوا باخلاق الله
وعن وهب قلت لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة واليه ذهب
الشافعي هي سنة الرسول لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه ثم عطف عليه الحكمة فتكون شيا خارجا عنهما
وليس ذلك الا سنة الرسول عليه السلام فان الدلايل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة وما يتلوهما مستقلة
بالفهم فحمل اللفظ على ما لا يستفاد الا من الشرع اولى وقيل هي الفصل بين الحق والباطل من الحكمة وهي
وقيل المراد بالكتاب الايات المحكمات وبالحكمة المتشابهات وقيل هي ما في احكام
الكتاب من الحكم والمصالح ورابعها ويزكيهم لان الارشاد يتم بامرين التخلية والتحلية فكما يجب على المعلم
التنبيه على نعوت الكمال ليحظى المتعلم بها يجب عليه التحذير عن سمات النقصان ليتحرز عنها وذلك بنحو
ما يفعله النبي عليه السلام سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ والتذكير
والتشبيب بامور الدنيا المتقوي بها وبعثهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه
اولى مكارم الاخلاق وقيل يزكيهم يطهرهم عن الشرك وساير الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا وعن ابن عباس التزكية
هي الطاعة لله والاخلاص انك انت العزيز القادر الذي لا يغلب الحكيم الذي لا يفعل الا على وفق المصالح
واذا كان كذلك صح منه اجابة الدعا وبعثة الرسل وانزال الكتب ومن يرغب الاستفهام فيه للتقرير
النفي اي لا يرغب احد يقال رغب عن الامر اذا كرهه ورغب فيه اذا اراده ومحل من رفع على البدل
من الضمير في يرغب وذلك لانه غير موجب مثل هل جاءك احد الا زيد وسفه اما متعد ومعنى سفه نفسه
امتهنها واستخفها فاصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس لانه اذا رغب
عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن
الحسن الا من جهل نفسه فلم يتفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من اثار الصنع على وحدانية الله تعالى
وحكمته ويرتقي الى صحة نبوة محمد عليه السلام وعن ابي عبيدة اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه
واما لازم فمعناه سفه في نفسه فحذف نحو زيد ظني مقيم اي في ظني مقيم وقيل نصب على التمييز نحو غبن
رأيه والم راسه وهذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى
ومشركي العرب وتعجيب من حالهم فان اعظم مفاخرهم وفضائلهم الانتساب الى ابراهيم ثم انهم لا يؤمنون بالرسول
الذي هو دعوته ومطلوبه بالتضرع والاخلاص فان قيل ملة ابراهيم عين ملة محمد في الاصول والفروع
او هما متحدتان في الاصول كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنهما مختلفتان في فروع الاعمال
ولا سبيل الى الاول والا لم يكن شرع محمد ناسخا لساير الشرايع ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد
ايضا راغبا عن ملة ابراهيم ولان الاعتراف بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد قلنا المختار اتحاد
الملتين في الاصول فقط لكن نبوة محمد عليه السلام من الاصول التي مهدها ابراهيم عليه السلام والمراد
بملة ابراهيم في الاية اصولها التي لا تختلف بمر الاعصار وكر الدهور فلا يلزم ان يكون محمد راغبا عنها
لانه امر باتباعها ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا روي ان عبد الله بن سلام دعى ابني
اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من

ولد اسماعيل

اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدي ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابي
مهاجر ان يسلم فنزلت ثم انه تعالى لما سفه من يرغب عن ملة ابراهيم بين السبب في ذلك فقال ولقد
اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه للرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل
والشريعة الباقية الى قيام الساعة حتى نال منزلة الخلة وانه في الاخرة لمن الصالحين فيلزمه ما يلزمهم
من الكرامة وحسن الثواب فليتحقق كل ذي لب ان الراغب عن سيرته من هو فابن سعادة الدارين لا راي
له والله الموفق ثم بين سبب الاصطفا فاعمل اصطفيناه في اذ قال اي اخترناه في ذلك الوقت لتعلم
ان المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولا ذلك لكان
حقه ان يقال اذ قلنا له والاكثرون على انه تعالى انما قال له ذلك قبل النبوة وقبل قبل البلوغ
وذلك عند استدلاله بالكواكب والقمر والشمس واطلاعه على امارة الحدوث فيها فلما عرف ربه قال
له اسلم فانه يجوز ان يقول له قبل ان عرف ربه ويحتمل ان يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون
المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فيجعل دلالة البرهان كلاما ويحتمل ان يكون هذا بعد النبوة والمراد
استقامته على الاسلام وثباته عليه كقوله فاستقم كما امرت او المقصود الانقياد لاوامر الله تعالى
والمسارعة الى تلبيتها بالقبول وترك الاعتراض بالقلب واللسان **وقيل** الايمان
صفة القلب والاسلام صفة الجوارح وان ابراهيم كان عارفا بالله تعالى بقلبه وكلفه الله تعالى
بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع بل بالكثر قصص ابراهيم اشارة الى ان طريق
عرفانه النظر في المربوبات فلاجرم وصل الى الرب وطريق عرفان محمد عكس ذلك الترتيب فلاجرم بدا
من الله فاعلم انه لا اله الا الله والاول طريق حسن سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق لكن الطريق الثاني احسن اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ومن ههنا
يعرف المكنة محمد عليه السلام واني وان كنت الاخير زمانه لانه بعالم يستطعه الاوائل فالف ابراهيم
دلالة على استقامة سريرته وميم محمد دليل على انه مكمل الملا ومناع وبه ابتدا الامر من حيث انتهى
فتمت دايرة النبوة وحصلت الخاتمة وكان الف ابراهيم دليل وجود الاستقامة ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا فالف ابليس دليل عدم الاستقامة الا ابليس ابي واستكبر والوجود خير
والعدم شر فحصل من خاء الخير مع لام الابتلاء واذا ابتلى ابراهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابراهيم
خليلا ومن شين الشر مع دال الدوام على الكفر دكان من الكافرين اسم الشدة للكافرين عذاب
شديد ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل بين الشيئين ومنه الخلال فلاجرم كان ابراهيم صلوات
الرحمن عليه واسطة في الطريقة ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا والمحبة ماخوذة من الحبة وهو خالصة كل شي
وداخله ومنه حبة القلب فلاجرم كان محمد عليه السلام خاتم النبيين وحبيب رب العالمين وزبدة
الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك اول الفكر اخر العمل اول ما خلق الله نوري
انا اول من تنشق عنه الغبراء ادم ومن دونه تحت لوائي انا سيد المرسلين ولا فخر فمحمد عليه السلام ابو
الحقيقة وان كان ابراهيم عليه السلام ابا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات اقوى من الطريقة
لاجرم وقع الصلوة على ابراهيم في الصلوة تبعا للصلوة على محمد اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وان الصلوة لا يصح بدون الصلوة على محمد بخلاف الصلوة على غيره ولنعد الى ما كنا فيه ووصى
التوصية من جملة الامور المستحسنة التي حكاها الله تعالى عن ابراهيم اوصيته بكذا ووصيته بمعنى واصله
من وصيت الشي بكذا بالتخفيف اذا وصلته اليه وارض واصية متصلة النبات فالموصي يصل القربة
الحاصلة له بعد الموت الى القربات الحاصلة له في الحيوة ويحمل الموصي على هذا الوصل بسبب الوصية هو
والضمير في بها قيل يعود الى الكلمة وهي اسلمت لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها
كلمة باقية الى قوله انني براء مما تشركون تعبدون الا الذي فطرني وقيل الاولى ان يرجع الى الملة لانها
مذكورة صريحا في قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم ولان الوصية بالملة جامعة لجميع اسباب الفلاح

بخلاف الوصية بالشهادة وحدها اللهم الا ان يحمل الاسلام على الانقياد الكلي وفي الاية دقايق مرعية
في قبول الدين منها انه لم يقل وامر بها الا ان الوصية عند امارات الموت وعند ذلك يكون الاهتمام بالمامور
اشد ومنها انه خص بنيه بذلك في اخر عمره انه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل على انه لاشي عنده اهم
من ذلك ومنها انه عم جميع الابنا وانه لم يقيد الوصية بزمان او مكان ولم يخلطها بشي اخر ثم نهاهم
ان يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلايل شدة الاهتمام بالمامور وهو المشهود له بالفضل وحسن الثنا
يجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك وصى بها يعقوب بنيه وقرا يعقوب بالنصب فمعناه وصى بها
ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب قايلا لكل منهما يا بني اصله يا بنون فاضيف الى يا المتكلم فسقطت النون
وصار الواو ياء لاجل النصب فادغم اليا في اليا ان الله اصطفى لكم الدين استخلصه واختاره لكم بان
اقام عليه الدلايل الواضحة ودعاكم عليه ومنعكم من غيره ووفقكم للاخذ به فلا تموتن فلا يكن موتكم الا على
حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وانت خاشع لا تنهاه عن نفس الصلوة ولكن عن ترك الخشوع
في صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لاخشوع فيها كلا صلوة ومثل قوله عليه السلام لا صلوة
لجار المسجد الا في المسجد فانه في قوة له لجار المسجد لا تصل الا في المسجد فكان موتهم على الاسلام موت لا خير
فيه لانه ليس بموت السعدا ومن حق هذا الموت ان لا يحل فيهم ام كنتم شهداء يحتمل ان يكون ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار لمجرد الحضور عند وفاته والخطاب للمومنين اي ما كنتم حاضرين حين احتضر
يعقوب وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي ولاهل الكتاب المعاصرين كانه قيل لهم كيف تزعمون
انا انتم عليه دين الرسل ولم تشهدوا وصايا الانبيا ولو شهدتم ذلك وسمعتم قوله لبنيه لظهر لكم
حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنفي ورغبتم في دين محمد عليه السلام ويحتمل كون ام متصلة على ان يقدر
قبلها محذوف قيل اي ان اوايلكم من بني اسرايل كانوا مشاهدين له اذا اراد بنيه على التوحيد ودين الاسلام
فما لكم تدعون على الانبيا ما هم منه برا وفيه نظر لان ام المعادلة احد الامرين كاين فيها فقط فان كان الحضور
ثابتا لم يكن الدعوى ثابتة ولهذا توجه الانكار عليها فالوجه ان يقال المراد ان الحضور غير ثابت لتطاول
الزمان فاذن دعواهم يهودية الانبيا دعوى بلا دليل فلا تسمع على انه تعالى نص على بطلانها بقوله اذ
قال لبنيه الى اخره ويتجه على هذا التقدير ان يكون ام منقطعة كانه استفهم اولا على سبيل الانكار اي لم
تدعون ثم استانف استفهاما ثانيا لتقرير النفي اي ما كنتم شهداء او لتقرير الاثبات على انهم اوايلهم
قد شهدوا فيكون موكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شي تعبدون وما عام لاولي العلم وغيرهم
ومن مختص باولي العلم ولهذا قال العلماء من لما يعقل ومن خصص بغير اولي العقل قال
المراد السوال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب روي ان يعقوب عليه السلام
لما دخل مصر راي اهلها يعبدون النيران والاوثان فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول
يحرضهم على التمسك بعبادة الله لا انهم كانوا يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد
تنافي ذلك ولان المشهور من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين وابراهيم واسمعيل واسحاق
عطف بيان لابايك وقدم اسماعيل لانه اسن وجعل اسماعيل وهو عمه من جملة ابايه لان العم اب والخالة
ام لانخراطهما في سلك واحد هو الاخوة قال عليه الصلاة والسلام
عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابراهيم
وهو جد فعند الشافعي رحمه الله انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد واليه
ذهب مالك وابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد وقال ابو حنيفة رحمه الله
انه حقيقة وانهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر وابن عباس وعايشة وطاوس وعطا ثم التعليمية
قالوا لا طريق لنا الى معرفة الله تعالى الا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل
العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده واباؤك يعبدونه فدل على ان طريق المعرفة هو
التعليم واجيب بمنع دلالة الاية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال
الا انهم اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات الله وبيان ذلك وايضا انه اقرب الى سكون النفس يعقوب

فكلهم

فكانهم قالوا لنا يجري الاعمى مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته وايضا لعل
مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود ابائك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم الها واحدا بدل من اله ابائك مثل بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص والمدح ونحن
له مسلمون مذعنون او مخلصون التوحيد ومحله نصب حالا من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع
الضمير في له اليه ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد او يكون جملة معترضة موكدة تلك اشارة
الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون خلت مضت وانقرضت والغرض انه
لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قيل لها ما كسبت اي ثوابه ويريد انه اقتصصت عليكم اخبارهم
وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوا فان انتم
فعلتم ذلك فزتم كما فازوا وان ابيتم خسرتم انتم دونهم ولا تسالون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب لليهود حيث قالوا انهم يعذبون اياما معدودة لكفر ابائهم
باتخاذ العجل وفي الاية وعيد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الاباء قال عليه السلام يا صفية عمة محمد يا فاطمة
بنت محمد ائتوني يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطا به عمله لم يسرع
به نسبه ثم الاية تدل على ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه لا تاثير
للقدرة العبد في مقدوره اصلا لانه لو كان موجدا لافعاله لكان عالما بتفاصيلها فعلا وليس كذلك ولما وقع
الا ما اراده العبد وليس كذلك بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي حصل به
بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق
الله فاذا خلقه فيه استحال من العبد ان لا ينفع به واذا لم يخلقه فيه استحال ان يتصف فاي معنى
لكون العبد قادرا عليه وايضا الذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة الله فلا اثر للعبد فلا
يكون مكتسبا له وان وقع بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بالخلاف فينبغي
ان يكون بقدرة العبد وعن القاضي ابي بكر الباقلاني ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل
لذلك الفعل صفة طاعة وصفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد وضعف بان المحرم من الجلوس
في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز فهذه الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فعين المنهي عنه
قد خلقه الله تعالى فيه وهذا تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ
ابو اسحاق الاسفرايني ان ذات الفعل يقع بالقدرتين وزيف بان قدرة الله مستقلة بالتاثير
ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق المكلف بمعنى انه سبحانه
هو الذي وضع الاسباب المتادية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر
في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول
الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة الى ان القدرة مع الداعي لا يوجب الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك
متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذا تقرير المذاهب وقول الاشعري اقرب
الى الادب وقول امام الحرمين اقرب الى التحقيق لان نسبته الاثر الى المؤثر القريب لا ينافي كون ذلك المؤثر منسوبا
الى الاخر بعيده ثم الى ابعد الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب وفاعل الكل ومبدا المبادي واليك الاختيار ده
بتعلك دون سواك الثنا ونكر من قوله واذ ابتلى البلا للولاء كاللهب للذهب فاصدقهم ولاء اشدهم بلاء
وابتلى الخليل بكلمات هي احكام النبوة الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات الكروهات
وفقدان المالوفات وموجبات الخلة التبري عما سوى الخليل اني بريء مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم
عدو لي الا رب العالمين ورفع الوسائط حيث قال لجبرائيل في الهواء هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا والتسليم
اسلمت لرب العالمين والرضا بما امر به عند ذبح الولد فلما اسلما وتله للجبين بخلاف ما قال نوح ان ابني من
اهلي فلا جرم زيد له في الاصطفاء وشرف بكرامة الامامة وان قدرا واذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء هم
ان الله تعالى اوحى الى داود فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال وكيف يا رب فرغ لي قلبك اي جعلنا القلب
الانساني مثابة يرجعون اليه طالبي وزواري كما يرجعون الى الكعبة في الصورة وامنا للسالكين من

تعرفان الشيطان ومكايده حتى بلغ منزل القلب لان القلب خزانة الحق محروسة من دخول الشيطان واما حولان لص الشيطان في ميادين الصدور كقوله يوسوس في صدور الناس واخذ واعند الوصول الي كعبة القلب من مقام ابراهيم وبقي الخلق فنبله توجهكم ليكون قصدكم الي لا الي غيري كما قال ابراهيم اني ذاهب الي ربي سيهدين وعهدنا الي ابراهيم واسمعيل في الميثاق وان طهر القلب عن ادناس تعلقات الكونين واوضار ملاحظة الاغيار للطائفين وهي واردات الاحوال والعاكفين وهي الملكات والمقاما والركع السجود هي صفة القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجاء والتسليم والرضا والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابرهيم الاية لما اهبط ادم الروح الي ارض الجسد فقد ما كان يجد من روايح الطاف الحق في جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله تعالي ياقوتة القلب من جنة حظيرة القدس له بابان شرقي الي حضرة رب العالمين تطلع الي منها شوارق الالطاف وباب غربي الي عالم الجسد وفيه قناديل العقل وانزل حجرة الذرة المخاطبة بخطاب الست بربكم منورا بنور جواب بلي قد انعم كتاب العهد يوم الميثاق وهو يمين الله في ارضه فلما كان طوفان افات الصفات البشرية من الطفولية الي البلوغ وفار تنور الشهوات دفع بيت المعمور القلب الي السماء الرابعة يعني حجب استار خواص العناصر الاربع واختبي حجر الذرة في ابي قبيس صفات النفس فلما امر ابراهيم الروح بعد البلوغ ببناء بيت القلب وعمارته من خمس جبل اركان الاسلام وقواعده الي موضع بيت القلب بدلالة السكينة هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين فحمل اسمعيل النفس المطمئنة الحجر باحجار اعمال الشريعة من جبال اركان الاسلام وبناولها ابراهيم الروح وهو يبني الي ان بلغ موضع الحجر نودي من ابي قبيس الهوي ان لك عندي وديعة فخذها فتخلص حجر الذرة من استار صفات النفس والهوي فوضعه مكانه وكان ابيض فلما مسته حيض اللذات الدنيوية ومشركوا الشهوات النفسانية في جاهلية الطفولية اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت القلب سألا ربهما الاستسلام لاحكام الظاهرة الشرعية والباطنة التي جف القلم بها في الازل وكذا الذرية بينهما المولدات من الصفات الروحانية والنفسانية وان يبعث رسولا منهم من الخارج فمن لم يكن له في القلب رسول واراد منهم وهو السر ليسمع كلام الرسول الخارجي ثم ان ابراهيم الروح يوصي لمتولداته من القلب وصفاته والسر وصفاته والنفس وصفاتها والقوي البشرية والحواس الخمس والاعضاء والجوارح كلها بملته وفي الايات اشارة انه تعالي اذا تجلي لروح عبد مخلص متضرع اليه بحب له ظهر آثار انوار تجليته علي قلبه وسره ونفسه وقواه وحواسه وجميع اعضايه فيخضعون له بكليتهم فيعبدون الها واحدا منتزها من الهوي والدنيا والاخرة والله ولي التوفيق وعليه التكلان

وَقَالُوا كُونُوا
هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ
مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ

في شقاق

فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ∴ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً
وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ∴ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ
وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ
لَهُ مُخْلِصُونَ ∴ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى
قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ
شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ∴ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ **القراءة**

ام يقولون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة
الوقوف تهتدوا حنيفا المشركين من ربهم لطول الكلام والاستئناف والاصح انه حال اي آمنا غير
مفرقين منهم لاحتمال الابتداء والحال اوجه مسلمون اهتدوا لابتداء شرط آخر مع العطف شقاق
للابتداء بسين الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم لاحتمال الواو الابتداء والحال العليم لان الجملة
الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة يدل عليها قولكم آمنا بالله وقوله فان آمنوا شرط معترض
صبغة الله لابتداء الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة على جعل الواو للابتداء او للحال عابدون
وربكم لان الواو يصلح ان يكون عطفا على الحال الاولى ويصلح ان يكون مستأنفا اعمالكم مخلصون
لمن قرأ ام يقولون بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء لم يقف لكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا او
نصارى ام الله من الله تعملون قد خلت ما كسبتم تعملون الجزء الاول من الثلثين

التفسير انه تعالى لما بين بالدلائل المتقدمة صحة دين
الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى
قالوا كذلك لما علم من التعادي بين الفريقين وبين كل منهما وبين المسلمين وقد مر مثل هذا
في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فاجابهم الله تعالى قل بل ملة ابراهيم
اي تكون اهل ملته مثل واسأل القرية اي اهلها او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع
اي ملتنا او امرنا ملته او نحن اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة
وذلك ان المضاف اليه منتصب للحرف فيقتضي متعلقا هو الفعل وشبهه وهو يشتمل على فاعل او مفعول
فالحال عن المضاف اليه يرجع في التحقيق الى الحال عن احدهما وعند الكوفيين نصب على القطع اراد
ملة ابراهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام لم يتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب والحنيف
المائل عن كل دين الى دين الحق وتحنف اذا مال وحاصل الجواب ان المعول في الدين ان كان النظر

والاستدلال فقد قدمنا الدلايل وان كان التقليد فالمتفق اولى من المختلف وقد اتفق الكل على صحة دين
ابراهيم فاتباعه اولى وهذا جواب الزامي ثم لما كان من المحتمل ان يزعم اليهود والنصارى انا على
دين ابراهيم فازيحت عللهم بقوله وما كان من المشركين لكن النصارى قايلون بالتثليث واليهود
بالتشبيه وايضا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابراهيم التي هي محض التوحيد
وخالص الاسلام في شيء قولوا خطاب للمومنين ويجوز ان يكون للكافرين اي قولوا لتكونوا على
الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون امرا لهم اي اتبعوا ملة ابراهيم
وكونوا اهل ملته وهذا جواب اخر برهاني وذلك ان الطريق معرفة نبوة الانبيا ظهور المعجز على ايديهم
ولما ظهر المعجز على يد محمد عليه السلام وجب الاعتراف بنبوته والايمان به وبما انزل عليه كما اعترفوا
بنبوة ابراهيم وموسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب المناقضة
في الدليل وعن الحسن ان قوله بل ملة ابراهيم خطاب للنبي وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر العموم وانما
قدم الايمان بالله لان معرفة النبي والكتاب متوقفة على معرفته وفيه ابطال ما ذهب اليه التعليمية
والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط في بني اسرايل كالقبيلة في
العرب وقيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما سبطي النبي عليهم السلام فهما حفدته يعقوب
وذراري ابنيا لاثني عشر عدد بعض الانبيا لتقدمهم وشرفهم ثم عمم لتعذر التفصيل لا نفرق بين
احد منهم لا نومن ببعض ونكفر ببعض كاهل الكتاب ومعنى الايمان بجميعهم ان كلا منهم حق في زمانهم
او لا نفرق انهم متفرقون في اصول الديانات شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا واحد في معنى الجماعة
ولذلك صح دخول بين عليه ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فلاجرم لا يختص بالقبول بعض عبيده ‍‍هـ
المويدين بالمعجزات خلاف من كان اسلامه تقليدا وهوى ولما بين طريق الواضح في الدين وهو ان يعترف
الانسان بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة رغبهم في مثل هذا الايمان وههنا سوال
وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل في قوله بمثل ما امنتم به والجواب ان قوله
فان امنوا بكلمة الشك دليل على ان الامر مبني على الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم
ومساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لا دين صحيحا سوى هذا السلامته عن التناقض بخلاف
غيره فلا اهتداء الا بهذا ونظيره قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي الصواب فان كان عندك
راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على
ان ما رايت لا راي وراءه وقيل البا للاستعانة لا للالصاق والتمثيل بين التقريرين اي فان دخلوا
في الايمان بشهادة مثل شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان امنوا
بما امنتم وقيل معناه انكم امنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فان امنوا هم بمثل ذلك في التورية
فقد اهتدوا لانهم يتوسلون به الى معرفة نبوة محمد عليه الصلوة والسلام وفي الاية دليل على ان هداية
قبل هذا الاهتداء وهي الدلايل التي نصبها الله تعالى وكشف عن وجوهها وان هذا التوفيق والعمل
بها ليفوز بالسعادة العظمى وان تولوا عما قيل لهم ولم ينصفوا فانهم الا في شقاق خلاف وعداوة وهو
ماخوذ من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه او من الشق لانه فارق الجماعة وشق عصاهم
او من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويوذيه وفي وصف القوم بذلك دليل
على معاداتهم الرسول واضمارهم له كل سوء وتربصهم به الايقاع في المحن فلاجرم امنه الله تعالى
والمومنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله وناهيك به من كاف كافل ومعنى السين ان ذلك كاين
لا محالة وان تاخر الى حين وذلك ان فيه معنى التوكيد لوقوعها في مقابلة لن قال سيبويه
لن افعل نفي سافعل ولقد انجز وعده عما قريب بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية
عليهم وهذا اخبار بالغيب وكم من مثل في القران وكل ذلك مما ينبيك باعجاز تنزيل العزيز وحصوله
بطريق الوحي الصراح وهو السميع العليم وعد لرسول الله عليه الصلوة والسلام اي يسمع دعاءك ويعلم نيتك
في اعلاء كلمة الحق واعلانها فهو يستجيب لك لا محالة او وعيد لاعدايه اي هو منهم بمراى ومسمع يعلم

ما يرون

مما يسرون من الحسد والغل فيعاقبهم على ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد
الله قاله سيبويه وقيل بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء اي عليكم صبغة الله
وفيهما فك النظم واخراج الكلام عن الالتئام والصبغة فعلة من صبغ للحالة التي يقع عليها الصبغ كالجلسة
والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس واصله ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر
يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يصير الواحد نصرانيا حقا فامر المسلمون ان يقولوا لهم
آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا صبغتكم وذلك على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار
اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره قوله انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم
وقيل اللفظة من قولهم فلان يصبغ فلانا في الشيء اي يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما
للثوب وقيل سمي الدين صبغة لظهور هيئته على صاحبه سيماهم في وجوههم من اثر السجود من
كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة الله ليتبين
ان المباينة بينه وبين غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذي حس سليم كما يدرك الالوان وقيل
صبغة الله فطرته وذلك لان آثار النقص الامكاني لازمة للانسان لزوم الصبغ للثوب فيمكنه
ان يتدرج منها الى وجود الصانع والايمان وقيل صبغة الله الختان وقيل حجة الله وقيل سنة الله
ومن احسن من الله صبغة بمعنى الاستفهام الانكار وصبغة تمييز اي لا صبغة احسن من صبغة الله
والدين الذي شرع لكم ليطهركم من اوضار الكفر واوزار الشرك ونحن له عابدون عبارة عن كمال
الايمان كما تقدم مرارا قل اتحاجوننا اما المحاجة فهي اما قولهم نحن احق بان يكون النبوة فينا
لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان واما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا هودا او نصارى
تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما لمشركي العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم واما للكل والمعنى اتجادلوننا في شان الله او في دينه وهو ربنا
وربكم وللرب ان يفعل بعبيده ما يعلم فيه مصلحته ويعرف اهلا له عبيده كلهم فوضى في ذلك
لا يختص به عجمي دون عربي ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا ترجون بها الكرامة فنحن كذلك
فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار ونحن له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة احدا سواه
فلا يبعد ان نؤهل اهل اخلاصه بمزيد الكرامة من عنده ام يقولون من قرأ بتاء الخطاب احتمل ان يكون
ام منقطعة بمعنى استيناف استفهام آخر اي بل اتقولون والهمزة للانكار كما في اتحاجوننا واحتمل
ان يكون متصلة بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله او ادعاء اليهودية والنصرانية على
الانبياء انكارا عليهم واستجهالا لهم بما كان منهم وعن الزجاج باي الحجتين تتعلقون في امرنا بالتوحيد
فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قرأ بياء الغيبة لا تكون الا منقطعة لانقطاع
الاستفهام الاول بسبب الالتفات قل ءانتم اعلم ام الله بل الله اعلم وخبره اصدق وقد اخبر في التورية
والانجيل والقرآن بان ابراهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده ولانهم معترفون بان الله اعلم وقد اخبر عن نقيض ما ادعوه فان قالوا
ذلك عن ظن فقد بان لهم خطاؤه وان قالوا ذلك عن جحود وعناد فما اجهلهم واشقاهم فاذن
فائدة الكلام اما التنبيه واما التجهيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قوله من الله اما ان
يتعلق بالظلم والمعنى لو كان ابراهيم وبنوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة لم يكن
احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من الاعدل اشنع واما ان يتعلق بكتم اي لا احد اظلم
ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله وكتمها واخفاها منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك عندي
شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى ليس احد اظلم ممن كتم شهادة عنده جاءته
من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابراهيم بالحنيفية وتعريض
بان اهل الكتاب قد كتموا شهادات الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابراهيم وغير ذلك من تحريفاتهم
وما الله بغافل عما يعملون كلام الله جامع لكل وعيد لهم ولاحزابهم ولو احدا كان عليه رقيب من قبل

ملك مجازي لكان دايم الحذر والوجل فكيف بالرقيب القريب الذي يعلم اسراره ويعد عليه انفاسه
وافكاره ثم هو يقدر على الله يدخل جنته او ناره تلك امة اشارة الى ابراهيم وبنيه كرر وانما اعيدت
الاية لغرض اخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم السالفة في الدين فان الاديان ثم
لا ينفع الا اياهم لاندراس اثارها وانطماس انوارها واما الان فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل
القاطع والبرهان النير فيجب اتباع المعلوم واقتفاؤه والغاء المظنون والغاؤه ولا يسال المتاخر
عن المتقدم ولا المحسن من المسيء وكل يعمله يجزي الله الحبيب حسبي ؞ سيقول
السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم ؞ وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا ؞ وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب
على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الخاشعين
الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله
بالناس لرؤوف رحيم ؞ قد نرى تقلب وجهك
في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه
الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ؞ ولئن
اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك
وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة
بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من
العلم انك اذا لمن الظالمين ؞ الذين اتيناهم

الكتاب

الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا
تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان
الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما
الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم
حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذ
كروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون القراءة

ابناهم واوا بعد الثانية بتقلب الباقون بيشا ولي وابن عامر وخلف وعلي وحمزة عاصم بهمزتين يشا الي
وروي الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة يشاوالى بتقلب الا ولي واوالروف مهموزا مشبعا
ابن كثير وابو جعفر ونافع وابن عامر وحفص والمفضل والبرجمي وقرا يزيد بتليين الهمزة والاشباع
والباقون لروف على وزن لرعف يعملون ولين بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف وعاصم وابو عمرو
ويعقوب الباقون بالتاء موليها بالالف ابن عامر الباقون بالياء وكسر اللام يعملون ومن
حيث بياء الغايبة ابو عمرو والباقون بالياء لئلا مدغمة غير مهموز عن ورش وعن ابن كثير
وحمزة وعلي ويعقوب وخلف مدغما مهموزا الباقون مظهرا مهموزا والاختيار عن يعقوب وهشام
الاظهار فاذكروني بفتح اليا ابن كثير الوقوف عليها والمغرب مستقيم شهيدا عقبيه هدى الله
ايمانكم رحيم في السماء لان الجملتين وان اتفقتا فقد دخلت الثانية حرفا توكيد مختصا ن بالقسم
والقسم مصدر ترضيها لا فاء التعقيب لتعجيل الموعود الحرام شطره يعلمون قبلتك قبلتهم وكلاهما

لتفصيل الاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض من العلم لان الجواب معنى القسم في لئن فلو فصل كان
وصف الظلم مطلقا وفي الاطلاق خطر الظالمين لانه لو وصل صار صفة وهو مبتدأ في مدح عبد الله بن
سلام واضرابه ابناءهم يعلمون الممترين الخيرات قوم الحرام من ربك يعلمون الحرام لانه حيث متضمن الشرط
شرطي لتعلق لام كي حجة قوم قيل تحرزا عن اثبات الحجة بعد النفي والوصل في العربية اوضح ولا منافاة لان
لان المراد من الحجة الخصومة وبيان الحق لا ينافي الخصومة تفتدون اذا علق كما ارسلنا بما قبله ووقف على
تعلمون وان علق بما بعده وقف على تفتدون يعلمون تعلمون ولا تكفرون **التفسير** هذه
شبهة ثانية من اهل الكتاب طعنا في الاسلام قالوا النسخ يقتضي اما الجهل والتجهيل لان الامر
ان كان خاليا عن القيد كفى فعله مرة واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه ناسخا له وان كان
مقيدا بالقلة دوام فكذلك وان كان مقيدا بالدوام فان كان الامر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا
وبداء وان كان عالما بلا دوام كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح ثم انهم خصصوا هذه الصورة
بمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فههنا لا مصلحة فان الجهات متساوية
وهذا دليل على ان هذا التعبير ليس من عند الله **قال** القفال لفظ سيقول وان
كان للاستقبال لكنه قد يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض اعدائه فيقول انا اعلم
انهم سيطعنون في كانه يريد انه اذا ذكر مرة فسيذكرونه مرات اخرى ويؤيد ذلك ما ورد من الاخبار
انهم لما قالوا ذلك نزلت الاية والمشهور ان الله تعالى لما اخبر عنهم قبل ان يذكروا هذا الكلام انهم
سيذكرونه وفيه فوائد منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها ان مفاجأة المكروه اشد فاذا
وطن النفس له ومنها ان الجواب المعتبر اقطع للخصم **وقيل** الرمي براش السهم هو
والسفهاء الخفاف الاحلام واذا كان من لا يميز بين ماله وعليه في امر دنياه يعد سفيها شرعا فالذي
يضيع امر اخرته اولى بهذا الاسم عن ابن عباس ومجاهد هم اليهود وذلك انهم يانسون بموافقة
النبي عليه السلام اياهم في القبلة فلما تحول استوحشوا لا سيما وانهم لا يرون النسخ وعن البراء
ابن عازب والحسن والاصم انهم مشركوا العرب قالوا ابى الا الرجوع الى موافقتنا ولو ثبت عليه اولا
كان اولى به وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان تميز بعض الجهات عن بعض ليس
لدليل معقول فحملوا الامر على العبث والعمل بالرأي والتشهي والاقرب ان يكون الكل داخلا فيه
لان الاعداء جبلت على الغيظ وطلب التشنيع فاذا وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا ما ولاهم ما صرفهم هو
استفهام على جهة التعجب والاستهزاء عن قبلتهم التي كانوا عليها القبلة بيت المقدس وضمير
الجمع للرسول والمؤمنين وهذا هو المجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل ان يعود الضمير في
كانوا الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول والمؤمنين عن القبلة التي كان السفهاء عليها فانهم كانوا
لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي الى المغرب وقبلة النصارى وهي الى المشرق فكانهم قالوا كيف يتوجه احد
لغير هاتين الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اي بلادهما
والارض كلها والجهات باسرها ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة
التي اقتضت الحكمة في هذا الوقت توجيه الناس اليها ويحتمل ان يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين
فتشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعد ما مر في اية النسخ انه تعالى فاعل لما يشاء كما يشاء هو
لا اعتراض لاحد عليه كما لا اعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد وان افعاله لا تعلل بغرض وان كانت لا تخلو
عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها مما لا تهتدي عقول البشر الى تفاصيل حكمها لكنهم قد يستنبطون
بحسب افهامهم لبعضها وجوها مناسبة اما تعيين القبلة في الصلاة فالحكمة فيه ان للانسان
قوة عقلية يدرك بها المجردات والمعقولات وقوة خيالية يتصرف بها في عالم الاجسام وقلما تنفك
العقلية عن الخيالية واعانتها كالمهندس يضع في ادراك احكام المقادير صورة معينة وشكلا معينا
ليصير الحس والخيال معينين له على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي
فانه يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثنا والخدمة فاستقبال القبلة في الصلاة يجري مجرى كونه مستقبلا

للملك

للملك والقراءة والاذكار يجري مجرى الثنا عليه والركوع والسجود جاريان مجرى الخدمة وايضا الخشوع
في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا يتاتى ذلك الا اذا بقي في جميع صلوته مستقبلا لجهة
واحدة على التعيين واذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى وايضا ان الله تعالى يحب
الموافقة والالفة بين المومنين وقد من عليهم بذلك بقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم
اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وتوجه كل مصل الى اي جهة تتفق مظنة الاختلاف فلم يكن
بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه تعالى يقول يا مومن انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة
خدمتي وقلبك عرشي والجنة دار كرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الي اتوك دار كرامتي
وايضا اليهود استقبلوا المغرب الانوار وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر والنصارى
استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمومنون استقبلوا مظهر الانوار وهو
مكة منها محمد ومنه خلق الانوار ولاجله دار الفلك الدوار وايضا المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة
عيسى وما بينهما قبلة ابراهيم ومحمد وخير الامور اوسطها وايضا الكعبة سرة الارض ووسطها وامة
محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسيط بالوسط الطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة
والكرسي قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المومنين والحق قبلة المتحيرين فاينما
تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة
من جبال خمسة سينا وزيتا وجودي ولبنان وحراء كانه قال ان كان عليك مثل هذه الجبال
ذنوبا فانت الكعبة حاجا وتوجهت نحوها مصليا الصلوات الخمس غفرتها لك وايضا لما كان بنا هذا
البيت سببا لظهور دولة العرب كانت رغبتهم في توجهها اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين
بانا قد ارشدناكم الى القبلة وينكسر بذلك قلوب المسلمين فازيل تشويشهم وايضا الكعبة منشاء
محمد فتعظيمها يقتضي تعظيمه وتعظيمه مما يعين على قبول اوامره ونواهيه فبمقدار حشمة المرء يكون
قبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذي ذكره الله تعالى في قوله وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف
للتشبيه وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدي اي كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم
بان جعلناكم اوكما هديناكم الى اوسط القبلة جعلناكم امة وسطا وقيل عائد الى قوله ولقد اصطفيناه اي
كما اصطفينا ابراهيم في الدنيا جعلناكم وقيل ينصرف الى قوله ولله المشرق والمغرب اي كما خصصنا بعض الجهات
المنسا وبمزيد التشريف والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم مخصصين بالعدالة تبرا
منا وامتنانا مع تساوي الخلق في العبودية **وقيل** قد يذكر ضمير الشي وان لم يكن المضمر
مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور المعروف عند كل احد انه
سبحانه هو القادر على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذي لا يقدر
احد غيري جعلناكم امة وسطا الجوهري يقال جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط
الدار بالتحريك لانه اسم وكل موضع صلح فيه بين فهو وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال
والوسط من كل شيء اعدله وشيء وسط اي بين الجيد والردي وامة وسطا اي عدلا قال زهير هم وسط
يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي بمعظم وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي
الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله تعالى في معرض المدح والامتنان وقيل الوسط الخيار لانه بينهما
في الجمادات **قال في الكشاف** اكتريت جمل اعرابي فقال اعطني من
وسطانها اراد من خيار الدنانير ويؤيده قوله تعالى في موضع اخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما
اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط محمية محوطة وقيل المراد
بالوسط ههنا انهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في شان الانبياء لا كالنصارى
حيث جعلوا النبي ابنا والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب ولان الوسط في الاصل اسم وصف
به استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث ليكونوا شهداء على الناس الاكثرون على ان هذه الشهادة

في الاخرة اما بان يكونوا شهداء للانبيا على اممهم الذين يكذبونهم روي ان الامم يجحدون تبليغ الانبيا يوم
القيامة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيوتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم
من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد فيسال
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على
هولاء شهيدا قلنا والحكمة في ذلك تميز امة محمد صلى الله عليه وسلم في الفضل عن ساير الامم حيث يبادرون
الى تصديق الله تعالى وتصديق جميع الانبياء والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة
الى الفاسق فلذلك تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة الامم عليهم وانما سمي هذا الاخبار شهادة لقوله
عليه السلام اذا علمت مثل الشمس فاشهد والشي الذي اخبر الله تعالى عنه معلوم مثل الشمس فيصح هذه
الشهادة عليه واما بان يشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا الحق فيها **قال ابن زيد**
الاشهاد اربعة الملايكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد والنبيون ويكون الرسول عليكم
شهيدا وامة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة لتكونوا شهداء على الناس ويوم يقوم الاشهاد والجوارح يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقيل ان هذه الشهادة في الدنيا وذلك ان الشاهد في عرف الشرع
من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه
فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان يكون موقوفة على الاخرة لان عدالتهم في الدنيا ثابتة
بدليل جعلناكم بلفظ الماضي فلا اقل من حصولها في الحال ثم رتب كونهم شهداء على عدالتهم فيجب ان يكونوا
شهداء في الدنيا **فان قيل** لعل التحمل في الدنيا ولكن الاداء في الاخرة قلنا المراد في الاية الاداء
لان العدالة انما تعتبر في الاداء لا في التحمل ومن هنا يعلم ان اجماعهم حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق
في نفسه بل بمعنى ان هيئتهم الاجتماعية تقتضي كونهم محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان
يحصل مع ذلك لهم الشهادة في الاخرة فيجري الواقع منهم في الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا تبينوا الحق عرفوا
عنده من القايل ومن الراد ليشهدون بذلك يوم القيامة كما ان الشاهد على العقود يعرف ما الذي تم
وما الذي لم يتم فيشهد بذلك عند الحاكم او يكون المعنى ليكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح
الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم وانما قدمت صلة
الشهادة في الثاني لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط ثم تبقى صلة الشهادة في مركزها
والغرض في الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم فازيلت عن مركزها ليفيد الاختصاص وانما
لم يقل لكم شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لانه ضمن معنى الرقيب مثل والله على كل شي شهيد وانما
قيل شهداء على الناس في الدنيا لان قولهم يقتضي التكليف اما بفعل او بقول وذلك عليهم لا لهم في الحال
قيل الاية متروكة الظاهر لان وصف الامة بالعدالة تقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا
بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الايمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب في جعلناكم للموجودين
عند نزول الاية لان خطاب من لم يوجد محال فالاية تدل على ان اجماع اوليك حق لكنا لا نعلم بقا جميعهم
باعيانهم الى بعد وفات الرسول فلا يثبت صحة الاجماع وقتيذ سلمنا ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب
الكباير فقط فيحتمل ان الذي اجمعوا عليه وان كان خطا لكنه من الصغاير فلا يقدح ذلك في خيريتهم
وعدالتهم والجواب ان حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلا يجوز ان يكون الشخص
مقبول القول عند الانفراد ويكون مقبولا عند الاجتماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الاية
الى قيام الساعة كما في ساير التكاليف مثل كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فالموجودون بالذات
والباقون بالتبعية لكنا لو اعتبرنا اول الامة واخرها باسرها لما تميز فايدة الاية اذ لم يبق بعد
انقضايها من يكون الاية حجة عليه فعلمنا ان المراد به اهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة
بان جعلهم خيارا وعدولا عند الاجتماع فلو امكن اجتماعهم على الخطا لم يبق بينهم وبين ساير الامم فرق
في ذلك فلا من وما جعلنا يريد الجعل بمعنى الشرع والحكم التي صفة موصوف محذوف هو ثاني مفعولي
جعل اي وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اي كنت مستقبلا لها كقول الشافعي على

كونا

كذا وفي الجملة وجهان احدهما ان هذا الكلام بيان للحكمة في جعل الكعبة قبلته وذلك انه عليه السلام
كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امرنا بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود وامتحانا للذين اتبعوه بمكة
ثم حولنا الى الكعبة اختبارا ثانيا اي ما رددناك الى الجهة التي كنت عليها اولا الا امتحانا للناس وابتلاء هـ
وثانيهما انه بيان للحكمة في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك
بيت المقدس كان امرا عارضا لغاية هي ان يمتحن الناس وينظر من يتبع الرسول ومن لا يتبعه واللام لنعلم
ليست لاجل الغرض وانما هي لتقرير الحكمة والغاية التي يشتبه بها الجعل فان قيل كيف قال نعلم ولم يزل
عالما بذلك فالجواب ان معناه لنعلم حزبنا من النبي والمومنين كما يقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه جنده
او لنعلمه موجودا حاصلا اذ هو العلم الذي يتعلق به الجزاء ولا يلزم منه ان يحدث لله علم فان العلم الازلي
بالحادث الفلاني في الوقت الفلاني غير متغير وانما هو قبل حدوث الحادث كهو حال حدوثه وانما جاز المعني
والاستقبال من ضرورة كون الحادث زمانيا وكون كل زمان ملفوفا بزمانين سابق ولاحق واذ
نسب العلم الازلي الى الزمان السابق قلت سيعلم الله واذا انتسب الى زمانه قلت يعلم واذا نسبت الى
الزمان اللاحق قلت قد علم فجميع هذه التغيرات انبعثت من اعتبار ذكر علم الله واحد فافهم او لنميز
التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فسمي التمييز علما لانه احد فوايد العلم وغراته
او لنرى كما يستعمل الروية مكان العلم وعن الفراء ان حدوث العلم في الاية راجع الى المخاطبين ومثاله
ان جاهلا وعاقلا اجتمعا فيقول الجاهل الحطب يحرق النار ويقول العاقل النار تحرق الحطب وسنجمع
بينهما لنعلم ايهما يحرق صاحبه معناه لنعلم ايها الجاهل وهذا من كلام المنصف مثل وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله ممن ينقلب على عقبيه استعارة للكفر والارتداد كانه رجع
الى حيث اتى ثم ان هذه المحنة حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها من الناس من قال
بالاول لانه عليه السلام كان صلى الى الكعبة فلما جاء الى المدينة صلى الى بيت المقدس فشق ذلك على العرب
من حيث انه ترك قبلتهم ثم تحول الى الكعبة فشق ذلك على اليهود والاكثرون على الثاني لان الشبهة في
امر النسخ اعظم منها في تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغني انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا
مرة ههنا ومرة ههنا لو كان على يقين من امره لما تغير رايه وعن السدي لما توجه الى الكعبة اختلفوا
قال المنافقون ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين
ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس **وقال اخرون** اشتاق الى بلد ابيه ومولده
وقال المشركون تحير في دينه وان كانت لكبيرة هي المخففة التي يلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية
وتنبيها بالتخفيف للدخول على الافعال لكن البصريين اوجبوا كون الفعل الذي دخلت هي عليه من باب
كان او علمت ويبطل عملها في الظاهر وكذا في التقدير فلا يقدر ضمير الشان كما يقدر في ان المفتوحة
اذا خففت فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير العايد الى القبلة لانها هي المذكورة والا ما يدل عليه الكلام
السابق من التولية في قوله او الجعلة او الردة او التحويلة في وما جعلنا ومعنى لكبيرة لثقيلة شاقة
مستنكرة كقوله كبرت كلمة تخرج من افواههم وذلك ان الامتحان ان وقع بنفس القبلة فالفطام عن المالوف
شديد والاعراض عن طريق الاباء والاسلاف عسير وان وقع بالتحويل فهو مبني على جواز النسخ وفيه
ما فيه من الشبهة والاشكال فيصعب اعتقاد حقيقته الا على الذين هدى الله الراجع محذوف اي هداهم
الى الثبات على دين الاسلام نصب لهم الدلايل اولا ثم جعلهم منتفعين بها ثانيا والا فالدلالة عامة للكل
وما كان الله ليضيع ايمانكم الخطاب للمومنين المعاصرين واللام لتاكيد النفي الداخل في كان بنصب
المضارع بعدها بتقدير ان اي لن يضيع الله ثباتكم على الايمان وانكم لم تتزلزلوا بوابل شكر صنيعكم
واعد لكم ثواب الجزيل عن الحسن وقال ابن زيد ما كان الله ليترك تحويلكم من بيت المقدس الى الكعبة
لعلمه بان تقرركم على ذلك منسدة لكم واضاعة لصلواتكم اي لثوابها اطلق الايمان على الصلوة لانها
اعظم اثار الايمان واشرف نتايجه او لان المراد لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلوة وعن ابن
عباس لما وجه رسول الله عليه السلام الى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف اخواننا الذين ماتوا

وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت وانما خوطبوا تغليبا للاحياء مثل واذ قتلتم نفسا واذ فرقنا بكم
البحر والمراد اهل ملتهم وليس هذا السؤال من الشك في حقيقة النسخ في شي وانما هو لاجل الاطمينان
وبرد اليقين ولعلهم انما خصوا السؤال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنين عن ذلك حيث تقع هو
صلوتهم الى الكعبة بقية عمرهم مكفرة لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب الاحياء والاموات جميعا فان
المنسوخ حق في وقته كان الناسخ حق في وقته سواء عمل المكلف بهما في وقتيهما او لم يعمل الا بالمنسوخ هو
لانقضاء اجله قبل الناسخ وجوز بعضهم ان يكون السؤال صادرا من منافق فنبه الله المسلمين على الجواب
وقيل بل المعنى وفتنتكم لقبول هذا التكليف لئلا يضيع ايمانكم فانهم لو ردوا هذا التكليف
لكفروا **وحكي** عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين
هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم ان
الله بالناس لرؤف رحيم الجوهري الراء فة اشد الرحمة روفت به اروف بالضم فهو رافة ورافة
ورافت به ارأف بالفتح فيهما وريفت به بالكسر رافا والصفة رؤف وروف على فعل وفعول هو
وقيل الرافة مبالغة في رحمة خاصة هي دفع المكروه وازالة الضرر وقال لا تاخذكم بهما رافة والرحمة
اسم جامع خصص او لانه عم والمراد الرؤف الرحيم كيف يتصور منه الاضاعة او كيف لا ينقلكم من شرع
الى شرع هو اصلح لكم وانما هدى من هدى لانه بالناس رؤف رحيم فمن كان للغيض اقبل كان الاثر
عليه اظهر وقوله عز من قايل قد نرى معناه كثيرة الروية ههنا فان كان في الاصل للتقليل قال قد
اترك القرن مصفرا اناملة كان اثوابه مجت لفرصاد وكان الربة في الاصل للتقليل ثم قد يستعمل
في معنى التكثير كقوله فان تمس مهجور الفنا فربما اقام به بعد الوفود وفود ووجه ذلك ان المادح
يستقل الشي الكثير من المدايح لان الكثير منها كانه قليل بالنسبة الى الممدوح ومثل قد يعلم الله هو
فان المتمدح بكثرة العلم يقول لا تنكر ان اعرف شيا من العلم تقلب وجهك تردد نظرك في جهة
السماء وذلك لانتظار تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة عن ابن عباس انه قال يا جبرايل
وددت ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقد كرهتها فقال له جبرايل عليه السلام انا
عبد مثلك فسل ربك ذلك فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء مجي جبرايل بما سال
فنزلت وانما احب ذلك لان اليهود كانوا يقولون انه يخالفنا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين
يستقبل ولان الكعبة كانت قبلة ابراهيم ولان ذلك ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم
ومطافهم ولانه احب ان يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلدته ومنشائه ولا يبعد ان يميل طبعه
الى شي ثم يتمنى في قلبه اذن الله فيه وقيل انه استاذن جبرايل في ان يدعو الله تعالى فاخبره بان
الله تعالى قد اذن له في الدعا فكان تقلب وجهه في السماء ينتظر مجي جبرايل للاجابة وعن الحسن
ان جبرايل اخبره بان الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين للمحول اليها ولم يكن
قبلة احب الى رسول الله من الكعبة فكان ينتظر الوحي وعلى هذا فقيل منع من استقبال بيت المقدس
ولم يعين له القبلة وكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة فلذلك كان يقلب وجهه عن الاصم
وقيل بل وعد بذلك وقبلة بيت المقدس كما فيه بحيث يجوز الصلوة اليها لكن لاجل الوعد كان يقلب
طرفه وهذا اولى والا لم يكن القبلة ناسخة للاولى بل كان مبتدا لكن المفسرين اجمعوا على انها ناسخة
للاولى ولانه لا يجوز ان يومر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلف في صلوته بمكة فقيل كان يصلي
الى الكعبة فلما صار الى المدينة امر بالتوجه الى بيت المقدس اشهرا وعشرة اشهرا وثلاثة عشر او ستة
عشر او سبعة عشر وهو الاكثر او ثمانية او سنتين اقوال وقيل بل كان بمكة يصلي الى بيت المقدس الا
انه يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس واختلفوا ايضا في ان توجه بيت المقدس بعد الاتفاق
على انه منسوخ هل كان فرضا لا يجوز عليه غيره او كان النبي عليه السلام مخيرا في توجهه اليه والى
غيره فعن الربيع بن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الاية ولما روي ان قوما قصدوا
من المدينة الى مكة للبيعة قبل الهجرة فتوجه بعضهم في الطريق لصلوته الى الكعبة وبعضهم الى بيت

المقدس

المقدس فلما قدموا سالوا النبي عن ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس ان ذلك كان فرضا لقوله
فلنولينك قبلة ترضيها فدل على انه ما كان يحول بينها وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك
ولنمكننك من استقبالها من قولهم وليته كذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت
بيت المقدس ترضيها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله تعالى
وحكمته وعن الاصم كل جهة وجهك الله يجب ان يكون ترضى لا تسخط لها كما فعل من انقلب على عقبيه
وقيل ترضى عاقبتها لانك تميز بها الموافق عن المنافق فول وجهك اي كل بدنك لان الواجب على
الشخص ان يستقبل القبلة بجملته لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء وبه
تتميز الاشخاص وشطر المسجد الحرام اي نحوه وجهته قال جمهور المفسرين
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشي والكعبة واقعة من المسجد
في النصف من جميع الجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وزيف
بالفرق بين النصف وبين المنتصف والمكلف مامور بالثاني دون الاول عن ابن عمر بينما الناس
بقبا في صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي عليه السلام قد انزل عليه الليلة قران وقد
امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكان وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفي الموطا صلى
رسول الله عليه الصلوة والسلام بعد ان قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت
القبلة قبل بدر بشهرين واختلفوا في المراد بالمسجد الحرام ففي شرح السنة عن ابن عباس انه
قال البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة اهل الشرق والمغرب وهذا قول
مالك وقال اخرون القبلة هي الكعبة لما اخرج في الصحيحين عن ابن جريج عن عطا عن ابن عباس
قال اخبرني اسامة بن زيد قال لما دخل النبي عليه الصلوة والسلام البيت دعا في نواحيه كلها
ولم يصل حتى خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار كثيرة في صرف
القبلة الى الكعبة كما قلنا في حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة وقال اخرون
القبلة هي المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند الشافعي رضي الله عنه في اظهر قوليه ان يستقبل
المصلي عين الكعبة قريبا كان او بعيدا الظاهر قوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله
عليه السلام هذه القبلة مشيرا الى العين ولان نقل القبلة من نبي الله عليه السلام بلغ مبلغ التواتر
وتوقف صحة الصلوة وهي من اعظم شعاير الدين على استقبال عين الكعبة فوجب ان يكون مشروعا
لان كون الكعبة قبلة امر معلوم وغيره مشكوك فيه والامر بالمعلوم احوط واما عند ابي حنيفة ره
ويوافقه القول الاخر للشافعي فمحاذاة جهة الكعبة كافية لان في استقبال عين الكعبة حرجا عظيما
للبعيد ولان في ذكر المسجد دون الكعبة دلالة على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان الشطر
الجانب والنحو به في الاية ولان اهل قبا استداروا الى الكعبة في اثناء الصلوة وفي ظلمة الليل ومن
المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة حيث انها يحتاج الى النظر الدقيق لم تتات لهم ثم لم
ينكر النبي عليه السلام وسمي مسجدهم بذي القبلتين ولان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا
ولا سبيل اليه الا بالدلايل الهندسية فانها هي المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا يفيد الا الظن
والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفا بالظن وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم
تلك الدلايل واجبا ولم يذهب اليه احد والانصاف ان القول الاول اقرب واصابة العين للبعيد غير
بعيد فانه نقطتين في الارض ولا في السما الا وان يمكن ان يوصل بينهما بخط والغرض ان يكون المصلي
ساجدا على قوس من عظيمة ارضية مارة بقدميه وموضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس
اقل من نصف الدور وغير عسير معرفة هذا القدر بالدايرة الهندسية وغيرها من الطرق المشهورة
فيما بين اهل الهيئة وقد برهنا على كثير منها في كتبنا النجومية وذكرها هاهنا خروج عن الصناعة مع ان
المتعلم لا ينتفع بها دون مقدماتها والمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها المتحري وهي اما
ارضية وهي الجبال والقرى والانهار او هوايية وهي الرياح او سماوية وهي النجوم اما الارضية

والهوائية غير منضبوطة لكن ربما يكون في اليمين الطريق جبل مرتفع يعلم انه علي يمين المستقبل او شماله
او قدامه او خلفه وكذلك الرياح فقد تهب في بعض النواحي من صوب معين واما السماوية فمنها النهار لابد
ان يراعي قبل الخروج من البلد الشمس عند الزوال هي ما بين الحاجبين ام علي العين اليمنى ط ام اليسرى
ام يميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس في البلاد الشمالية قاما نحو هذه المواقع وكذا يراعي وقت العصر
ويعرف وقت الغروب انها تغرب عن يمين المستقبل او هي مايلة الي وجهه او قفاه وكذلك يعرف وقت
العشا الاخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق الشمس ويحتاط مشرق الصيف والشتا ومغربهما
وبالليل يستدل بالكواكب الذي له الجدي فيعرف انه علي قفا المستقبل او منكبه الايمن والايسر في البلاد
الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك واذا عرف هذه الدلايل في بلدة فليعول عليها
في الطريق كله الا اذا طال السفر فاذا انتهي الي اهله بلد سال اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب
ويستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها في ساير طريقه ومعرفة دلايل القبلة فرض العين ام فرض
الكفاية اصح الوجهين في مذهب الشافعي الاول كاركان الصلوة وشرايطها قوله تعالى وحيثما كنتم
فولوا وجوهكم شطره ليس بتكرار لان الاول خطاب للرسول وهذا خطاب للامة او لان الامة قد
دخلت في الاول تبعا واحتمل ايضا ان يكون الاستقبال مختصا باهل المدينة وفي الثاني عم المكلفين
جميعا في جميع بقاع الارض واعلم ان الاستقبال يتوقف علي مستقبل ومستقبل نحو القبلة
ولا بد من حالة يقع فيها الاستقبال فلنتكلم في هذه الاركان الثلثة علي الاجمال وتفصيل ذلك في كتب
الفقهية الركن الاول الحالة وهي الصلوة للاجماع علي ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب وان
كان طاعة لقوله عليه السلام خير المجالس ما استقبل به القبلة والصلوة اما فريضة ولا ينبغي
الاستقبال فيها الا في حالة الخوف واما نافلة ويجب الاستقبال الا في حالة الخوف وفي السفر راكبا
كان او ماشيا متوجها الي طريقه لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي عليه الصلاة والسلام كان
يصلي في السفر علي راحلته حيث توجهت به ويحكي عن احمد خلاف في المشاة وكذا في ابي حنيفة وهل
يجب علي المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحرم الاصح نعم ان سهل بان لم يكن مقطرة او لا حران بها
والا فلا لما روي ان النبي عليه الصلوة والسلام كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل القبلة بناقته
وكبر ثم صلي حيث وجهه ركابه واما عدم الاشتراط عند الصعوبة فلدفع المشقة واختلال امر السير
عليه واما الاستقبال عند السلام فالاصح علي انه لا يشترط كما في ساير الاركان الماشي فعليه الاستقبال
في كل ركوع وسجود كما عليه الاتمام بخلاف الراكب فانه لا يكلف الاستقبال فيهما ولا وضع جبهته
في السجود علي السرج او الاكاف بل يقتصر فيهما علي الايما ويجعل السجود اخفض وليس للراكب التعاسف
الذي لا مقصد له خصة ترك الاستقبال والتنفل الركن الثاني القبلة المصلي ان وقف في جوف الكعبة وهي
علي هيا تها مبنية صح صلوته فريضة كانت او نافلة خلافا لاحمد ولمالك في الفريضة لنا انه صلي متوجها الي
بعض اجزاء الكعبة فيصح صلوته كالنافلة وكما لو توجه اليها من خارج ثم تخير في الاستقبال اي جدار
شا ويجوز ان يستقبل الباب ايضا ان كان مردودا وان كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر موخرة الرجل
صحت صلوته والا فلا وموخرة الرجل ثلثا ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون في سجوده يسامت معظم بدنه
الشاخص وانهدمت الكعبة حاشاها ويبقي موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلي اليها جاز لانه توجه
الي هواء البيت والحالة هذه متوجهة نحو المسجد الحرام كمن صلي علي ابي قبيس والكعبة تحته يجوز لتوجه الي
هواء البيت ولو صلي في العرصة فالحكم كما لو وقف الان علي سطح الكعبة فان لم يكن بين يديه شاخص من
نفس الكعبة قدر موخرة الرجل فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي خارج الكعبة
فان كان حاضر المسجد الحرام وجب عليه لا محالة استقبال عين الكعبة بكل بدنه فانه قادر عليه والامام
يقف خلف المقام استحبابا والقوم يقفون مستديرين بالبيت والا فصلوة الخارجين عن محاذاة الكعبة
باطلة الا عند من يري الجهة كافية ولو تراخي الصف الطويل ووقفوا في اخر باب المسجد صح صلوتهم لان
البعيد يزداد محاذاته تبين ذلك اذا جعلت البيت راس مثلث متساوي الساقين والصفوف خطوطا

موازية

موازية لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان يحاذي القبلة سوي محرابه بناءً على العيان
وصلى اليها ابدا ومحراب النبي عليه السلام بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا يقر على الخطأ فهو
صواب قطعا فسوى سائر المحاريب عليه في معنى المدينة سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله
عليه السلام اذا ضبط المحراب وكذا المحاريب المنصوبة في بلاد المسلمين وفي الطرق التي جادتهم
تعين التوجه اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي يتشار فيها قرن من المسلمين ولا بد من الاجتهاد
في التيامن والتياسر الا في محراب الرسول عليه السلام فلا ولا يجوز الاجتهاد في الجهة في شي من
محاريب المسلمين لان الخطأ منهم في الجهة بعيد بخلاف التيامن والتياسر ويقال ان عبد الله بن المبارك
كان يقول بعد رجوعه من الحج تياسروا يا اهل مرو والركن الثالث المستقبل اذا قدر على اليقين
بالمعاينة وبامارات اخر فلا يجتهد ولا يقلد فان لم يقدر فان وجد من يخبر عن علم وكان المخبر
ممن يعتمد بقوله رجع الى قوله ولم يجتهد ايضا كما في الوقت اذا اخبره عدل عن طلوع الفجر باخذ
بقوله ولا يجتهد وكذلك في الحوادث اذا روي العدل خبرا يوخذ به وكل ذلك قبول الخبر من اهل
الرواية وليس من التقليد في شي ويشترط في المخبر ان يكون عدلا يستوي فيه الرجل والمراة والحر
والعبد ولا يقبل خبر الكافر بحال وكذا خبر الصبي غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن القبلة قد
يكون صريحا وذلك ظاهر وقد يكون دلالة كما في نصب المحاريب في المواضع التي تعتمد عليها ولا فرق في
لزوم الرجوع الى الخبر بين ان يكون الشخص من اهل الاجتهاد وبين ان لا يكون فان لم يجد من يخبره عن
علم فان قدر على الاجتهاد ولا يتيسر الا بمعرفة ادلة القبلة كما عددنا اجتهد ولم يقلد كما في الاحكام
الشرعية ولو فعل يلزمه القضاء ولا فرق في وجوب الاجتهاد ههنا بين الغايب عن مكة والحاضر بها
اذا حال بينه وبين الكعبة حايل اصلي كالجبال او حادث كالابنية ولو خفيت الدلايل على المجتهد لغيم
او حبس او تعارضت صلى كيف اتفق لحق الوقت ويقضي وان عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه التعلم
لعدم البصر او لعدم البصيرة فالواجب عليه التقليد كالعامي في الاحكام وتقليد الغير هو قبول قوله
المستند الى الاجتهاد بعد ان كان المجتهد مسلما عدلا عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل والمراة
والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من شاء منهما والاحب ان يقلد الاوثق الاعلم
عنده وان امكنه التعلم فليس له التقليد بناء على ما مر من ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضى
وان ضاق الوقت عن التعلم صلى لحق الوقت وقضى ثم المجتهد ان بان له الخطأ يقينا او كان دليل
الاجتهاد الثاني ارجح ولم يشرع بعد في الصلوة عمل بمقتضى الثاني وان بان بعد الفراغ من الصلوة
كان تيقن الخطأ قضى على الاصح وان لم يتضح وان تغير الاجتهاد في اثنا الصلوة انحرف ويبني
فهذه المسايل المستنبطة من الاية ذكرناها لانها من اهم مهمات الدين وان الذين اوتوا الكتاب يعني احبار
اليهود وعلماء النصارى لعموم اللفظ ولشمول الكتاب التورية والانجيل ولكن يجب ان يكونوا اقل
من عدد اهل التواتر ليصح عنهم الكتمان وعن السدي انهم اليهود خاصة والكتاب التورية والضمير
في انه الحق اما للرسول اي انه مع شرعه ونبوته حق فيشتمل امر القبلة وغيرها واما لهذا التكليف
الخاص وهذا انسب بالمقام وذلك ان علماءهم عرفوا في كتب انبيائهم خبر الرسول وانه يصلي الى القبلتين العنف مع
وان الكعبة هي البيت الذي جعله الله قبلة لابراهيم واسماعيل عليهما السلام وايضا انهم كانوا يعلمون
نبوة محمد بالمعجزات وبالبشارات وكلما اوتي به النبي فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل
عما تعملون وعد للمتقين ووعيد للناكصين والمعاندين ثم بين استمرار اهل الكتاب على عنادهم
فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب قيل هم جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل علماؤهم
المذكورون في الاية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى في قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومجرد اعتقاد
الباطل لا يكفي فيه بل الذين يعلمون بقلوبهم ثم يتركون الحق في الظاهر وهم المنعوتون للهوى ونوقش
فيه بان كل صاحب شبهة صاحب هوى قالوا الايتان المتنقشتان بهذه الاية المخصوصتان بالعلماء
منهم لان الجمع العظيم لا يجوز منهم الكتمان وكذا هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصهما تخصيصها

قالوا اخبر عنهم بالاصرار والاستمرار وهذا شان المعاند اللجوج لا داب العامي المتحير ورد بان المقلد
قد يصير قالوا الحمل على العموم يكذبه الوجود فان كثيرا من اهل الكتاب آمن بمحمد عليه الصلوة والسلام
واتبع قبلته ووجه بان المراد بقوله ما تبعوا قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى وسلب الاجتماع لا ينافي اتباع البعض بكل اية برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق
ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المحذوف ساد مسد جواب الشرط واللام في لئن لموطئة القسم اي ولئن
اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا على قبلتك لان فيهم من قد ترك اتباعك لا بشبهة تزيلها بايراد الحجة
بل عنادا او مكابرة مع علمهم بما في كتبهم من نعتك ومن خص اللفظ بالعلماء فان صح عنده انه لم
يتبع منهم احد قبلتنا لم يحتج الى هذا التاويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما اتبع احد منهم وما انت بتابع
قبلتهم رفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حسما لاطماع
اهل الكتاب فانهم طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي
ننتظره وفيه انه لا يجب اصطلاحهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصيتهم وانما وحد القبلة للعلم بان اليهود
قبلة والنصارى قبلة اخرى ولانهما بحكم الاتحاد في البطلان واحدة وما بعضهم بتابع قبلة بعض ان
حمل على الحال فالمعنى انهم ليسوا بمجتمعين على قبلة واحدة حتى يمكن رضاهم باتباعها وانهم مع اتفاقهم
على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك الى شيئين مختلفين وانه اذا جاز ان يختلف قبلتاهما
للمصلحة فلم لا يجوز ان يكون المصلحة في ثالث وان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا يترك قبلتهم
الى المشرق والنصارى الى المغرب بحيث يتعطل احدى القبلتين لان اليهود لا يصير نصرانيا او بالعكس فلعل
ذلك قد وقع اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه محقا او مبطلا ولئن اتبعت كلام على سبيل
الفرض والتقدير لقرينة وما انت بتابع قبلتهم المعنى لئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح الدلايل
وانكشاف حقيقة الامر في باب الديانة انك اذا اي اتبعت لمن المرتكبين الظلم الفاحش لان صغاير
الرجل الكبير كباير فكيف بكباير وفيه ان ترك العمل من العلما اقبح وفيه لطف النبي عليه السلام فان
مزيد المحنة يقتضي التخصيص بمزيد التحذير ولعله كان في بعض الاوقات يتبع اغراضهم كترك المخاشنة
في القول واستمالة قلوبهم طمعا منه في اسلامهم ومعاضدتهم فنهى عن ذلك الغرض ايضا واكيده منهم
بالكلية كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وفيه اشارة للامة كالرجل الخادم يقبل على ابنه واولاده واصلحهم فيزجره عن شيء بحضرة ساير
الاولاد والغرض زجرهم واصلاحهم وانه لا محالة يواخذهم بالطريق الاولى لو خالفوه الذين اتيناهم
الكتاب هم علماؤهم يعرفونه اي الرسول معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالمشخصات من
النعت والنسب حسب ما وجدوه في كتبهم كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم
وما مصدرية او كافة والغرض تشبيه عرفان شخصه بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة
محمد عليه الصلوة والسلام بالعلم ببنوة الابناء والا تشبيه المتيقن بالمظنون عن عمر انه سال عبد
الله بن سلام عن رسول الله عليه السلام فقال انا اعلم به مني يا بني قال ولم قال لاني لست اشك
في محمد عليه السلام انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وجاز اضمار الرسول وان
لم يجر له ذكر لدلالة الكلام عليه وفيه تفخيم لشانه وانه معلوم بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة
معرفتهم الحاصلة من قبل ظهور المعجزات عليه لانها لا تفيد الا كونه نبيا وهم لا ينكرون ذلك وانما ينكرون
كونه النبي المبعوث في كتبهم فرد الله عليهم ذلك فافهم وانما خص الابناء بالذكور اولى بالذكر وقيل الضمير
للعلم او القران او تحويل القبلة وفي الكل تكلف يغني عنه قوله ابناءهم وفيما بينه لحديث عن نقد
عبد الله بن سلام ولما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي عليه السلام من امن به واظهر الحق وهو
ما يجب القول به ويجب العمل بمقتضاه كعبد الله بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم يريد من
سوى المومنين منهم ليكتمون الحق الذي هو امر محمد عليه السلام او امر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم
يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان الا من علم المكتوم الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو

الحق ومن

الحق ومن ربك خبر بعد خبر وحال وان يكون مبتدا، خبره من ربك ثم في اللام يكون وجهان العهد
والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله عليه الصلوة والسلام او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق
او الجنس على معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه كالذي يدعيه اهل الكتاب باطل فلا تكونن من
الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في كون الحق من ربك وقد يجوز ان ينهى الشخص عما يعلم انه منتهٍ
عنه لمثل ما تقرر في قوله ولئن اتبعت ولكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه والوجهة اسم الجهة ولذلك ثبتت
الواو كما قالوا ولدة في جمع الوليد الصبي وانما لا يجتمع مع التاء في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الكل واما
الى الله وثاني مفعولي موليها محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها وجهه ثم اختلف في التفسير
فقيل المعنى ولكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة وجهة اما بشرعية واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه
اليها الصلوة التي يتقرب بها الى ربه وكل يفرح بما هو عليه ولا يفارقه فلا سبيل الى اجتماعكم على
قبلة واحدة ولستم تواخذون بفعل عشيرتكم فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا الخيرات
الدينوية وهي الشرف والفخر بقبلة ابراهيم والاخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين
واينما تكونوا من جهات الارض يات بكم الله جميعا في صعيد القيامة فيفصل بين الحق منكم والمبطل
والمصيب والمخطي انه قادر على ذلك وقيل ان الله تعالى عرفنا ان كل واحد من بيت المقدس والكعبة
قبلة فالجهات من الله تعالى وهو الذي ولى وجوه عباده اليهما فاستبقوا الخيرات بالانقياد
لامره في الحالين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يجي بكم واياهم يوم القيامة فيحكم بينكم او
لكل قوم منكم يا امة محمد جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات
من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله
جميعا يجمعكم للجزاء ويجعل صلواتكم واحدة كانها الى جهة واحدة لمحاذات الجميع الكعبة ولقراءة ابن عامر
مولاها معنيان احدهما ان ما وليته فقد ولاك والاخر زينت له تلك الجهة وحببت اليه وقيل ولكل
مخلوق قبلة فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور
وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك الكعبة بل قبلة جسدك هي وقبلة روحك
انا وقبلتي انت انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم ان الشافعي رح استدل بقوله تعالى فاستبقوا الخيرات
على ان الصلوة في اول الوقت افضل وعند ابي حنيفة رح التاخير افضل احراز الفضيلة الانتظار والتكثير
الجماعة ولما روي انه عليه السلام قال اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رايت اصحاب
رسول الله حافظوا على شيء ما حافظوا على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل مجي الوقت
لقوله عليه السلام يا علي ثلث لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت والايم اذا وجدت لها
كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق وذلك مما لا نزاع فيه والنزاع فيما اذا تحقق
دخول الوقت ثم تكاسل المكلف وتثاقل بغير اسباب الصلوة وتشاغل ومن حيث خرجت ومن اي بلد
خرجت يا محمد فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور الحق الذي يجب ان
يقبل ويعمل به حال كونه من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعد للممتثلين ووعيد للمنتفا فلبى
واعلم ان امر التولية ثلث ذكره الله تعالى مرات وللعلماء في سبب التكرير اقوال اولها ان الاية
الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام والثانية على ان يكون غايبا عنه ولكن يكون في البلد
والثالثة على ان يكون خارج البلد في اقطار الارض فقد يمكن ان يتوهم للغريب من التكليف ما ليس
للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه ينط بكل واحد ما لم ينط بالاخر وذلك انه ذكر الاول بان اهل
الكتاب يعلمون حقيقته بشهادة التورية والانجيل وذكر الثاني باخبار الله تعالى عن حقيقته وكفى
بالله شهيدا واتبع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كما انه في قوله فباي
الاء ربكما تكذبان وامثال ذلك يكرر حيث ينط بكل منها فايدة وثالثها ان الاية الاولى توهم
ان التحويل انما فعل رضى للنبي وطلبا لهواه حيث قال فلنولينك قبلة ترضاها فازيل الوهم بتكرار
الامر تعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اي نحن ما حولناك الى هذه القبلة لمجرد رضاك وهو انك قبلة

اليهود المنسوخة انما يقيمون عليها بمجرد الهوى والتشهي ولكنها حق من ربك بعد انها وافقت رضاك وفي
الثالثة بيان الغرض ورابعها ان الاولى لتعميم الاحوال والثانية لتعميم الامكنة والثالثة لتعميم الازمنة
اشعارا بانها لا تصير منسوخة البتة وخامسها الزم هذه القبلة كانها التي كنت تهواها الزم هذه القبلة
فانها قبلة الحق لا قبلة الهوى الزم هذه القبلة فيما تنقطع عنك حجج العدى وهذا قريب من الثالث
وسادسها هذه الطائفة اولى الوقائع التي ظهر النسخ في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرير لمزيد التاكيد
والتقرير وسابعها قلت الاية الاولى مشتملة على التكليف خاص بالنبي عليه الصلاة والسلام فلنولينك
قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ثم على التكليف عام له ولامته وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
والاية الثالثة ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام لاجل تكليف اخص وهو تكليف الانقطاع
عما سوى الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن صلوات الله عليه وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض ومما يؤيد هذا التاويل تعقيبه بقوله وانه للحق من ربك لم يستنطق النبي على
هذا الا بشهادة نفسه حيث لم يبق الا هو وهو مقام الفنا في الله بخلاف الاية الاولى فانها اكدت
بشهادة الغير وايضا اقتصر ههنا على امر النبي دون الامة لان هذه المرتبة وهو المسجد الحرام حرام لا يليق
لكل احد جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد وايضا قدم على
الاية قوله ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات فدل ذلك على ان المذكور بعدها مرتبة السابقين
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الاخص ناسخ للتكليف
الخاص به والعام له ولامته كرر الاية الاولى بعينها ليعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم المكلفين والله
اعلم بحقائق الامور قوله لئلا يكون اي ولو الاجل هذا الغرض وقال الزجاج يتعلق بمحذوف اي
عرفتكم لئلا يكون للناس عليكم حجة والناس قيل للعموم وقيل هم اليهود كانوا يطعنون بانه يخالفنا في ديننا
ويتبع قبلتنا ويقولون ما دري محمد اين يتوجه في صلوته حتى هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على
دين ابراهيم والان لما ترك التوجه الى الكعبة فقد ترك دين ابراهيم وانما اطلق اسم الحجة على قول المعاندين
لان المراد بها المحاجة او سماها حجة تهكما او طباقا او بناء على معتقدهم لانهم يسوقونها سياق الحجة وقد
يكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وكل كلام تقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء
~~الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولوكان~~ متصل والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلون
بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء او بعض
العرب القائلون بان محمدا عاد الى ديننا في الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع وقيل
الا بمعنى الواو وانشد وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان واذا طعنوا في دينكم من غير مليب
فلا تخشوهم فانهم لا يضرونكم واخشوني واحذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق
مصلحتكم فعلى المرء ان ينصب بين عينيه في كل افعاله وتروكه معناه خشية الله وينقطع الرجاء والخوف عن من
سواه قوله ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه القبلة لحكمتين احدهما انقطاع حجتهم والثانية
تمام النعمة بحصول شرف ابراهيم وقيل متعلقه محذوف ولاتمامي النعمة عليكم واراد في اهتدائكم امرتكم
بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام
لا ينافي ما انزل في اخر عهد رسول الله عليه السلام اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان الله تعالى
في كل وقت نعمة على المكلفين ولها تمام بحسبها فهذا تمام النعمة في امر القبلة وذاك تمام النعمة في امر
الدين على الاطلاق وعن علي عليه السلام تمام النعمة الموت على الاسلام وفي الحديث تمام النعمة دخول
الجنة كما ارسلنا ما مصدرية او كافة ثم ان الجار والمجرور يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول فقيل
معناه ولاتم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف وفي الاخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا به
بارسال الرسول ولاتم نعمتي ببيان الشرايع واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابراهيم حيث قال ومن
ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا كما ارسلنا فيكم رسولا اجابة لدعوته حيث قال ربنا وابعث
فيهم رسولا وقيل معناه وكذلك جعلناكم امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم

بارسال

بارسال الرسول فاذكروني اذكركم تارة اخرى وفيه ان نعمه على العبد لا تنقطع فكل نعمة سابقة فتستتبعها
اليها اخرى لاحقة حتى يكون له النعم اولا واخرا وابدية ونهاية وفي ارساله فيهم ومنهم اي من العرب
نعمة عظيمة عليهم لمالهم من الشرف ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير
فبعثه الله تعالى من واسطتهم ليكونوا الى القبول اقرب وكون القران متلوا من اعظم النعم لانه معجز باقية
ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف على مجامع الاخلاق
الحميدة فتح تلاوته خير الدنيا والاخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة قد مر في دعاء ابراهيم
وفي قوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من الامم وتحير
الناس في امر الديانة فعلمهم ما احتاجوا اليه في صلاح معاشهم ومعادهم وذلك من اعظم انواع النعم
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليفا بامرين الذكر والشكر وقد مر ذكره في تفسير الحمد وقوله
ولا تكفرون عطف بالواو وليعلم ان جحود النعمة منهي عنه كما ان الشكر مامور به ولو قطع على طريقة قوله
شعر اقول له ارحل لا يقيمن عندنا والا فكن في السر والجهر مسلما لاوهم ان المقصود بالذات هو الثاني
والاول في حكم المنفي ويحتمل ان تكون لا نافية والنون ليست للوقاية ومحل الجملة النصب على الحال اي اشكروا
لي غير جاحدين لنعمتي واما الذكر فباللسان وهو ان يحمده ويسبحه ويمجده ويقرا كتابه او بالقلب
وهو ان يتفكر في الدلائل على ذاته وصفاته وفي الاجوبة عن شبه الطاعنين فيها وفي الدلائل على كيفية
تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاه ثم يتفكر في اسرار المخلوقات متوسلا
من كل ذرة الى موجدها او بالجوارح وهو ان يكون مستغرقة في الاعمال المامور بها فارغة عن الاشتغال
بالمنهي عنها وبهذا سمي الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله واما ذكر الله تعالى فلا بد ان يحمل على ما له تعلق
بالثواب واظهار الرضي واستحقاق المنزلة والاكرام فالحاصل اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي واذكروني بالدعاء
اذكركم بالاجابة اذكروني في الدنيا اذكركم في الاخرة اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخاء
اذكركم في البلاء اذكروني بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني بالصدق والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص
اذكروني بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكروني بالفناء اذكركم بالبقاء

يا ايها الذين امنوا
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلوٰةِ اِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتٌ بَلْ
اَحْيَاءٌ وَلٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ
الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْاَمْوَالِ وَالْاَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ اِذَا
اَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا اِنَّا لِلّٰهِ وَاِنَّا اِلَيْهِ رَاجِعُونَ
اُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَاُولٰئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ

القراءة فاذكروني
فتح الياء ابن كثير انا لله بالامالة فيهما قتيبة ونصير وانما جازت مع امتناعها في الحروف لكثرة استعمال
كلمة الاسترجاع الوقوف الصلوة الصابرين اموات لا تشعرون والثمرات الصابرين لان الذين صفتهم

مصيبة لان قالوا جواب اذا واجعون لان اولئك مبتدا على الاصح ومن ابتدله بالذين فخبره اولئك مع ما يتلوه
ووقوف على الصابرين ولم يقف على راجعون المهتدون **التفسير انه تعالى لما اوجب**
بقوله فاذكروني واشكروا لي جميع الطاعات ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع المنهيات فان الشكر
بالحقيقة صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب الى الاستعانة على تلك الوظايف
بالصبر والصلوة فالصبر قهر النفس على احتمال المكاره في ذات الله والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع له
والتذلل للمعبود والتدبر لايات الوعد والوعيد ومزيد التوفيق والتشمر ورزيد الله الذين اهتدوا
هدى وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد بدليل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي
هم اموات بل احياء وعلى الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر والصلوة في اقامة ديني وسلوك سبيلي
فان احتجتم في ذلك الى مجاهدة عدوي باموالكم وانفسكم فتلفت فان قتلاكم احياء عندي من قتلاء بمحبته
ذرية ونيته ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء في الحال فمن الجايز ان يجمع الله تعالى من اجزاء الشهيد جملة
فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كان في حجم الذرة فيرى معظم جسد الشهيد ميتا فلا يحتمي بجبو له والبه الاشارة
بقوله ولكن لا تشعرون مما يؤيد هذا القول الايات الدالة على اثبات عذاب القبر النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا اغرقوا فادخلوا نارا والفا للتعقيب وقال عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران ولم يزل ارباب القلوب يزورون قبور الشهداء ويعظمونها وقيل المعنى
لا تسموهم بالاموات وقولوا انهم الشهداء الاحيا والمراد فولوا انهم احياء في الدين وانهم على هدى ونور من
ربهم لا كما يزعم المشركون انهم ليسوا من الدين في شيء او لا تقولوا مثل ما يقول منكر والبعث انهم لا يبعثون
وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم سيحيون فيثابون وينعمون في الجنة وعلى هذا الوجوه لا يبقى لتخصيص الشهداء
بكونهم احياء فايدة وكذا القول مع المومنين ولكن لا تشعرون وقيل ان الثواب وكذا العقاب للروح
لا للقالب لانه مدرك للجزئيات ايضا فلا يمتنع ان يتالم ويتلذذ لانه سيعاد برد الروح الى البدن
في القيامة الكبرى حتى يتم الاحوال الجسمانية الى الادراكات الروحانية عن ابن عباس ان الاية نزلت
في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وعن كعب ابن
مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق في ثمر الجنة مطلب ارواح الشهداء
اي كلما ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه
من اداء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام تتغلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على
استرداد ما بيدكم فيه بد المستعير اجراوا بالشكر على اكمال الشرايع ثم بالصبر على التكاليف الدينية
ثم حض على التثبت عند طروق النوايب وورود المصايب ومعنى بشيء بقليل من هذه الاشيا وايضا
لو قال باشياء لاوهم ان من كل واحد من الخوف وغيره ضروبا وليس بمراد وفيه ان كل بلاء اصاب الانسان
وان جل ففوقه ما يقل هو بالنسبة اليه وفيه رحمة معهم في كل حال لا تزايلهم **واعلم** ان
كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فاذا اخطر ببالك وهو قد مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان في الحال ذوقا
ووجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان تعلق بالاستقبال وغلب حضوره على قلبك سمي انتظارا مطلب اصابة البلاء للانسان
وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا يسمى
ذلك الارتياح رجاء واما الجوع فالمراد منه القحط وتعذر تحصيل القوة عن عطاء والربيع بن انس
ان المراد بهذه المخاطبة اصحاب النبي عليه السلام بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف
شديد بسبب الدين فكانوا لا يومنون قصدهم اياهم واجتماعهم عليه وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب
ما كان هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا واما الجوع فقد اصابهم في اول مهاجر النبي عليه السلام الى
المدينة لقلة اموالهم حتى انه عليه السلام كان يشد الحجر على بطنه وقد روي انه عليه السلام خرج ذات يوم فالتقى
مع ابي بكر رض فقال ما اخرجك قال الجوع قال اخرجني ما اخرجك فكانوا ينفقون اموالهم في الاستعداد للجهاد وهو
ثم يقتلون فهناك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء
ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله وقد يكون النقص في النفس بموت الاخوان والاخوان واما نقص الثمرات مطلب شد النبي الحجر وسطه عند الجوع

فقد يكون

فقد يكون بالجوع وقد يكون بترك عمارة الضياع لاشتغال بالجهاد وعن الشافعي رحمه الخوف
خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكاة والصدقات ومن الانفس الامراض
ومن الثمرات موت الاولاد قال عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقول نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ونقص عطف على شيء ويحتمل
ان يعطف على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في بشره لرسول الله او لكل من يتاتى
منه البشارة قال الامام الغزالي رضي الصبر من خواص الانسان ولا يتصور ذلك في البهائم لنقصانها
فليس لشهواتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا ولا في الملائكة
فليس لمقابلهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بحضرة الكبير المتعال وتمنعهم عن الاستغراق في
مطالعة حضرة ذي الجلال واما الانسان فانه في الصبي بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذاء ثم
حتى ثم شهوة النكاح لكنه اذا بلغ انضم له مع الشهوة الباعثة على اللذات العاجلة عقل يدعو الى الاعراض
عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية فيقع بين داعيتي العقل والشهوة تمانع وتضاد فقصد
العقل ايا بها هو المعنى بالصبر وانه ضربان بدني فعلا كتعاطي الاعمال الشاقة او انفعالا كالصبر على الالام
ونفساني وهو منع النفس عن مقتضيات الطبع فان كان تجنبا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان
كان احتمال مكروه فان كان في مصيبة خص باسم الصبر ونقاده حالة هي الجزع وهو اطلاق داعي
الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوها وان كان في حال الغنى سمي ضبط النفس ونقـ
ونقاده حالة البطر وان كان في حال مبارزة الاقران سمي شجاعة ونقاده الجبن وان كان في كظم
الغيظ والغضب سمي حلما ونقاده البرم وان كان في نائبة من النوائب سمي سعة الصدر ونقاده
الضجر وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وان كان عن فضول العيش سمي زهدا
وضده الحرص وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة ونقاده الشره وليس الصبر ان لا يجد
الانسان الم المكروه ولا ان يكره ذلك فانه غير ممكن وانما الصبر هو حمل النفس على ترك اظهار الجزع
ولا باس بظهور الدمع وتغير اللون فان رسول الله عليه السلام بكى على ابراهيم ابنه فقيل له في ذلك
فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي
ربنا ثم الصبر عند الصدمة الاولى والا فيسمى سلوا وهو مما لا بد منه ولهذا قيل لو كلف الناس ادامة
الجزع لم يقدروا عليه وقد وصف الله تعالى الصبر في القران في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر
الخيرات اليه فقال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
اسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب فما من طاعة الا واجرها مقدر الا الصبر ولان الصوم من الصبر قال تعالى الصوم لي وهو
فاضافه الى نفسه ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصر
بالصبر فقال ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة وجمع
للصابرين امورا لم يجمعها لغيرهم اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال
عليه السلام الصبر نصف الايمان لان الايمان لا يتم الا بترك ما لا ينبغي والاتيان بما ينبغي والاستمرار
على كل منهما انما يتاتى بالصبر فكل الايمان صبر لان كل واحد قد يكون مطابقا لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه
الى الصبر فلهذا اعاده الى النصف وترجمان الايمان هو الصبر وذلك كقوله الحج عرفة وعن النبي عليه السلام
من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين
ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول
تعالى انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى ضعف جزاء الشاكرين
ومن فضيلة الصبر قال عليه السلام الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فان المشبه به يجب ان يكون
اقوى كما قال شارب الخمر كعابد الوثن وروي ان سليمان يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا

مطلب موت ولد آدم

مطلب الشهوة

مطلب بكاء النبي عند موت ابن ابراهيم

مطلب الصبر

مطلب الصبر نصف الايمان

لمكان ملكه واخر الصحابي في دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي الخبر ابواب الجنة كلها
مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب عليه السلام ثم ان الله
تعالى بين ان الانسان كيف يكون صابرا وانه متى يستحق البشارة فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة
وهي من الصفات الغالبة التي لا تكاد تستعمل موصوفها ثم تختص من بين ما يصيب الانسان بحالة مكروهة
كالنازلة والواقعة والملمة وانما نكرت لتشمل كل مضرة تناله من قبل الاسباب السماوية والارضية المنتهية
الى مسبب الاسباب بواسطة ظاهرة او خفية قالوا انا لله اقرار بالعبودية وانا اليه راجعون تفويض للامر
اليه كانتقال الملك والدولة يرجع الى فلان لا يراد الانتقال بل القدرة وترك المنازعة انا لله اعتراف
بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلاك انا لله اشارة الى المبداء وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد
انا لله اعلام بالفنا فيه وانا اليه راجعون اقرار بالبقا انا لله رضى بقضايه وانا اليه راجعون ايجاب
بقدومه **واعلم** ان الرضا بالقضا انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين المعرفة او الجذب
اما المعرفة فمتى مال قلبه الى شي والتفت خاطره اليه جعله الله منشا للافات لينصرف وجه قلبه عن
عالم الحدوث الى جانب القدس كما ان ادم لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة فبقي ادم مع ذكر
الله ولما استانس يعقوب بيوسف عليهما السلام وقع الفراق بينهما فبقي يعقوب مع ذكر الحق ولما طمع
محمد من اهل مكة في النصرة والاعانة صاروا اشد الناس في قتاله فاخرجوه وقد لا يحصل ذلك تلاء
ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى لا البلاء ولا الرحمة ثم يرجع العبد الى الله وقد يتوقع العبد من جانب
خيرا فاعطاه الله تعالى ذلك بلا واسطة فيستحي العبد فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات
الرحمن توازي عمل الثقلين ومن جذبه الحق الى نفسه صار مغلوبا لان الحق غالب فتصير الربوبية غالبة
على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كالعبد الداخل على السلطان المهيب ينصرف فكره اليه ويشتغل
بالكلية عمن سواه ويصير فانيا عن نفسه وعن حظوظها فيحصل له مرتبة الرضا باقضية الحق سبحانه
من غير ان يبقى في طاعته شبهة المنازعة عن النبي عليه السلام من استرجع عن المصيبة جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفي سراج رسول الله عليه السلام
فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شي يوذي المومن فهو له مصيبة وعن ام سلمة
ان ابا سلمة حدثها ان رسول الله عليه السلام قال ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع الى ما امره الله
به من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتي فاجرني فيها وعوضني خيرا منها
الا اجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة ذكرت هذا الحديث وقلت هذا القول
فعاضني الله محمدا عليه السلام وعن ابن عباس اخبر الله تعالى ان المومن اذا سلم لامر الله ورجع
واسترجع عند مصيبته كتب الله تعالى له ثلاث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل
الهدى وعن عمر رضي الله عنه قال نعم العدلان انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة ونعم العلاوة واولئك هم المهتدون قيل ان الصلوات من الله الثناء والمدح والتعظيم
والرحمة والنعم العاجلة والاجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف وضعت موضع الرافة كقوله رافة ورحمة
رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب والفايزون
بالكرامة والثواب او هم المتمسكون بادابه المتثبتون بالالزام وامره في الابد حكمان فرض ونفل فالفرض
هو التسليم لامر الله تعالى والرضاء بقضايه والصبر على اداء فرايضه لا يصرفه عنها مصايب الدنيا
والنفل قوله انا لله وانا اليه راجعون فان في اظهاره فوايد منها ان غيره يقتدي به اذا سمعه ومنها
غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله والثبات على طاعته واما الحكمة في تقديم تعريف الابتلاء
فهو ان يوطنوا نفوسهم لهذه المصايب اذا وردت فيكون ابعد وايضا اذا علموا انه سيصل اليهم تلك
المحن اشتد حزنهم فيكون ذلك الحكم تعجيلا للابتلاء فيستحقون بذلك مزيد الثواب وايضا فيه
اذا اخبر بوقوع هذا الابتلاء ثم وقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيه تميز للمنافق
وتمييز عن الموافق كان الحكمة في نفس الابتلاء ايضا ذلك يسعد دعوى الاخا على الرخا كثيرة بل في

الشدايد

الشوايب بعرف الاخوان اذا قلت اهوي البحر لي حلل البكي يقولون لولا البحر لم يطب الحب وان قلت
كربي دايم قالت انما يعد بحبا من يدوم له الكرب وان قلت ما اذنبت قالت مجيبة حيوتك ذنب لا يقاس به ذنب

ان الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت
او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن
تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ∴ ان الذين
يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد
ما بيناه للناس في الكتاب اوليك يلعنهم
الله ويلعنهم اللاعنون ∴ الا الذين تابوا
واصلحوا وبينوا فاوليك اتوب عليهم وانا التواب
الرحيم ∴ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
اوليك عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين
خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون

القراءة

ومن يطوع بتشديد الطاء والجزم حمزة وعلي وخلف ويزيد ورويس الباقون بالتخفيف وفتح الاخر على المضي الوقوف شعاير الله للشرط مع فاء التعقيب بهما لان التطوع خارج عن موجب كونهما من شعاير الله فكان استيناف حكيم عليم والحال الرحيم اجمعين لان خالدين في الكتاب لان اوليك خبر ان اللاعنون للاستثناء اتوب عليهم لاحتمال الواو للاستيناف والحال الرحيم اجمعين لان خالدين حال عامله معنى الفعل في اللعنة اي لعنهم الله حتى قرا الحسن والملايكة وما بعده بالرفع فيهما لان ما بعده يصلح حالا بعد حال واستيناف اخبار ينظرون

التفسير

الذي في تعلق الاية بما قبلها وجوه منها ان السعي بين الصفا والمروة من شعاير ابراهيم كما مر في قصته هاجر فذكر عقيب تحويل القبلة الذي فيه احيا شرع ابراهيم ومنها انه من اثار هاجر واسمعيل وفيه تذكير لما جرى عليهما من البلوى وحسن عاقبتهما فناسب ان يردف القصة اية الابتلاء ليعلم ان من صبر على البلوى نال الدرجة العليا في الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام التكاليف ثلاثة اولها ما يهتدي العقل الى حسنه كشكر المنعم وذكره واشير الى ذلك بقوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي وثانيها ما كان في المعقول قبحه والتنفر عنه كالالام وهي الفقر والمحن فانه تعالى لا ينتفع به والعبد يتالم منه الا ان الشرع لما ورد به وبين الحكمة فيه وهي الابتلاء والامتحان في يعتقد المسلم حسنه وكونه حكمة وصوابا وذلك قوله ولنبلونكم الاية وثالثها ما ليس يهتدي العقل الى حسنه ولا الى قبحه بل يراها كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة فيا في بها تعبدا محضا وهي اكثر افعال الحج من السعي ورمي الجمار ونحوها فذكر طرف من هذا القسم عقيب القسمين الاولين تتميما للاحكام واستيفا لجميع الاقسام والصفا والمروة هكذا باللام علمان للجبلين المعروفين بمكة زادالله

شرفها والصفا في اللغة صخرة ملساء وفي المثل ما تندى صفاته والجمع صفا مقصور او اصفاء صفي على مفعول
واذا نعتوا الصخرة قالوا صفاة وصفواء واذا ذكروا قالوا صفا صفوان قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب
وعن الاصمعي المروة حجارة بيض براقة يقدح منها النار الواحدة مروة والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة
وذلك ان الشعيرتين الجبلين من اعلام دين الله او هما من متعبداته وقد شرعه الله تعالى لنبيه محمد
ولابراهيم عليهما الصلاة والسلام قبل ذلك كما مر في قوله وارنا مناسكنا وليس يسمى عبادة تامة في نفسه
وانما يصير عبادة اذا كان بعضا من افعال الحج فلهذا قرنه بقوله فمن حج البيت او اعتمر والحج لغة القصد رجل
محجوج اي مقصود وهو ايضا كثرة الاختلاف والتردد في فلان فلانا اذا اطال الاختلاف اليه ثم غلب استعماله
في القصد الى مكة للنسك والحاج يأتي البيت اول ما يعرفه ثم يعود اليه للطواف ثم ينصرف بالبيت ويسعى بين
الصفا والمروة ثم ينصرف كالزائر يزور ثم العمرة اسم من الاعتمار غلبت على النسك المعروف والجناح الحرج
والاثم من قولهم جنح الى كذا اي مال اليه كان صاحبه مال الى الباطل او لان الناس يميلون الى صاحبه
بالمطالبة ثم قوله لا جناح عليه يدخل تحت الواجب والندب والمباح فظاهره لا يدل الا على احد الثلثة
باليقين فلهذا اختلف العلماء في ان السعي واجب ام لا متمسكين بدلايل اخر فعن الشافعي انه ركن ولا يقوم
الدم مقامه لقوله عليه السلام ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا وليس المراد منه العدو بل الجد والاجتهاد
في ذلك المشي بحيث لا يفوت لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله ولما ثبت انه عليه السلام سعى فيجب علينا اتباعه
لقوله فاتبعوه ولقوله عليه السلام خذوا عني مناسككم والامر للوجوب وعن ابي حنيفة انه ليس بركن ولكنه
واجب وعلى تاركه دم وعن ابن الزبير وابن عباس وانس انه تطوع وليس على تاركه شيء لان رفع الجرح
دليل الاباحة ولقوله بعد ذلك ومن تطوع خيرا اجاب الشافعي بما روي انه كان على الصفا اساف وعلى
المروة نايلة وهما صنمان كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما
طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان
كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وانه لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع الجناح فالاباحة
تنصرف الى وجود حال السعي لا الى نفس السعي كما لو كان بحاسة يسيرة عند ابي حنيفة او دم البراغيث
عندنا فيقال لا جناح عليك فان رفع الجناح ينصرف الى مكان النجاسة لا الى نفس الصلوة ولهذا لما
قال عروة لعايشة اري انه ما على احد من جناح ان لا يطوف بالصفا والمروة قالت بيسما قلت يا ابن
اختي ان هذه لو كانت على ما اولتها كان لا جناح عليه ان لا يطوف بهما واصل يطوف يتطوف فادغم كما
قراء يطوع بالتشديد واصله يتطوع والتطوع ما تبرعت من ذات نفسك من خير ايجاب عليك ومن قال
ان السعي واجب فسر هذا التطوع بالسعي الزايد على قدر الواجب وعن الحسن المراد منه جميع الطاعات وهذا
اولى لعموم اللفظ فان الله شاكر اي مجازيهم على الطاعة سمي جزاء الطاعة شكرا تشبيها بجزاء النعمة
وفيه تلطف للعباد مثل من ذا الذي يقرض الله كانه يقول وان كنت غنيا عن طاعتك الا اني اجعلها
من الموقع ما لو صح علي ان انتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل عليم بالسراير فيوفي كل ذي حق حقه
وهو وعد لبيان سبب قرينة الشكر وان كان ايضا يحتمل التحذير من الاخلال بوظايف الاخلاص في العبادة
ان الذين يكتمون كلام مستانف بينا ولكل من كتم شيئا من الدين وقيل هم اهل الكتاب وقيل اليهود
خاصة لما روي عن ابن عباس مع انه جماعة من الانصار سالوا نفرا من اليهود عما في التورية من صفته
عليه السلام ومن الاحكام فكتموا فنزلت والاول اولى لعموم اللفظ ولان خصوص السبب لا يوجب خصوص
الحكم ولان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية ولا ريب ان كتمان الدين يناسب استحقاق اللعن من الله
تعالى فيعم الحكم حسب عموم الوصف ولا يخفى ان القران قبل صيرورته متواترا يمكن كتمانه والمجمل من
القران اذا كان بيانه بخبر الواحد يجري فيه الكتمان وكذا القول فيما يحتاج اليه المكلف من الدلايل العقلية
ولانه جماعة الصحابة حملوه على العموم عن عايشة رض من زعم ان محمدا عليه السلام كتم شيئا من الوحي فقد
اعظم الفرية على الله والله تعالى يقول ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات فحملت الاية على العموم
وعن ابي هريرة لولا آيتان من كتاب الله ما حدثت حديثا بعد ان قال الناس اكثر ابو هريرة وتلا ان الذين

يكتمون

يكتمون **قال بعض المحققين** الكتمان ترك اظهار الشي مع الحاجة وحصول
الداعي الى اظهاره لانه متى لم يكن كذلك لا يعد كتمانا فلما كان ما انزله الله من البينات والهدى من
اشد ما يحتاج اليه في الدين وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان كما يوصف احدنا في امور الدنيا بالكتمان
اذا كانت مما يقوي الداعي الى اظهارها وعلى هذا الوجه يمدح من يقتدر على كتمان السر لان الكتمان مما يشق
على النفس وفي الاية دليل على ان ما يتصل بالدين ويحتاج اليه المكلف لا يجوز ان يكتم ومن يكتم فقد عظمت
خطيئته والمراد بالبينات كل ما انزله على الانبيا كتابا ووحيا دون ادلة العقل والهدى يدخل فيه
الدلايل العقلية والنقلية لان الهدى الدلالة فيعم الكل الاول هو التنزيل والثاني ما يقتضيه هو
التنزيل من الفوايد لقوله من بعد ما بيناه للناس في الكتاب فيشمل خبر الواحد والاجماع والقياس
حجة لان الكتاب دل على بعض الامور وهذا الاظهار فرض على الكفاية لا على التعيين لانه اذا اظهره
البعض صار بحيث تمكن كل احد من الوصول اليه ولم يبق مكتوما وان احترج عن حد الكتمان لم يجب على
الباقين اظهاره مرة اخرى فقيل لم لا يجوز ان يكون كل واحد منهيا من الكتمان ماموراً بالبيان
ليكثر المخبرون فتواتر الخبر واجيب بان هذا غلط لانهم ما نهوا عن الكتمان الا وهم ممن يجوز عليهم الكتمان
ومن جاز منهم التواطؤ على الكتمان جاز منهم التواطؤ على الوضع والافتراء فلا يكون خبرهم موجبا للعلم
ومن الناس من يحتج بالاية على وجوب خبر الواحد لان وجوب الاظهار دل على وجوب القبول بالذي اظهر
لا سيما وقد قال الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فحكم بوقوع البيان بخبرهم واستدل بالاية على عدم
جواز اخذ الاجر على التعليم لانها دلت على وجوب التعليم ولا اجر على اداء الواجب وقيل في الكتاب
اي في التورية والانجيل من نعت رسول ومن الاحكام والمعنى ما لخصناه بحيث نوع فيه موضع اشكال فعمدوا
الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس وقيل المراد بالمنزل الاول كتب الاولين وبالهدى القران
اولئك تبعيد لهم عن درجة الاعتبار يلعنهم الله يبعدهم عن كل خير ويلعنهم يدعو عليهم باللعن اللاعنون
الذين يتاتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملايكة وصالحي الثقلين وقيل يدخل فيهم دواب الارض
وهوامها فانها تقول منعنا القطر بشوم معاصي بني ادم واللاعنون الاجناس تغليب للعقلاء
وقيل هم الهوام فقط والتذكير لانه تعالى وصفهم بصفات العقلاء مثل والشمس رايتهم لي ساجدين
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقالوا لجلودهم لم شهدتم وقيل كل شي سوى الثقلين بتقدير انها لو كانت
عاقلة كانت يلعنهم او لانها في الاخرة اذا اعيدت وجعلت من العقلا فانها يلعن من فعل ذلك في
الدنيا ومات عليه وقيل ان اهل النار يلعنونهم ايضا لانهم كتموا الدين كلما دخلت امة لعنت اختها
وعن ابن مسعود اذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق فان لم يكن مستحق رجعت
على اليهود الذين كتموا ما انزل الله سبحانه وعن ابن عباس ان لهم لعنتين لعنة الله ولعنة الخلايق
قال ذلك اذا وضع الرجل في قبره فيسال ما دينك ومن ربك فيقول لا ادري فيضرب ضربة يسمعها
كل شي سوى الثقلين فلا يسمع شي صوته الا لعنه ويقول الملك لا دريت ولا تليت الا الذين تابوا
استثناهم وفيه من الرحمة ما فيه وقد مر ان التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه
ليكون مخلصا لا لغرض سواه في التوبة فان من ترك رد الوديعة ثم ندم لان الناس لاموه او لان
الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط وبينوا ما يكتموه
اي بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من
المفسدين فاولئك اتوب عليهم اقبل توبتهم بان اسقط العقاب عنهم تحللا وامنع مكانه الثواب
تفضلا بدلالة قوله وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم عام في كل من كان كذلك وقيل
مخصوص بهولاء الكاتمين ذكر لعنتهم احياء ثم ذكر لعنتهم امواتا اذا لم يتوبوا وعلى هذا القول يكون اطلاق الكفر عليهم
وهم من اصحاب الكبائر مجازا تغليظا او يراد بالكفر جحود الحق وستره والمراد بالناس اللاعنين
من يعتد بلعنه وهم المومنون اجمعون وقيل يوم يلعن بعض الكفار بعضا فيعم المومن والكافر
وقيل لعن الجاهل والظالم مقرر في العقول حتى ان الظالم قد يلعن نفسه اذا تامل في حاله وقيل وقوع

اللعن على من مات كافرا وان زال التكليف عنه بالموت على ان الكافر اذا جن لم يكن زوال التكليف عنه بالجنون مسقطا للعنة والبراءة منه وكذلك سبيل ما يوجب المدح والموالاة من الايمان والصلاح اذا مات صاحبه او جن لا يغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحال وفي الاية دليل على ان الامور بخواتيمها وانه اذا الكفر ومات لا على الكفر لم يكن ملعونا ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خالدين فيها اي في اللعنة وقيل في النار واضمرت وان لم يجر لها ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لمكانها والاول اولى لتقدم ذكره لفظا ولان اللعن تشتمل النار وزيادة ولانها تقع في الحال والمال جميعا بخلاف النار فانها في الاستقبال ومن فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلاص على صاحب الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل وقد سلف مثل ذلك لا يخفف عنهم العذاب بل يشتد في الاوقات باقيا على المبلغ الذي استحقوه حسب ما استحقوه ولا هم ينظرون اذا استنظروا من الانظار الامهال ولا ينتظرون ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر رحمة اعاذنا الله بعميم بفضله وجسيم طوله **التاويل** الصفا السر والمروة للروح والسالك بينهما بسعي فوق صفا السر بتقطع التعلقات عن الكونين وهو التعظيم لامر الله وفي مروة الروح يوصل الخير الى اهله وعياله ونفسه بمراقبة احوال الباطن ومزاولة اعمال الظاهر وهو الشفقة على خلق الله ومعنى سبع مرات ان يصل بركات سعيه الى سبعة ارابه في الظاهر والى سبعة اطواره والباطن والى سبعة اقاليم العالم لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ومن كمال رافته بامثل محبته ان جعل اثار اقدامهم اشرف الامكنة وساعات ايامهم اعز الازمنة فالى تلك المعاهد والاطلال تشد الرحال وتلك المشاهد والاثار تعظم وتزار شعر

اهوى هواها لمن قد كان ساكنها • وليس في الدار لي هم ولا وطر • والله اعلم

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ
النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ **القراه**

لا اله الا هو بالمد وكذلك جميع التهليل روى الهاشمي عن ابن كثير لورود الاثر في هذه الكلمة وهو قوله عليه السلام من قال لا اله الا الله ومد بها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وروى ابن ابو الفرج عن قنبل الا هو بالاثبات حيث كان الرحيم مفردا حمزة وعلي وخلف الباقون الرياح مجموعا الوقوف واحد نظرا الى ان ما بعده وصف اخر والى الاختلاف بالنفي والاثبات الرحيم من كل دابة مزدوجة لطول الاية والا فاسم ان لايات والجار وما يتصل به معترض والاولى الوصل والرجوع يعقلون **التفسير** الواحد قد يكون اسما وذلك في العدد واحد اثنان ثلثة وقد يكون صفة كقولك شخص واحد ومعناه انه لا ينقسم من جهة ما قيل انه واحد فالانسان الواحد يستحيل ان ينقسم من حيث هو انسان لان الانسان

الواحد

الواحد يستحيل ان ينقسم الى انسانين بل قد ينقسم الى الابعاض والاجزاء وذلك من جهة اخرى ثم
زعم قوم ان الوحدة صفة زائدة على الذات لان الجوهر قد يشارك العرض في كونه واحدا ولا يشاركه
في كونه جوهرا فقط ولانه يصح تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحدا والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم
ولان قولنا الجوهر واحد ليس يجري مجرى قولنا الجوهر جوهر ولان مقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد
الكثير ثم المفهوم من كونه واحدا امر ثبوتي لانه لو كان سلبيا لكان سلبا للكثير فان كانت الكثرة هي
سلبية وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة
الا مجموع الواحدات فان كانت الوحدة سلبية حصل من الامور المعدومة امر موجود وهو محال
فثبت ان الوحدة صفة زائدة ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا يحقق لها الا في الذهن لانا نعلم
بالضرورة ان الشيء المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا في نفسه قبل ان وجد ذهننا واعتبارنا
فثبت ان يكون الشيء واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بتلك الذات والجواب ان كون
الشيء واحدا صفة في ذاته معناه كونه بحيث يصح ان يدرك الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية
لا يتوقف على حصول الذهن في الخارج ثم ان الوحدة لو كانت صفة زائدة على الذات كانت الواحدات
متساوية في ماهية الوحدة وتباينه بتعينها فيكون للوحدة ~~حتى العدد~~ وحدة اخرى وهلم جرا
وذلك محال ثم ان شيئا من الموجودات لا ينفك عن الوحدة حتى العدد فان العشرة الواحدة تعرض
لها الوحدة من حيث هي عشرة واحدة فان قلت العشرات فالعشرات مرة واحدة قد عرضت
لها الوحدة من هذه الجهة فلا شيء من الموجودات ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود لان
الموجود ينقسم الى الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغاير لما به الانقسام والواحد الحق سبحانه واحد
باعتبارين احدهما ان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة بل هي احدية المعنى واليه الاشارة بقوله
والهكم اله واحد والخطاب للممكنات باسرهم والتذكير لتغليب ذوي العقول الذكور وثانيهما انه
ليس في الوجود ما يشاركه في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدا لجميع الممكنات وهو المراد بقوله لا اله
الا هو ويمكن ان يقال القرينتان تدلان على نفي التشريك الا ان الاولى منهما تدل على اثبات وحدته
في الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي الشريك كقولك هو سيد واحد تريد الواحدية في السيادة فيلزم
نفي ان يكون غيره سيدا والقرينة الثانية تدل على نفي الشريك ثم على اثبات المعبود الحق بالمطابقة فمعنا
لا اله في الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة وهي ان اثبات الحق وقع في كلتا القرينتين بالمطابقة ليعلم
انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له رجوع وعروج وذلك انه اذا بلغ
في عالم اللاهوت فينبغي ببقاء الحي الذي لا يموت وبطالع عالم الشهود فيلزم نفي ما سوى الحق واذا
رجع الى عالم الناسوت ضرورة وجب عليه نفي كل من سواه حتى يرجع الى المقصود فهذا سر عكس
الترتيب في القرينتين ولا ذا الا ولي مرتبة الصديقين السابقين فلاجرم وقع التكليف بالترتيب
الاخير امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان العقلي على انه تعالى واحد من
جميع الوجوه لا يحصره اجزاء مقدارية كما للاجسام ولا يحصره اجزاء معنوية كما في البسائط النوعية
ولا اجزاء اعتبارية كما في البسائط الجنسية هو ان كل مركب فانه يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه والمفتقر
الى الغير لا يكون واجب الوجود لذاته وايضا كل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته في العقل والاعتبار فانه
يمكن تصور الممكن من حيث انه ممكن مع الشك في وجوده الخارجي ولكن لا يمكن تعقل الواجب من حيث
انه واجب مع الشك في وجوده فلا يمكن ان يكون الوجود زائدا على الماهية او غير زائد الا هو واما انه تعالى
وحده لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي ان لا يكون الواجب لذاته مفتقرا في شيء الى شيء اصلا ويكون
كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال ولا ريب ان من كمالات الجميل كونه عديم النظير
ومن تحقق معنى وجوب الوجود بنور الباطن وصفاء الضمير لم يشك في وجوده تعالى ولا في ان الواجب
الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته حتى
حمل الوحدة عليه وعن تصور ذاته وههنا حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل

لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له اما انه واحد في ذاته ح

الي عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد وصل الي الوحدة فاعرف هذه الاسرار لتتخلص عن ظلمات شبهها ت الاشرار
وتفوز بمقامات الابرار وتستغرق في بحار عالم الانوار بعون الملك الجبار وشروق انوار الواحد القهار ولك
ان تقول انه سبحانه واحد في ذاته فلانه لو شاركه غيره في حقيقته لزم تركيبه بما به الاشتراك وبما به الامتياز
وكل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن واما انه واحد في صفاته فلان صفات غيره من غيره وصفاته من نفسه ولان
صفات غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية وصفاته غير متناهية كعلمه مثلا فان له
معلومات غير متناهية بل له في كل معلوم علوم غير متناهية بحسب احيازه ذلك المعلوم واوقاته وساير
احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعني كونها حالة في ذاته وكون ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته
يستكمل بها لان ذاته كالمبدا لتلك الصفات ولن يستكمل المبتدا بما عن المبدا بل ذاته مستكملة بذاته
ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال وقد ينتهي التقرير الي حيث يقصر العبارة عن
الوفا به وذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته كما انه لا خبر عندها من ذاته فانا نعرف من علمه لا انه لا جله
ظهر الممكنات من طبع علي قلبه منى بالخذلان ومن كشف الغطاء صار حيران فلا احاطة للقطرة بكنه الماء ولا
ظهور لضوء السها عند حلول الشمس كبد السماء اشتقاقه فاذا بدا طرفت من اجلاله لا خفية بل هيبة وصيانة
لجماله فالموت في ادباره والعيش في اقباله واصد عنه اذا بدا واروم طيب خياله واما انه واحد في افعاله فلان
ما سواه ممكن الوجود لذاته ويقدر البون بين الواجب الذاتي والممكن الذاتي يوجد التفاوت بين
فعليهما ان فرض للممكن فعل من نفسه الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالي عما يشركون ثم انه تعالي حفي الموضع بذكر الرحمن الرحيم لان
ذكر الالهية والفردانية يفيد القهر والعلو فعقبهما بذكر المستفيض ترويحا للقلوب عن هيبة الالهية
وعزة الفردانية واشعارا بانه ما خلق الخلق الا للرحمة والاحسان ان في خلق السموات والارض الاية
ذكر علما المعاني ان ايجاز هذه الاية ان يقال ان في ترجح وقوع اي ممكن كان لاعلي وتوحده لايات للعقلا لا
ان الكلام لما كان مع الانس فحسب بل مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الي انقراض الدنيا
وفيهم من تكل التفكير في باب النظر والعلم بالصانع من لا تحصي من طوايف الغواة لم يكن مقام ادعي لترك
الايجاز الي الاطناب من هذا الكتاب عن عطا قال انزل بالمدينة علي النبي عليه السلام والهكم اله واحد
فقالت كفار قريش بمكة ولهم حول الكعبة ثلثماية وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان
في خلق السموات والارض الاية وعن سعيد بن مسروق لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون
وقالوا اله واحد ان كان صادقا فليأتنا باية فنزلت وزعم بعض الناس ان الخلق هو المخلوق لان
المخلوق الذي يدل علي الصانع والمحقق انه غيره لان الخلق التقدير وتقدير المخلوقات غير نفس المخلوقات
ولو كان عينها والخالقية صفة الله تعالي لزم اتصافه تعالي بالقاذورات والشياطين ولانه يصح
تعليل حدوث الحادث بخلقه تعالي ولا يصح تعليل حدوثه بنفس ذلك الحادث ولانه يصح ان يقال
خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض ولاتفاق
المعتبرين من النحاة علي ان العالم في قول القايل خلق الله العالم مفعول به لا مفعول مطلق ثم الاستدلال
بالاستدلال علي الخالق بالمخلوق لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله اياه وهذه الجهة التي صيرته اية
وقد عد الله تعالي في هذه الاية ثماني ايات الاولي خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها
في تفسير قوله تعالي فسويهن سبع سموات وزعم اهل الهيئة لما شاهدوا من كل واحد من السيارات
السبعة حركات مختلفة كالبطوء والسرعة بعد التوسط في الحركة والوقوف والرجوع بعد الاستقامة وبقي
الحركة علي توالي البروج وعندهم مقدمتان كليتان احدهما ان السموات لا يتطرق اليها الاختلاف الوضعي
والثانية ان حركة الكواكب في الفلك ليس كحركة السمك في الماء ولكنه يدور بارادة الفلك اياه ان كل واحد
من افلاك السيارات ينقسم الي افلاك اخر يتضمنها فلكه الكلي الذي مركزه مركز العالم ومراكزها يخالف
مركزه في الاغلب ثم ان كان مع المخالفة في المركز محيطا بالارض تخص باسم الخارج المركز ويبقي بعد توهم
انفصاله من الفلك الكلي جسمان بعليان متبادلا ومنع الغلظ والرقة المتمهين وان لم يكن محيطا بسمي

بالتدوير

بالتدوير ويكون الكوكب مركوزا فيه كالفص في الخاتم ويلزم له من مجموع الحركات المركبة من تلك الافلاك
حركة مختلفة في النظر وان كانت كل منهما متشابهة في نفس الامر ونعني بالتشابه ان يقطع المتحرك
من المحيط في ازمنة متساوية قسيا متساوية ويحدث عنده في المركز زوايا متساوية وبالاختلاف نقيض
ذلك فللقمر من تلك الافلاك اربعة اثنان متوافقان في المركز وخارج وتدوير ولعطارد اربعة احدها
يوافق مركزه مركز العالم وخارجان وتدوير وللزهرة موافق وخارج وتدوير وللشمس اثنان موافق وخارج
ولكل من الثلاثة العلوية كالزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك بسيطة موضوعة في الزيجات واما
المختلفة فالشمس تقطع جميع الفلك في سنة شمسية وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا
والقمر في ثمانية وعشرين يوما وكل من عطارد وزهرة كالشمس وزحل في ثلثين سنة والمريخ في سنتين
والمشتري باثني عشرة سنة جميع ذلك بالتقريب واذ قد تقرر ذلك على الاجمال فنقول في كيفية الاستدلال
بهذه الاحوال ان اختصاص مقادير كل واحد من الافلاك بمقدار معين مع اشتراكها في الطبيعة الفلكية
يدل على مخصص مدبر مختار خبير قدير قهار وكذا تخصيص كل منها بحيز معين وكذا تعيين نقطتين من سطح الفلك
للقطبية مع تساوي جميع النقط المفروضة عليه في صلوح ذلك وكذا حصول الكواكب والتدوير في جانب معين
من الفلك وكذا تفصيل الافلاك الكلية الى الخوارج المراكز وايضا المتممات على اقدار معينة في الرقة والغلظ
وكذا تعيين كل من الاجرام بحركة معينة السيارات كما قلنا انفا والثوابت بحيث يتم دورانها في ستة وثلثين
الف سنة على ما في المجسطي او في خمسة وعشرين الف سنة وماتي سنة عند المتاخرين والفلك الاعظم
في يوم بليلته وكذا تعيين جهات الحركات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وكذا تعيين مبادي الحركات
وتخصيصها بزمان دون زمان فان الافلاك سواء قلنا ان ذواتها حادثة او نقال انها ازلية
لا بد ان يكون لحركاتها اول فان الحركة من حالة الى حالة وكون الحركة ازلية تنافي المسبوقية بالغير فالابتداء
بالحركة بعد ان لم يكن يقتضي الافتقار الى فاعل مختار يكون الكل تحت قهره وتسخيره وكذا تخصيص كل من
الكواكب بعظم اخر وبلون اخر كصفرة عطارد وبياض الزهرة وكمودة زحل ودرية المشتري وحمرة المريخ
وظلمة القمر في ذاته بحيث اذا حال بين الناظرين وبين الشمس وذلك في الاجتماع المرئي كسفها وكذا اختلاف
تأثيراتها في هذا العالم باذن خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب والنسق الانيق في تركيب الافلاك
وائتلاف حركاتها وارتباط اجرامها واختلاف اوضاعها المتسقة لاتصالاتها وانصرافاتها انما تكون مبنية
على حكمة وبقدرة قدير خبير ام هي واقعة عبثا وجزافا فاهيهات فان من جوز في بناء رفيع وقصر مشيد
ان التراب والماء انضم احدهما الى الاخر ثم تولد منهما النبات ثم تركيب تلك النبات وتولد من تركيبها
القصر ثم تزين بنفسه بالنقوش الغريبة والرسوم اللطيفة قضى العقل له بالجنون وسجل
عليه بسخافة الراي بل بعده من زمرة الانعام الامن جملة الاثام الاية الثانية خلق الارض ومن تامل
في تشكلها من الاستدارة في حيزها من كونها واقعة في مركز العالم حتى انبعث منها بوقوع الشمس عليها
مخروط ظل في مقابلة الشمس متى وقع القمر فيه انخسف ومن انكشاف بعضها عن كرة الماء لمكان الاستقرار
عليها وفي اختلاف اوضاع بقاعها بالنسبة الى السماء حتى اختلف مرور الشمس وسائر الكواكب بسمت روس
قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق وتغايرت الطوالع والمطالع بحسب تغاير الآفاق
ومن سائر اغراضها ومنافعها التي انفرد طرف منها في تفسير قوله الذي جعل لكم الارض فراشا علم افتقارها
الى مدبر قدير وعليم خبير واحد في ملكه وملكه يفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعالم الثالثة اختلاف
الليل والنهار اما النهار فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الارض وفي عرف الشرع بزيادة ما بين
طلوع الفجر الصادق الى طلوع جرم الشمس واما الليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق او بنقصان الزيادة
المذكورة وذلك لان الشمس اذا غابت ارتفع راس مخروط ظل الارض الى فوق موقع الابصار فاخل الى ان
يظهر الضلع المستنير منه من جانب الافق الشرقي فيكون اول الفجر الكاذب اذ كان الضوء مرتفعا عن
الافق بعد واول الفجر الصادق اذا قرب من الافق جدا وانبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت
الافق طلع مركز جرم الشمس في مقابلته فظهر ان الليل والنهار كيف يختلفان اي يتعاقبان مجيئا

ونهارا كقوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل والنهار خلفة او تختلفان ظلاما وضياء وطولا وقصرا
لان زيادة احدهما تستلزم نقصان الاخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة او كيف يختلفان
في الامكنة فان نهارها كل بقعة تقابلها ضرورة كرية الارض او كيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلد
كلما ازداد عرضها عن خط الاستواء وهو الموضع المحاذي لمنطقة الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد
نهاره في الصيف طولا وفي الشتاء قصرا وبالعكس في الليل فقد يتغير طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب
الى حيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازائه الليل الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها
ليلا وذلك اذا صار قطب الفلك الاعظم محاذيا بالسمت الراس ولا عمارة هنا ولا حيث يزيد النهار الاطول
على يوم بليلته لشدة البرد اللازم من انخفاض الشمس وكون الليل والنهار في انفسهما ايتين على وجود الصانع
ووحدانيته ظاهر وكذا من جهة ارتباطها بحركة النير الاعظم وكذا من جهة انتظام احوال العباد بسبب طلب
المعاش في الايام والنوم والراحة في الليالي ومن الغرايب تعاون المتنافيين على امر واحد هو اصلاح
معاش الحيوان وان اقبال الخلق في اول الليل على النوم يشبه موت الخلايق اولا عند النفخة الاولى
وتيقظهم عند طلوع الفجر تضاهي عود الحيوة اليهم في النفخة الثانية وانشقاق ظلمة الليل بظهور
الفجر المستطيل فيه من العجب الا شيئا لا نجد له ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزج
وكل هذه الامور دلايل على وجود مبدع عظيم الشان غني عن الزمان والمكان مبرا عن سمات
الحدوث والامكان الرابعة الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بالذي ينفعهم بما
يحمل فيها او بنفع الناس والفلك بالضم والسكون السفينة واحد وجمع فضمة الواحد ضمة
برد وضمة الجمع ضمة اسد وتانيث صفتها ههنا يحتمل ان يكون لتضمنه معنى السفينة ويحتمل ان يكون
لمعنى الجمعية اي المراكب التي تجري والتركيب يدل على استدارة والدوران ومنه الفلك لجسم كري يحيط
به سطحان متوازيان مركزهما واحد وفلكة المغزل وفلك ثدي الجارية استدارة والبحر خلاف البر قيل
سمي بذلك لاتساعه وتعمقه ومنه تبحر في العلم والمال وسمي الفرس الواسع الجري بحرا قال صلى
الله عليه وسلم في فرس ابي طلحة ان وجدناه لبحرا وقيل من الشق بحرت اذن الناقة شققتها ومنه
البحيرة هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قايل الذي جعل لكم الارض فراشا ان الماء باكثر جوانب الربع
المعمور من الارض فذلك هو البحر المحيط وقد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط
الشرقي ومنقطعا عن الغربي الى وسط العمارة اربعة خلجان اولها ما اذا انتهى من الغرب خليج البربر
لكونه في حدود بربر من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون فرسخا وعرضه خمسة
وثلثون فرسخا وعلى ضلعه الغربي بلاد كفار الحبشة وبعض الزنج وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة
وثانيها الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه بقرب منتهاه ستون
فرسخا وبين طرفه وفسطاط مصر الذي على شرقي النيل مسيرة ثلاثة ايام وعلى ضلعه الغربي بلاد
بجة من البربر وبعض بلاد الحبشة وعلى ضلعه الشرقي سواحل عليها فرضة مدينة الرسول عليه السلام
القوافل لمصر والحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الزاوية الشرقية منه وثالثها خليج فارس
طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه قريب مائة وثمانين وعلى سواحل ضلعه
الغربي بلاد عمان ولهذا ينسب البحر هناك اليها وجملة ولاية العرب واحيائهم من الحجاز واليمن هجر
والطايف وغيرها وبواديهم بين الضلع الغربي من هذا البحر والشرقي من الخليج الاحمر فلهذا سمي
العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وفيها مكة زاد الله شرفها وعلى سواحل ضلعه الشرقي بلاد فارس
ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند ورابعها الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال
ضلعه الشرقي متصل بالمحيط الشرقي وضلعه الغربي خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات
القتال والصين ولهذا سمي بحر الصين ومن زاويته الغربية الى الزاوية الشرقية من بحر فارس يسمى
بحر الهند يكون بعض ولايتهم على ساحله وايضا قد دخل على العمارة من جانب المغرب خليج عظيم يمر من
جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب ويحاذي ارض السودان وينتهي الى بلاد مصر والشام ومن

جانب

جانب الشمال على بلاد اندلس والجلالقة والصقالبة الى بلاد الروم والشام وينشعب منه شعبة من
شمال ارض الصقالبة الى اراضي مسلمين بلغار يسمى بحر ورنك طوله المعلوم ماية فرسخ وعرضه ثلثة
وثلثون واذا جاوز تلك النواحي امتد نحو المشرق عما وراء جبال غير مسلوكة واراض غير مسكونة
وينشعب منه ايضا يسمى بحر طرابوزون فهذه هي البحار المتصلة بالمحيط واما غير المتصلة فاعظم
بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب والخزر والسكون لكون هذه الولايات على سواحله
مستطيل الشكل اخذ من المشرق الى المغرب باكثر من ماتين وخمسين فرسخا ومن الجنوب الى الشمال
بقرب من ماتين ومن عجايب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام والانواع والاصناف ومنها الجزاير
فيها فقد يقال في بحر الهند من الجزاير العامرة وغير العامرة الف وثلثماية وسبعون منها جزيرة
عظيمة في اقصى البحر مقابل ارض الهند في ناحية المشرق عند بلاد الصين يسمى جزيرة سرنديب
دورها الف ميل فيها جبال عظيمة وانهار كثيرة ومنها يخرج الياقوت الاحمر وحول تلك الجزيرة
تسع عشر جزيرة عامرة فيها مداين وقرى كثيرة ومن جزاير هذا البحر جزيرة كله التي يجلب منها
الرصاص القلعي وجزيرة سربرة التي يجلب منها الكافور وغرايب البحر كثيرة ولهذا قيل حدث عن
البحر ولا حرج وسيل بعض العقلاء ما رايت من عجايب البحر قال سلامتي منه والسفينة مما الهم
الله تعالى تركيبها ثم اجراها بقدرته على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة السفينة ثم عجيب
صنعتها لما تم جريها ولولا الرياح المعينة على تحريكها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح لما سلمت
من تلاطم الامواج ولولا تقوية قلوب راكبها الماهر واعلى اشد ايدي ركوبها ولولا انه تعالى خص كل طرف
بشيء لم ينبعث الدواعي الى اقتحام الاخطار في هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الامصار في البراري
والبحار فلا جرم ينتفع الحامل من حيث انه يربح وينتفع المحمول اليه من حيث انه يجد ما افتقد اعوزه
وفي الاية دليل على اباحة ركوب السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة وما انزل الله من
السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها اما نزول المطر من السماء فقد مر تحقيق ذلك في تفسير
قوله تعالى اوكصيب من السماء وان المراد من السماء السحاب او التقدير من جانب السماء وانما
تنكير من ماء فلان الغرض الوحدة الشخصية او المنفية يعني ماء هو سبب حيوة الارض لا المطر
الذي قد لا ينبت شيئا لما جاء في الحديث ليس السنة بالتي لا تمطر وانما السنة التي تمطر ولا تنبت
ولا ريب ان في انزال ذلك دلالة على الصانع ووحدانيته حيث جعله في غاية الصفاء واللطافة
والعذوبة وصيره سببا للارزاق وانزله بعد قنوط الناس منه وشدة احتياجهم اليه واودع في نزوله
حيوة الارض اي حسنها ونضارتها ورواها وبهجتها وخضرتها الاشجار والاثمار وجريان ...
الجداول بينها والانهار بحيث تروق الناظرين وتشوق السامعين فوق الربيع في الازمان
كسن الصبي في الاسنان وموت الارض من ترشيح الاستعارة فانه لما عبر عن بهجتها ونضرتها
وخضرتها بالحيوة عبر عن جمودها وكمودتها وبقايها على الهيئة الاصلية كانها لا روح فيه فلا رواء
عليه السادسة وبث فيها من كل دابة وانه معطوف على انزل فيدخل تحت حكم الصلة ويرجع عود
الضمير في فيها الى الارض لان قوله فاحيى عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد
فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة لان معاش الحيوان بل حيواته
يدور على الماء وجعلنا من الماء كل شيء حي واعلم ان الحيوان اما تولدي او توالدي وكلاهما
الصنفين يحتاج الى صانع ذي حكيم حكي ان شخصا قال بحضرة عمر ابي النجيب من امس
الشطرنج رقعته صغيرة ولو لعب الانسان به الف مرة لم يتفق مرتان فقال نعم ههنا ما هو اعجب
منه وهو ان مقدار الوجه شبر في شبر ثم ان مواضع الاعضاء التي من الحاجبين والعينين والانف
والفم لا يتغير البتة ومع ذلك لا ترى شخصين ابدا يتشابهان في الصورة فما اعظم تلك القدرة والحكمة
التي اظهرت في هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التي لا حد لها ولولا هذا الاختلاف لاشتبه
الناس بعضهم ببعض وانقطع نظم معايشهم وحوايجهم ومن تامل كتب التشريح وقرا كتاب الحيوان

وتتبع عجايب المخلوقات وقف من تراكيبها وخواصها على ما يقضي منه العجب ويفضي به الى الاعتراف
بوحدانيته الرابعة تصريف الله تعالى الرياح مع رقتها ولطافتها وفي ذلك نفع عظيم لانتفاع
الحيوان بتنشق الهواء البارد ولجريان السفن بهبوب الريح ومن قبل تلقيح الاشجار وسوق
السحاب الى حيث يرسله الله تعالى ومن جهة تصحيح الاهوية الوبائية الى غير ذلك من المنافع والمراد
بتصريفها تقليبها في جهات العالم على حسب المصالح شمالا وجنوبا وشرقا وغربا اي صبا ودبورا وعلى
كيفيات متخالفة حارة وباردة عاصفة ورخاء ومن قرا الريح بالوحدة فليس فيها دلالة على العذاب
في هذا المقام والذي جاء في الحديث انه عليه السلام كان اذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا فلا يدل الا على ان مواضع الرحمة بالجمع اولى كما قال تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح
مبشرات وقال وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد يخص اللفظ في القران بشي فيكون
امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء في التنزيل من قوله وما يدريك مبهم غير معين قال وما يدريك
لعل الساعة قريب وما كان من لفظ ادريك فانه مفسر وما ادريك ما القارعة وما ادريك
ما هيه الثامنة السحاب المسخر بين السماء والارض سمي سحابا لانسحابه في الهوى ومعنى التسخير
التذليل وذلك ان طبع الماء ثقيل يقتضي النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف طبعه
بقاسر ومسخر وايضا لو دام لعظم ضرره من حيث انه يستر ضوء الشمس وتكثر الانداء والامطار
ويتعذر التردد في الحوايج ولو انقطع لعظم ضرره لاستلزامه الجدب والامحال فكان تقديره
بالمقدار المعلوم والاتيان به وقت الحاجة ودفعه عند زوالها بمدبر ومسخر لا محالة وفي نفس
السحاب من عظمه وتراكمه وارتفاعه وانخفاضه وانبساطه وتخلخله وسده الافق في لحظة
وانقشاعه في اخرى واشتماله على الرعد والبرق والصيحة والتطبيق الى غير ذلك من العجايب
دلالات واضحة على كمال حكمة موجده ومقدره اما قوله تعالى لايات فيحتمل ان يكون راجعا الى
كل واحد منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا وايضا فكل واحدة منها من حيث انها موجودة تدل
على وجود موجدها وكونه قادرا ومن حيث انها وقعت على وجه الاحكام والاتقان يدل على علم
الصانع ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت دون وقت يدل على ارادته واختياره ومن حيث
انها وقعت على الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
واما قوله تعالى لقوم يعقلون واخص الايات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر والاستدلال
وفي الاية من الفوايد ان التقليد مذموم فيما الى تحقيقه سبيل وفيها ان جميع المعارف ليست
ضرورية والا لم يحتج في شي الى النظر منها واخص الايات الثمانية بالذكر مع ان ساير الاجسام
والاعراض مستوية في الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها
دلايل وبين كونها نعما على المكلفين ومتى كان الدلايل كذلك كانت انجع في القلوب واشد تاثيرا في
الخواطر عن رسول الله عليه السلام ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها
والله حسبنا
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو
يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله
جميعا وان الله شديد العذاب ۝ اذ تبرا
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب
وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان

لنا

لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ
النَّارِ **القراءة** ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل
ويعقوب الباقون بالياء اذ يرون بضم الياء من الاراءة ابن عامر ان القوة وان الله بكسر الالف
فيهما يزيد وسهل ويعقوب اذ تبرا بادغام الدال وكذا ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزة
وعلي وخلف يريهم الله بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل وقرا حمزة وعلي وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم
الباقون بكسر الهاء وضم الميم بخارجين بالامالة عباس وقتيبة لجواز من النار الوقوف كحب الله
العذاب وكذلك جميعا الاولى قراءتان وان بالكسر فيهما شديد العذاب الاسباب تبروا منا عليهم
من النار **التفسير** انه سبحانه لما قرر التوحيد بالدلائل الباهرة عقبها بالتوبيخ
ما يضاده فيضعها تسمية الاشياء والند المثل المنازع كما سلف والمراد بالانداد هاهنا هي الاصنام
التي اعتقد المشركون انها تقربهم الى الله زلفى ونذروا لها النذور وقربوا لها القرابين وقيل
يعني السادة الذين كانوا يطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم محللين ما حرم الله ومحرمين
ما احل عن السدي واستدل على تفسيره بان قوله يحبونهم فيه ضمير العقلاء ولانه من المستبعد
ان يكون محبتهم للاصنام كمحبتهم لله تعالى مع علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ولقوله اذ تبرا الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا وذلك لا يليق الا بمن اتخذ العقلاء اندادا وامثالا لله تعالى يلتزمون من تعظيمهم
والانقياد لهم ما يلتزم المؤمنون لله تعالى ويمكن ترتيب الجواب بان ضمير العقلاء جاز عوده الى الاصنام
بناء على اعتقاد الجهلة حيث نظموها في سلك المعبود الحق قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
ولو سمعوا ما استجابوا لكم وايضا علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا ابدا لك لما اشركوا وايضا
التبري لا يمتنع من الاصنام بدليل قوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم **وقال**
اهل العرفان كل شيء شغلت قلبك به سوى الله فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى ارايت
من اتخذ الهه هواه يحبونهم يحبون عبادتهم او التقرب اليهم والانقياد لهم او يعظمونهم ويخضعون
لهم كحب الله من اضافة المصدر الى المفعول اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول
وانما استغني عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لانه غير ملبس وقيل كالحب اللازم عليهم وقيل
كحبهم اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين والذين آمنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره في السراء
ولا في الضراء ولا يجعلون وسائط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الههم من حيس
وهو الاقط والسمن والتمر عام المجاعة وفيهم قال شعر اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة **واعلم** ان الاطلاق في محبة الله تعالى قد ورد
في القرآن والحديث كما في هذه الآية وكقوله يحبهم ويحبونه وروي ان ابراهيم صلوات الله عليه
قال لملك الموت وقد جاء لقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت خليلا
يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الآن فاقبض **وجاء اعرابي** الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ماذا اعددت لها فقال ما اعددت كثير صلوة ولا صيام
الا اني احب الله ورسوله فقال عليه السلام المرء مع من احب ثم ان الائمة اختلفوا في معناها فقال
جمهور المتكلمين ان المحبة نوع من انواع الارادة لا تعلق لها الا بالجائزات اي الممكنات فيستحيل تعلق
المحبة بذات الله وصفاته فمعنى قولنا نحب الله نحب طاعة الله وخدمته او نحب ثوابه واحسانه

واما العارفون فيقولون انا نحب الله لذاته لا لغرض اخر ولو كان كل شي محبوبا لاجل شي اخر دار الامر
وتسلسل واذا كنا نحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته وغلبته والرجل الزاهد لبراءته
ساحته عن المثالب فالله تعالى احق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى كماله نقص والكمال مطلوب لذاته
محبوب لنفسه وكلما كان الاطلاع على دقايق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه له اتم وبحسب
الترقي في درجات العرفان فان يزداد المحبة الى ان يستولي سلطان الحب على قلب المومن فيشغله
عن الالتفات بغيره ويفني عن حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي
ويتكلم بلسان الحال ليس في جبتي سوى الله فلا يعصي الله طرفة عين ولا يشتغل بحظ نفسه لحظة بصر
كما قيل تعصي الاله وانت تظهر حبه بحبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان
المحب لمن احب مطيع ولحب الله يحب اولياءه ومقربيه ويعادي اعداءه ومخالفيه اذلة على المومنين
اعزة على الكافرين لعين يفدى الف عين ويتقي ويكرم الف للحبيب المكرم ولو يرى قرئ بالياء والتاء
وان وان بالفتح والكسر فههنا اربع تقديرات الاول ولو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد
اذا عاينوا العذاب يوم القيامة ان القدرة كلها لله على كل شي من العقاب والثواب دون انذادهم
وان عذاب الله للظالمين شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم
بظلمهم وضلالهم وحذف جواب لو دليل على فخامة شان المحذوف ليذهب الوهم كل مذهب من الفظاعة
ما لا يكتنه كنهه كقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه بخلاف ما وقع التعبير عنه بلفظ معين الثاني
ولو ترى يا محمد او يا من يتاتى منه الروية هولاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم وقت معاينتهم ان القدرة
كلها لله وان شديد العذاب لرايت امرا عظيما فعلى هذا ان وان مع معموليهما بدل من العذاب قال
الفراء الوجه فيه تكرير الروية اي يرون ان القوة لله جميعا الثالث بيا الغيبة وكسران وان معناهما
كالاول والجملتان معترضتان والمعنى لقيل ان القوة لله والرابع على هذا القياس ودخول لو وكذا اذ
في المستقبل مع ان من حقها الدخول على الماضي نظم للمستقبل في سلك الماضي المقطوع به لصدوره عمن
لا اختلاف في اخباره وقيل ان الساعة قريب فكانها وقعت وكذا الكلام في اذ تبروا انه بدل من اذ يرون
وقيل هو معمول شديد والمراد بالذين اتبعوا القادة والروساء من مشركي الانس عن قتادة والربيع
وعطاء او شياطين الجن الذين صاروا متبوعين بالوسوسة عن السدي وقيل الاوثان والتبري
اما بالقول وهو الاقرب واما بظهور العجز والندم بحيث لا يغنون من الله وعقابه شيا فكيف عن
غيرهم وراوا العذاب الواو للحال اي تبروا في حال رويتهم العذاب وتقطعت عطف على تبراهم ايضا
فان تقطع في معنى زال او وقع تقطع الاسباب ملتبسة بهم مثل لقد تقطع بينكم بضم النون او الباء
للتعدية كان اسباب الوصل صارت اسباب القطع ومصالحهم انقلبت عليهم والسبب في اللغة الحبل
ثم استعير لكل ما يتوصل به قالوا ولا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به والمراد ههنا الوصل التي
كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع والعهود
والعقود لو ان لنا كرة فنتبرا منهم ولذلك اجيب بالفاء كانه قيل يا ليت لنا كرة رجعة الى الدنيا والى
حال التكليف والمتبوعون مفتقرون الى اتباعنا ونفر تقاحي نتبرا منهم لعدم النفع والاعانة
كما فعلوا هم اليوم كذلك مثل ذلك الاري الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات هي ثالث معمول اري او
مثل ذلك التبري يريهم الله اعمالهم حسرات فان ذلك التبري نوع اراءة والمراد بالاعمال قيل الطاعات
لانهم لم يفعلوها وضيعوها عن السدي وقيل المعاصي واعمالهم الخبيثة يتحسرون لم عملوها عن الربيع
وابن زيد وقيل ثواب طاعتهم التي اتوا بها فاحبطوه بالكفر عن الاصم وقيل اعمالهم التي تقربوا بها الى روسايهم
من تعظيمهم والانقياد لامرهم والحسرة شدة الندم على ما فات حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا
منفعة فيها والتركيب يدل على الكشف ومنه انحسر الطاير ترها ب ريشه والحاصل انهم لا يرون
مكان اعمالهم الا حسرات فيا ايها المغرور بالسلامة ما اعددت ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة
يوم يجعل الولدان شيبا يوم نرع المسرور كيبا الدنيا دار التقديم بتجارة فالبدلي لمن

تخود

ترود منها الخسارة وما هم بخارجين من النار استدل الاشاعرة بالتقديم على التخصيص فقالوا ان اصحاب
الكبيرة من اهل القبلة يخرجون من النار وزعم المعتزلة ان بناء الكلام على هم لتقوي الحكم وافادة التأكيد كقوله
وهم يخلقون فانه لا يدل على ان غير الاصنام غير مخلوق ∴ يا ايها الناس كلوا مما
في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان
انه لكم عدو مبين ∴ انما يامركم بالسوء والفحشاء
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ∴ واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه
اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ∴ القراءة
خطوات ساكنة الطاء حيث كان ابو عمرو غير عباس ونافع وحمزة وخلف وسهل وابو ربيعة عن البزي والقواس
وحماد وابو بكر غير البرجمي الباقون بالضم بل نتبع وبابه مثل هل نبئكم وبل نقذف مدغما حيث كان علي
وهشام الوقوف طيبا والوصل اجوز لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان مبين ما لا تعلمون اباءنا لا ابتداء
الاستفهام ولا يهتدون ونداء لحق المحذوف اي هم صم لا يعقلون ∴ التفسير قال الكلبي
نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على انفسهم من الحرث والانعام وحرموا البحيرة والسائبة
والوصيلة والحامي فالاية مسوقة لتقرير طرف من جهالات المشركين المتخذين من دون الله اندادا وحلالا
مفعول كلوا او حال مما في الارض وهو المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه من الحل الذي يقابل العقد ومنه
حل بالمكان اذا نزل وحل عقد الرحال وحل الدين وجب لانحلال العقدة بانقضاء المدة والحلة لانها تحل
عن الطي للبس وتحلة القسم لان عقدة اليمين تنحل به ثم الحرام قد يكون حراما في جنسه كالميتة والدم
وقد يكون حراما لعرض كملك الغير اذا لم ياذن في اكله فالحلال هو الخالي عن القيدين والطيب ان اريد
به ما يقرب من معنى الحلال لان الحرام يوصف بالخبيث قل لا يستوي الخبيث والطيب فالوصف لتاكيد المدح
مثل نفخة واحدة اي الطاهر من كل شبهة ويمكن ان يراد بالطيب اللذيذ او يراد بالحلال ما يكون بجنسه
حلالا وبالطيب ما لا يتعلق به حق الغير والخطوة بالضم ما بين قدمي الخاطي كالغرفة بالضم اسم لما يغترف
والفعلة بالضم والسكون اذا كانت اسما يجمع في التصحيح بسكون العين وضمها يقال اتبع خطواته
ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين لاقعدن لهم صراطك لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انما يامركم
بالسوء متناول جميع المعاصي من افعال الجوارح وافعال القلوب والفحشاء هو التي جاوزت الحد في القبح
فلهذا قد يخص الاول بما لم يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا اقبح الكل لانه يخص الاول بما لم
يجب في لان وصف الله بما لا ينبغي من اعظم الكبائر فهذه الاية كالتفسير لقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان
فالصغائر والكبائر والكفر والجهل كلها مما هي مأمورات الشيطان بل لا يامر الشيطان الا بهذه الامور بدليل
انما وهي للحصر وقد يدعو الشيطان الى الخير ظاهرا وغرضه ان يجر الى الشر اخرا مثل ان يجر من الفضل
الى الفاضل فيتمكن بعد ذلك ان يجر الى الشر ومثل ان يجره من الفاضل الاسهل الى الافضل الاشق ليصير

اذدياد المشقة سببا للتنفر عن الطاعة ويدخل في قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون جميع المذاهب
الباطلة والعقايد الفاسدة وقول الرجل هذا حلال وهذا حرام بغير علم بل يتناول مقلد الحق لانه
وان كان مقلدا للحق لكنه قال ما لا يعلم فصار مستحقا للذم من جهة انه قادر على تحصيل العلم بالحق
ثم انه قنع بالظن والتخمين ومعنى امر الشيطان ووسوسته قد سلف في شرح الاستعاذة وفي التعبير
عن وسوسته بالامر تنبيه الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم منه وقبولكم وساوسه واذا كان الامر
المطاع موجود امذموما فكيف حال المامور المطيع وفي هذا معتبر للبصراء ومزدجر للغفلة اعاذنا الله بحوله
وايده من مكر الشيطان وكيده واذا قيل لهم اي المتخذين من دون الله اندادا او للناس والالتفات
الى الغيبة للنداء على ضلالهم كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون وعن ابن عباس رضي
الله نزلت في اليهود حين دعاهم رسول الله عليه السلام الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه
اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم وقد يعود الضمير الى المعلوم كما يعود الى المذكور وعلى هذا فلا بد مسند نقد عارضوا
ما انزل الله من الدلايل الباهرة بالتقليد فما اعقلهم وانصفهم فلاجرم اجاب الله تعالى بقوله اولو كان الواو
للعطف لا للحال على ما وقع في الكشاف والهمزة للرد والتعجب وفعل الاستفهام محذوف وكذا جواب الشرط
والمعنى ايتبعونهم ولو كان اباءهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب اتبعوهم ايضا وتقرير الجواب
ان للمقلد اعترف ان المقلد محق ام لا فان لم تعرف فكيف قلدته مع احتمال كونه مبطلا وان عرفت فاما
بتقليد اخر ويلزم التسلسل او بالعقل فذلك في معرفة الحق والتقليد ضايع وايضا علم المقلد اذا اعلم
بذلك الدليل ايضا والا كان مخالفا له فظهر ان قبول قول الغير من غير دليل وبال وضلال ومثل الذين
كفروا فيه للعلماء طريقان احدهما تصحيح المعنى باضمار اما في المشبه اي مثل من يدعوا الذين كفروا الى الحق
كمثل الذي ينعق يقال نعق الراعي اذا صاح بها واما نعق الغراب فبالغين المعجمة شبه الداعي الى الحق براعي
الغنم والكفرة بالغنم ووجه التشبيه ان البهيمة تسمع الصوت ولا تعلم المراد وهؤلاء الكفار يسمعون الرسول
والفاظه وما كانوا ينتفعون بها فكانهم لا يفهمون معانيها واما باضمار في المشبه به اي مثل الذين كفروا
كبهايم الذي ينعق والطريق الثاني بغير اضمار اي مثل في دعايهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع لكن قوله
الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا او مثلهم في دعايهم الهتهم كمثل الناعق في دعاءه عند
الجبل فانه لا يسمع الا صدى صوته فاذا قال يا زيد سمع من الصدى يا زيد فكذلك هؤلاء الكفار اذا دعوا
الاوثان لا يسمعون الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء ومثلهم في قلة عقلهم حيث عبدوا الاوثان كمثل
الراعي اذا تكلم مع البهايم فكما ان الكلام مع البهايم دليل سخافة العقل فكذلك عبادتهم لها او مثلهم في اتباعهم
اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهايم فكما ان ذلك عبث ضايع فكذا تقليدهم فانهم صم عن استماع الحق والانتفاع
به عن اجابة الداعي الى سبيل الخير عمي عن النظر في الدلايل فهم لا يعقلون العقل المسموع لا العقل المطبوع
وذلك ان طريق الاكتساب الاستعانة بالحواس ولهذا قيل من فقد حسا فقد علما فلما فقدوا فايدة هذه
الحواس فكانهم عدموها خلقة **قال سابور بن اردشير** العقل نوعان مطبوع
ومسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فان احدهما بمنزلة العين والاخر بمثابة الشمس ولا يكمل الابصار
الا بتعاونهما وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شي دعامة ودعامة المرء عقله فبقدر عقله تكون
عبادته لربه اما سمعتم قول الله عز وجل **حكاية عن الكفار** لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير وقال ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي به صاحبه الى هدى او يرده عن ردى التاويل
الذين كفروا لم يسمعوا اذا خاطبهم الحق بقوله الست بربكم الا دعاء ونداء لانهم كانوا في الصف الاخير من الارواح
المجندة في اربعة صفوف الاول للانبياء والثاني للاولياء والثالث للمومنين والرابع للكافرين فما شاهدوا
شيئا من انوار الحق ولكنهم قالوا بالتقليد بلى فبقوا على التقليد بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ إِنَّمَا حَرَّمَ

عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به
لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم
عليه إن الله غفور رحيم إن الذين يكتمون
ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا
قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا
يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب
أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ه
والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك
بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا
في الكتاب لفي شقاق بعيد ∴ **القراءة**

الميتة بتشديد اليا يزيد الباقون بالسكون فمن اضطر بكسر النون وضم الطاء ابو عمرو وسهل ويعقوب
وحمزة وعاصم فمن اضطر بضم النون وكسر الطاء يزيد الباقون بضمها الوقوف تعبدون لغير الله للشرط
مع فاء التعقيب عليه رحيم قليلا لان ما بعده خبر ان يزكيهم والوصل اولى لانفصال بعض جزائهم بالبعض
اليم بالمغفرة للابتداء بالتعجب او الاستفهام والوجه الوصل للمبالغة في الانكار على النار بالحق لابتداء
ان بعيد ربع الجزء **التفسير** انه سبحانه تكلم من اول السورة الى ههنا في دلايل التوحيد و
والنبوة واستقصى شرح اهل النفاق والشقاق من المشركين واهل الكتاب وذيل كلا من ذلك بما يناسب ومن
ههنا شرع في بيان الاحكام الشرعية الحكم الاول اباحة الاكل للمومنين بعد ما عم للناس كلهم وهذا بالنظر
الى الاصل وقد يصير واجبا بالعارض كما لو اشرف على الهلاك بسبب المجاعة وقد يكون مندوبا كالموافقة للضيف
واستدل بقوله من طيبات ما رزقناكم على ان الرزق قد يكون حراما فان الطيب هو الحلال ولو كان الرزق
حلالا البتة لم يبق في ذكر الطيب فايدة اذ يصير المعنى كلوا من حلال ما احللنا لكم واجيب بالمنع من
معنى الطيب ما ذكر بل المعنى كلوا من مستلذات ما رزقناكم ولعل اقواما ظنوا ان التوسع في الاكل الحلال
والاستكثار من اللذات المباحة ممنوع منه فرفع الحرج واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون
ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان الشكر راس العبادة التركيب يدور على الكشف
والاظهار ومنه كشر اذا كشف عن ثغره فنشر النعم وحصرها باللسان من الشكر وباطن الشكر ان يستعين
بالنعم على الطاعة دون المعصية وقال بعضهم اوليتني اظهر ابوح بشكرها وكفيتني كل الامور باسرها
فلاشكرنك ما حييت فان امت فليشكرنك اعظمي في قبرها عن النبي عليه الصلوة والسلام يقول الله
تعالى اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري ولما اجمل في هذه الاية
ما يباح اكله ذيل بحصر ما هو محرم ليبقى ما عدا ذلك على اصل الاباحة فقيل انما حرم عليكم الميتة وتتناول
ما مات حتف انفه ولم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي واذا كانت وجب الحكم بنجاستها اجماعا وان تحريم

ما ليس بمحرم ولا فيه ضرر ظاهره يدل على النجاسة وليس في الاية اجمال عند الاكثرين لان المفهوم من
تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وانما المفهوم في العرف حرمة التصرف في هذه الاجسام كالو قيل فلان
يملك جارية فهم منه عرفا انه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالاية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما
اخرجه الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله عليه السلام احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان
فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد وقال عليه السلام في صفة البحر هو الطهور ماؤه الحل
ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا يعيش الا في الماء وان لم يكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق
ايضا بين ما يوكل نظيره في البر كالبقر والشاة وبين ما لا يوكل كخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي
وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد يخرج بنفسه لان الميتة لا يتناولهما
عرفا وعادة ولهذا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله تعالى لتاكلوا
منه لحما طريا وشبهوه بما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان عد الكافر من الدواب لقوله تعالى
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لان عدم التناول عرفا انما هو بعد تخصيص الشارع
فلا يمكن ان يجعل دليلا على عمومه وكالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف
ومحمد وهو المروي عن علي رضي الله وابن مسعود وابن عمر لقوله عليه السلام ذكوة الجنين ذكوة امه
وقال ابو حنيفة لا يوكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكوة الجنين كذكوة امه
ورد بان الاضمار خلاف الاصل وبانه اذا اخرج حيا لا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للخبر فائدة لان ذلك
معلوم ولما روي عن ابي سعيد انه عليه السلام سئل عن الجنين يخرج قال فان شئتم فكلوه فان
ذكوته ذكاة امه وكشعر الميتة وصوفها فانهما عند ابي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان
ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ولقوله عليه السلام في شاة ميمونة انما حرم
من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولان الشعر والصوف لا حيوة فيه لان الحيوة
الادراك والشعور ومن ههنا ذهب الى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم نجس
ونحوهما كالقرن والظفر والسن لانها نجسة لقوله عليه السلام ما ابين من حي فهو ميتة ولان الحيوة عبارة
عندنا عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر واللحم واما الاهاب فللعلماء
فيه مذاهب سبعة فاوسع الناس قولا الزهري جوز استعمال الجلود باسرها قبل الدباغ ثم داود قال
يطهر كلها بالدباغ لقوله عليه السلام ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان
عليه حال الحيوة من عدم التعفن والفساد ثم مالك يطهر ظاهرها كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة
يطهر كلها الا جلد الخنزير لانه نجس العين والادمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم
الاوزاعي وابو ثور يطهر جلد ما يوكل لحمه فقط ثم احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لاطلاق
الاية ولقول عبد الله بن عكيم اتانا كتاب رسول الله عليه السلام قبل وفاته بشهر الا تنتفعوا
من الميتة باهاب ولا عصب واختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازي والبهيمة فمنهم
من منع منه حتى قال بعضهم اذا قدم البازي من عند نفسه على اكل الميتة وجب علينا منعه وجوز
الشافعي رضي الله عنه استعمال جلد نجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجاة قتال مع فقدان
غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين ولاجل تجليل الكلب وان لم يكن ضرورة وكذا استعمال جلد الميتة
قبل الدباغ لتجليل الدابة وكذا استعمال نجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل والاصطباح به
وتسميد الارض لعموم الحاجة القريبة من الضرورة وقد نقل الاثبات عن اصحاب رسول الله عليه الصلوة
والسلام وسئل عليه السلام عن الفارة تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تاكلوا والدخان وان كان نجسا
لكنه قليل معفو عنه وعند ابي حنيفة اذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة اي دم كالذباب والبعوض
والخنفساء والعقرب وبنات وردان لم ينجس الماء قل او كثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات
فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة الاصحاب عد دود الطعام من جملة
ما ليس له نفس سائلة وقالوا لا ينجس الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف وان وقع في ماء او مائع

اخ

اخر فالقولان ثم الذباب والبعوض ونحوهما وان حكم بطهارة ميتتهما فهي محرمة لانها مستقذرة مندرجة
تحت عموم اسم الميتة وفي جواز اكل دود الطعام والفواكه والماء وجهان والاظهر تحريمها عند الانفراد ومع
هذه الاشيا يمكن ان يباح به وسال عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن طاير وقع في قدر مطبوخ
فمات فقال ابو حنيفة لاصحابه ما ترون فيها فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يوكل بعدما يغسل ويهراق
المرق فقال ابو حنيفة بهذا نقول على شريطة ان كان وقع فيها في حال سكونها فكما في هذه الرواية
وان وقع فيها حال غليانها لم يوكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم ذلك قال لانه اذا سقط فيها
في حال غليانها فمات فقد داخلت الميتة اللحم واذا وقع فيها في حال سكونها فمات فقد وسخت الميتة
اللحم فاستحسنه ابن المبارك وعند ابي حنيفة ذبح ما لا يوكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي نفى
لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الاكل وكما لو ذبح المجوسي ماكول اللحم ولبن الشاة الميتة وانفحتها طاهران
عند ابي حنيفة دون الشافعي ومالك لان الاية تبيّنا دليلهما فان اللبن لا يوصف بانه ميتة بل لتنجسها
بمجاورة الميتة الماكول اللحم اذا مات ووجد ذلك في جوفه فان كان منفصلا فطاهر بعد ان يغسل والا
فلا اما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحا او غير مسفوح لاطلاق الاية الا الكبد والطحال
للخبر وعند من يقول بتناول الاية اباحهما وعند من لا يقول بذلك لا تخصيص وقال ابو حنيفة دم السمك
ليس بمحرم واما لحم الخنزير فاجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزايه محرم وتخصيص اللحم بالذكر لان معظم
الانتفاع به اما شعر الخنزير فغير داخل في الظاهر وان اجمعوا على تحريمه وتنجيسه واختلفوا في انه هل
يجوز الانتفاع به للخرز فابو حنيفة ومحمد يجوز والشافعي لا يجوز احتج ابو حنيفة بان ازي المسلمين يقرون
الاساكفة على استعماله من نكير ولان الحاجة ماسة اليه وما اهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت
للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى واهل المعتمر اذا رفع صوته بالتلبية قال
العلماء ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد
ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبايح اهل الكتاب اذا سمي عليها باسم المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولان النصراني اذا سمى الله فانما يريد به المسيح وهو مذهب عطاء
ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب وقال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا على
اسم المسيح فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة بما لو اراد به المسيح ونحن على نص واذا سمعتم اليهود والنصارى
يهلون به لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبايحهم وهو اعلم بما يقولون
واعلم ان ظاهر الاية يقتضي ان يكون سوى هذه الاشيا محرما لكنا نعلم ان في الشرع اشيا اخر سواها
من المحرمات فكلمة انما متروكة العمل بظاهرها وهو لعلم فمن اضطر افتعل من الضر وهو الضيق اي الحي
استثنى من التحريم حالة الضرورة ولها سببان احدهما الجوع الشديد وان لا يجد ماكولا يسد به الرمق
فعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثاني اذا اكرهه على تناوله مكره فيحل له تناول ما اكره عليه لان
والاضطرار ليس من افعال المكلف حتى يقال انه لا اثم عليه فيه فلا بد من اضمار وهو الاكل اي فمن اضطر
فاكل فلا اثم عليه وانما حذف للعلم به وغير هذا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا والبغي
في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف بغير الخروج ورم وتراقي الى فساد وكل مجاوزة وافراط على
المقدار الذي هو حد الشي فهو بغي والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد وللايمة في الاية قولان احدها
تخصيص البغي والعدوان بالاكل وذهب اليه ابو حنيفة وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجد حلالا يكرهه
فيعدل الى اكل الحرام للذته ولا عاد اي تجاوز قدر الرخصة او غير باغ اي طالب للذة ولا عاد متجاوز سد
الجوعة عن الحسن وقتادة والربيع ومجاهد وابن زيد او غير باغ على مضطر اخر بالاستيثار عليه ولا هو
عاد في سد الجوعة والثاني واليه ذهب الشافعي والايمة غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية
طريق المحقين ويتفرع على الاختلاف ان العاصي بسفره هل يترخص ام لا فعند ابي حنيفة يترخص لانه
مضطر وغير باغ ولا عاد في الاكل وعند الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان ويؤيده الاية الاخرى
فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم وايضا غير باغ ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد ان يكون وصف

الاضطرار باقيا في الحالين وليس كذلك لانه حال الاكل لا يبقى وصف الاضطرار وايضا الانسان نفور طبعه
عن تناول الميتة والدم فلا حاجة الى نهيه عن التعدي في الاكل وايضا انه نفي عند ماهية البغي والعدوان
وانما ينتفي عند انتفاء جميع افرادها ويتحقق نفي العدوان في السفر كما هو مقصودنا واما تخصيص
البغي بالاكل كما ذهبتم اليه فترجيح من غير دليل حجة ابو حنيفة قوله تعالى في اية اخرى وقد فصل لكم
ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وهذا الشخص مضطر فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى ولا تقتلوا
انفسكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والامتناع عن الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كما لو ترك دفع اسباب الهلاك
عن نفسه اذا صال عليه جمل او فيل او حية وايضا الضرورة تبيح طعام الغير من دون الرضاء على سبيل القهر
وهذا التناول محرم لولا الاضطرار فكذا هنا اجاب الشافعي بانه يمكن الوصول الى استباحة هذه الرخص
بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم ان الرخصة اعانة على السفر فاذا كان السفر معصية والرخصة
اعانة على المعصية والسعي في تحصيل المعصية محظور فالجمع غير ممكن ثم اتفق الامامان على ان المضطر لا ياكل
من الميتة الا قدر ما يمسك رمقه الا اذا عجز عن السير ويهلك فيتناول للشبع وقال عبيد الله بن الحسن
العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل منها بشبع ويتزود فان غني عنها طرحها والاول اقرب
لان سبب الرخصة اذا كان الالجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة وكما ان الجوعة
في الابتداء لا تبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الاكثرين وبعضهم
خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش دون اساغة اللقمة وفي التداوي بها
وجهان وسائر المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع الى ان يشرف على الموت فان الاكل لا ينفع بل لو انتهى الى تلك
الحالة لم يحل له التناول وحدوث مرض مخوف في جنسه كخوف الموت وهكذا ان كان يخاف منه لطوله وتماديه
ولا يشترط في جميع ذلك الا غلبة الظن دون التيقن ومعنى قوله فلا اثم عليه دفع الحرج والضيق كما مر في قوله
فلا جناح عليه ان يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوبه
الاكل في حالة الاضطرار ومعنى قوله ان الله غفور رحيم ان المقتضي للحرمة قائم الا انه زالت الحرمة لوجود
العارض فلما كان تناوله تناول ما حصل فيه المقتضي للحرمة ذكر بعده المغفرة ثم ذكر انه رحيم يعني لاجل الرحمة
اجاز لكم ذلك او لعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر ذنبه في تناول
الزيادة رحيم حيث اباح تناول قدر الحاجة او انه لما بين هذه الاحكام للمكلفين بالنسبة اليها اما ان
يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا او يطيعوا فهو رحيم بهم حيث وفقهم للطاعة ان الذين يكتمون عن ابن
عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم
الهدايا والفضول وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال
رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله عليه الصلوة والسلام فغيروها ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت نبي
اخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظر السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة النبي فلا
يتبعونه ويشترون به اي بالكتمان لدلالة الفعل عليه او بالمنزل وقد سبق معنى الاشتراء والثمن القليل في
بطونهم حال اي ملء بطونهم اي اكل فلان في بطنه [illegible] واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكلوا ما يتلبس
بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال الشاعر اكلت
دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر وذلك لانهم كانوا يستنكفون عن اخذ الدية وبعيدة
مهوى القرط كناية عن طول العنق ويمكن ان يقال انهم ياكلون في الاخرة النار لاكلهم في الدنيا الحرام ولا يكلمهم
الله بما يحبون لانهم كتموا الامر في الدنيا بل بنحو اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا يكلمهم اصلا لغضبه عليهم كما هو دين
الملوك من الاعراض عند السخط والاقبال عند الرضاء ولا يزكيهم بالاثناء عليهم او بقبول اعمالهم اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى بيان لتماديهم في الخسارة فان احسن الاشياء في الدنيا الاهتداء
والعلم واقبحها الضلال والجهل وفي الاخرة انفع الاشياء المغفرة وامرها العذاب فهم في خسران الدارين
لاستبدالهم في الدنيا اقبح الامور باحسنها وفي الاخرة اضر الاشياء بانفعها فما اصبرهم على النار تعجب من
حالهم في تلبسهم بموجب النار من غير مبالاة منهم فان الراضي بموجب الشي لا بد ان يكون راضيا بمعلوله ولازمه

اذا علم ذلك اللزوم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن
وهذا التعجب منهم في حال التكليف واشترائهم الضلالة بالهدى وعن الاصم ان المراد انه اذا قيل
لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فهم يسكتون ويصبرون على النار لليأس من الخلاص وضعف بانه خلاف
الظاهر وبان اهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في فما اصبرهم للاستفهام بمعنى
التوبيخ معناه اي شيء اصبرهم عليها حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا اصل معنى التعجب والتعجب
استعظام الشيء مع خفاء سبب حصول ذلك الشيء هذا هو الاصل ثم قد يستعمل لفظ التعجب عند
مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب كما في حقه تعالى ذلك الوعيد الشديد او ذلك الكتمان وسوء
معاملتهم انما هو بسبب ان الله نزل الكتاب يعني جنس الكتب السماوية او القرآن بالحق بالصدق
او ببيان الحق وقد نزل في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل الكتاب لا يؤمنون ولا يكون منهم
الا الاصرار على الكفر فانه تعالى ختم على قلوبهم وان الذين اختلفوا في الكتاب جنسه فقالوا في البعض
حق وفي البعض باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق او الذين اختلفوا في القرآن
فقال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم اساطير والذين اختلفوا في التورية والانجيل فقدح كل
منهما في الآخر او ذكر كل منهما الآيات الدالة على نبوة محمد عليه الصلوة والسلام تاويلا آخر فاسدا
او حرفوا كلا منهما للدلالات على وجه آخر لاجل عداوتك هم فيما بينهم في شقاق بعيد ومنازعة
شديدة فلا ينبغي ان تلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم موافقة ومؤالفة وعن ابي
مسلم اختلفوا في الكتاب اي توارثوه مثل ان في اختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما واعلم
ان الآية وان نزلت في اهل الكتاب فيشبه ان يكون عامة في كل من كتم شيئا من باب الدين فيكون
حكما ثابتا للمسلمين ويصلح ان يتمسك بها القاطعون بوعيد اصحاب الكبائر وكان السبب في تعقيب
هذا الحكم حكم الاكل ان اهل الكتاب قد حرموا بعض ما احل الله كلحوم الابل والبانها واحلوا بعض ما
حرم الله كبعض الشحوم فسيقت الآية تعريضا بصنيعهم ونشر بما يجزيهم وجزاء امثالهم والله تعالى
اعلم التاويل الميتة جيفة الدنيا والدم الشهوات النفسانية ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم
ولذلك قال ايضا عليه السلام سدوا مجاري الشيطان بالجوع ولحم الخنزير مادة الشره والحرص وما اهل
به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله رياء وسمعة ⁘ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ ⁘ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي
الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ⁘ وَأَقَامَ الصَّلَوةَ ه
وَآتَى الزَّكَوةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ⁘ القراءة

ليس البر بنصب الراء حمزة وحفص الخزاز عند ضمير الباقون بالرفع ولكن خفيفا البر رفعا وكذلك
نمابعد نافع وابن عامر الباقون بالتشديد الوقوف والنبيين لطول الكلام واختلاف المعنى لان
ما قبله اصول الايمان وما بعده فروع وفي الرقاب للطول مع انتهاء شرع الكلام وابتداء حكم
اللوازم المذكورة عاهدوا والعدول عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون واعني الصابرين
البأس صدقوا المتقون **التفسير** هذا حكم اخر من احكام الاسلام عن قتادة قال
ذكر لنا ان رجلا سال النبي عليه الصلوة والسلام عن البر فانزل الله تعالى هذه الاية قال
وقد كان الرجل قبل الفرائض اذا شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت
له الجنة وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب
ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب صرف الهمة اليه بر
من امن وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب لاهل الكتاب لان المشرق
قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود وانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وزعم
كل من الفريقين ان البر هو التوجه الى قبلته فرد عليهم بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا
فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير صحته شرط من شرائط اعمال البر التي من جملتها الصلوة
واستقبال القبلة شرط فيها وان يكون شرط جزء الشي تمام حقيقة ذلك الشي وذلك ان البر
اسم جامع للطاعات واعمال الخير المقربة الى الله ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما بكل ما امكن
والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر اولى ليكون الاسم
متقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب اولى لان ان مع صلتها يشبه المضمر في انهما لا يوصف بهما
والمضمر ادخل في الاختصاص من المظهر فهو اولى بان يكون اسما ولكن البر من امن على تقدير حذف
المضاف اي بر من امن وقيل التقدير هكذا ولكن ذا البر من امن وقيل البر بمعنى البار مثل رجل صوم
اي صائم وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القران لقرأت ولكن البر بفتح الباء قال في التفسير الكبير انه
تعالى اعتبر في تحقق ماهية البر امورا الاول الايمان بامور خمسة اولها الايمان بالله ولن يحصل
العلم بالله الا عند العلم بذاته المخصوصة والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه
الامور الا عند العلم بالدلائل الدالة عليها فيدخل فيها العلم بحدوث العالم والعلم بالاصول
التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوده وقدمه وبقائه
وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما
يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الحالية والمحلية والتحيز والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز عليه
اقتداره على الخلق والايجاد وبعثة الرسل وثانيها الايمان باليوم الاخر ويتفرع على كونه
تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات وثالثها الايمان بالملائكة ورابعها الايمان بالكتب
السماوية وخامسها الايمان بالنبيين وسبب هذا الترتيب ان للمكلف مبدا ووسطا ونهاية ومعرفة
المبدا والمنتهى هو المقصود بالذات اعني الايمان بالله واليوم الاخر واما معرفة مصالح الوسط فلا تتم
الا بالرسالة وهي منوطة بالوحي الذي ياتيه الملك فثبت ان كل ما يلزم المكلف التصديق به داخل في الاية
الثاني ايتاء المال على حبه اي على حب المال عن ابي هريرة انه قيل لرسول الله عليه الصلوة والسلام
اي الصدقة خير قال ان تتصدق وانت صحيح حريص تامل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وعن ابي الدرداء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يتصدق
عند الموت مثل الذي يهدي بعدما يشبع والسبب انه عند الصحة يحصل ظن الحاجة الى المال
وعند ظن الموت يحصل الاستغناء وبذل الشي عند الاحتياج ادل على الطاعة من بذله عند الاستغناء
عنه وايضا الاعطاء حال الصحة ادل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد من اعطائه حال المرض والموت
وايضا الهبة عند الموت يشبه الهبة عند الخوف من الفوت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اي يعطي ويحب
الايتاء رغبة في ثواب الله وقيل يرجع الى الله تعالى اي يعطي المال على حب الله وطلب مرضاته

ذوي

ثم ذكر سبحانه من يؤتون المال اصنافا ستة اولهم اولي القربى وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين وقد
مر ما يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وانما قدم
ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المساكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها
صدقة وصلة ولذلك استحقاقه نال رتبة الوراثة وتحجر سببه على المالك في الوصية حتى لا يكون من الوصية
الا في الثلث واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس وتقديم اليتامى على المساكين
لان الصغير الذي لا والد له ولا هو كاسب منقطع الحيلة من كل الوجوه ورابع الاصناف ابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال لطير الماء ابن الماء وللشجاع اخو الحرب وللناس
بنو الزمان وقيل هو الضيف لان السبيل ترعف به وخامسهم السائلون وهم المستطعمون ويدخل فيه
المسلم والكافر وقريب منه قول رسول الله عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرس وسادسهم المكاتبون
واشار اليه بقوله وفي الرقاب اي وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها
وقيل في فك الاسارى والرقاب جمع الرقبة وهو موخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها في البدن
مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا يقال المملوك رقبة كانه يراقب العذاب ولا يقال له عنق الثالث
والرابع قوله واقام الصلوة واتى الزكوة وقد سلف مباحثهما ثم ان الائمة حيث ذكر الله تعالى ايتاء المال
في الوجوه المذكورة ثم ثناه بايتاء الزكوة ومن حق المعطوف ان يغاير المعطوف عليه غلب على ظنونهم ان في
المال حقا سوى الزكوة وكيف لا وقد قال عليه السلام لا يؤمن بالله واليوم الاخر من بات شبعان وجاره
طاو الى جنبه ولا خلاف انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار دفع الضرورة
وان لم تكن الزكوة واجبة عليهم ولو امتنعوا من الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا وما روي عن علي رضي الله
عنه ان الزكوة نسخت كل حق كانه اراد الحقوق المقدرة بدليل انه يلزم التصدق عند الضرورة والنفقة
على الاقارب وعلى المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او
عطف على من امن والمراد بالعهد ما اخذه الله من العهود على عباده بقولهم وعلى السنة رسله اليهم بالقيام
بحدوده والعمل بطاعته فقبل العباد ذلك حيث امنوا بالانبيا والكتب ويندرج فيه ما يلتزمه المكلف ابتداء
من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين الله كالنذور والايمان وبينه وبين رسول الله كبيعة الرضوان بايعوا
على السمع والطاعة والعسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا يقولوا الا بالحق اينما كانوا لا يخافون في الله لومة
لايم وبينه وبين الناس واجبا كعقود المعاوضات ومندوبا كالمواعيد ولهذا قال المفسرون ههنا هم
الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا وفوا واذا ائتمنوا ادوا واذا قالوا صدقوا السادس
والصابرين في الباساء والضراء وهو نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدايد
ومواطن القتال على ساير الاعمال قال ابو علي الفارسي اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح
او الذم فالاحسن ان يخالف باعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع الاطناب
في الوصف والابلاغ في القول فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود اكمل لان الكلام عند اختلاف
الاعراب يصير كانه انواع من الكلام وضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا او
جملة واحدة وذكر المحققون في افادة اختلاف الحركة المدح او الذم ان اصل المدح والذم من كلام السامع
وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى السامع على زيد فقال ذكرت والله
الظريف وذكرت العاقل او هو والله الظريف هو العاقل فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع
فجرى الاعراب على ذلك اي اريد الظريف والعاقل والباساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وهما
فعلاء من البوس والضر لا افعل لهما لانهما اسما بنعتين وحين الباس القتال في سبيل الله والجهاد واصل
الباس الشدة اولئك الذين صدقوا في ايمانهم وجدوا في الدين واولئك هم المتقون ونظيرهما في الجملتين
في القطع للاستيناف قوله اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون كانه قيل ما للمستقلين
بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو اصل كل خير فاجيب بان اولئك الموصوفين لهم قدم صدق
في الاسلام وهم المتسمون بسمة التقوى وكل منهما منطو على جميع الخيرات ومتضمن لكل المامورات

والمنهيات فلهذا اتصف بتلك الصفات وذكر الواحدي هاهنا ان الواوات في هذه الاوصاف للجمع فمن
شرائط البر وتمام شرط البارات يجمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر فلا
ينبغي ان يظن الانسان ان الموفي بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأسا بل لا يكون قايما بالبر
الا عند استجماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من خواص الانبيا والحق انه لا يكون الا في النبي ولا سيما
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان اهل الكتاب اخلوا بجميع اوصاف البر اخلوا بالايمان بالله وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة وذهبت اليهود الى
التجسيم والنصارى الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد الجسماني وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبريل عدونا وكفروا بالكتب السماوية فيؤمنون
ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه وقتلوا النبيين وطعنوا في نبوة سيد المرسلين واستمروا بسمة الشح
حتى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ونقضوا العهود وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ولن يصبروا
في اللأوا لن نصبر على طعام واحد ولا حين الباس فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون
فالعجب كل العجب منهم حيث ادعوا البر ولا شي ولا واحد من اجزاء البر فيهم وهذه غاية الوقاحة ونهاية
العناد والله بصير بالعباد التاويل ليس البر بتوليتكم وجوه ارواحكم بجذبات المحبة قبل
الحضرة الربوبية المحبوبية لتؤمنوا بالله نور ربي وبسر بي لكم تحبوني والملايكة يحبونكم برحمتي
لكم وبرحمتي لكم ليس نجدت كبرتكم معني بل هو ر قديم في الكتاب القديم وبنور هذه المحبة يحبون اهل
محبتي وهم النبيون فالجنسية علة الضم واتى المال على حبه اي ما حصل للعبد من الحب وما مال
لاسر من عواطف الحق بنفقه على حب حبيبه باداء حقوق الشريعة والطريقة بالمعاملات مع
القابلية والتكليف ذوي القربى وهم الروح والقلب والسر ذوا قرابة الحق واليتامى المتولدات من
النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس عن صفاتها بسطوات تجلي صفات الحق والمساكين
وهم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس فانهم في التردد والسفر الى عوالم المعقولات
والمخيلات والمحسوسات والموهومات والسايلين الدواعي الحيوانية والروحانية وفي الرقاب في فك رقبة
السر عن اسر تعلقات الكونين واقام الصلوة المحاضرة مع الله بالله واتى الزكوة مواهب الحق الى
اهل استحقاقها من الخلق والموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد والعبودية الخالصة
يوم الميثاق والصابرين في البأسا مراعاة الحقوق والضراء مخالفات الحظوظ وفنا الوجود عند
لقاء الشهود وحين البأس سطوات التجلي صفات الجلال اولئك الذين صدقوا بترك الوجود
واولئك هم المتقون من شرك الانانية ❁ يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ
بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ
أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ
ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ
ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ❁ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ❁ الوقوف
في القتلى بالانثى لان اعطاء الدية صلحا وكان خارجا عن اصل موجب القتل مستانفا باحسان

ورحمة

ورحمة لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب ووعيد فكان مستانفا اليم تتفوت **التفسير**
هذا حكم اخر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط واما العرب
فتارة يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين
فاذا وقع القتل بين قبيلتين كان يقول الشريف للخسيس لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة
منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما
زاد واعلى ما روي ان رجلا قتل رجلا من الاشراف ثم اجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول
فقالوا ما تريد قال احدى ثلاث قالوا وما هي قال تحيون ولدي او تملاون داري من نجوم
السماء او تدفعون الي جملة قومكم حتى اقتلهم لا ارى اني اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف
اضعاف دية الخسيس فبعث الله محمدا بالعدل وسوى بين عباده في القصاص وقيل نزلت في واقعة
قتل حمزة ومعنى كتب فرض واوجب كقوله كتب عليكم الصيام ولفظة على ايضا تفيد الوجوب كقوله
ولله على الناس حج البيت والقصاص ان تفعل بالانسان مثل ما فعل من قولك اقتص فلان اثر
فلان اذا فعل مثل فعله ومنه القصة لان الحكاية تساوي المحكي والقص لتعادل جانبيه وقوله
في القتلى اي بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المومنة مائة ابل اي بسببها فظاهر الاية تدل
على جميع المومنين بسبب جميع القتلى الا انهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما
القاتل فقد دخله التخصيص ايضا في صورة كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده او المسلم حربيا
او معاهدا او مسلم مسلما خطاء الا ان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما عداه فان قيل لو وجب
القصاص لوجب اما على القاتل وليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك واما على ولي الدم
وهو مخير بين الفعل والترك بل هو مندوب الى الترك والعافين عن الناس واما على اجنبي وليس
كذلك بالاتفاق وايضا القصاص عبارة عن التسوية ووجوب رعاية المساوات على تقدير القتل لا
لا يوجب نفس القتل قلنا عن الاول المراد بجاب اقامة القصاص على الامام او من يجري مجرى الامام
لانه متى حصلت شرايط وجوب القود فانه لا يحل للامام ان يترك القود وهو من جملة المومنين
فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاء القصاص ان اراد ولي الدم استيفاءه ويحتمل ان يكون
خطابا مع القاتل لانه كتب عليه تسليم النفس عند مطالبة الولي بالقصاص وذلك ان القاتل
ليس له ان يمتنع ههنا وليس له ان يتنكر بخلاف الزاني والسارق الهرب من الحدود ولهما ايضا ان يستتر
بستر الله فلا يعترفا فكان امر القتل اشنع وفيه حقا لادمي اكثر وعن الثاني ان ظاهر الاية يقتضي
ايجاب التسوية في القتل والتسوية في القتل صفة للقتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات فالاية
تفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في كيفية المماثلة التي تجب رعايتها فقال الشافعي ان كان قتله بقطع
اليد قطعت يد القاطع فان مات عنه في تلك المدة والا حزت رقبته روي انه عليه السلام قال
من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ورضخ يهودي راس جارية بالحجارة فامر رسول الله عليه
السلام بان يفعل به مثله ولانه يجوز ان يقال كتبت التسوية في القتلى الا في كيفية القتل وحيث
لم تستثن دخل وايضا الحكم بالعموم توجب التخصيص في بعض الصور نحو لو قتله بالسحر فلا يقتل
بالسحر لانه محرم بل بالسيف وكذا لو قتله صغيرا باللواط فانه يقتل بالسيف ولو لم يحكم بالعموم لزم
الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم تفد الاية الا ايجاب التسوية في امر من الامور فلا شيء
الا وهما متساويان في بعض الامور فلا يستفاد من الاية البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة تناول
النفس ويتعين السيف لقوله عليه السلام لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل اذا لم يتب
واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة من الله تعالى اما اذا تاب فقد اتفقوا
على انه لا يجوز ان يكون عقوبة للدلايل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما
الحكمة في وجوب قتله اجاب اصحابنا بانه تعالى يفعل ما يشاء ولا يسال عما يفعل وقالت المعتزلة
انما شرع ليكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل قالوا فيه منفعة للقاتل من حيث

انه اذا علم انه لا بد وان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول
من حيث التشفي ومنفعة لساير المكلفين من حيث الانزجار عن القتل قوله عز من قايل الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى البا للبدل نحو بعت هذا بذاك اي الحر مقتول بدل الحر فيه قولان الاول
ويروى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة لا يكون القصاص مشروعا الا بين الحرين
وبين العبدين وبين الانثيين لان الالف واللام يفيد العموم اي كل حر يقتل بحر فلو كان قتل حر بعبد
مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا بغير حر وهو ينافي نص الاية ولان هذا القول خرج مخرج البيان
لقوله كتب عليكم القصاص وايجاب القصاص على الحر بقتل العبد اهمال التسوية فلا يكون مشروعا
والى هذا ذهب الشافعي ومالك وقالا لما قتل العبد بالعبد فلان يقتل بالحر وهو فوقه اولى وكذا
القول في قتل الانثى بالذكر فاما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سنده ان الذكورة
والانوثة فضيلتان كالعلم والجهل والشرف والخسة فكما انه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذا بين
الذكر والانثى ويروى عن عمرو بن حزم ان النبي عليه السلام كتب على اهل اليمن ان الذكر يقتل بالانثى
القول الثاني ويروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابو حنيفة
ان الحر بالحر لا يفيد الحصر البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة
على حال ساير الاقسام لان قوله والانثى بالانثى يقتضي قصاص الحرة بالمراة الرقيقة فلو كان قوله الحر
بالحر والعبد بالعبد مانعا لتناقض وايضا قوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله الحر بالحر تخصيص
لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع من ثبوت الحكم في ساير الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى
النفس بالنفس وقوله عليه السلام المسلمون تتكافا دماهم وقد يقتل جماعة بواحد فدل على ان التعادل
غير معتبر في الانفس ثم انهم قالوا الفايدة في تخصيص هذه الجزئيات بالذكر ما ذكرنا في سبب النزول
انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فنهوا عن ذلك وايضا نقل عن علي رضي الله
عنه والحسن البصري ان الغرض ان هذه الصور هي التي يكتفى فيها بالقصاص اما في ساير الصور
وهي اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى فهنا لا يكتفى بالقصاص بل لا بد
من التراجع فاما حر قتل عبدا فهو قود به فان شا مولى العبد ان يقتلوا الحر قتلوه بشرط ان يسقطوا
قيمة العبد من دية الحر ويودوا الى اولياء الحر بقية ديته وان قتل عبد حرا فهو به قود وان شا
اولياء الحر قتلوا العبد واسقطوا قيمة العبد من دية الحر وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته
وان شاوا اخذوا كل الدية وتركوا قتل العبد وان قتل رجل امراة فهو بها قود فان شا اولياء المراة
قتلوه وادوا بعد ذلك نصف ديته الى اوليايه وان شاوا تركوا قتله واخذوا ديتها واذا امراة رجلا
فهو به قود فان شا اولياء الرجل قتلوها واخذوا نصف الدية وان شاوا تركوها واخذوا كل الدية
فعلى هذا الغرض من الاية ان الاكتفاء بالقصاص مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين
والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فالاكتفاء بالقصاص غير مشروع قوله تعالى فمن عفي له من اخيه
شي المعنى فمن عفي له من جهة اخيه شي من العفو كقولك سير بزيد بعض السير وطايفة من
السير ولا يصح ان يكون شي في معنى المفعول به لان عفي لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة فان
قيل ان عفي يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له فالجواب انه يتعدى بعن الى الجاني والى
الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب
والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الاية
فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية وانما قيل شي من العفو ليعلم انه اذا عفي له طرف
من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفي عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص
ولم يجب الا الدية واخوه هو ولي المقتول وانما قيل له اخوه لانه يلابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه
به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا اذا كان بينهما من الجنسية والاسلام وقد يستدل بهذا
على ان الفاسق مومن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي المقتول الدم ولا شك ان هذه

الاخوة

الاخوة بسبب الدين انما المومنون اخوة مع ان القتل العمد العدوان بالاجماع من الكباير وايضا انه
تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو انما يليق عن المومن ويحتمل ان يجاب ان القاتل قبل اقدامه
على القتل كان مومنا فلعل تعالى سماه مومنا بهذا التاويل وبان القاتل قد يتوب وعند ذلك
يكون مومنا ثم انه تعالى ادخل غير التايب فيه على سبيل التغليب وايضا لعل الاية نازلة قبل
ان يقتل احد احدا ولا شك ان المومنين اخوة قبل الاقدام على القتل وايضا الظاهر ان الفاسق
يتوب وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول اخا له في النسب كقوله والى عاد اخاهم هودا فاتباع
بالمعروف اي فليكن اتباع او فالامر او فحكمه اتباع او فعليه اتباع فقيل على المعافي اتباع بالمعروف
بان لا يشدد في المطالبة بل يجري فيها على العادة المالوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان واجد
لعين المال فان لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان كان واجدا لغير المال الواجب فالامهال الى ان
يستبدل وان لا يمنعه بسبب الاتباع عن تقديم الاهم من الواجبات وعلى المعفو عنه اداء اليه
باحسان بان لا يدعي الاعدام في حال الامكان ولا يوخر مع الوجود ولا يقدم ما ليس بواجب عليه وان
يودي ذلك المال على بشر وطلاقة وقول جميل من غير مطل وبخس هذا قول ابن عباس والحسن
وقتادة ومجاهد وقيل الاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان هما على المعفو عنه فانه يتبع عفو العافي
بمعروف ويودي ذلك المعروف اليه باحسان ذلك قيل اشارة الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس هو
وهو الاقرب انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو فان هذه الامة خيرت بينهن توسعة
وتيسيرا ولم يكن لليهود الا القصاص وللنصارى الا العفو واثبات الخيرة فضل من الله ورحمة في
حقنا لان ولي الدم قد يكون الدية اثر عنده من القود اذا كان محتاجا الى المال وقد يكون القود
اثر عنده اذا كان راغبا في التشفي ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يوثر ثواب الاخرة فيعفو عن
القصاص وعن بدله جميعا وهو الدية فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من
قتل غير القاتل مع قتل القاتل او دونه او القتل بعد الدية والعفو فقد كان الولي في الجاهلية
يومن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة
وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لما روي انه عليه السلام لا اعافي
احدا قتل بعد اخذه الدية وهو مذهب الحسن وسعيد بن جبير وضعفه غيرهم ولما كانت الاية
مشتملة على ايلام العبد الضعيف وانه لا يليق بكمال رحمته عقبها بقوله ولكم في القصاص حيوة
قال المفسرون القصاص ازالة الحيوة وازالة الشي لا يكون نفس ذلك الشي فالمراد لكم في شرع
القصاص حيوة واي حيوة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد جماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب
حتى كاد يفني بكر بن وايل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويحتمل ان يقال نفس القصاص
سبب لنوع من الحيوة وهي الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا قيد منه ارتدع من كان
يهم بالقتل فلم يقتل ولم يقتل فكان القصاص حيوة نفسين وقرا ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة
اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القران اي لكم في القران حيوة في
القلوب هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حيوة بلغ في الايجاز نهاية
الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع واكثر
القتل ليقل القتل واجوزه ذلك قولهم القتل انفى للقتل والترجيح مع ذلك للاية من وجوه الاول
ان قولهم لا يصح على العموم لان القتل ظلما ليس انفى للقتل قصاصا بل ادعى له ولو خصص فقيل القتل
قصاصا انفى للقتل ظلما طال والاية تفيد هذا المعنى من غير تقدير وتكلف والثاني ان القتل
قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الحيثية معتبرة في الاية
لا في كلامهم الثالث ان الحيوة هو الغرض الاصلي ونفي القتل انما يراد لحصول الحيوة فالتنصيص على
المقصود والاصلي اولى الرابع التكرار من غير ضرورة مستهجن وانه في كلامهم لا في الاية الخامس ان
الحروف الملفوظة التي نعد عليها في اعتبار الوجازة لا المكتوبة هي في الاية عشرة وفي كلامهم اربعة

عشر السادس ان الاغلب في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما يخل بسلاسة التركيب والاية مع غاية وجازتها فيها السبب والوتد والفاصلة السابع ظاهر قوله يقتضي كون الشي سببا لانتفا نفسه وهو محال وفي الاية جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحيوة والاستبعاد فيه لظهور التغاير الثامن المطابقة ترعيه في الاية لمكان التضاد بين لفظي القصاص وحيوة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الاية على لفظ يصلح للقتال وهو الحيوة بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفي اكتنفه قتلان وانه لكالا يليق بهم النفاس اشتمال الاية على اسمين واداة واشتمال كلامهم على ثلثة اسماء واداة هو وان اعتبرت ادات التعريف ففي الاية وحدة وفي كلامهم ثنتان وان اعتبر التنوين في الاية تعادلت الادوات وبقي زيادة الاسما في كلامهم علي ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة يستعمل بمن فتقدير كلامهم القتل انفى للقتل من كل شي فاين الوجازة يا اولي الالباب يا ذوي العقول واولو اجمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو بمعنى صاحب واولات للاناث واحدتها ذات بمعنى صاحبة قال تعالى واولات الاحمال واعراب اولوا كاعراب جمع المذكر السالم وزادوا في اولي واوا بينهما وبين الي واجري الواو علمه واللب العقل ولب النخل قلبها وخالصها كل شي لبه خاطب العقلا الذين يتفكرون في العواقب ويعرفون جهات الخوف فلا يرضون باتلاف انفسهم لاتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون يتعلق بمحذوف اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس ليكونوا علي بصيرة من انها منه راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة اولعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحسن والاصم وقد يورد على الاية بحث وهو انه سبيل اذا صح ان المقتول اذا لم يقتل فهو يموت لان المقدر من عمره ذلك القدر وكذا اذا هم انسان بقتل اخر فارتدع خوفا عن القصاص فان ذلك الاخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان لكل وقت صح وقوع قتله صح وقوع موته فكيف يفيد شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى قد جعل لكل شي سببا يدور مسببه معه وجودا وعدما وشرعية القصاص مما جعلها الله تعالى سببا لحيوة من اراد حيوته لعدم تصور الهام قتله وذلك بان يتذكر القصاص فيرتدع عما هم به ففايدة شرع القصاص هي فايدة ساير الاسباب والوسايط ومنكر فايدتها وكلا الانكارين مذموم وصاحبها عند العقلا ملوم والله تعالى اعلم

التأويل

كما كتب القصاص في قتلاكم كتب على نفسه الرحمة في قتلاه وقال من احبني قتلته ومن قتلته فانا دينه لكن الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى اي من كان متوجها اليه تعالى كان فيضه تعالى متصلا به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات لم يتصل به فيضه غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى محبته لم يكن مستحقا لكمال محبته فمن عفي له من الاحباء والاصفيا شي من انواع البلا والابتلاء الذي هو موكل بالانبيا والاوليا فانه معروف من معارفه فالواجب على العبد اداء شكره الي الله هو باحسان فمن اعتدى بعد ذلك الوفاء بملابسة الجفاء والتجلباب الحياء فله عذاب اليم فان الكفران مزنعه وخيم ولكم في القصاص حيوة الدارين والثنا بين الثقلين يا اولي الالباب الذين يتركوا قشر الروح الانساني عنه لشهود الجلال الصمداني لعلكم تتقون شرك وجودكم

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

القراءة

خاف بالامالة حيث كان حمزة موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة الباقون بالتخفيف من الايصاء الوقوف خيرا لان قوله الوصية مفعول كتب وانما لم يؤنث الفعل للتقدم ولاعتراض ظرف وشرط بينهما او الوصية مبتدا او للوالدين خبره ومفعول كتب محذوف وفي الفعل ضمير اي كتب عليكم ان توصوا ثم بين لمن الوصية والوصل اولي لئلا يحتاج الي الحذف بالمعروف لان التقدير حق ذلك حقا او كتب الوصية حقا المتقين وان كان بعدها فا التعقيب لانه حكم آخر يبدلونه عليم كذلك عليه رحيم

التفسير

كتب عليكم يقتضي الوجوب كامر والمراد من حضور الموت ليس معاينة الموت لان في ذلك الوقت يكون عاجزا عن الايصاء والاكثرون قالوا المراد ظهور الموت وهو المرض المخوف كما يقال لمن قارب البلد انه وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة الوصية بان تقولوا اذا احضرنا الموت فافعلوا كذا وزيف بانه ترك الظاهر ولا شك ان الخير قد ورد في القرآن بمعنى المال وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير لشديد من خير فقير لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير ههنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري انه المال مطلقا قليلا كان او كثيرا بدليل قوله من خير فقير فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وانه تعالى اعتبر احكام المواريث فيما يبقى من المال قل ام كثر قال تعالى وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا فكذا الوصية ولان كل ما ينتفع به فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير في الاية يختص بالمال الكثير كما لو قيل فلان ذو مال يفهم منه انه مالك قدرا يزيد على اهل الحاجة وان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل او كثير وكما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى فانه يراد بكثير النعمة وان كان احد لا ينفك عن نعمة الله وهو باب من المجاز مشهور ينفون الاسم عن الشي لنقصه ومنه قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد ولو كانت الوصية واجبة في كل ما ترك لم يكن لقوله ان ترك خيرا فائدة لان كل احد لا بد ان يترك عند موته شيئا فاذا اقل ما يتمول ثم ان القائلين بهذا اختلفوا في ان المسمى بالخير في الاية مقدر بمقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف الرجل لمقدار من المال بانه غني ولا يوصف غيره بالغنى لذلك المقدار لاجل كثرة العيال وتوسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الي الاجتهاد وهذا الابناء في اصل الايجاب ومنهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن علي كرم الله وجهه انه دخل علي مولى لهم في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصي قال لا قال الله تعالى ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وعن عائشة رض ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصي قال كم مالك قال ثلثة الاف قال كم عيالك قال اربعة قالت قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشي يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وعن ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي فاذا بلغ ثمانمائة درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الي خمسمائة درهم قال ابو البقاء جواب الشرط الوصية بحذف الفاء اي فالوصية للوالدين على الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب الشرط في المعنى ما تقدم من كتب الوصية كما تقول لك كذا ان فعلت ويجوز ان يكون جواب الشرط معنى الايصاء لا معنى الكتب بناء على رفع الوصية بكتب وهو الوجه وقيل المرفوع بكتب الجار والمجرور وهو عليكم وليس بشي واما اذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج الي جواب والاقربين قيل هم الاولاد عن ابي زيد وقيل من عدا الولد عن ابن عباس رض ومجاهد وقيل جميع القرابات وقيل غير الوارث وقوله بالمعروف امر بان يسلك في الوصية الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير واوصى للغني لم يكن معروفا ولو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بني العم لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد الجد البعيد مع حضور الاخوة لم يكن ما ياتيه معروفا وحقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين آثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم وسيرة واعلم ان الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه اختار عدم نسخها وقال معناها كتب عليكم ما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على

المختصر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليه وان لا ينقص من انصبائهم
ولا منافاة بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية من الله تعالى والوصية عطية
ممن حضره الموت فالوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين ولو قدرنا حصول المنافاة
فيمنع الآية توجب الوصية للوالدين والاقربين ثم آية الميراث تخرج القريب الوارث ويبقى القريب الذي
لا يكون وارثا داخلا في الآية وذلك ان من الوالدين لا يرث بسبب اختلاف الدين والرق والقتل
ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال ومنهم من يسقط في حال اذا كانوا ذوي رحم فآية
الميراث مخصصة لهذه الآية لا ناسخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على الآية منسوخة
قالوا نسخت بآية المواريث او بالاجماع او بقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية
لوارث وهذا وان كان خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول حتى التحق بالمتواتر فيجوز نسخ القرآن
به عند الجمهور ومن ائمة الامة من قال هي منسوخة في حق من يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب
ابن عباس والحسن البصري ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار حتى قال الضحاك من
مات من غير ان يوصي لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية قال طاوس ان اوصى للاجانب وترك الاقارب
نزع منهم ورد الى الاقارب قالوا الآية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل به في حق القريب الوارث
اما بآية المواريث او بقوله لا وصية لوارث او باجماع الامة فيبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب
الذي لا يكون وارثا وايضا قال عليه السلام ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء
يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده لكن الوصية لغير
الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان تختص بالاقارب وهؤلاء القائلون بان الآية ما صارت منسوخة في
حق القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا في موضعين الاول نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية للافقر
فالافقر من الاقرباء وقال الحسن البصري هم والاغنياء سواء الثاني عن الحسن وجابر بن زيد وعبد الملك
ابن يعلى انهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا ترثه يجعل ثلثي الثلث لذوي القرابة وثلث الثلث
لمن اوصى له وعن طاوس ان الاقارب ان كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى
الاقارب فمن بدله فمن غير الايصاء او ما قاله الميت واوصى به عن وجهه ان كان موافقا للشرع بعد ما سمعه
وتحققه فلا معنى لو لم يقع العلم به والمبدل اما الوصي بان يغير الوصية في الكتابة او في قسمة الحقوق
واما الشاهد بان يغير شهادته او يكتمها واما غيرهما بان يمنع من وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل
المنهي عن التغيير هو الموصي نهي عن تغيير الوصية عن المواضع التي بين الله تعالى الوصية فيها فانهم
كانوا يوصون في الجاهلية للاباعد طلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب في الفقر والعجز فامرهم بالوصية
للاقربين واوعدهم على تركها فانما اثمه ما اثم الايصاء المغير او اثم التبديل الا على الذين يبدلونه فان
احدا لا يؤاخذ بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لا يعذب بكفر ابيه وان الانسان اذا امر الوارث بقضاء
دينه فان الميت لا يعذب بتقصير ذلك الوارث وان الميت لا يعذب ببكاء احد غيره عليه ان الله عليم يسمع الوصية
على حدها او يعلمها على صفتها فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل واي
وعيد ثم ان الله سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه بقوله فمن خاف لمن يعلم ان التغيير من الباطل
الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو حسن عقلا وللخوف ههنا تفسيران احدهما الخشية
فسئل انما يقع في امر منتظر مظنون والوصية وقعت وعلمت واجيب بان المراد ان هذا المصلح اذا نف
شاهد الموصي يوصي فظهرت منه امارات الجنف الذي هو الميل عن طريق الحق مع ضرب من الجهالة او مع
التاويل او شاهد فيه اثما اي تعمدا بان يزيد غير المستحق او ينقص المستحق او يعدل عن المستحق فعند
ظهور امارات ذلك وقبل تحقيق الوصية يأخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية لان قوله من موص
يدل على ان ما لابسته فكان الموصي يقول وقد حضر الوصي والشاهد على وجه المشهورة اريد ان
اوصي للاباعد دون الاقارب او اريد فلانا مع انه لا يكون مستحق الزيادة وانقص فلانا مع انه لا يكون
مستحق النقص فعند ذلك يصير السامع خائفا من حيف او اثم لا قاطعا به وايضا من الجائز ان لا يستمر الموصي

على وصيته

علي وصيته فان له الفسخ مادام في حيوته فمن ابي يحصل التهمة بما فعل وقد يعدل عن الحق في اخر الامر وبتقدير ان يستقر الوصية ومات الوصي على ذلك ثم يبعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما نسب الى الوصي وقد يعزى الى الجنف ام الاثم فيحتاج الى الاصلاح بينهم باجرائهم على قانون الشرع والتيسير الثاني ان خاف بمعنى علم وقد يستعمل الخوف والخشية مكان العلم لان الخوف منشاه ظن مخصوص وبين العلم والظن مشابهة من وجوه كثيرة فصح اطلاق احدهما على الاخر استعمالا شائعا من ذلك قولهم اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم فمعنى الاية ان الميت اذا اخطأ في وصيته او جار فيهما متعمدا فلا حرج على من علم ذلك ان يرده على الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع وفي الاية دليل على جواز الاصلاح بين المتنازعين اذا خاف المصلح افضاء المنازعة الى امر محذور شرعا والغرض من قوله فلا اثم عليه رفع الحرج حتى لا ينافي الوجوب وفيه مع ذلك نكتة هي ان الاصلاح بين القوم يحتاج الى الاكثار من القول وذلك قد يفضي الى الاسهاب والتكلم ببعض ما لا ينبغي فبين ان الله تعالى لا يواخذ على المصلح من هذا الجنس اذا كان غرضه الاصلاح صحيحا ولهذا اتبعه قوله ان الله غفور رحيم وايضا كانه قيل انا الذي اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان اوصل رحمتي الى هذا ايها المصلح مع تحمل اعباء الاصلاح اولى او المراد ان الموصي الذي اقدم على الجنف او الاثم متى اصلح حال وصيته فان الله يغفر له ويرحمه بفضله وبهذا التاويل يجوز ان يرجع الضمير في قوله فلا اثم عليه الى الموصي واعلم ان اكثر الائمة وان ذهبوا الى ان وجوب الوصية منسوخ باية المواريث الا انهم اتفقوا على انها الان جائزة في الثلث لما روي انه عليه السلام عاد سعد بن ابي وقاص فقال للنبي عليه السلام اني ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي افاوصي بثلثي مالي قال لا قال فبالشطر قال لا قال فبالثلث قال الثلث والثلث كثير لان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فافاد الحديث المنع من الزيادة واستحباب النقصان عن الثلث ان كانت الورثة فقراء والوصية اوسع في الامر فاذا اراد الوصية فالاصل ان يقدم من لا يرث من اقاربه لان الله تعالى اعطى الاقربين الميراث ويقدم منهم المحارم ثم يقدم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كما في الصدقات المنجزة فان اوصى للورثة بعضهم جاز لكن بالاجازة من سائر الورثة كالوزاد على الثلث للاجنبي فان الزائد يحتاج الى اجازة الورثة انشاء الله حسبي **التاويل** كتب على الاغنياء الوصية بالمال وعلى الاولياء الوصية بالحال والاغنياء يموتون في اخر اعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون في مبادي احوالهم من الكل والمعنى اذا حضر قلب احدكم مع الله ومات نفسه عن الصفات الحيوانية فعليه ان يوصي للوالدين وهما الروح العلوي والبدن السفلي فان النفس تولدت من ازدواجهما والاقربين وهم القلب والسر بترك كل مشرب يظهر لهم من المشارب الروحانية والجسمانية بالمعروف من غير اسراف يفضي الى الاتلاف معرضا عن الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات كما قال عليه السلام بعثت لرفع العادات وترك الشهوات بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ان يجعل المشارب مشربا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا شعر وكلا له سول ودين ومذهب ووصلكم سؤلي ودينى هواكم وانتم من الدنيا مرادي وهمتي مناي منالكم واختياري رضاكم حقا على المتقين من الشرك الخفي ولهذا لم يقل على المسلمين والمومنين لانهم اهل الظواهر والمتقون هم اهل البواطن كما عليه السلام التقوى ههنا واشار الى صدره واحكام الظواهر تحتمل النسخ واحكام البواطن وهي الحكم والحقايق لا تحتمل النسخ فحكم الوصية في حق المتقين غير منسوخ ابدا فمن بدله فمن غير من الروح والقلب والسر الوصية الصادرة من نفس الميتة فانما اثمه عليهم وسبب هذا التاكيد ان السر والقلب والروح كلهم من العالم الروحاني وصفاتهم حميدة باقية فترك مشاربها والخروج عنها صعب جدا فمن خاف من موص جنفا في ترك المشارب بان يبالغ في المجاهدات لنيل المشاهدات وانما تجاوز احد الشرع في رفع الطبع فاصلح بينهم بين الروح والبدن والقلب والسر ولكن بنظر شيخ كامل ومربي عارف فلا حرج على المصلح والله الموفق

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما ه

معدودات ۝ فمن كان منكم مريضا او علي سفر فعدة
من ايام اخر وعلي الذين يطيقونه فدية طعام مسكين
فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم
تعلمون ۝ شهر رمضان الذي انزل فيه القران
هدي للناس وبينات من الهدي والفرقان
فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضا
او علي سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله
علي ما هداكم ولعلكم تشكرون ۝ واذا سالك عبادي
عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني
فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون
احل لكم ليلة الصيام الرفث الي نسائكم هن لباس
لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن
وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتي يتبين
لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر
ثم اتموا الصيام الي الليل ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها
كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم
يتقون ۝ **القراءة** فدية طعام مضافا مساكين بالجمع ابو جعفر

ونافع

ونافع وابن ذكوان روى الحلواني والرازي عن هشام والبخاري فدية بالتنوين طعام بالرفع
مضافا الى مساكين بالجمع الباقون مثل هذا الا ان المسكين مفرد مجرور فمن تطوع بتشديد الطاء
والواو وبيا الغيبة وجزم العين حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الماضي من باب التفعل القران
غير مهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزة في الوقف فاذا كان بمعنى القراءة فان عباسا فيه
مخير ان شاء همز وان شاء لم يهمز كقوله تعالى وقران الفجر ان قران الفجر ولا تعجل بالقران ان
علينا جمعه وقرانه فاتبع قرانه الباقون بالهمز اليسر والعسر حيث كانا مثقلين يزيد الا قوله
قوله فالجاريات يسرا ولتكملوا من التكميل ابو بكر وحماد وعباس ويعقوب الباقون من الاكمال
الداعي اذا دعاني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو جعفر ونافع
غير قالون وابو عمرو بالياء والباقون بغير ياء فيهما في الحالين بي لعلهم بفتح الياء ورش الباقون
بالسكون الوقوف يتقون لا لان اياما ظرف الصيام والانتفاء معدودات لان المرض والسفر عارضان
وكانا خارجين عن اصل الموضع اخر لان خبر الجار منتظر وهو فدية فلا تعلق لهما قبله مسكين لان
التطوع خارج عن موجب الاصل خير له لان التقدير والصوم خير لكم تعلمون والفرقان لابتداء الشرط
مع فاء التعقيب فليصمه للابتداء بشرط اخر اخر العسر قد يجوز تشكرون قريب لان قوله اجيب
مستانف دعان للفاء يرشدون نسائكم لهن عنكم لعطف الجملتين المختلفتين لكم لعطف المتفقتين
من الفجر لذلك الى الليل لان تعقب الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف مختلفان ولكل واحد شان
في المساجد لا لتلك مبتدا فلا تقربوها لان كذلك صفة مصدر محذوف اي يبين الله بيانا كبيانه
ما تقدم يتقون هذا حكم اخر والصيام مصدر كالقيام والعياذ وهو في اللغة

التفسير

الامساك عن الشيء قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوما اي قام على غير اعتلاف وقال ابو
عبيدة كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صايم وانه في الشرع عبادة عن الامساك عن اشيا مخصوصة
يسمى المفطرات كالاكل والشرب والوقاع في زمان مخصوص هو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ولابد
في صحته من النية وان يقع في غير يومي العيد بالاتفاق وفي غير ايام التشريق عند الاكثرين ويوافقه
الجديد من قول الشافعي وفي غير يوم الشك بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة ولا بد للصايم من الاسلام
والنقاء عن الحيض والنفاس ومن العقل كل اليوم ومن انتفاء الاغماء في جزء من اليوم وقوله سبحانه كما كتب
على الذين من قبلكم اي على الانبياء والامم من لدن ادم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم ادم يعني ان الصوم
عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة ..فطلة
عليها لعظمها او المعاصي لان في الصوم ظلفا للنفس عن المعاصي ومواقعة السوء ولعلكم تنتظمون
في سلك اهل التقوى فان الصوم شعارهم وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام وهو رمضان كتب
على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل كان يقع في البرد الشديد او الحر
الشديد فشق عليهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين كفارة ومعنى معدودات موقتات
بعدد معلوم او قلايل مثل دراهم معدودة واصله ان المال القليل يعد عدا والكثير يحثى حثيا كانه قال
اني رحمتكم فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا يحتمل ان يكون وجه التشبيه
بين الفرضين مجرد تعلق الصوم عدة متطاولة وان اختلفت المدتان ثم ان الايمة اختلفوا في هذه الايام
على قولين الاول انها غير رمضان فعن عطاء ثلاثة ايام من كل شهر وعن قتادة هي مع صوم عاشورا
ثم اختلفوا ايضا فقيل كان تطوعا ثم فرض وقيل بل كان واجبا واتفقوا انه نسخ بصوم رمضان واستدلوا
على قولهم انها غير صوم رمضان بما روي عن النبي عليه السلام ان صوم رمضان نسخ كل صوم فدل على ان
صوما اخر كان واجبا وايضا ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الاية وفي التي تتلوها فلو كان المعنى
كان تكريرا محضا وايضا ذكر في هذه الاية التخيير بين الصوم والفدية وصوم رمضان واجب على التعيين
فيختلفان الثاني وهو اختيار ابو مسلم والحسن واكثر المحققين انها شهر رمضان اجملها ولا ذكر الصيام
ثم بينه بعض البيان بقوله اياما معدودات ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا ترتيب في غاية

الحسن من غير زيادة ولا نقصان واجيب عن استدلالهم الاول بانه ليس في الخبر انه نسخ عنه وعن امته
كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم وجب بالشرايع المتقدمة سلمنا ان المراد صوم ثبت في شرعه ولكن
لم لا يجوز ان يكون ناسخا الصيام وجب بغير هذه الاية وعن الثاني ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفي الاية
الثانية بجعل واجبا على التعيين ناعيد حكم المريض والمسافر ليعلم ان حالهما ثانيا في رخصة الافطار ووجوب
القضاء كحالهما اولا وعن الثالث ان الاختلاف مسلم لكن في التخيير والتعيين اما في نفس الصوم فلا وههنا
سؤال وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف كان ناسخا للتخيير مع اتصاله بالمنسوخ والجواب
ان الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول بل المقدم في المتقدم في التلاوة يمكن ان يكون ناسخا
كاية الاعتدال بالحول وهكذا يجري في القران اية مكية متاخرة في التلاوة عن الاية المدنية وذلك كثير قال
القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته وهذا التكليف اسوة بالامم السالفة
فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة في ايجاب الصوم وهو حصول التقوى ثم بين ثالثا
انه مختص بايام قلايل لا بكلها ولا باكثرها ثم بين رابعها انه خص من الاوقات بالشهر الذي انزل فيه
القران ليعلم شرفه فتتوطن النفس له ثم ذكر خامسا ازالة المشقة في الزامه فاباح تاخيره لمن شق
عليه من المسافرين والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة وهي هيئة تكون بها بدن الانسان في مزاجه
وتركيبه بحيث يصدر عنها الافعال كلها سليمة والمرض زوالها واختلف الايمة في المرض والسفر المبيحين
للافطار على اقوال احدها ان اي مريض كان واي مسافر كان فله ان يترخص تنزيلا للفظ المطلق على
اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع اصبعه
وعن داود الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان فرسخا وثانيها انه المرض الذي لو صام لوقع في مشقة
وجهد وكذا السفر وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ على اكمل احواله وثالثها وهو قول الشافعي
رضه واكثر الفقهاء انه الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة في العلة اذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه
وبين ما يودي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتد حماه والارمد يخاف ان يشتد وجع
عينيه قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض مرخص مع علمنا بان في الامراض ما ينفعه الصوم فالمراد
اذن منه ما يوثر الصوم في تقويته تاثيرا يعتد به والتاثير اليسير لا عبرة به والمرض المرخص لا بد فيه
بين ان يعرف كونه كذلك بنفسه او يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا واصل
السفر من الكشف لانه يكشف من احوال الرجال واخلاقهم وعن الزهري مسافر الكشفة قناع الكرب
عن وجهه وبروزه للارض الفضاء قالا وراعي السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعي مقدر بستة عشر
فرسخا ولا يحسب منه مسافة الاياب كل فرسخ ثلاثة اميال باميال هاشم جد رسول الله عليه السلام
هكذا وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنى عشر الف قدم هي اربعة الاف خطوة والى هذا ذهب مالك
واحمد واسحاق وذلك ان تعب اليوم الواحد يسهل تحمله بخلاف ما اذا تكرر في يومين لم يناسب
الرخصة ولما روى الشافعي عن ابن عباس رضه ان النبي عليه السلام قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى
اربعة برد من مكة الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربعة فراسخ وروى الشافعي ايضا ان عطاء
قال لابن عباس اقصر الى عرفة فقال لا فقال الى الظهران فقال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان
والطايف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان اربعة برد وقال ابو حنيفة والثوري رخصة السفر
لا تحصل الا في ثلث مراحل اربعة وعشرين فرسخا قياسا على المسح وللاجماع على الرخصة في هذه المدة
والخلاف فيما دون ذلك فينبغي على اصل وجوب الصوم واجيب بان قوله عليه السلام يمسح المقيم يوما
وليلة لا يدل على انه لا يحصل الاقامة في اقل من يوم وليلة لانه لو نوى الاقامة في موضع الاقامة ساعة
يصير مقيما فكذا قوله والمسافر ثلاثة ايام لا يوجب انه لا يحصل السفر في اقل من ثلاثة ايام وايضا
الترجيح للافطار لقوله عليه السلام في قصر الصلوة هذه صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته
وانما قيل او على سفر دون ان يقول مسافرا كما قال مريضا لان السفر يتعلق بقصده واختياره حتى لو
عزم على الاقامة في منزل من المنازل لم يبق على قصد السفر فلا يبيح له الافطار وان كان مسافرا وهذا

بخلاف